

تأليف وتحقيق
تماضر عبد القادر الفيّاض

دار البشائر

الإهداء

إلى من غَرسَ في قلبي ونفسي وعَقلي ورُوحي حُب العلم منذ طفولتي ، والاجتهاد والجد في طلبه .

إلى أبي الذي ذَلَّلَ لي الصعاب ، ومكنني من تجاوزها ، وجعل من المُستحيل أمراً ممكن التحقيق ، بالتحلي بالصبر واحتماله ، وعزز في نفسي ثقة الإقدام وفق المنهج العلمي والتمكن منه رغم أعباء هذه المهنة . . . ؟

إليك أهدي هذا الكتاب مع وافر الحب والتقدير .

تماضر عبد القادر فياض


شعراء الردة
أخبارهم وأشعارهم

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان : شعراء الردة
أخبارهم وأشعارهم
تأليف وتحقيق : تماضر عبد القادر الفياض
عدد الصفحات : ٤٠٠ صفحة
قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤سم
عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة
التنضيد والإخراج : زياد ديب السروجي
الطباعة : المطبعة الدمشقية

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧م

دار البشائر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ـ شارع ٢٩ أيار ـ جادة كرجية حداد
هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ ـ ٢٣١٦٦٦٩
ص. ب ٤٩٢٦ سورية ـ فاكس ٢٣١٦١٩٦
الموقع : www.daralbashaer.com
البريد الألكتروني : info@daralbashaer.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيد الخلق ، الهادي المعصوم محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد حظيت حروب الرِّدَّة بعناية الدارسين منذ زمن مبكِّر ، فأفردت لها كتبٌ عديدة ، فضلاً عن الأخبار التي تناقلتها كتب تاريخية وأدبية كثيرة ، إذ كانت حروب الرِّدَّة من أهم أحداث صدر الإسلام وأخطرها ، فقد واجه المسلمون آنذاك موجةً عاتيةً من التمرُّد والعصيان ، فاستطاعوا السيطرة عليها ، ووطدوا أركان دولتهم ، ثم اتجهوا إلى نشر الدين الإسلامي في الأنحاء ، وكل هذا ضمن أحداث سريعة ومتتابعة ومزدحمة .

وقد حفلت حروب الرِّدَّة بمادة أدبية خصبة وغنية بظواهر فنية عديدة ، لكنها لم تحظَ بدراسات أدبية تفيها حقها ، فقد انشغل الباحثون والدارسون بدراسة هذه الحروب دراسةً تاريخيةً وتحليلية ، وأهملوا دراسة أدب الرِّدَّة الغزير ، على الرّغم من قِصَرِ مدّة هذه الحروب وسرعتها . والناظر في الكتب التي درست أدب صدرِ الإسلام ، لن يجد إلا صفحات قليلة خُصِّصت للحديث عن أدبِ الرِّدَّة ، إذ كان الباحثون يمرّون سريعاً دون أن يعطوه حقّه الكافي من الدراسة الأدبية ، ودون أن يولوا العناية لأولئك الشعراء الذين شاركوا في هذه الحروب ، فبقيت أخبارهم وأشعارهم متناثرة في بطون الكتب دون أن يقوم الباحثون بتصنيفها وجمعها .

وقد ارتأيتُ أن أنهضَ بجمعِ شعرِ هؤلاء الشعراء ، والترجمة لهم ، ضمن دراسة شاملة توضِّحُ سمات هذا الأدب وما تضمّنه من خصائص فنية وأسلوبية ، عسى أن أسدّ هذه الثغرة في دراسة الأدب الإسلامي .

ولمّا كان المنهج العلمي يقتضي الباحث أن يقف قدر الإمكان عند الدراسات والبحوث التي تناولت الموضوع قديماً وحديثاً ، فقد وجدتُ أنّ معظم الدراسات كانت تاريخية ، ما عدا كتاباً واحداً في أدب الرِّدَّة عثرت عليه بعد بحث طويل هو

(ديوان الرِّدَّة) للدكتور علي العتوم ولم أكن أعلم بوجوده قبل الشروع في الموضوع ، وقد قدّم فيه مؤلّفه جهداً واضحاً في جمع كمٍّ كبير من الشعر الذي أُنْشِدَ في الرِّدَّة بِشِقَّيْه : شعر المسلمين وشعر المرتدين ، وكان عمله بالإجمال عملاً يقتصر على الجمع من غيرِ استيفاء لكل شعرِ الرِّدَّة الذي ذُكر في المصادر ، فقد استثنى الباحث كثيراً من الشعر الذي قيلَ في أثناء الرِّدَّة ، وقد استثنى شعر المرتدين الأوائل زمن النبوّة ، وأضاف الشعر الذي قيل في أشخاص شاركوا في الرِّدَّة مشاركة فعّالة ، إلا أنّ هذا الشعر قيل بعد الرِّدَّة بكثير ، فوضع كثيراً من الأسماء والأشعار التي جاءت خارج أحداث الرِّدَّة ، ولم تكن غاية الباحث دراسة الشعر كما يبدو .

أما ترجمته لأعلام الشعراء ، فقد كانت موجزةً لا تُمكِّن القارىء من الإحاطة بجوانب الشخصية التي يقرأ شعرها ، ولا تمكنه من معرفة أسباب ردّتها ، أو مدى مشاركتها في حروب الرِّدَّة ، كما خلا البحث من أيِّ دراسةٍ فنيةٍ في أدب الرِّدَّة . والملاحظة المهمة التي تلفت النَّظر إليها ، هي أنّ الباحث لم يحط بكثير من الشعر في أثناء الرِّدَّة ، ولاسيما ما تفرّد الواقدي بذكره في كتابِ الرِّدَّة ، وكأنّي به لم يطَّلع عليه ، فأغفل عدداً كبيراً من الأبيات التي رواها الواقدي دون غيره .

وقد حاولتُ في هذا البحث أن أتقصى جوانب الموضوع وأحيط به إحاطة وافية ما أمكنني ذلك ، فتوزَّعت هذه الدّراسة على أربعة فصول :

ـ القسم الأوّل من الدراسة : وفيه الفصل الأوّل ، إذ نقف فيه على المؤثرات التي داخلت حياة أولئك المرتدين ، لأنّ دراسة أيِّ أدبٍ ترتبط إلى حدٍّ بعيد بالظروف التي نشأ فيها هذا الأدب ، وكان هذا الفصل في قسمين : القسم الأوّل : ينصَبُّ على مفهود الرِّدَّة : لغوياً كما ورد في المعاجم منذ القديم ، وشرعياً كما ورد في كتب الفقه والأحكام ، ثم انتقلتُ لبيانِ شروط مفهوم الرِّدَّة ، ومتى يُطلقُ لفظُ المُرْتَدِّ ، وعلى من ؟ وما شروط الرِّدَّة كما وردت في كتب الشريعة . أمّا القسم الثاني من هذا الفصل فهو منصبٌّ على نشأة الرِّدَّة وأسبابها ، وقد بيّنتُ فيه المظاهر الأولى للرِّدَّة الفردية مع بداية الدّعوة الإسلاميّة وتطوُّر هذه

الحوادث المتفرّقة إلى رِدَّة جماعية في أواخر حياة الرسول ﷺ ، وصولاً إلى الرِّدَّة الكبرى في أثناء خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ثم درستُ الأسباب المختلفة التي أسهمت في نشوء الرِّدَّة وتطوّرها ، ثم أوجزت في الحديث عن حركات الرِّدَّة ، لأنّ الدّراسة التاريخية ليست هدفنا ، لذا اكتفيتُ بإلقاءِ نظرةٍ سريعةٍ على حركات الرِّدَّة في أيّام الرسول ﷺ وأيام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه .

أما الفصل الثاني فقد خُصِّص لتراجم شعراء الرِّدَّة ، ونقصد بهم أولئك الذين ارتدّوا ردّة فردية أو ردَّة جماعية مع قبائلهم ، وأنشدوا شعراً يُصَرِّح بردَّتهم وتحدِّيهم للمسلمين ، أو يُبَيِّنُ مقدار ندمهم وأسفهم لما بدرَ منهم من نكوص وما قدمته أيديهم من سيئات ، وقد توزّع الشعراء في هذا الفصل ضمن فئتين :

شعراء الرِّدَّة في عهد الرسول ﷺ ، يليهم شعراء الرِّدَّة في عهدَي أبي بكر الصِّدِّيق وعُمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وضمن هذا الإطار الزمني في صدر الإسلام قمنا برصد أسماء شعرائنا ، وقد بلغ عدد شعراء الرِّدَّة أربعة وأربعين شاعراً ، منهم ثلاث شاعرات ، واثنا عشر شاعراً مجهولاً .

انتقلت في الفصل الثالث إلى الحديث عن مصادر شعر الرِّدَّة وتوثيقه ، فاستعرضتُ مصادر شعر شعراء الرِّدَّة ، ثم انتقلت إلى بيان أهم المصادر التي نقلت إلينا شعر الرِّدَّة ، فرتبتها بحسب الأهمية في احتوائها على أشعارهم ، وتحدثتُ في هذا الفصل عن الاضطراب في نسبة بعض الشعر إلى أصحابه ، وحاولت تصحيح ذلك وفق الأدلة والبراهين ووفق مبدأ الإثبات والترجيح ، وقد أشرتُ إلى ضياع قسمٍ كبير من شعرِ الرِّدَّة وفق الدلائل التي أشارت إلى قصائد وأبيات أغفلها الرواة ، فذهبت في ذمة التاريخ .

وفي الفصل الرابع من هذا البحث ، درستُ الخصائص الفنية في شعر الرِّدَّة ، محاولة استخلاص السِّمات التي طبعت هذا الشعر الذي نُظِمَ في الحروب أو في ظروف متصلةٍ بها كالأَسْرِ والعِقاب ، فبدأت بدراسة الخصائص المعنوية في شعر الرِّدَّة ، وقد وقفتُ فيها على نماذج عفوية من استخدامهم لما صار يعرف فيما بعد

بالمحسنات المعنوية كالطباق والمقابلة ، ونماذج من تصويرهم الشعري عن طريق دراسة بعض صور الاستعارة والكناية . . وغيرها من السبل التي لجأ إليها هؤلاء الشعراء في أثناء إبداعهم لتلك الصورة ، ثم انتقلت إلى دراسة الخصائص اللفظية في شعرِ الرِّدَّة فتوقفتُ عند عدَّةِ أمور تناولت منهج القصيدة وموسيقاها ، وبعض المحسنات اللفظية التي أسهمت في إغناء موسيقا الشعر كالجناس والتصريع ، ثم درست الجانب اللغوي من حيث الألفاظ وسبك العبارة ، وبناء القصيدة . . . إلخ ، وقد عملت على تقصي الطوابع الشعبية التي وسمت شعر الرِّدَّة بميسمها ، وبيان الأثر الديني الإسلامي الذي ظهر في شعر الرِّدَّة على الرّغم من أنه كان شعراً مناوئاً للإسلام والخلافة .

- منهج البحث : وقد عملت على الترجمة لكلِّ شاعرٍ على حدة ، فبدأ - بالنظر في اسمه ونسبه ، وتتبع أخباره وأشعاره في المصادر التي توافرت بين يدي ، واعتنيتُ قدَرَ الإمكان بأخبار الشاعر في الرِّدَّة وسبب رِدَّته ودوره في رِدَّة قبيلته ، وحاولتُ أن أحدد تاريخ وفاته إن أمكنني ذلك .

أما منهجي في الديوان فقد جمعتُ شعرهم مما أُنْشِدَ في الرِّدَّة وفي غيرها ، فجعلتُ ترتيب شعر كُلٍّ منهم على حروف المعجم ، ووضعتُ أبيات كل قصيدة على نحوٍ يُشْعِرُ بجمعها من مصادر متفرقة ، وعرضت جميع شعرهم مضبوطاً موثّقاً ، ما عدا الشعراء الذين انفردوا بمجامع شعرية إذ ذكرتُ شعرهم في الرِّدَّة فقط ، وأحلتُ على دواوينهم ، وعملتُ على شرح غريبِ اللفظ ، وأسماء الأمكنة والمواضع وبعض الأعلام ، وقد أوردتُ مناسبة القصيدة وبعض الأخبار التي تكشف غرض النص وتعين على فهم معاني الأبيات ، كما ذكرت بحور الأبيات .

وقد تنوّعت مصادر هذا البحث ، وكانت أهميتها بالنسبة للبحث بحسب احتوائها على أكبر عددٍ من شعر المرتدين ، فكان أهمها المصادر التاريخية ككتاب الرِّدَّة للواقدي ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ دمشق إذ تضمنت هذه المصادر أكبر عدد من أبيات الشعر ، تلتها كتب التراجم كالإصابة والأغاني ، فكتب النسب

ككتاب النسب لابن سلام ، وجمهرة أنساب العرب ، ثم تأتي المصادر الجغرافية وأبرزها معجم البلدان ، فكتب الاختيارات الشعرية وأهمها الحماسة الشجرية والوحشيات ، ناهيك عن مصادر كثيرة عدنا إليها لتتبع أخبار الشعراء .

ولم يكن البحث في تراجم الشعراء وأشعارهم أمراً هيناً ، ولم تكن الطريق إلى ذلك ممهدة دائماً ، فمعظم هؤلاء الشعراء كانوا من المغمورين والمقلين الذين تناثرت أخبارهم هنا وهناك ، ولم تتحفنا المصادر بمعلومات كثيرة عنهمْ ، فكان البحث المطوّل بين صفحات الكتب قد لا يثمر إلا عن كلماتٍ قليلة ذُكرت عن هذا الشاعر أو ذاك ، فضلاً عن الحيرة التي تصادف الباحث عندما يتطابق اسم الشاعرِ مع عددٍ من الشعراء في عصور شتى ، والمشقّة التي يتطلبها التأكّد من اسمه ، والتحقّق من أخباره ، وصعوبة تصحيح نسبة أبياتٍ من الشعر إلى فلانٍ من الناس ولاسيما إذا لم تتوافر أدلة تمكن الباحث من البتِّ في حكمه أو ترجيحه ، فيكون خوف الباحث من السهو أو الوهم طيفاً يلاحقه .

وأخيراً :

لا بُدَّ من التوجّه بأسمى آيات الشُّكر والعرفان إلى كُلِّ من ساعدني وشجعني في أثناء إعدادي للبحث ، وأخصُّ بالشُّكر الأستاذ الدكتور حسين جمعة ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي تفضَّل عليَّ بقبول الإشراف ، فكان مثالاً للعالم في أخلاقه وتواضعه وعطائه الذي لا ينضب وبذله الجهد والعلم والنصح والإرشاد عندما كانت تعثر بي خطواتي .

قد يعجز البيان عن شكري وتقديري إلى والدي الأستاذ عبد القادر فياض حرفوش فقد غرس في نفسي حبَّ العلم والأدب والتراث ، ولم يبخل عليَّ بأيّ جهد أو دعم ، فوفَّر لي كل الوسائل الممكنة كي أخطو أولى خطواتي على طريق البحث العلمي ، ولا يحيط شكري له بفضله وكرمه ، وأقدّم الشكر الكبير إلى زوجي السيد وائل النابلسي الذي آزرني وحثني على المثابرة والصبر ، كما أشكر الأستاذ إبراهيم صالح شكراً جزيلاً لمراجعته لشعر الردة في هذا الكتاب ، وأتوجّه بالشكر الجزيل لكلِّ من أسدى إليَّ يداً وشجعني وأعانني .

وأخيراً . . . فإن الكمال لله وحده ، ولن يخلو البحث من سهو أو وهم أو خطأ ، فإن أصبت فذاك حظٌّ عظيم ، وإن أخطأتُ فلن أُحْرَم من أجر ، وحسبي أنني أخلصتُ النيَّة ، وبذلت ما استطعتُ من جهدي ، وأسألُ الله تعالىٰ أن يتقبّل مني وينفع بعلمي .

والحمد لله رب العالمين

تماضر عبد القادر الفياض

شعراء الرِّدَّة (أخبارهم وأشعارُهُمْ)

* القسم الأوَّل :

الفصل الأوَّل : مفهوم الرِّدَّة وتطوُّرها التاريخي :

١ ـ مفهوم الرِّدَّة وشروطها :

أ) المفهوم اللغوي .

ب) المفهوم الاصطلاحي .

ج) شروط مفهوم الرِّدَّة .

د) اختلاط الرِّدَّة بمفاهيم أخرى .

٢ ـ التطوُّر التاريخي للرِّدَّة :

أ) نشأة الرِّدَّة وأسبابها .

ب) حركات الرِّدَّة :

١ـ في عهد الرسول ﷺ .

٢ـ في عهد الرَّاشدين .

الفصل الثاني : شعراء الرِّدَّة :

١ ـ في عهد النبوَّة .

٢ـ في عهد الراشدين .

الفصل الثالث : مصادر شعر الرِّدَّة وتوثيقه .

الفصل الرابع : الدراسة الفنية لشعر الرِّدَّة .

* القسم الثاني : الديوان .

الفصل الأوَّل : مفهوم الرِّدَّة وتطوُّرها التاريخي :

١ـ مفهوم الرِّدَّة وشروطها :

أ) المفهوم اللغوي

ب) المفهوم الاصطلاحي

ج) شروط مفهوم الرِّدَّة

د) اختلاط الرِّدَّة بمفاهيم أخرى

٢ـ التطوُّر التاريخي للرِّدَّة :

أ) نشأة الرِّدَّة وأسبابها

ب) حركات الرِّدَّة :

١ـ في عهد الرسول ﷺ

٢ـ في عهد الرَّاشدين رضي الله عنهم

١ ـ مفهوم الرِّدَّة وشروطها :

أ) المفهوم اللغوي :

الرِّدَّة مشتقة من الجذر الثلاثي (رَدَدَ) ، نقول : ردَّ يَرُدُّ رَدّاً على وزن : فَعَلَ يَفْعُلُ فَعْلاً ، من باب (فَتْحُ ضَمٍّ) ، ونقول : رَدَّهُ يَرُدُّهُ رَدّاً ومَرَدّاً ، وكلاهما من المصادر القياسية ، ومَرْدُوداً من المصادر الواردة على مفعول ، ورِدِّيْدَى : يُبْنَى للمبالغة(١) .

ونطالِع من معاجم اللغة المختلفة أن للرِّدَّة معنىً شائعاً مُتَّفَقاً عليه هو صَرْفُ الشيءِ ورَجْعُه .

يُقال : الرَّدُّ : مصدر رَدَدَتُ الشيء ، والرِّدُّ : أصل الارتداد عن الدِّين(٢) .

رَدَّهُ عن الأمر وَلَدَّهُ : أي صَرَفَهُ عنْهُ بِرِفْقٍ(٣) ، والجميعُ : الرُّدُودُ(٤) .

وارتَدَّ عَنْ هِبَتِهِ : ارتجعها ، وارتدَّ الشيءَ ، طَلَبَ رَدَّهُ عليه ، والاسم : الرَّدادُ والرِّدَادُ(٥) .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن الرسول الكريم ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا فهو رَدٌّ » ، أي : مَرْدُودٌ عليه ، يُقَال : أمْرٌ رَدٌّ : إذا كان مُخالِفاً لما عليه السُّنَّةُ ، وهو مصدرٌ ووُصِفَ به ، ورَدَّ الشيء إذا لم يَقْبَلْهُ ، وجَمْعُ الرَّدِّ : الرُّدُودُ(٦) .

ورُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز أنَّه قال : لا رِدِّيدَى في الصَّدقة ، أي : لا تُؤْخَذُ

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزُّبَيدي (١٢٠٥هـ) ، مادة : رَدَد ٨/ ٨٨ .
(٢) معجم العَيْن ، الفراهيدي (١٧٥هـ) ، مادة : رَدَدَ ١/ ٦٦٩ .
(٣) تهذيبُ اللّغة ، الأزهري (٢٨٢ ـ ٣٧٠هـ) ، ١٤/ ٦٣ .
(٤) المحيط في اللغة ، إسماعيل بن عبّاد (٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ) ، باب المُضَاعف الثنائي ٩/ ٢٥٧ .
(٥) لسان العرب ، ابن منظور (٧١١هـ) ، مادة رَدَدَ .
(٦) تاج العروس ، مادة : رَدَدَ . والحديث بلفظه في صحيح البخاري ٢/ ٩٩٥ رقم (٢٥٥٠) .

في السَّنَةِ مَرَّتين ، وقيل : أي لا تُرَدُّ[1] .

٢ـ ويُقال : ارتَدَّ وارتَدَّ عَنْهُ أي تَحَوَّلَ ، والرِّدَّة عن الإسلام : الرُّجوعُ عَنْهُ ، وارتَدَّ فُلانٌ عن دينِهِ إذا كَفَرَ بعدَ إسلامه[2] ، (وسُمِّيَ المُرْتَدُّ لأنَّه ارتَدَّ بعد إيمانه ، فالرَّاءُ والدَّالُ أصلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ ، وهو رَجْعُ الشيءِ)[3] .

وفي حديث القيامةِ والحَوْض ، فيُقالُ : « إنهم لم يزالوا مُرْتَدِّينَ على أعقابهم » أي مُتَخَلِّفِيْنَ عن بعضِ الواجبات ، قال : لم يُرد رِدَّةَ الكُفْرِ ولهذا قَيَّدَهُ بأعقابِهم لأنّه لم يرتَدَّ أحدٌ من الصحابة بَعْدَهُ ، إنَما ارتَدَّ قومٌ من جُفَاةِ الأعراب[4] .

٣ـ والرِّدُّ : عمادُ الشيء الذي يرُدُّهُ ، أي يُرْجِعُهُ عن السُّقُوط والضعف[5] ، قال الشاعر :

يـــا ربِّ أدعـــوك إلهـــاً فَـــرْداً فَكُـــنْ لَـــهُ مـــن البَـــلايـــا رِدَّا

ومن المعاني المجازية للرِّدَّة رُدُوْدُ الدَّراهِمِ : واحدها رَدٌّ ، وهو ما زُيِّفَ فرُدَّ على ناقِدِهِ بعد ما أُخِذَ منه[6] .

وتَرَادَّ الماءُ : ارتدَّ عن مجراه لِحاجِزٍ[7] .

ونقول : رَجُلٌ مُرِدٌّ أي طالت عُزُوبته فتردَّدَ ماءُ ظَهرِه في صُلْبه وكَثُر[8] . وقد دَخَلَ لفظ الرِّدَّة في باب الاشتراك المعنوي فله معانٍ كثيرة ليس هنا مجال ذكرها[9] .

---

(١) تهذيبُ اللّغة ، ٩/ ٢٥٧ .
(٢) لسان العرب : رَدَدَ .
(٣) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٣٩٥هـ) ٢/ ٣٨٦ .
(٤) لسان العرب : رَدَدَ . والحديث بلفظه في صحيح البخاري ٣/ ١٢٢٢ رقم (٣١٧١) .
(٥) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٨٦ : رَدَّ .
(٦) معجم العين ١/ ٦٦٩ : رَدَدَ .
(٧) تاج العروس ٨/ ٨٨ : رَدَدَ .
(٨) المحيط في اللغة ٩/ ٢٥٧ : باب المضاعف الثنائي .
(٩) انظر لسان العرب : ردد ، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣٨٦ ، تاج العروس ردد ، تهذيب اللغة ١٤/ ٦٤ .
=

ب) المفهوم الاصطلاحي :

لاحظنا أن استعمالات الجذر (رَدَدَ) وردت غالباً بمعنى الرُّجوع والرَّفضِ والإرجاع فضلاً عن معانٍ أخرى مجازيَّة ، وغلبت عليها الدِّلالة السلبية ، ولكن هذه المعاني السلبية تجلَّت بوضوحٍ أكثر في مفهوم الرِّدَّة أي الرّجوع عن الإسلام الذي يحمل بين طيّاته منتهى السلبية والعصيان والنكوص .

وقد ورد اشتقاقُ هذا الجذرِ في القرآن في ستينَ آية كريمة منها ثماني آيات كريمة تضمنت الرِّدَّة بمعنى الرّجوع عن الإسلام[١] .

وقد خلصت الدراسات الفقهيّة والشرعية إلى أنّ المرتدَّ شرعاً هو من يُنكِرُ أحد أسس الدين الإسلامي ، كوجوب إحدى الفرائِضِ أو إنكارِ النبوَّة ، أو أن يتولّى غيرَ المؤمنين ، أو أن يأتي بأقوالٍ وأفعالٍ لا تحتملُ إلاّ تأويلاً واحداً هو الكفر .

فالرِّدَّة اصطلاحاً : هي الرّجوع عن دين الإسلام إلى الكُفْر سواء بالنِّيَّة أو بالفعل المُكَفِّرِ أو بالقَوْلِ ، وسواء قالَهُ المرتَدُّ استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً مثل من أنكَرَ وجودَ الصانِعِ الخالق ، أو نفى الرُّسُلَ ، أو حلَّلَ حراماً بالإجماعِ كالزِّنا واللّواط وشربِ الخمرِ والظُّلْمِ ، أو حَرَّم حلالاً بالإجماعِ كالبَيْعِ والنِّكاح ، أو نَفَى وجوبَ مُجمعٍ عليهِ كأنْ نفى ركعةً من الصلوات[٢] .

وقد تضمَّنَ القرآن الكريم المعنى الدّقيق للرِّدَّة في آيات عديدة مثل[٣] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ـ محمد فؤاد الباقي ، ص٣٨٠ .

(٢) انظر حواشي الشَّرْواني وابنِ قاسِمْ العبَادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج للإمام النووي ١١/ ٣٥٧ ، والبيان في مذهب الإمام الشافعي (شرح كتاب المهذَّب كاملاً ١٢/ ٣٩ ـ ٦٢) .

(٣) انظر محمد/ ٢٥ ، المائدة/ ٢١ ، آل عمران/ ١٠٠ ، ١٤٩ ، البقرة/ ١٠٩ ، الأنعام/ ٧١ .

وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] . ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2] .

وقد اصطلح العلماء على إطلاق لقب المرتَدّ بعد احترازٍ وحذرٍ شديدين مستندين إلى ما ورد في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، وهذا ما سنبيِّنه في شروط مفهوم الرِّدَّة .

ج) شروط مفهوم الرِّدَّة :

حرص المسلمون على التأني الشديد قبل إطلاق حكم المرتَدِّ على أحد ، فَهُو من الخطورة بمكان مما يؤدي بصاحبه إلى التهلكة لأنّه فارق دينه وقطع صلته بالجماعة المسلمة ، لذا « فالمسلم لا يُعد خارجاً عن الإسلام ، ولا يُحكم عليه بالرِّدَّة إلاّ إذا انشَرَحَ صَدْرُهُ بالكُفْرِ ، واطمأنَّ قلبُهُ به ، ودَخَلَ فيه بالفعل ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾[3] ، ويقول الرسول ﷺ : « إنّما الأعمالُ بالنِّيات ، وإنَّما لكل امرىءٍ ما نوى »[4] ، ولمَّا كانَ ما في القلبِ غيباً من الغيوبِ التي لا يعلمها إلاّ الله ، كان لا بُدَّ من صُدُورِ ما يَدُلُّ على كُفْرِهِ دلالةً قطعيَّةً لا تحتمل التأويل حتى نُسِبَ إلى الإمام مالك أنّه قال : من صَدَرَ عنه ما يحتملُ الكُفْرَ من تسعةٍ وتسعينَ وجهاً ، ويحتملُ الإيمانَ من وجهٍ ، حُمِلَ أمرُهُ على الإيمانِ »[5] .

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ٥٤ .

(٢) سورة البقرة ـ آية : ٢١٧ .

(٣) سورة النحل ـ آية : ١٠٦ .

(٤) الحديث في صحيح البخاري ١/ ٣٠ رقم ٥٤ .

(٥) انظر : فقه السنة ، السيِّد سابق ٢/ ٣٠٢ ، كتاب الأم ، الشافعي (٢٠٤هـ) ١/ ٢٩٤ ، =

وقد أكَّدَ العلماء تصريح المرتَدِّ بردَّته بقولٍ أو فعل « كالمجاهرة بإنكار بعضِ الأحكام ، كأن يُنْكِرَ أنَّ القرآن كلامُ الله ، أو أن يفعَلَ بعضَ أفعالِ الكُفَّار ، كإلقاء المصحف أو كتب التفسير في قاذورة ، أو ممارسة بعض أفعال الكُفّار من عبادات أو عادات ، أو السجود لصَنَمٍ أو ادِّعاء النبوَّة ، وأن يفعل هذه الأفعال طواعيةً وهو مُدرِكٌ لعاقبتها ، لا أن يكون حديثَ عهدٍ بالإسلام غيرَ مُدْرِكٍ لقُدْسِيَّةِ أحكامه وعواقب إنكارها »[١] .

لذا فقد اشترط العلماء شرطين لصحَّة الرِّدَّة :

أوَّلاً ـ العقل : فلا تَصِحُّ رِدَّة المجنونِ والصَّبي الذي لا يَعْقِل ، لأنَّ العقلَ من شرائطِ الأهلية في الاعتقادات وغيرها .

ثانياً ـ الاختيار والطَّواعية :

فلا تَصِحُّ رِدَّةُ المُكْرَهِ اتّفاقاً إذا كان قلبُهُ مطمئنّاً بالإيمان[٢] .

فقد كان الحرصُ شديداً في إطلاق حكم المرتَدِّ على شخصٍ ما ، وكذلك حرصوا أشدَّ الحرص على إعادة المرتَدِّ إلى جادَّة الصواب ، فيجِبُ أن يُعْرَضَ عليه الإسلام ، ويُستتاب ، فإن أبَى حينها يعد مُفارقاً للجماعة مُسْتَحِقّاً للعقاب ، وقد لمسنا هذا بجلاء في حروب الرِّدَّة ، فالصِّدِّيقُ أمَرَ المسلمين ، ألاّ يقاتلوا أحداً إذا سمعوا أَذَاناً ، ويوصي أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه بقوله : « وانظر إذا وصلتَ إلى القوم بديارهم وسمعتَ أذاناً ، فلا تُقَاتِلَنَّ أحداً حتَّى تعذِرَ إليهم وتُنذِرَهُمْ . . وادعهم إلى عشر خصال : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأنَّ محمّداً عبدُهُ ورسُولُهُ ، وإقامُ الصلاةِ ، وإيتاء الزَّكاة ، وصَوْمُ رمضان ، وحَجُّ البيتِ ، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر ، والطاعة ، والجماعة »[٣] .

= كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ٥/ ٣٧٥ .

(١) الفقه الإسلامي وأدلّته ، د . وهبة الزحيلي (٥/ ٥٥٧٦ ـ ٥٥٧٧) .

(٢) المرجع السابق ٥/ ٥٥٨٠ .

(٣) الرِّدَّة (٧٠ ـ ٧١) .

وكان الصِّدِّيقُ رضي الله عنه حريصاً على إرسال كتبٍ للمرتدِّين قبل الشروع في حربهم وإنفاذِ الجيوشِ إليهم ، وتضمَّنت هذه الكتب دعوةً إلى الرُّجوع الجميل إلى الإسلام والطاعة ، ومن أمثلة هذه الكتب كتابه إلى القبائل العربية المرتدة قبيل قتالها وفيه قوله : « . . . وبعدُ فقد وجَّهْتُ إليكم خالد بن الوليد في جَيْشِ المهاجرين والأنصار ، وأمرْتُهُ ألا يقاتِلَ أحداً حتى يدعوَهُ إلى الله عزَّ وجلَّ ، ويُعْذِرَ إليه ويُنْذِر ، فمن دخل في الطَّاعةِ وسَارَعَ إلى الجماعة ، ورَجَعَ من المعصية إلى ما كان يعرفُ من دينِ الإسلام ، ثم تاب إلى الله تعالىٰ وعمل صالحاً ، قَبِلَ منه ذلك وأعانَهُ عليه ، ومن أبى أن يرجِعَ بعدَ أن يدعُوَهُ خالد بن الوليد ويُعْذِرَ إليه ، فقد أمرْتُهُ أن يُقَاتِلَهُ أشدَّ القِتال »[١] .

د) اختلاط الرِّدَّة بمفاهيم أخرى :

إنَّ لقبَ المرتدِّ لم يُطلق على فئةٍ واحدةٍ أو على صنفٍ واحدٍ أو على مظهرٍ محددٍ بعينه ، وقد درسنا هذا في المفهوم الاصطلاحي للرِّدَّة ، أما الرِّدَّة في عهد الرّسول ﷺ وفي عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فقد شملت مظاهر عديدة ، وقد قرأنا أن الرِّدَّة في أيام الرسول ﷺ وفي سنوات الدّعوة الأولى اتخذت شكلاً فردياً محدّداً ينحصر في العودة إلى ما كانت تعبد الآباء أو العودة إلى الوثنية أو النصرانية ، فها هو ذا مُلَيْح التيميّ قد أسلم في عهد الرسول ﷺ ثم ارتدَّ بعد مُدَّةٍ وجيزَةٍ وسَرَقَ طِيْبَ الكعبةِ وخَرَجَ هارباً فلا يُدرى أين ذهب ، وعبدُ الله بنُ خَطَل التَّيمي ، ارتدَّ مشركاً[٢] ، وبُشَير بن أبيرق الأنصاري كذلك سَرَقَ وذهَبَ إلى مكَّةَ مرتدّاً[٣] ، وعُبيد الله بن جحش الأسدي الذي ترك الإسلام ، وتَنصَّرَ في الحبشة[٤] ، وغيرها من الحوادث التي نقرؤها في كتب السيرة والتاريخ لأفراد ارتدوا عن الإسلام وفي أحيان أخرى ظهرت الرِّدَّة بأشكالٍ أخرى لا تنحصر

---

(١) الرِّدَّة (٧٢) .

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٤٨٠ .

(٣) المصدر السابق ٤/ ٥٢٤ ـ ٦٣٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٦٥ ، السيرة النبوية ١/ ٢٥٧ .

بالرجوع عن الإسلام إلى دينٍ آخر ، من هذه الأشكال :

١ـ الرِّدَّة والنفاق :

فقد أسلم كثيرٌ من الناس رغبةً أو رهبةً أو تقليداً ، وكان بعض هؤلاء ممن يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، وقد تجلَّى كفرهم عندما صرَّحوا بمكنوناتِ صدورهم ، فشتموا الإسلام وأهله ، وحرَّضوا عليهما ، ومن هؤلاء عَصْمَاءُ بِنْتُ مَروَانَ وقد أمَرَ الرسول ﷺ بقتلها(١) .

٢ـ الرِّدَّة وادِّعاء النبوَّة :

تطوَّرت الرِّدَّة من شكلٍ فرديٍّ بسيط أيام الرسول ﷺ إلى شكلٍ جديدٍ جماعي تمثَّل بادِّعاء النبوَّة من قِبَل شخص ما ، ثم تزعَّم قبيلته وقيادتها لدحر المسلمين وحربهم ، كما فعل مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ والأَسْوَدُ العَنْسِيُّ وَطُلَيْحَةُ الأَسَدِي ، وانتقلت الرِّدَّة من رِدَّة فردٍ بعينه ، إلى رِدَّة قبيلةٍ كاملة ، أو معظم أفرادها ، فَمُدَّعُو النبوَّةِ هؤلاء جمعوا حولهم أتباعَهُم ، وقرَّروا حربَ المسلمين ، وروَّجوا لنبوَّة قائدهم ولدعوته التي يزعم أنَّها أُنزِلَتْ عليه ، وأنَّه جاء بتشريعٍ جديد ، وشَكَّلَ هؤلاء خَطَراً حقيقياً على الدولة الإسلامية الناشئة ، فقد جابهوا المسلمين بقوَّة وعزمٍ على الإطاحة بهم لتأسيس قيادةِ دولة فيها نبيٌّ غير قُرَشي .

٣ـ الرِّدَّة ومنعُ الزَّكاة :

واجه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه شكلاً آخر من أشكال الرِّدَّة هو اجتماع القبائل وراء قادتها أو رؤسائها لمجابهة المسلمين لسبب آخر هو عدم رغبتهم في دفع الزكاة ، فهي إتاوة ستُدْفع إلى الصِّدِّيق! ومن يكون هو حتى يدفعوا له أموالهم ؟! وبعد أن كانت الرِّدَّة فرديَّةً أو ناجمةً عن جهلٍ وتعصُّبٍ واتِّباعٍ للمتنبئين ، أضحت رِدَّة سببها الفهمُ المشوهُ للدين وانتقاءُ أجزاءٍ محددةٍ من الفرائض لأدائها دون غيرها كقولهم (نصوم ونصلي ولا ندفع الزكاة) ، وقد سَرَت هذه الفكرة في بعض القبائل العربيَّة بشكلٍ مرعبٍ ، فارتدَّت أعدادٌ هائلةٌ

---

(١) المصدر السابق ١/٢٥٧ ، وانظر ص ٥٤ من هذا الكتاب .

وجابهت المسلمين وبذلت الدماء والأرواح مصممةً على منع الزكاة التي تُجَسِّدُ سيطرة قريش على بقية القبائل ، وقد وقف الصِّدِّيق رضي الله عنه موقف الواثق من فهمه للتشريع الإسلامي وأحكامه ، فقرَّرَ محاربة المرتدين ، ولم يأبه لآراء بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد اقترح بعض الصحابة التغاضي عن زكاة المال هذا العام ، لعل المعارضين يدفعونها طائعين في السنة المقبلة دون سفك دماء ، ففي الخبر « . . . أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأبي بكر : كيف نقاتِلُ الناس ؟ وقد قال رسول الله ﷺ : أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عَصَمَ منِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلا بحقِّها ، وحسَابُهُ على الله[(١)] ، فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه : والله لأقاتلنَّ من فرَّقَ بين الصلاة والزكاة ، فإنَّ الزكاة حقُّ المال ، والله لو منعوني عَنَاقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهُم على منعها ، فقال عمر : فوالله ما هو إلاَّ أن قد شَرَحَ الله صدر أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فعرفتُ أنَّه الحقُّ »[(٢)] .

فقد رأى الصِّدِّيق أن منعَ الزكاة هو شكلٌ من أشكالِ الرِّدَّة ، فالرسول ﷺ لم يسبق أن قبلَ إسلاماً دون زكاة أو صلاة ، وفي الحديث « . . . أن الرسول ﷺ بَعَثَ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن ، فقال : ادْعُهُمْ إلى : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنِّي رسولُ الله ، فإن هم أطاعوك فأعلمهم أنَّ الله قد افترَضَ عليهم خمس صلوات في كُلِّ يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوكَ لذلك ، فأعلمهم أنَّ الله قد افترضَ عليهم صَدَقَةً في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ على فقرائهم »[(٣)] .

وهناك أحاديثُ كثيرةٌ تؤكِّد أنَّ الرسول ﷺ قَرَنَ بين الصلاة والزكاة ، وبايَعَ على إيتاء الزكاة[(٤)] .

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٧ رقم ١٣٣٥ .

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٧ رقم ١٣٣٥ ، والعَنَاقُ : الأنثى من المعز ، وجمعها : أعنق وعُنُق وعُنُوق .

(٣) صحيح البخاري ـ باب وجوب الزكاة ٢/ ٥٠٥ .

(٤) المصدر السابق ـ باب البيعة على إيتاء الزكاة ٢/ ٥٠٥ .

يقولُ الإمام النووي : « وقد تُطلق الرِّدَّة على الامتناع عن أداء الحقِّ كمانعي الزَّكاة زمن الصِّدِّيق » ، وقد فُسِّرَت هذه العبارة كما يلي : « وقد تُطْلَقُ أي : مجازاً لغويَّاً كمانعي الزَّكاة ، فإنَّهم لم يرتدُّوا حقيقةً وإنَّما منعوا الزَّكاة بتأويلٍ وإن كان باطلاً »[1] .

والقصدُ من هذا أنَّ منع الزَّكاة كان شكلاً جديداً من أشكال الرِّدَّة ، وموجباً لقتالهم كما ورد في المفهوم الشرعي ، ويؤكِّد الإمام الشافعي ذلك في قوله : « قاتل أبو بكر مانعي الزَّكاة كما ثَبَتَ في الصحيحين عن أنس » ، بل هو متواتِرٌ عنه ، وقتالُهُم على منع الزَّكاة فقط لا على الإشراك والرِّدَّة تبيَّن في مواجهة عمر أبا بكر رضي الله عنهما ، وأنَّ بعض المرتدِّين قالوا لأبي بكر بعد الإسار : « ما كفرنا بعد إيماننا ولكنْ شححنا أموالنا » ، وفي شرح هذا الكلام : « ومُرَاد الشافعي : أنَّه قاتَلَ بعض العربِ على منعِ الزَّكاة ، وقد قاتَلَ أصحاب مسيلمة على الرِّدَّة »[2] .

---

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج ١١/ ٣٥٧ .

(٢) البيان في مذهب الإمام الشافعي ١٢/ ٦١ .

٢ـ التطوُّر التاريخي للرِّدَّة :

١ ـ نشأة الرِّدَّة وأسبابها :

* الأسباب الأساسيَّة في حركة الرِّدَّة :

ـ وفاة الرَّسول ﷺ .

ـ أسباب اجتماعيَّة وقبلية .

ـ أسباب فكريَّة ودينية .

ـ أسباب اقتصادية .

* أسباب أخرى .

٢ـ التطور التاريخي للرِّدَّة :

أ ـ نشأة الرِّدَّة وأسبابها :

بدأت الرِّدَّة مع بداية الدعوة الإسلامية في أيام الرَّسول ﷺ بشكل فرديّ ونجمت عن أسباب عديدة سنفصِّلُ فيها القول لاحقاً ، وربَّما لم يكن لهذه الحوادث المتفرّقة ضجةٌ كبيرةٌ وصدى واسعٌ آنذاك ، لكثرة المنافقين والمتربصين بدولة الإسلام من جهة ، ولصرامة الرسول ﷺ وحزمِهِ في القضاء عليها من جهة أخرى .

وظهر شكلٌ جديدٌ من أشكال الرِّدَّة هو الرِّدَّة الجماعية التي نشأت في أواخر حياة الرسول ﷺ ، بدأها الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ وقبيلته في اليمن ، ومُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب وقبيلة حَنِيْفَةَ في اليمامة ، وطُلَيْحَةُ بن خُوَيْلِد الأَسَدِي وقبيلته ببلاد نجد ، وقد قُضي على رِدَّة الأسود العنسي في أواخر حياة الرسول ﷺ ، أما رِدّة بني حنيفة وبني أسد ، فقد تم القضاء عليهما في أثناء خلافة الصِّدِّيق رضي الله عنه .

وقد اتسعت رقعة الرِّدَّة بعد وفاة الرّسول ﷺ لتشمل عدداً من القبائل العربية ولكن الصِّدِّيق قام بمهمة القضاء على الرِّدَّة الجماعية خير قيام ، فرسَّخَ أركانَ الدَّولة الإسلامية ، ومن ثم اتجه إلى توسيع رقعتها .

ولا يتسع المقام هنا للتفصيل في هذه الحوادث التاريخية الطويلة والمتشعِّبة ، فلسنا نهدف إلى قراءة التفاصيل التاريخية والخوض في دقائقها ، لأنَّ غرضنا الأساسي هو دراسة الشعراء وتتبع أخبارهم وتراجمهم .

وقد كانت ظاهرة الرِّدَّة بنوعيها (فرديةً وجماعيةً) ، ناجمةً عن عوامل عديدة تضافرت فأسهمت في تطورها واتساعها ، ولعل هذا كله يتضح لنا في أسباب الرِّدَّة .

أسباب الرِّدَّة

١ ـ وفاة الرسول ﷺ :

من الجلي أن الرِّدَّة الكبرى ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺ ، فقد ظن كثيرون أن الإسلام قد انتهى بوفاة الرسول ﷺ وانقطع كل ما يربطهم بالإسلام ، ومن هنا جاء عصيانهم لأبي بكر ورفضهم لمبدأ خلافته .

يقول الأَشْعَثُ بنُ قَيْس المُرتدُّ محرِّضاً قومه على العصيان : « إنَّ محمَّداً قد مضى لسبيله ، وإن العرب قد رجعت إلى ما تعبدُ من الآباء . . ونحنُ أقصى العرب داراً . . »[1] .

وقال الحَارِثُ بنُ مُعَاوِيَةَ الكِنْدِي المرتدُّ : [من الكامل]

كان الرسول هو المُطاعُ فقد مضى صلَّى عليه الله لم يستخلفِ[2]

ولا شكَّ في أن وفاة الرسول ﷺ كانت فاجعة أصابت المسلمين ، وانفتح المجال أمام المنافقين وأعداء قريش لإظهار ما يخفون من نزعات عدوانية ، ويورد الطَّبَرِيُّ وصفاً دقيقاً لحالة العرب عشيّة وفاة الرسول ﷺ في قوله : « . . . وقد ارتدَّت العرب إمَّا عامَّة وإما خاصة في كل قبيلة ، ونجَم النِّفاق ، واشرأبَّت اليهود والنَّصارى ، والمسلمون كالغَنَم في الليلة المَطِيرة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ وقِلَّتِهم وكثرة عدوِّهم . . »[3] .

وأحدَثت وفاته ﷺ اضطراباً عنيفاً لا حدودَ له حتى إنَّ عمر بن الخطاب الرجل الصلب « قام فقال : إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنَّ رسول الله تُوفِّيَ وإنَّ رسول الله والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربِّه كما ذهب مُوسَى بنُ عِمْرَان ، فغاب

---

(١) الرِّدَّة ١٩٨ .

(٢) الرِّدَّة ١٧٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٥ .

عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجِعَنَّ رسولُ الله فليقطعَنَّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنَّ رسول الله ماتَ . . . ثم خرج أبو بكر وعمر يُكَلِّم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر! فأنصت ، فأبى إلاَّ أن يتكلَّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِت أقبل على الناس ، فلمَّا سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ، وتركوا عمر ، فحَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيُّها الناس ، إنَّه مَنْ كان يعبد مُحمَّداً فإنَّ محمَّداً قد مات ، ومَنْ كان يعْبُد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[1] ، فوالله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وأخذها الناس عن أبي بكر فإنَّما هي في أفواههم . قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعُقِرتُ (أي دهشت) حتى وقعتُ إلى الأرض ، ما تحملني رجلاي ، وعرفتُ أَنَّ رسول الله قد مات »[2] .

إذاً فقد ارتد الكثيرون عقب وفاة الرسول ﷺ لظنهم أن الدين الإسلامي قد انتهى ، وهذا يُصَوِّر قصوراً بالغاً بحقيقة الإسلام كخاتم الديانات السماوية ومتمِّمها ، وقد استغل رؤوس الرِّدَّة قصور فهم أبناء قبائلهم ليقودوهم في حرب تحقِّق مصالح خاصة ـ بزعمهم ـ لكل قبيلة .

٢ـ أسباب اجتماعية وقبلية :

ارتدَّ عددٌ كبيرٌ من العرب عن الإسلام ، واتَّبعوا المتنبئين أو متزعمي حركات الرِّدَّة بدافع من العصبية القبلية غالباً ، ولم يكن الرسول ﷺ غافلاً عن أثر العصبية القبلية في النفوس ، وأدرك أن من المستحيل القضاء عليها في بُرهة قصيرة ، لأنَّها نزعةٌ تجذَّرت في نفوس العرب ومازجت أرواحهم ودماءهم ، لذا كان النبيُّ ﷺ يؤكِّدُ دائماً أن التفاضل بين البشر يكون بالتقوى ، فالنَّاس سواسية وعدالة الله تطال

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٤٤ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

الجميع ، ولكنَّ العصبية كانت وما زالت تتحكم في تصرفاتهم ويظهر أثرها في مجالات حياتهم كلها .

ويرى ابن خلدون أنَّ العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب ، لذا يتغاضى الأقربون عن ظلم بعضهم بعضاً ، يقول : « إنَّ القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العَداء عليه ، ويودُّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المهالك ، نزعةٌ طبيعيةٌ في البشر مذ كانوا ، . . . ومن هذا نفهم معنى قوله ﷺ : « تعلَّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم » بمعنى أن النسب إنَّما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام »[(١)] .

ويوضِّح ابن خلدون أنَّ العصبية لا تكون بدرجة واحدة ، فلا تكون عصبية عامة للقبيلة ، بل تتضمن عدة عصبيات قد تكون خاصة لبطن أو فخذ أو بيت : « اعلم أنَّ كل حيٍّ أو بطنٍ من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنسابٍ خاصة هي أشدُّ التحاماً من النسب العام لهم ، مثل عشيرٍ واحدٍ أو أهل بيتٍ واحدٍ أو إخوةٍ بني أبٍ واحدٍ لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين ، فهؤلاء أقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون مَنْ سواهم من العصائب في النسب العام ، والنُّعرة تقع من أهل نسبهم المخصُوص ومن أهل النسب العام . . . ولمَّا كانت الرِّياسة إنَّما تكون بالغَلَب وَجَبَ أن تكونَ عصبيَّةُ ذلك النِّصاب أقوى من سائر العصائب ليَقَعَ الغَلَبُ وتَتِمَّ الرِّياسة لأهلها . . . فلا بُدَّ في الرِّياسة على القوم أن تكونَ من عصبيَّةٍ غالبةٍ لعصبياتهم واحدةً واحدة ، لأنَّ كلَّ عصبية منهم إذا أحسَّت بغَلَبِ عصبيَّة الرئيس لهم أقرُّوا بالإذعان والاتِّباع . . . والرِّياسة على القوم إنَّما تكون مُتناقلةً في منبتٍ واحدٍ تَعيَّن له الغَلَبُ بالعصبيَّة »[(٢)] .

وعلى أساس الإيمان العميق بهذه الفكرة ، ثارت ثائرة العرب عندما نزلت النبوَّة في قريش ، وثارت ثائرتهم عندما اختير الصِّدِّيق خليفةً .

---

(١) مقدِّمة ابن خلدون ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
(٢) المصدر السابق ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

ويخلص الدُّكتور إحسان النصّ إلى تعريف العصبية قائلاً : « العصبيَّة في تعريف أهل اللُّغة : أن يدعو الرّجل إلى نُصرة عصبته والتألُّبِ معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين ، وهي مشتقَّةٌ من التَعصُّبِ أي التجمُّع ، ولمَّا كان أقارب الرَّجل يَعصبون به أي يلازمونه ويطيفون به سُمُّوا عُصبة ، وقد أُطلق هذا اللفظ على أقارب الرَّجل من جهة أبيه وهم قومه الذين يتعصَّبُونَ له ، وقيل للرَّجُلِ الذي يغضَبُ لعُصبته ويحامي عنهم ويعينهم ولو على الظُّلم عصبيٌّ »[1] .

« والعصبيَّة والتعصُّبُ : المُحاماةُ والمُدافعةُ . وتعصَّبنا له ومعه : نَصرنَاه ، واعْصَوصَبُوا : استجمعوا ، فإذا تجمَّعوا على فريقٍ آخر ، قيل : تعصَّبُوا ، وفي الحديث : العصبيُّ من يُعين قومه على الظلم ، وليس منَّا من دعا إلى عصبيَّة وقاتل عصبيَّة »[2] .

ولا شكَّ في أن هذا النَّمط من التفكير يتعارض بقوَّة مع فكرة الأمة الواحدة التي جاء بها الإسلام ، فالمجتمع القبليُّ يفهم أن القبيلة أُمَّةٌ قائمة بذاتها في مواجهة القبائل الأخرى ، فقد عاشوا كذلك ردحاً طويلاً من الزمن وتطلبت ضرورات حياتهم ومعتقداتهم أن يتكتلوا فلكلِّ قبيلة زعامة وحمى ومرعى وإله ، والقبائل متناحرة تسود علاقاتها الإغارة والثأر ، وإذا أرادت أن تحافظ على بقائها فعلى أبنائها التَّناصر والتآزر والعمل على منفعة القبيلة وعدم التَّهاون في نصرتها على الخير أو الشَّرِّ ، فكيف سيتحرَّرون من سلطان الفرديَّة والقبليَّة وهم قد أسلموا بالأمس القريب ، ولا شكَّ في أن هذه العقول المغلقة ستواجه فكرة الأُمَّة بذهول ورفض وعدم استيعاب ، إنَّه نظامٌ اجتماعيٌ مُغَايرٌ لما عشوه وترسَّخَ في نفوسهم وتعلَّقوا به ، وقد عمل الرسول ﷺ محاولاً القضاء على مفهوم العصبيَّة الجاهلي بتأسيس مفاهيم تُهَذِّبُها وتُغَيِّر بعض أشكالها القديمة التي لا تناسب الإسلام ومفاهيم التقوى والإيمان والمساواة ، فهذه قيمٌ تعلو بصاحبها مهما كان حسبُهُ ونسبُهُ ، وأما العدلُ في الأحكام فهو يشمَلُ الجميع فلو أنَّ فاطمة سرقت

---

(١) العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ١٠٥ .

(٢) لسان العرب : عَصَبَ .

لقَطَعَ الرَّسول ﷺ يدها[1] ، وللمظلومِ حقُّ الاقتصاص من ظالمه حتى لو كان ملكاً . . . إلخ وغيرها من القيم الدينية الرائعة التي تُقَوِّمُ الفرد وفق عمله وتَعَلُّقِهِ بالله والإسلام وتفانيه في الإخلاص لهذه العقيدة . . . لكنَّ جهود الرسول ﷺ لم تُثمِر إلا في نفوس مؤمنةٍ جاهدت لترتقي بإيمانها وخُلُقِها ، أما الغَلَبَةُ الغالبة ولاسيما في البادية ، فقد ظَلَّت العصبية تُسَيِّرها وتعمي بصرها وبصيرتها ، حتى إذا أُتيحت الفرصة المناسبة كشفت عن أحقادها ، فصرَّحت أن نبوَّة الرسول ﷺ هي عِزٌّ لقريش وإذلال وسيادةٌ على بقيَّةِ القبائل ، فمن تكون قريش لتستأثر بهذا الأمر ؟! ، وإن أذعنت القبائل لمحمَّد ﷺ خوفاً من سلطان المسلمين الذي امتدَّ ولاقى توفيقاً ونجاحاً ، أو تربُّصاً بانتظار فرصةٍ مناسبة للانتقام وكشفِ خبايا النفوس الحاقدة ، فهي لن تُذعِنَ لأبي بكر الذي أضحى خليفةً ، وفضلاً عن ذلك فإن خلافة أبي بكر هي ـ في نظرِهم ـ مُلْكٌ لا بُدَّ أن يستَمِرَّ في قبيلته!!

وهنا ظهر النفاقُ والتعصُّبُ بأبشع صورة ، ونشير هنا إلى أنَّ الرِّدَّة الجماعية الأولى ، وهي رِدَّةُ الأَسْوَدُ العَنْسِي ، كانت العصبيَّة القبليَّة من أقوى أسباب نشوئها ، فقد كانت أمور اليمن بيد الأبناء من الفرس الذين أسلموا ، فأبقى الرسول ﷺ الأمور في يدهم ، وسلَّم عملَ اليمن كلها لبَاذَام ، وبعد وفاته استلمه ابنه شَهْر بنُ بَاذَام وجماعةٌ من أصحابه بأمرٍ من الرَّسول ﷺ ، فأرسل إليهم الأسودُ العنسيُّ كتاباً يهدِّدهم فيه ويطلب منهم أن يغادروا البلاد فما هم إلا غرباء يقول في كتابه : « أيُّها المتورِّدون علينا أمسكوا علينا ما أخذتُم من أرضنا ، ووفِّروا ما جمعتم ، فنحنُ أَوْلى به ، وأنتم على ما أنتم عليه » . وما هي إلاَّ أيَّامٌ حتى قتل الأَسْوَدُ العَنْسِي ، شهرَ بن باذام ، وهَزَمَ الأبناءَ وغلبَ على صنعاء[2] .

وعندما ارتدَّ أهل اليمنِ ثانيةً بعد الأسود بقيادةِ قيس بن عبد يغوث ، كانت ردّتهم بسبب العصبيَّة القبليَّة أيضاً، فقد ارتأى قيس بن عبد يغوث (المكشوح) ،

---

(١) القصة معروفة والحديث في صحيح البخاري ٣/ ١٢٨٢ رقم ٣٢٨٨ ، وانظر جامع الأصول ١٠/ ٥٨ رقم ٧٥٢١ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٩ .

طردَ الأبناء من اليمن ، ودَبَّ الحَسَدُ في قلبه عندما ولّى الصِّدِّيق فيروز الدّيلمي أمْرَ اليمن وطَلَبَ من الرَّعِيَّةِ طاعته . فلمَّا سمع قيس بذلك ، قال لقومه يطلبُ مساندتهم محاولاً إقناعهم بوجهة نظره : « إنَّ الأبناء نُزَّاعٌ في بلادكم ، ونُقَلاء فيكم ، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرَّأي أن أقتُل رؤوسَهُم ، وأخرجهم من بلادنا »[1] .

إنَّه لا يرى فيهم مسلمين مؤمنين إخوةً في الإسلام ، وإنما يراهم أجانب ودخلاء ومنافسين على سلطة البلاد ، فأهلُ اليمنِ أحقُّ من هؤلاء بالسُّلْطَة والحكم ، وهو مصمِّم على إخراجهم من البلاد بأيَّة وسيلة ومهما كان الثمن!

وقد أظهر بعض المرتدِّين حنيناً بالغاً إلى الأحلاف الجاهلية القبلية ، وعملوا على إحيائها وتجديدها ، فها هو ذا طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدَ الأَسَدِي ، يرتدُّ ويتبعُهُ قومه مظهرينَ حنيناً بالغاً لتجديد الأحلاف الجاهلية ، ومنها حلف أَسَدَ وغَطَفَان ، وها قد حان وقت تجديدِهِ بعد وفاة الرسول ﷺ ، يقول عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَارِي لقومه : « ما أعرفُ حدودَ غَطَفان منذ انقطَعَ ما بيننا وبين أسد ، وإنِّي لمُجَدِّدُ الحلف الذي كان بيننا في القديم ، ومتابع طليحة ، والله لأن نَتَّبِع نبيَّاً من الحَلِيْفَيْن (يعني أَسَدَ وغَطَفَان) أحبُّ إلينا من أن نَتَّبِع نَبِيَّاً من قريش ، وقد مات محمَّدٌ وبقي طليحة ، فطابَقُوهُ على رأيه ، ففعل وفعلوا »[2] .

وها هو ذا طَلْحَةُ النِّمري يأتي اليمامة ليرى مسيلمة الذي يدَّعي أنَّه نبيٌّ ، عسى أن يتحقَّق من صحَّةِ نبوَّته ويؤمِنَ به فسأله : « أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : من يأتيك ، قال : رحمن ، قال : أفي نورٍ أو في ظُلْمة ؟ فقال : في ظُلْمة ، فقال : أشهدُ أنَّك كذَّاب وأن محمَّداً صادق ، ولكنَّ كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضَر »[3] .

وعندما توفي الرسول ﷺ ارتدَّت ربيعة بالبحرين ، وأظهرت حنيناً إلى النظام

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٣٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٨٦ .

الملكي ، فقالوا : « نردُّ المُلْكَ في آل المنذر » ، فملَّكوا المنذِرَ بنَ النُّعمان بنَ المُنْذِر الغَرُور[1] .

ومُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب تنبّأ في حياة النبي ﷺ وقاد أخطر حركة رِدَّة على الإطلاق ، وهو يقول مخاطباً قومه : « يا بني حنيفة ، أُريد أن تخبروني بماذا صارت قريش أَحَقُّ بالنبوَّة والإمامة منكم ، والله ما هم بأكثر منكم وأنجد ، وإنَّ بلادكم لأوسع من بلادهم وأموالكم أكثر من أموالهم ، وإنَّ جبريل (عليه السلام) ليأتيني كُلَّ يومٍ بالذي أريده من الأمور . . . »[2] .

إنه يرى مقاييس النبوَّة هي الحسب والنسب والأرض ، فكان مثله مثل المرتدِّين ، فقد أعمى الحقد أبصارهم فارتدوا مع قبائلهم ، وحاول كل واحد من المتنبئين تقليد محمد ﷺ في نبوَّته ، وكُلٌّ يرى نفسه وقبيلته أَحَقَّ بهذا من غيرهم .

يعلل الدكتور إحسان النص تعلُّقَ الجاهليين بعصبياتهم قائلاً : « ومن جهة أخرى كان ظهور العصبية القبلية في المجتمع الجاهلي يُلَبِّي حاجة كامنة في نفس العربي ويروي ظمأه إلى التعلق بمثل أعلى يعيش من أجله ، ويُجَسِّدُ توقه إلى عقيدة يبذل دمه في سبيلها ، فكانت العصبية القبلية صدى لهذه الحاجة وتجسيداً لذلك التَّوق ، وكان العربي عصرئذٍ يجدُ من اللَّذة في ارتباطه بهذه الفكرة وفنائه من أجلها مثل التي يجدها أبناء العصر الحاضر في تعلُّقهم بفكرة الوطن أو القومية أو المذهب السياسي »[3] .

إنَّه تفسير يخلص إليه الدكتور إحسان النص بعد الخوض في تحليل دقيق لنفسية الجاهلي فالقبلية كانت ضرورة حياتية ، لكنَّ ظهور الدين الإسلامي لم يخفف من سيطرة العصبية في نفوس بعض القومِ مِمَّن لم يتحقق إيمانهم بشكل عميق وفعلي ، فظل الحنين إلى الجاهلية وإعلاء اسم القبيلة يزجُّهم في كثير من

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٣ .
(٢) الرِّدَّة ١٠٨ .
(٣) العصبية وأثرها في الشعر الأموي ١٣٩ .

الأخطاء الفادحة .

ويعبِّر مرتدون آخرون عن ضيق صدورهم بخلافة أبي بكر ، فهي في نظرهم استمرار لسيطرة قريش ، وهم يرتدون عامدين لينتزعوا الزعامة منها ، يقول الأشْعَثُ بنُ قَيْس الكِنْدِيّ مُحَرِّضاً قومه على الرِّدَّة : « يا معشر كندة ، إن كنتم على ما أرى ، فلتكن كلمتكم واحدة ، والزموا بلادكم ، وحوطوا حريمكم ، وامنعوا زكاة أموالكم ، فإني أعلم أن العرب لا تُقِرُّ بطاعة بني تيمِ بن مُرَّة وتدع سادات البَطْحَاء من بني هاشم إلى غيرها ، وإنَّها لنا لأَجْوَدُ ، ونحن له أحرى ، وأصلح من غيرِنا لأنَّا الملوك وأبناء الملوك من قبلِ أن يكونَ على وجه الأرض قُرَشيٌ ولا أبطحي » ثم أنشأ الأشعث يقول[1] :

وإن صَلُحَت في تَيْمِ مُرَّةَ إمْرَةٌ ... ففي كندةَ الأملاك أحرى وأصْلَحُ
لأنَّا ملوكُ الناسِ من قَبْلِ أن يُرَى ... على الأرض تَيْمِيٌّ ولا مُتَبَطِّحُ

أما الحارث بن معاوية الكندي أحد رؤساء كندة ، فهو يأنف من الإقرار بالطاعة لأبي بكر ، يقول[2] :

إنْ كانَ لابنِ أبي قُحَافَةَ إمْرَةٌ ... فلقد أتى في أمْرِهِ بتَعَسُّفِ
أم كيفَ سَلَّمتِ الخِلافَةَ هاشِمٌ ... لعتيقِ تَيْمٍ كيف ما لم تأنَفِ

وهكذا نرى أنَّهم ارتدُّوا عامدين متعمدين قد امتلأت نفوسهم حسداً وحقداً ، فكيفَ تكون الزَّعامة لمحمد ومن بعده لأبي بكر ، فقد ثارت الضغائن والأحقاد وظهرت حميَّة الجاهلية ونزعاتها فاتبعوها ، وكانوا يصدرون عن موقف قبيلتهم من الحدث ، فخضعوا لها واستأثرت بمشاعرهم وعواطفهم حتى كادت تلغي فرديتهم إلغاءً تاماً ، ولم يكن الإسلام قد تمكن من نفوسهم تمام التمكن ولم يقتلع جذور العصبية التي رسخت فيها بصورة كاملة ، فظلَّ الصِّراع بين العصبيات قائماً ، وظلَّ للعصبية دستورها القبلي المسيطر .

---

(١) الرِّدَّة ١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ١٧٧ .

٣ـ أسباب فكرية ودينية :

بعثَ الله الإسلام في أرض الجزيرة العربية ، وبَعَثَ معه روحاً جديدةً ونوراً طغى على أرجائها ، فبدأ بتغيير مناحي الحياة العربية بمجملها ، فقد نقل العرب من الشرك إلى التوحيد ، ومن عبادة المحسوس الذي لا يرى ولا يسمع ولا يضرُّ ولا ينفع إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وكان هذا شاقاً على أولئك الأعراب الذين انتقلوا فجاءة إلى الاعتقاد بالمعتقدات المجرَّدة .

ولم يقتصر الإسلام على غرس الفكرة الدينية بل امتدَّ أثره إلى التشريعات بمستوياتها كافة ، اقتصادية واجتماعية ، داخلية بين الأفراد في الدولة المسلمة ، وخارجية بين المسلمين وغيرهم ، وما ينظمها من أسس وروابط . ولم يكن من اليسير توحيد القبائل المختلفة المتفرِّقة في دولة واحدة تخضع لأسس قوامها التوحيد والعدل والمساواة ، فبالأمس كانوا قبائل متناحرة متفرِّقة تسيطر عليها العصبية والقوانين التي اصطلحت عليها القبائل ، فكل قبيلة مسؤولة عن أفرادها ، والأفراد ملتزمون بالتضامن أمام كلِّ الصعوبات التي يمكن أن تعترضهم ، وسيِّد القبيلة يتصرف وفق الدستور القبلي بما يحقق مصلحة القبيلة وكرامة أفرادها ولو تطلَّب هذا غزو الآخرين ظلماً وعدواناً وسفك الدماء وإضرام نار الحرب ، وهكذا توارثت القبائل الأحقاد وخاضت الحروب لأجل ثأرٍ من هذه القبيلة ، وكسر شوكة تلك ، وسلب الأخرى .

أمَّا الفوارق الاجتماعية في المجتمع الجاهلي ، فكانت واضحة ، فالأغنياء هم السادة الذين يدين لهم الجميع ، يستعبدون الضعفاء والفقراء ، ويفخرون بإشاعة الظلم وأكل حقوق الآخرين . فالضعيف الفقير قلما يجد من يرحمه وينصره ، وقد عمل الإسلام على إذابة هذه الفوارق وأعلن أن البشر سواسية أمام العدالة الإلهية ، فالعبودية والخضوع لله وحده لا شريك له ، والفقير التقي خيرٌ من الغني الكافر ، ويتوجب على ميسوري الحال دفع جزء من مالهم للفقراء ، فهو ليسَ صدقة فحسب بل هو حقٌّ لهذا الفقير في مال الغني فرضه له الإسلام .

وكانت معظم هذه الفرائض والقيم الأخلاقيَّة جديدة تظهرُ لأولِ مرَّة في

المجتمع ، فهزَّت نفوسهم التي تعوَّدت الفوضى والحريَّة دون ضابطٍ أو رادع ، فتقبَّلها قسم كبيرٌ من الناس براحةٍ ورضىً وتفاؤل بمستقبل المجتمع ، ورفضها قسمٌ آخر رأى فيها تهديداً لماصلحه الخاصة ، وتقييداً لحرِّيته ، واستخفافاً بما توارثوه عن الآباء والأجداد ، وقاوم هؤلاء الحاقدون ما استطاعوا حتَّى إذا وطَّدَ الإسلام أركانَهُ ونَشَرَ انتصاراته أسلموا وما يزال في نفوسِ عددٍ منهم حنينٌ قاتلٌ للجاهلية وموبقاتها ومقوِّمات السيادة فيها .

يقول الدكتور السيِّد عبد العزيز سالم : « وحركةُ الرِّدَّة في واقع الأمر لا تعدو أن تكونَ انتفاضاً على نظام الدّولة العربيَّة الإسلامية التي وضع الرسول ﷺ أسسها في المدينة . . . وقد ظَهَرَت مظاهر الصِّدام العنيف بين النظامين القبلي والإسلامي في الحركة المعروفة بالرِّدَّة »[1] .

وظلَّ حنينهم إلى الماضي موجوداً ، لأن الإسلام أطاع بفرديَّة القبيلة لقاء فكرة الجماعة الإسلامية التي ضمَّت القبائل والنَّاس كافَّة ، وكانت رابطة الإسلام والإيمان فوق رابطة الدم والشرف والحسب ، وكان الجهاد في سبيل الله واجباً في حالاتٍ معيَّنةٍ تشمل كل المسلمين ، وأمَّا الثأر الفردي فقد حرَّمه الإسلام تحريماً كاملاً فالعقاب يقع على عاتق الدولة وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ولا يحقُّ للفرد أن يسفِكَ دماء الآخر لأيِّ سببٍ دون الرجوع إلى مرجعيَّةٍ دينيَّةٍ وتشريعية . . . وجاء الإسلام بمبادىء كثيرة كفيلة ببناء مجتمعٍ إسلاميٍّ مثالي ، ولا ريب في أنَّ المجتمعَ الجاهليَ حَفِلَ بقيمٍ أخلاقية حميدةٍ اصطفاها الإسلام واستبقاها وشَجَّعَ عليها فكانت نظرتُه لأولئك القوم منصفَةً وكان « خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »[2] .

وظلَّ زعماء بعض القبائل المنافقين والجهَّال يحلمون باستئثار الأمجاد القديمة لتحقيق أمجادٍ جديدة لهم ، فقد كانوا حديثي عهدٍ بالإسلام ولم تصفُ

---

(١) تاريخ الدولة العربية ـ تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدَّولة الأموية ٤٣٤ .
(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٢٨٨ رقم ٣٣٠٤ .

نفوسهم له ، وقد تلقَّوا تشريعاته بأذهانٍ مُقْفَلةٍ وعقلياتٍ متحجِّرةٍ لم ترقَ إلى فهم معنى الدِّين وأوامر الرِّسالة .

إنَّ قارىء التاريخ الإسلامي يلحظ أنَّ الإسلام استطاع في مدَّة وجيزة أن يؤسس نفوساً طاهرة مطهَّرة قويَّة الإيمان ، متشبثة بروح الإسلام وعقيدته ومبادئه ، صادقة نهلت الإسلام صافياً من معين الرسول ﷺ وتربَّت في كنفه ، فعملت بصدق في نشره وبذلت أرواحها رخيصة في سبيل الدفاع عنه ، ولكنَّه يلحظ وجود فئة أخرى أوسع لم يتغلغل الإسلام في نفوس أصحابها ، فقد أسلم هؤلاء رغبةً في العطاء ، أو رهبةً من قوَّة المسلمين ، أو تقليداً لزعماء قبائلهم الذين أقبلوا على الرسول ﷺ عام الوفود وعادوا إلى قبائلهم التي أسلمت وحذت حذوهم . إن سلطان الإسلام لم يبلغ عُمْقَ نفوسهم لأنهم لم ينالوا حَظّاً من التربية الإسلامية أو نصيباً كافياً من صحبة الرسول ﷺ ، فكان إسلامهم تقليداً لزعماء قبائلهم وكذلك كانت ردَّتهم .

وكان بعضهم من الجهل ما جعلهم يمنُّون على الرسول ﷺ بقدومهم إليه مسلمين ، كما فعل وفد بني أسد وكان من بينهم طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٌ الأَسَدِيّ عندما قالوا : « أتيناك نتدرَّع الليل البهيم في سَنَة شهباء ولم تبعث إلينا بعثاً . . . » فنزل الرَّدُّ في سورة الحجرات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١) (٢) .

فقد كان المسلمون فئتين ، فئة أسلمت وآمنت وصَدَّقت ورسخت في نفوسهم قيم الدِّين الحقيقية لأنهم أدركوا عمق الدَّعوة وأبعادها وعرفوها حقَّ المعرفة ، أما الفئة الأخرى فقد كانت سطحية الإسلام مقلِّدةً أو راغبةً في العطاء ، أو خائفة من سلطان المسلمين ، يقول الدكتور طه حسين : « لم يكن هناك توازن بين الحاكم والمحكوم ، ولم يكن هناك تضامناً صحيحاً بين الخليفة والكثرة الضخمة من رعِيَّتِه العربية ، وإنما كان التضامن والتوازن قائمين بين الخليفة وهذه الطبقة

---

(١) سورة الحجرات ـ آية : ١٧ .

(٢) الإصابة ٣/ ٤٤٠ ، المنتظم ٣/ ٢٢٨ .

الممتازة من أصحاب النبي ، وبفضل هذا التضامن والتوازن استطاع أبو بكر أن يعيد العرب إلى الإسلام بعد أن ارتدُّوا فلم يكن العرب كلهم أصحاب رسول الله ، بل لم تكن كثرة العرب قد صاحبت النبي واتَّصلت به ، وإنما كان أصحاب النبي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود . . . ولم يكن إيمان العرب بالدِّين الجديد مطابقاً أو مقارباً لإيمان هذه الطبقة من أصحاب النبي ، إنما كان من العرب من حَسُنَ إيمانه ، ومنهم من أسلم ولم يؤمن كما جاء في القرآن : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

بل كان من العرب من جَرَت كلمة الإسلام على لسانه ولكنه احتفظ بجاهليته كاملة في قلبه ونفسه وضميره ، والله يقول في بعض هؤلاء : ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2] . وأيُّ وصفٍ أكثر دقَّة وواقعية لحالة الأعراب ونفسيتهم ، فهو يعيننا بشكل قاطع على تفسير حركة الرِّدَّة ، فهؤلاء المرتدون ربَّما لم يكونوا في حالة رفض الدِّين الإسلامي على الأغلب ، فهم لم يتلقوا تربية إسلامية موسَّعة أو قسطاً كبيراً من التزكية والتعليم »[3] .

وكثيرون هم الذين لم يفهموا معنى النبوَّة ولم يدركوا عمقها ، فقد نظروا إليها على أنَّها ترسيخٌ لسلطة قريش ومجدها فطمعوا في هذا ، وظَنُّوا أنهم قادرون على ما قدر عليه النبي ، فظنُّوا أن المسألة قيادةٌ واتِّباع أو كهانة وأسجاع ، فحاولوا تقليده كما فعل كثير من المتنبئين .

ولا شكَّ في أنَّ الجهل كان مؤثِّراً أساسياً في ردَّة الأفراد والقبائل ، وإيمانهم حَقّاً بالمتنبئين والمشعوذين ، فقد كان لقصة طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِد الأَسَدِي حينَ

---

(١) سورة الحجرات ـ آية ١٤ .
(٢) سورة التوبة ـ آية ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣) الفتنة الكبرى ، طه حسين ١/ ٣٩ .

ضُرِب بالسَّيف فلم يصبه ونبا عنه أَثَرٌ كبيرٌ في فتنة الآلاف وانقيادهم وراءه ، فقد شاع في النَّاس أنَّ السلاح لا يحِيكُ في طُليحة ، وظنُّوا أنها معجزة وأنَّه قديس أو نبيٌّ خارِقٌ فَفُتِنُوا واتَّبَعُوه[1] .

أمَّا عن حِيَل مُسَيْلِمَة الكَذَّاب وخُدَعِه . . . فالحديثُ يطول لأنَّه كان مُتَمرِّساً بالخُدَاع والحِيَل والسِّحر قبل أن يتنبَّأ ، إذ كان دائم التجوال بين أسواق العرب والعجم يلتمسُ تعلُّم حيلةٍ أو تنجيمٍ أو رِقية ، وكان قد أحكم حِيَل أصحاب الزَّجرِ والحظِّ ، وبعض الألاعيب التي تعتمد على قواعد كيميائية بسيطة ، كأن يصبَّ الخَلَّ على بيضَةٍ ، فتلينَ ، فيُدْخلها قارورة ، فتعود مستديرةً بشكلها الأوَّل فيخرجها من القارورة ، وكان بعض الأعراب والعامة والجهلة ينبهرون أمام بعض الحِيَل ، ويظنُّون أنَّها معجزات لا يفعلها إلاَّ نبيٌّ ؟[2] .

ومما انبهَرَ به بعضُ الأقوام أنَّ مُسَيْلِمَةُ كان يصنع رايات من ورق القرطاس ، فيجعل لها شكلاً محدَّداً ، ويصنعُ لها ذَنَباً وجناحين ، ويربطها بالخيوط الطَّويلة ويُرسلها في ليلةٍ ذاتِ ريح ، ويقول للنَّاس : إنَّها الملائكة تنزلُ عليَّ . فصدَّقهُ كثيرون ، كان يقصُّ جناحَيْ الطَّائر فيعجَزُ عن الطيران ، ويؤكِّد مسيلمة للنَّاس أنَّه سيجعل الطائر يطيرُ من جديد لأنَّهُ نبيٌّ مؤتى له ، فَيَصِلُ جناح الطائرِ المقصوص بريشٍ أحضَرَهُ فيطير . . . فينبهر الجُهَّال بهذه الحِيَلِ التي لم يشاهدوا مثلها من قَبْلُ ويظنُّون أنها من سمات النبوَّة فيتابعون صاحبها[3] .

ونذكر هنا أنَّ فتنة الرِّدَّة قد ازدادت بين بني حنيفة على يدِ الرَّجَّالِ بن عُنْفُوة ، وهو ممن قدِموا على النبي ﷺ وقيل : أسلم وحفظ القرآن ، ثم شَهِدَ لمسيلمة بالنبوَّة وأنَّ محمَّداً ﷺ قد أشركَهُ فيها قبل وفاته ، وكذلك فعل مُحَكَّمُ بن الطُّفَيْل الحنفي وزير مسيلمة ، وكان الرَّجَّالُ بن عُنْفوة يقول لقومه في أثناء الرِّدَّة :

---

(١) الرِّدَّة ٨٧ ـ ٨٩ .
(٢) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٥٢ .
(٣) الحيوان ٤/ ٣٦٩ .

« كبشان انتطحا ، فأحبُّهما إلينا كبشنا »[1] ، فهو يشجع قومه على العصبية القبلية ومؤازرة مسيلمة مهما كان كاذباً أو ماكراً لأنَّه من بني حنيفة .

وبعد أن شَهِدَ الرَّجَّالُ بن عُنْفُوة ومُحَكَّمُ بن الطُّفَيل بنبوّة مُسَيْلِمَة ، عظمت الفتنة بين النَّاس فتسارعوا إلى مؤازرة مُسَيْلِمَة ، وقد أفلَحَ هؤلاء في استغلال سذاجة بعض أبناء قبائلهم وجهلهم وقِصَرِ نظرهم وقصور تفكيرهم عن عمق الدعوة الإسلامية ومبادئها ، فكانوا يعزِّزون هذا الجهل بالألاعيب والحيل الماديَّة ، وسواها من الأمور التي تسلب عقول العامَّة وتخلُبُ لُبَّهُمْ فينقادون وراء أولئك المشعوذين بسهولةٍ وسرعة ، وقد أدركوا أنَّ الجهل والسذاجة هو جانب مهم سيحقِّقون بوساطته ذلك المجد الذي استأثر به النبي ﷺ وهو النبوّة التي سيحققون بها غايات قبائلهم من السلطة والسطوة والثأر من القبائل الأخرى وفي مقدمتها قُريش .

٤ـ أسباب اقتصادية :

إن الاطِّلاع على التطوُّر الاقتصادي الجديد الذي أحدثه الإسلام سيساعدنا على فهم عدد من القضايا التي برزت في المجتمع المسلم ، فقد قدَّم الإسلام مفاهيم اقتصادية جديدة (كالزكاة والصدقة) أسهمت في تغيير بنية المجتمع .

إنَّ أوّل ما حاول الإسلام انتزاعه من المجتمع الجاهلي هو ذلك التفاوت الطبقي الكبير ، فمصلحة المجتمع تقتضي القضاء على جميع مظاهر الاستغلال والثراء الفاحش لتقليل الهوّة الاجتماعية بين الطبقات وبذلك يتحقق العدل الاجتماعي ، وهذا لا يعني أن الإسلام انتهك حرمة الملكية الخاصة ، لأنَّه دعا إلى الإحسان والجود لتهذيب النفس وتطهيرها ، قال تعالىٰ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[2] .

إذاً فالصدقة والزكاة هي الوسيلة الأولى لتطهير النفس وتزكيتها وتوزيع الثروة بشكل أقرب إلى العدل الاجتماعي .

---

(١) الرِّدَّة ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٢) سورة التوبة ـ آية : ١٠٣ .

ويبدو أن بعض العرب كانوا يدفعون الصدقة بينما تعتمل في نفوسهم الأحقاد الكثيرة ، فما إن وجدوا الفرصة سانحة بعد وفاة الرسول ﷺ حتى أظهروا استعدادهم للالتزام بمبادىء الإسلام عدا الصدقة ، فانكروا حقَّ الله في أموالهم وقالوا لأبي بكر : « لسنا ندفع زكاتنا إلا لمن صلاته سكنٌ لنا » .

لا مراء أنَّ في هذا فهماً مشوهاً لطبيعة هذه الفريضة وحُجَّةً واهية لتركها ، وقد أدرك الصِّدِّيق رضي الله عنه خطورة هذه النقطة ، فقرَّر قتالهم ولم تنثنِ عزيمته بالرغم من آراء عمر بن الخطاب وبعضِ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين التي يرونَ فيها أن يتغاضى الصِّدِّيق عن صدقة هذا العام لعلَّهم يدفعونها العام المقبل طائعين ، فرفض الصِّدِّيق تصورهم رفضاً قاطعاً . فكيف ستقوم للإسلام قائمة إذا وافقهم على تجزئة تشريعاته ؟ فقد أدرك الصِّدِّيق أن تخلُّف الأعراب عن دفع الزكاة هو تشويهٌ لشريعة الله وإنكارٌ للفرض ومنعٌ لحقِّ الله ونقضٌ للبيعة وللإيمان والالتزام بمنهج الإسلام ، فأمْرُ الصلاة كأمر الزكاة كأوامر الإسلام الأخرى وكلها بنيان واحد ، والصِّدِّيق ملتزم بمنهج الإسلام والرسول ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها ، وحسابهم على الله »[1] . فقال الصِّدِّيق مخاطباً عمر : « وأما من ارتدت من العرب ، فمنهم من لا يُصَلِّي وقد كفر بالصلاة ، ومنهم من يصلِّي وقد منع الزكاة ، لا والله يا أبا حفص ما أفرِّق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقرونتان ، والله لو منعوني من الزَّكاة عقالاً مما كان يأخذ منهم النبي ﷺ لقاتلتهم عليه أبداً ولو ما حييت ، ثم لنحاربنَّهم أبداً حتى ينجز الله وعده ويفي لنا عهده ، فإنه قال وقوله صدقٌ لا يُخلف له[2] : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[3] .

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٥٠٧ رقم ١٣٣٥ .
(٢) الرِّدَّة ٥١ ـ ٥٢ . والعِقَال : هو الحبل الذي كانت تُعقَلُ به الإبل ، وكان يؤخذ مع الصدقة .
(٣) سورة النور ـ آية : ٥٥ .

نَظَرَ الصِّدِّيق نظرة ثابتة في مجريات هذا الحدث العظيم ، واتَّخذ قراراً بحرب كل من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، والدولة الناشئة تمرُّ بظروف حرجة ، ولكنَّه بنى قراره على أساس متين فحرْبُ هؤلاء ترسيخ لجذور الدولة الإسلامية .

إنَّ رفض الزكاة يُعَدُّ أولى بوادر التمرُّد على الدولة الناشئة ، وضياعٌ لموردٍ أساسيٍ من مواردها ، وتحريفٌ لكلام الله المنزَّل وفق المعنى الذي يريدونه ، وإنكارٌ للفريضة . . . فماذا بقي من انتهاكات أخطر مما يجري ؟ وإذا تهاون الخليفة في هذا الأمر فسيتخلخل التزام الناس بمبادىء الدين الأساسية ، وستعم الفوضى أركان الدولة الناشئة .

إن منع الزكاة هو دافع قويٌّ من دوافع الرِّدَّة فالزكاة في نظرهم إتاوة تدفع لأبي بكر وقريش .

ويطرح الدكتور عمر فرُّوخ وجهة نظره بأنَّ العرب لم تمنع الزكاة ، يقول : « كانت الصدقات تأتي من الأقطار المختلفة في شبه الجزيرة العربية إلى الرسول ﷺ في المدينة ، وكان الرَّسول ﷺ ينفق هذه الصدقات المجموعة في وجوهها المشروعة إلى كل قطر ما يحتاج إليه ، وبعد وفاة الرسول ﷺ رفضت قبائل العرب أن ترسل الصدقات إلى المدينة كما كانت تفعل في عهد رسول الله ﷺ وأرادت أن تستوفي حاجتها من تلك الصدقات أولاً ثم ترسل ما يفيض عن حاجتها إلى المدينة ، ولم يمنع أحدٌ الزكاة »[1] .

ويُناقش الدكتور عُمر فرُّوخ كل ما أوردته المصادر التاريخية ، ثم يرى أن المرتدين رفضوا إرسال الزكاة وطردوا عمال الرسول ﷺ وفرَّقوا الصدقات فيما بينهم ، فهم أحقُّ بها . وفي الخبر : « . . . قدمت وفود بني أسد وغَطَفان وهوازن وطيىء على أبي بكر وقضاعة ، فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين ، فعرضوا الصلاة على أن يُعفوا من الزكاة ، فأبى أبو بكر إلا ما كان

---

(١) تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ٩٤ ، وانظر العرب في حضارتهم وثقافتهم ١٤٩ .

رسول الله ﷺ يأخذه »[1] .

ولم تورد أيٌّ من المصادر التاريخية أن المرتدين وزَّعوا الصدقات في قبائلهم أو أرسلوا الفائض إلى المدينة كما يرى د . فرُّوخ ، بل أكَّدوا أن المرتدين أمسكوا الصدقة ، فهي إتاوة سيدفعونها لقريش بوساطة أبي بكر . ولا شك في أنهم دفعوا الزكاة طائعين أو مكرهين بعد هزيمتهم بالحجَّة وغيرها .

وفي الخبر أنَّ قُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ القُشَيْرِي أحد المرتدين خاطب عمرو بن العاص مبعوث أبي بكر مهدِّداً بقوله : « يا هذا ، إنَّ العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا أرى إلا أن تجتمع عليكم ، فقال عمرو : أكفرتَ يا قُرَّة ، أتوعدنا بالعرب وتخوِّفنا بها . . . »[2] .

وفي مصدر آخر يقول قُرَّةُ بنُ هُبَيْرَة القُشَيْري مُهَدِّداً : « والله لئن تجافى أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ عن زكاة أموالنا وإلا فما لَهُ في رقابنا طاعة »[3] .

أمَّا أتباع طُلَيْحَة فقد رفضوا الزكاة رفضاً قاطعاً وخُيِّل إليهم أنها ستكون لأبي بكر وقومه ، فقالوا : « لا والله ، لا نعطي الدَّنيَّة في دِيننا أبداً ، ونحن أحقُّ بالزَّكاة من ابن أبي قُحَافَة »[4] .

ولعل ما أنشده الحُطَيْئة يُعبِّر عن ضيق صدور أولئك القوم بفريضة الزَّكاة[5] :

أطعنا رسول الله إذ كان صادقاً ... فيا عَجَباً ما بالُ دينِ أبي بَكْرِ
أيورثنا بكراً إذا ماتَ بعدَهُ ... فتلكَ وبيتِ الله قاصمةُ الظهرِ
فإن الذي أعطيتمُ أو منعتُمُ ... لكالتّمْرِ وأحلى لخِلْفِ بني فِهْرِ
فقوموا ولا تُعطُوا اللِّئامَ مقادَةً ... وقوموا وإن كان القيامُ على الجَمْرِ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٨ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٥٩ .
(٣) الرِّدَّة : ٩٧ .
(٤) المصدر السابق ٨٥ .
(٥) ديوان الحطيئة ، نعمان طه ١٩٣ .

وهذا رجل آخر من مرتدي كندة ، وهو أحد أبناء عمومة الأشعث بن قيس ، يقول مستنكراً ما آل إليه حالهم ، إذ زال الإسلام بموت النبي ، ورأى أن الزكاة هي إتاوة لأبي بكر ويجب عليهم رفضها وقتل عمَّال أبي بكر : « . . . ما كان الرَّأي إلا قتل زياد بن لبيد وارتجاع ما دُفع إليه من إبلِ الصَّدَقة ، والله ما نحنُ إلا عبيدٌ لقريش ، مرة يوجّهون إلينا بالمُهَاجِرِ بنِ أَبِي أُمَيَّة فيأخذون من أموالنا ما يريدون ، ومرَّة يولُّون علينا مثل زِيَادِ بنِ لَبِيْد فيأخذ من أموالنا ويهدِّدنا بالقتل ، والله لا طمعت قريشٌ في أموالنا بعدها أبداً ، ثم أنشأ يقول[1] :

إذا نحنُ أعطينا المُصَدِّقَ سُؤْلَهُ ... فنحنُ له فيما يُريدُ عبيدُ
أفي كُلِّ يومٍ للمُهَاجِرِ جِبْوَةٌ ... ولابنِ لَبِيْدٍ إنَّ ذا لَشَدِيدُ
فحتَّى متى نُعْطِي الإتاوَةَ مَعْشَراً ... إذا أخذوا قالوا لمَعْشَرِ عُودُوا

وقال آخر من أتباع الأشعث بن قيس رافضاً دفع الزكاة[2] : [من الطويل]

فوالله لو قالوا عِقَالاً لقُلْتُ لا ... إليهِ سَبيلٌ لا ولا قِيسُ أُصْبَعِ
وما مثلنا يُعطي على القَسْرِ مالَهُ ... ونحنُ مُلوكُ الناسِ من قبلِ تُبَّعِ

نخلص إلى القول أن المرتدين رفضوا إرسال الزكاة إلى أبي بكر ، فهي في نظرهم إتاوة لا فريضة ومَذَلَّةٌ لكبريائهم لا تطهيراً وسُمُوّاً بنفوسهم ، لذا فقد حاربهم المسلمون لتحقيق فريضة الله وكسر شوكة أولئك الذين منعوا دفع الزكاة ثم أحبطَ الله كيدَهم .

٥ ـ أسباب أخرى :

كانت بعض حوادث الرِّدَّة الفردية في أيام الرسول ﷺ قد حدثت بدوافع كثيرة وكان لليهود أثر غير هيِّن في بعض الأحيان ، فقد قاوم أهل الكتاب ـ ولاسيما اليهود ـ الدعوة المحمدية أشد المقاومة ، فعملوا على تحريك المنافقين في المدينة ، والعمل على بث الفتنة ، وحياكة المؤامرات ، وتلفيق الافتراءات ،

---

(١) الرِّدَّة ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٢) الرِّدَّة ١٧٥ .

فألّبوا بعض العناصر المنافقة ، وأوقدوا نيران الحقد والضغينة في نفوسهم[(١)] ، وحاولوا الإيقاع بالمسلمين[(٢)] ، والفتنة برسول الله ، فحزّبوا الأحزاب عليه[(٣)] ، وقاموا بتحريض المشركين على المسلمين وإشعال نيران الحروب بينهم[(٤)] ، فكانت النتيجة أن أُجْلُوا عن جزيرة العرب ، بعد أن بذلوا أقصى جهودهم وطاقاتهم في إثارة الفتنة ، وإشعال نيران العصبيات التي عمل الإسلام على إخمادها ، وكانوا يبثون حقدهم الكامن والمخبوء كلما سنحت لهم سانحة ، وقد أثمرت جهودهم إذ تعاونت معهم الكثرة الكثيرة من المنافقين والمتربِّصين بدولة الإسلام آنذاك .

وقد رأى بعض النقّادِ والباحثين أنَّ هناك تأثيراً للفرس والرُّوم ويَدَاً ما في أحداثِ الرِّدَّة نظراً لاتصال العرب بالفرس عن طريق التجارة وغيرها . . . وكان الرسول ﷺ قد راسل الملوك والأفراد ودعاهم إلى الإسلام ، فخاف هؤلاء وأولئك من سطوة المسلمين ، وعرفوا أنَّهم قد يخسرون تجارتهم ، فقرَّروا الدِّفاع عن أنفسهم بطريقة أخرى غير الحرب وهي تحريك بعض القبائل ضدَّ المسلمين[(٥)] .

وحدَّدَ النعمان القاضي أثر الفُرس في تحريك المرتدِّين ، فقال : « إنَّ دورهم اقتصَرَ على المرتدين باليمن ، فقد كان سلطان فارس ممتدّاً إلى اليمن إلى أن دَخَلَ عاملها لكسرى في الإسلام وصار عاملاً للنبي ﷺ عليها ، بيد أنَّ سلطان فارس كان أكثَرَ وضوحاً في البحرين وعُمَان لأن عدداً كبيراً من أبناء الفرس كانوا يستوطنونَ فيهما ، وقد عَلَت هناك كلمةُ الفرس لاستمرار النفوذ الفارسي وإمداده أنصاره بالقوَّة والعدَّة كلَّما خشوا من ثورة العرب الخُلَّص بهم أو محاولتهم القضاء

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ١/ ١١١ ، وانظر أسماء الأعداء من اليهود ٢/ ٣١٥ ، وسبب عداوتهم للمسلمين في ٢/ ٥٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٥ .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٧ .

(٤) انظر خبر غزوة الخندق في المصدر نفسه ٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥ ، وغزوة خيبر في ٣/ ٣٢٨ .

(٥) شعر الفتوح ٤٣ .

على سلطانها في ربوعهم ، فليسَ عجباً أن تكون هذه البلادُ آخرَ من دانَ بالإسلام على عهد الرسول ﷺ في عام الوفود وأن تكونَ أوّلَ من ارتدَّ حين قُبِضَ ، ثم تكون آخر من يعود إلى الإسلام بعد حروبٍ طاحنة تختم حروب الرِّدَّة وتعيدُ إلى البلاد العربيَّة وحدتها الدينيَّة »[1] .

ويرى د . نزار عبد اللطيف الحديثي أنَّ الجماعات التي تزعَّمها الأسود العنسي كانت تخاصم الفرس الساسانيين وحلفاءهم من همدان لأسبابٍ عديدةٍ ، ثم تحوَّل صراعُ القبائل المتحالفة على الفرس وهمدان إلى صراعٍ بينها وبين سياسة الرسول ﷺ ويؤكِّد أنَّه لم يكن للأطراف الخارجية دورٌ في رِدَّة الأسود واتساعها[2] .

أما المرتدون من أهل البحرين ، فقد لجؤوا إلى الفرس وهم يحلمون بإعادة الأمجاد القديمة لمُلك النُّعْمَانُ بنُ المُنْذِرِ وسلالته ، وفي تاريخ الطبري الخبر الآتي : « اجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدَّت ، فقالوا : نردُّ الملك إلى آل المنذر ، فملَّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمَّى الغَرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لست بالغَرُور ، ولكنِّي المغرور »[3] .

ويذكر الواقدي[4] أنَّ هؤلاء كانوا من بكر بن وائل وقال بعضهم لبعض : « تعالوا حتى نردَّ الملك في دار النُّعْمَانُ بنُ المُنْذِر ، فإنَّه أحقُّ بهذا الأمرِ من ابنِ أبي قُحافة » ، فعزموا على ذلك ، ثم خرج نفرٌ من رؤسائهم وأهل الشَّرف فيهم حتى قدموا على كسرى ملك الفرس ، وحيُّوه بتحيَّة الملوك . فقال كسرى : « ما الذي أقدمكم يا معشر العرب » ، فقالوا : « أيُّها الملكُ ، إنَّه قد مضى ذلك الرَّجل من العرب الذي كانت قريش وسائر مضر يعتزون به ـ يعنون بذلك رسول الله ﷺ ـ وقد قام من بعده خليفة له ضعيف البدن ، ضعيف الرَّأي ، وقد انصرف

---

(١) شعر الفتوح ٤٣ .
(٢) أهل اليمن في صدر الإسلام ، د . نزار عبد اللطيف الحديثي ٧٢ ـ ١٦٩ .
(٣) تاريخ الطبري ٣/٣٠٣ .
(٤) الرِّدَّة ١٤٧ ـ ١٤٩ .

عامله إلى أصحابه ، وبلادُ البحرين اليوم ضائعة ليس بها أحدٌ ممن هو على دينِ الإسلام ، إلا شِرْذِمَةٌ من عبد القيس ، وليسوا هم عندنا بشيء ، ونحن أكثر منهم خيلاً ورَجْلاً ، ولو بعثت إلى البحرين رَجُلاً يأخذها ، لم يكن أحدٌ يمانعه عليها » .

قال فقال لهم كسرى : « من تحبُّون أن أوجِّه معكم إلى البحرين » ، قالوا : « مَنْ أحب الملك » ، قال : « فما تقولون في المُنْذِر بنِ النُّعْمَانِ بنِ المُنْذِر » ، فقالوا : « أيُّها الملك ، هو لنا رضا ، وما نريد به بدلاً » .

قال : فأرسَلَ كسرى إلى المنذر بن النعمان ، فدعاه وهو يومئذ غلام حَدَثُ السِّن حين بَقَلَ وجهه ـ أي خرجت لحيته ـ فَخَلَعَ عليه بخلع ، وتَوجَّهَ بتاج وحمله على مائة من الخيل ، وضمَّ إليه سبعة آلاف فارسٍ وراجلٍ ، وعَزَمَ أن يوجِّه به مع بكر بن وائل إلى البحرين .

قال : وتَجَهَّزَ المُنْذِرُ بنُ النُّعْمَان ليخرج مع القوم ، وندم كسرى على ما فعل ، وجعل يقول لوزرائه : « إني لم أصنع شيئاً عملته إلى غلام حدث السِّن لا معرفة له بالأمور فجعلته رأساً للعرب ، وما عسى أن يكون مثله » .

وقد واجه المسلمون بقيادة الجَارُودِ بنِ المُعَلَّى العَبْدِي أولئك المرتدين ، فكانت الدائرة على المسلمين وحوصروا في حصن جُوَاثَى حتى أمدَّهم أبو بكر الصِّدِّيق بالعَلاَءِ بنِ الحَضْرَمِي ، فهزمهم بإذن الله تعالى[١] .

ويظنُّ بعض الدارسين أن قدومَ سِجَاح التَّمِيْمِيَّة له دوافع سياسية أخرى ، فما الذي يدفع بامرأة نصرانية لجَرِّ هذه الحشود وراءها بهدف ضرب الدولة الإسلامية! ؟ وما الذي يدفعها للتحالف مع مُسَيْلِمَة بعد ادِّعائها النبوَّة ؟!! ربَّما كان لأخوالها النصارى من بني تغلب أثر في تحرُّكها ، إذ قدمت من الشام بشكل مفاجىء[٢] وغير متوقع .

---

(١) انظر الرِّدَّة ١٤٧ ـ ١٥٢ ، والخبر مطوّل لذا آثرنا الاختصار . جواثى : حصنٌ لعبد القيس في البحرين ، وسُمِّي : جُواثاء ، الروض المعطار ١٨١ ، معجم البلدان (جواثى) .

(٢) انظر فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام ، وأنبياء بلا نبوة للأستاذ عبد القادر فياض حرفوش ، ترجمة سجاح ص١١٧ .

ولا ريب في أن العوامل السابقة التي تحدَّثنا عنها قد أسهمت بشكل متفاوت في نشوء الرِّدَّة منذ أيَّام الرسول ﷺ وحتى الرِّدَّة في أيام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ولكن التمعُّن فيها يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن معظم أولئك المرتدين لم يستوعبوا النظام الشامل للدِّين الإسلامي ، فالإسلام لم يكن صياماً وصلاةً وزكاةً وتشريعاً فحسب ، بل كان نظام حياةٍ كاملةٍ ، اجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً وفكريَّاً ، أما بعض المرتدين فقد فهموا أجزاءً من هذا النظام ، ورفضوا فهم الأشياء التي تُكَمِّلُه أو ربما عجزوا عن فهمها ، حتى إنَّ بعض من ارتدَّ لم يدرك ماهيَّة ما فعله إلا بعد أن أحاق به الخطر وعرف العواقب ـ كما سنرى عند دراسة بعض الشعراء ـ فقد اعترفَ عددٌ ممن ارتدُّوا بأنهم لم يرجعوا عن الإسلام بل شَحُّوا بأموالهم أو تَعاطَفُوا مع قبائلهم أو رفضوا بيعة أبي بكر فتمرَّدوا ورأوا أن العصيان خير وسيلة للتعبير عن رأيهم لكنهم اعترفوا ـ أحياناً ـ بأنهم لم ينتفضوا على الإسلام بحدِّ ذاته ، فالرِّدَّة كانت انتفاضاً على نظام الدَّولة الإسلامية ، حَسَداً لنبوَّة محمَّد ﷺ ولقبيلة قُرَيش ، وكرهاً ورفضاً لخلافة أبي بكر ، وجهلاً بتعاليم الإسلام . وكل ذلك أدَّى إلى فهم مُشَوَّهٍ أو تحريفٍ لحقيقة الالتزام بالفرائض للقبول بجزء من هذا النظام دون غيره . ولعلَّ عودة كثير من المرتدين إلى جادَّة الصواب ومشاركة القبائل في الفتوحات ودفاعها المستميت عن دولة الإسلام ، مما يؤكِّدُ أن مؤثرات هذه الفتنة قد تراجعت ثم انعدمت بعد تغلغل الدين الحقيقي في نفوسهم وإحساسهم بعِظَمِ ما اقترفوه وسعيِهم المستَمر للتكفير عنه بالتمسك بروح الدِّين والالتزام الصادق بالعقيدة التي تستحقُّ أن يُضَحَّى من أجلها بكل غالٍ ونفيس .

ب ـ حركات الرِّدَّة :

قبلَ الشُّروع في دِرَاسَةِ شعراء الرِّدَّة ، لا بُدَّ من الحديث عن حركاتِ الرِّدَّة في عهد الرَّسول ﷺ وعَهْدِ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ولن نُفَصِّلَ كثيراً في الحديث عنها ، إذ ليسَ هدفنا الدِّراسة التاريخية ، فهناك العديدُ من المراجع التي

تناولت هذه الحركات بالدِّراسة التاريخيَّة التحليليَّة[1] ، فضلاً عمَّا أوردَتْهُ المصادِر ، وبإمكان القارىء الرُّجوع إليها .

وسنبدأُ بالحديث عن الرِّدَّة بمعناها الفردي ثم ننتقل إلى الحديث عن الرِّدَّة بمعناها الشَّامل في عَهْدِ الرسول ﷺ وهي الرِّدَّة الجماعِيَّةُ أواخر حياته[2] .

١) الرِّدَّة في أيام الرَّسول ﷺ :

١ـ الرِّدَّة الفردية :

ظهرت الرِّدَّة في أيام الرسول ﷺ بشكل فردي مع بداية انتشار الدعوة ، وكانت ردَّة هؤلاء الأشخاص لأسبابٍ مختلفة ، ونذكر من هذه الأسماء ، بُشَير بن الحارث ، ويُكَنَّى بأبي طُعْمَة ، وهو سارق هرب إلى مكة مرتدَّاً عن الإسلام سنة (٤هـ) عندما نزل القرآن الكريم بآية تكشف سرقته[3] ، ومن حوادث الرِّدَّة

---

(١) نجدُ عدداً من المراجع التي درست الرِّدَّة من منظُورٍ تحليلي سياسيٍّ أو دينيٍّ ، وهي :
حركةُ الرِّدَّة : د . علي العتوم . نصوصُ الرِّدَّة في تاريخ الطبري (نقدٌ وتحليل) : محمد حسن آل ياسين .
حروب الرِّدَّة : محمد ضاهر وتر . حروب الرِّدَّة من قيادة النبي ﷺ إلى إمرةِ أبي بكر : شوقي أبو خليل .
الرِّدَّة في ضوء مفهوم جديد : د . رجب محمَّد عبد الحليم . حروب الرِّدَّة من معارك الإسلام الفاصلة : محمد أحمد باشميل .
حروب الرِّدَّة (دراسة نقديَّة في المصادر) : د . إلياس شوفاني . ظاهرة الرِّدَّة في المجتمع الإسلامي الأوَّل : محمد حسن بريغش .
وهذه بعض المراجع الحديثة التي استطعنا الاطِّلاع عليها ، فضلاً عمَّا ذكرته المصادر التاريخية .

(٢) تحدَّثنا عن بعض هذه الحركات بالتَّفصيل في ترجمة بعض الشعراء ، إذ تطلَّبت الترجمة بعض التفاصيل التاريخيَّة أحياناً ، وقد شَرَحْنا أسماء المواضع والبلدان في موضعها ، أما من ارتدُّوا من غير الشعراء فقد أوجزنا الحديث عن بعضهم بحسب الأهميَّة والدور الذي قاموا به في أثناء الرِّدَّة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ، وقد نزلت فيه الآية الكريمة تخاطب الرسول ﷺ : ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً﴾ [النساء : ١٠٧] .

الفردية أيّام الرسول ﷺ ردّة الحارثِ بن سُوَيد بن الصَّامِتِ الأنصَاري الذي انتهز الفرصة في معركة أحد ليثأر من قاتل أبيه ، ثم هرب مرتدّاً[1] . ومن هؤلاء عبدُ الله بن خَطَل التَّيمي الذي قتل خادمه ثم ارتدَّ مشركاً[2] ، وعبيد اللهِ بن جحش الأسدي الذي هاجر إلى الحبشة واعتنق النصرانيَّة وبدأ يؤذي المسلمين هناك ويستهزىء بهم[3] . ومُلَيْح التَّيمي الذي كان منافقاً ، وسَرَقَ طيب الكعبة ثم ارتدَّ هارباً فلا يُدرى أين ذهب[4] ، ومن أمثلة الرِّدَّة الفردية أيّام الرسول ﷺ رِدَّةُ الملوكِ الأربعة وهم : (مِخْوَس ، مِشْرَح ، جَمَد ، أبضَعة) وأختهم العمرَّدة ، وكانت لهؤلاء الملوك الأربعة وأختهم أوديةً يملكونها ، وقد وفدوا على النبي ﷺ مع الأشْعَث بن قَيْس ، فأسلموا ثم ارتدُّوا بعد عودتهم إلى بلادهم[5] ولا شك في أنَّ هناك أسماءً أخرى لا يمكننا أن نتحدَّث عنها بالتفصيل ، فغايتنا هنا أن نترجم للشعراء المرتدِّين ونجمع شعرهم .

٢ـ الرِّدَّة الجماعية :

بدأت الرِّدَّة الجماعية أواخر حياة الرسول ﷺ ، برِدَّة الأسود العنسي ، ومسيلمة الكذاب ، وطُليحة الأسدي ، وقد أُخمدت رِدَّة الأسود العنسي في حياة الرسول ﷺ ، أمَّا رِدَّة مسيلمة الكذاب وطُليحة بن خويلد الأسدي ، فقد قضي عليهما في أثناء خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وقد اتسعت الرِّدَّة في أيام الصِّدِّيق وانضمت إليها قبائل أخرى ، والحدث التاريخي متداخلٌ ومطوَّل ، لذا سنؤثر الاختصار ، وسنعرض لهذه الحركات بما يفي بالغرض وهو عرض موجز لخريطة الحدث .

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٢٨٨ ، ٢/ ٥١٩ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٩ ، أنساب الأشراف ١/ ٣٦٠ .
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ١٦٥ ، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٧ ، أنساب الأشراف ١/ ١٩٩ .
(٤) المعارف ٣٤٣ ، البداية والنهاية ٣/ ٤٨٠ .
(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٢٨ . كتاب النسب ٣٠٨ . فتوح البلدان ١٣٩ . الاشتقاق ٣٦٧ . تاريخ الطبري ٣/ ٣٣١ .

١ ـ رِدَّةُ الأَسوَدِ العَنْسيَ وقبيلة مَذْحِجْ في اليَمَن :

واسمهُ عَبْهَلَة بنُ كَعْبِ بنِ غَوْثٍ بنِ صعبِ بنِ مَالكٍ بنِ عَنْسٍ بن مَذْحِجْ[١] .

والعَنْسُ : الناقة الصُّلبة ، ومنهم قولُهُ عَنَسَتِ المرأة إذا كبرت ولم تتزوَّج[٢] .

وقيل : سُمِّيَ الأسود للونه فقد كان أسودَ الوجه[٣] .

ولُقِّب بذي الخمار : لأنه كان يقول : يأتيني ذو خِمار ، وكان الأسود كاهناً يري قومَهُ الأعاجيب ويسبي بمنطقه قلبَ من يَسْمَعُه ، وهو من خطباء اليمن[٤] .

وقيل : بل لقَبُهُ (ذو الخمار) لأنه كان معتَّماً متخمِّراً أبداً[٥] .

وقيل : لُقِّب (ذو الحمار) لحمارٍ كان معه قد راضَهُ وعلَّمه فيقول له : اجثُ ، فيجثو[٦] .

وسمّى نفسَهُ (رحمان اليمن) كما سمّى مسيلمة نفسه (رحمان اليمامة)[٧] .

ولعلَّ ما كان يمله الأسود من دهاء وفصاحة ، وسِحْر وشعوذة ، هو ما سلب عقول بعض السُّذَّج الجهلة ، فضلاً عن العصبية القبلية ، ذلك السحر الذي يقود تلك القبائل دون جدالٍ أو تفكير في عاقبة الأمور إلا فيما ندر ، ويبدو أنَّه كان صاحب زعامة وكلمة في قومه ، وامتلك بذلك قوَّةً خاصةً جذبت إلى صفِّه كبار

---

(١) كتاب النسب : ٣٢٥ ، الاشتقاق ٤١٥ ، جمهرة أنساب العرب ٤٠٥ ، وقيل : (اسمه عَبْهَلَة ابن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس ، بن مَذْحِجْ ، مروج الذهب ٦/ ١٥٥) .

(٢) الاشتقاق : ٤١٥ .

(٣) فتوح البلدان : ٢٧١ .

(٤) المنتظم : ٤/ ١٧ ـ ١٨ .

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٥ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣٦ .

(٦) البيان والتبيين ٣/ ٣٥٩ ، فتوح البلدان ٢٧١ .

(٧) فتوح البلدان ٢٧١ . اليمامة : بينها وبين البحرين عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجر (معجم البلدان) .

القوم أمثال عمرو بنُ مَعْدي كَرِب ، وقيسُ بنُ المَكْشُوحِ المُرَادِي ، ولمَّا اجتمعت حوله أسباب القوَّة والزعامة والنبوَّة ـ في نظرِهِ ـ وآزره أبناء قومه (عَنْس) ، وعوامُ قبيلة (مَذْحِجْ) وسواهم . . . خرج زاعماً النبوَّة في أيام الرسول ﷺ بقوَّةٍ وانتشارٍ سريعين .

قال ابن إسحاق : « وكان قد تكلَّمَ في عهد الرسول ﷺ ، الكذَّابان مسيلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة ، والأسود بن كعب العنسي في صنعاء ، وقد رأى رسول الله ﷺ رؤيا فيهما ، فقال للناس وهو يخطبُ على مِنْبَره : أيُّها الناس ، إني قد رأيت ليلةَ القَدْرِ ، ثم أُنسيتها ، ورأيت في ذراعيَّ سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما ، فطارا ، فأوّلهما هذين الكذَّابين : صاحب اليمن وصاحب اليمامة »[1] .

وفي رواية أخرى : « . . . إني قد أُتِيتُ بخزائن الأرض ، فوُضع في كفي سواران من ذَهَبٍ ، فكَبُرا عليَّ »[2] .

وفي حديثٍ آخر له ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرجَ ثلاثونَ كذَّاباً ، منهم مسيلمةُ ، والعنسيُّ ، والمختار » ، وقال ﷺ : « إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً يزعم أنَّه نبي »[3] .

عَمِلَ الرسول ﷺ على توطيدِ الأمْنِ في اليمن ، فقد أسلم باذان نائِبُ الفُرس على اليمن ، وتتابع أهل اليمن في الإسلام ، وولَّى النبي ﷺ على صنعاء شَهْر بنِ بَاذان المذكور ، وكان الرسول ﷺ بعث المهاجر بن أبي أميَّة بن المغيرة إلى صنعاء ، فلمَّا خرج الأسود العنسي ، أخرج عُمَّال النبي ﷺ من اليمن ، وزحَفَ إلى صنعاء فملكها ، وقتل شَهْر بن باذان وتزوَّج امرأته[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠ . والحديث في صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٦ رقم ٣٤٢٤ .
صنعاء : موضع باليمن ، وهي قصبة اليمن وأحسنها بلاداً ، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً (معجم البلدان) .

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٢٥٤ . والحديث في صحيح البخاري ٤/ ١٥٩١ رقم ٤١١٦ .

(٣) البداية والنهاية ٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ . صحيح البخاري ٣/ ١٣٢٠ رقم ٣٤١٣ .

(٤) صبح الأعشى ٥/ ٢٦ ـ ٤٦ ، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٨ ، وفيه أسماء الصحابة الذين =

يورد الطبري في تاريخه : « إن أوّل رِدَّة كانت في الإسلام باليمن : كانت على عهد رسول الله ﷺ على يدي ذي الخِمار عَبْهلة بن كعب ـ وهو الأسود ـ في عامّة مَذْحِج . خرجَ بعد الوداع ، كان الأسود كاهناً ، وكان يريهم الأعاجيب ، ويسبي قلوبَ مَنْ سَمِعَ منطقه ، وكان أوّل ما خرجَ من كهف خُبَّان ، وهي كانت داره ، وبها وُلِدَ ونشأ ، فكاتبتهُ مَذْحِجْ ، وواعَدَتْهُ نَجْران ، فوثبوا بها وأخرجوا عمَّال الرسول ﷺ ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فَرْوة بن مُسَيك عامل الرسول ﷺ وهو على مُرَاد ، فأجلاه ونَزَلَ مَنْزِله ، ثم سارَ الأسود إلى صنعاء ، فأخذها ، وكُتِب بذلك إلى النبي ﷺ من فعله ونزوله صنعاء ، وكان أوّل خَبَرٍ وقع به عنه من قِبَل فَرْوة بنُ مسَيْك ، ولحق بفروة من تَمَّ على الإسلام من مَذْحِج ، فكانوا بالأحْسِيَة ، ولم يكاتبه الأسود ، ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحدٌ يشاغبه ، وصفا له مُلْكُ اليَمَن »[1] .

وهكذا يسيطر الأسود العنسي على اليمن بسرعة مذهلة ، ذلك أن القبائل التي أسلمت رهبةً أو حَذَتْ حذو غيرها تقليداً لا قناعة ، قد تركت الإسلام بسهولة لدى أول فرصة سانحة ، وتحالفت الغوغاء من مَذْحِجْ وعنس وأهل نجران من بني الحارث بن كعب ، وناسٌ من زُبَيْد ، وحَكَمُ بنُ سَعْدِ العَشِيْرة . . . وغيرهم ممن انقادوا وراء غيِّه وضلاله ، وعندما أحسَّ الرسول ﷺ بخطره ، « حاربهم ﷺ بالرُّسل ، فأرسلَ إلى نَفَرٍ من الأبناء رسولاً ، وكَتَبَ إليهم أن يحاوِلوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً ـ قد سمَّاهم ـ من بني تميم وقيس ، وأرسَلَ إلى أولئك النَّفر

= فرّقهم الرسول ﷺ على اليمن . باذان وابنه شهر : من الأبناء الفرس الذين أسلموا ، فأبقاهم الرسول ﷺ على إمرة اليمن .

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٥ .

كهفُ خُبَّان : قريةٌ باليمن من وادٍ يُقال له وادي خُبَّان قرب نجران ، وهي قرية الأسود الكذاب (معجم البلدان) .

ـ الأخسية : وهو موضع في اليمن ، له ذكرٌ في حديث الردة (معجم البلدان) .

نَجْرَان : في مخاليف اليمن من ناحية مكة ، وهناك نجران بالبحرين ، وبحوران (معجم البلدان) .

أن يُنجدوهم ، ففعلوا ذلك »[1] .

وكانَ أوَّل من اعترض على العَنْسي وكاثَرَهُ عُمَّال الرسول ﷺ من الأبناء ، وهم : عامرُ بن شَهْر الهمْذانيّ في ناحيته ، وفيروز الديلمي وداذَوَيه في ناحيتهما ، ثم تتابع الذين كُتِبَ إليهم على ما أُمِروا به[2] .

وها هو ذا الأسود العنسي يهدِّد الأبناء ، فيرسِلُ رسوله إليهم بكتاب مضمونه : « أيُّها المُتَوَرِّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفِّروا ما جمعتم ، فنحن أوْلى به ، وأنتم عَلَى ما أنتم عليه ، فقلنا للرَّسول : مِنْ أينَ جِئْتَ ؟ قال : من كهفِ خُبَّان ، ثم كانَ أنْ وجَّهَهُ إلى نجْران ، حتى أخَذَها في عَشر لمخرَجِهِ ، وطابَقَهُ عوامّ مَذْحِجْ ، ثم وصَلَ الأسودُ إلى شعوب ، فقتل شَهْرَ بن باذام ، وهَزَمَ الأبناء ، وغَلَبَ على صنعاء وذلك لخمسٍ وعشرين ليلة من ظهوره . . . وكان معه سبعمئة فارِسٍ يومَ لَقِيَ شهراً سوى الرُّكبان ، وكان مِنْ قُوَّاده قَيْسُ بنُ عبدِ يَغُوث المُرادي ، وكان خليفته في مَذْحِجْ عمرو بن معدي كربْ ، وأسند أمرَ جندِهِ إلى قيس بن عبد يغوث وأسندَ أمر الأبناء ، إلى فيروز وداذَوَيه »[3] .

إنَّ حقدَهُ على الأبناء والرَّغبة العمياء في طردهم والسيطرة على مقاليد البلاد ، دفَعَتْهُ إلى إشعال نيران العصبية القبلية في نفوس قومه ليضمن مؤازرتهم له ، وحَدَثَ هذا فعلاً .

« وقد بَسَطَ الأسود العنسي سيطرته على اليَمَن من مفازة حضرموت ، إلى عَمَل الطائف إلى البحرين قِبَل عدَن ، ودانت له سواحلٌ من السّواحل : عَثْر ، الشَّرْجَة والحَرْدَة وغَلافِقَة وعَدَن والجَنَد ، صنعاء إلى عَمَل الطائف إلى الأحسية وعُلَيْب . . . »[4] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٧ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٢٩ .
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٣٠ .
(٤) المصدر نفسه ٣/ ٢٣٠ ، وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٦٦ .

=

فزع المسلمون إلى تنفيذ أوامر الرسول ﷺ ووصل كتابُهُ مع وَبَر بنُ يُحَنّس يأمرهم فيه بالقيام على دينهم ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود : إما غَيْلَةً وإما مصادمة ، وإبلاغ كل من وجدوا عنده رأياً وديناً ونجدةً بضرورة محاربة الأسود ، وقد أثخن الأسود في الأرض ، فاستخفَّ بفَيْروز وقَيْس وداذَويْه ، وتزوّجَ امرأة شَهْرِ بنِ باذان وهي ابنةُ عَمِّ فيروز ، وكانت تبغضُهُ بغضاً شديداً ، وعلى هذا الأساس تمَّ الاتِّفاق بين جُشَيْشِ بن الدَّيْلَمِي ، وفَيْروزِ الدَّيْلَمي ، ودَاذَوَيْه ، وقيسِ بن المكشوح ، على التخلُّص من الأسود العنسي ، وقد راودت الشكوك العنسي ، فأظهَرَ لهؤلاءِ عدمَ ثِقَتِهِ بهم وشَكِّهِ في نواياهم ، وقد استطاعَ هؤلاء وغيرهم من الأبناء بالتعاون والتآزر القضاء على الأسود العنسي ، وكان لتعاون آذَاد امرأة شَهْرَ بن باذان ـ التي تزوَّجها الأسود بعد قَتْلِ زَوْجِها ـ معهم أثرٌ كبيرٌ إذ سَهَّلَتْ مهمة دخولهم إلى عقر دار الأسود العَنْسِيِّ ، فقتله فيروز الديلمي ، وأذَّنَ داذويه ثم قال : أشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ الله ، وأنَّ عَبْهَلَة كَذَّاب ، وألقى رأسَ الأسود بين المتجمِّعين من حَرَسِهِ وأشياعه ، فهاجوا واضطربوا ، واستطاع المسلمون السيطرةَ على الأمور ، وأتى الخَبَرُ النبيَّ ﷺ من السماء الليلةَ التي قُتِلَ

= حَضْرَمَوْت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر ، وحولها رمالٌ كثيرة تعرف بالأحقاف . (معجم البلدان) .

الجَنَد : باليمن من أرض السكاسك ، وبين الجَنَد وصنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً . (المصدر السابق) .

حَرْدَةَ : بلدٌ باليمن . (المصدر نفسه) .

شَرْجة : من أوائل أرض اليَمَن وهو أوّل كورة عَثَّر (المصدر نفسه) .

شَعُوب : بساتين بظاهر صنعاء (المصدر نفسه) .

عَثْر : بَلَدٌ باليَمَن .

عُلَيْب : موضع بتهامة ، وقيل : بين الكوفة ، والبصرة (المصدر نفسه) .

غَلافِقَة : بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد (المصدر نفسه) .

عَدَن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهي مرفأ مهم ، بينها وبين صنعاء ثمانية وستون فرسخاً (المصدر نفسه) .

فيها العنسيُّ فقال : قُتِلَ العنسيُّ البارحة ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مباركٌ من أهل بيتٍ مبارَكين ، قيل : ومن هو ؟ فيروز ، فاز فيروز[1] .

وهكذا انتهت هذه الرِّدَّة الخطيرة ، بانتصار المسلمين بعد أن تكاتفوا مخلصين لعقيدتهم وتوجيهات نبيهم ﷺ ، وقُتِلَ الأسود العنسي بعد أن أضَلَّ بجهله المئات ممن لم ينفذ الإسلام إلى قلوبهم ، وأعماهم هوس العصبية القبلية ، وقد نَكَّلَ الأسود بالمسلمين الذين لم يعترفوا بنبوته ، وسفك دماءً كثيرة[2] .

ولم يكن المصير الذي آلَ إليه الأسود عبرةً لغيره ، فقد استمرت محاولات الارتداد لكسر شوكة المسلمين ، وتحقيق أحلام الزعامة والسيطرة لبعض أبناء القبائل ، ولا شَكَّ في أنَّ رِدَّة الأسود العنسيّ كان انتفاضاً خطيراً على الدَّوْلَةِ الإسلاميَّة في حياة الرَّسول ﷺ لاسيَّما أنَّ الأسود لقي مؤازرةً من قبيلتِهِ ، واستطاعَ أن يُشَكِّلَ قوَّةً حقيقيَّةً وخَطِرَةً قضى عليها المسلمون بالحيلَة والسياسة .

وقد اعتمد الأسودُ العنسي في هذه الحركة على عوامل عديدة أهمها : قُرْبُ عَهْدِ أولئكَ القومِ بالجاهلية ، والتبعيَّة العمياء للعصبية القبلية التي تحرَّكت نوازعها داخلهم فصمَّموا على طَرْدِ الأبناءِ من اليمن والاستيلاء على صلاحياتهم ، وقد آزرهُ قومُهُ في كُلِّ ما فَعَل إما عن قناعةٍ وإما تقليداً واتِّباعاً أعمى .

---

(١) انظر تفاصيل الخبر كاملةً من تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٦٧ .
وفي تاريخ خليفة بن خياط ١١٦ ـ ١١٧ : قتله قيس بن مكشوح .
وفي فتوح البلدان ١٤٦ أنَّ قَيْساً وفيروزاً ادّعيا قَتْلَهُ وهما بالمدينة ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه/ : قتله هذا الأسد (يعني فيروزاً) .

(٢) انظر المنتظم ٥/ ٢٣١ ، وفيه خبر إحراق أبي مسلم الخولاني ، وهو خبر طويل .

٢ ـ رِدَّةُ طُليحة بنُ خُوَيْلِد الأسدي وقبيلة أسد[١] :

وكانت أواخِرَ حياةِ الرَّسول ﷺ وقد اجتمعت إليه أسد وغَطَفَان وطَيِّىء إلاَّ ما كان من خواصّ في الأقوام الثلاث ، وقد وَجَّهَ الرسول ﷺ إلى عمّالِه على بني أسد بِضِرَارٍ بن الأزور ، وأَمَرَهم بالقيام على من ارتدَّ وكانت أَسَدْ بسَمِيْرَاء ، وفَزَارة ومن يليهم من غَطَفَان بجنوب طِيْبَة ، وطيىء على حدودِ أرضهم ، وثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدٍ ومن يليهم مِنْ مُرَّةَ وعَبْسٍ بالأَبْرَقِ[٢] وناسٌ من بني كِنَانة ، وناسٌ من اللَّيْثِ والدِّيل ومُدْلِجْ ، وقد بَعَثوا وفوداً إلى المدينة فعرضوا الصلاة على أن يُعْفَوا من الزكاة ، فرفض الصِّدِّيق رضي الله عنه وقرَّرَ قِتَالَهُم ، وقد خاضوا عدَّة معارك أَهَمُّهَا معركَةُ البُزَاخَة[٣] التي اجتمَعَت فيها عَبْسٌ وذُبيانٌ مع طُلَيْحة الأسديّ ، وانضمَّ إليه بَنُو فَزَارة ، وكانوا يقولون : « والله لا نُبَايِعُ أبا الفَصِيْلِ أَبَداً » ، وكان بنو سُلَيْم وهوازن مُتَربصين مُتَفَرِّجين ، وكذلك بنو عامر ، وقد ظفر المسلمون بالنصر في معركة البُزَاخَة بعد قِتَالٍ شديدٍ فهرب طليحة وامرأتُه ثم عادَ تائباً وحَسُنَتْ توبته .

وسنعرض لترجمته وتفاصيل ردَّته لاحقاً مع تراجم بقية الشعراء .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٥٧ .

(٢) سَمِيراء : منزل بطريق مكة ، حول جبال وآكام سود ، يُقرأ بفتح أوّله ، وكسر ثانيه ، وقيل : بالضم (معجم البلدان : سميراء) .

طِيبة : قرية كانت قرب زَرُود ، وزرود رمال بطريق الحاج من الكوفة . (معجم البلدان : طيبة) .

الأبرق : وادٍ بالحجاز . (معجم البلدان : الأبرق) .

(٣) البُزَاخة : ماء لطيىء بأرض نجد ، قيل : ماء لبني أسد . (معجم البلدان : البُزَاخَة) .

٣ـ رِدَّةُ مُسيلمة الكذَّاب وبني حَنِيْفَة[١] :

وقد ارتدَّت معظم قبيلته عدا جماعةٍ صغيرةٍ مُنْشَقَّةٍ بقيادةِ ثمامة بن أثال ، تحالفت هذه الجماعة مع مسلمي المدينة بعد هروبها من اليمامة .

وقد استَفْحَلَ أمْرُ مُسَيْلِمة الكَذَّابِ الذي استطاع أن يجمع بني حنيفة حوله بعددهم وعدَّتهم ، فاستماتوا في سبيل الدِّفاع عنه وعن قبيلتهم والاستقلال الذي كانوا ينشدونه والسيادة التي حلموا بها .

وقد قويت شوكته بعد أن قدِمت سَجَاح من عند بني تميم ، أتت تقود بني تغلب ، وقد تنبأت بعد موتِ الرسول ﷺ فاستجاب لها الهُذَيل ، ومالك بن نويرة ، وقد رأينا أن نترجم لها ونخوض باعتدال في تفاصيل حياتها وحلفها مع مسيلمة . وسنعرض لترجمة مسيلمة مع تراجم الشعراء .

---

(١) تاريخ الطبري ١/ ٢٨١ وبعد .

٤ـ سَجَاحُ التَّمِيْمِيَّة :

هي سَجَاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان ، وتُكَنَّى أُمَّ صَادِر ، تميميَّة من بني يَرْبُوع ، تزوَّجت من نصارى بني تغلب أخوالها[١] ، تنبأت بعد وفاة الرسول ﷺ بالجزيرة في أخوالها من بني تغلب ، فاستجاب لها الهُذيل ، وترك التنصّر ، وأجابها رؤساء قومها وأقبلوا معها لغزو أبي بكر ، وراسلت مالك بن نويرة ودعتْهُ إلى الموادعة ، فأجابها ووجّهها إلى غزو أحياء من بني تميم ، قالت : « نعم ، فشأنَك بمن رأيت ، فإنّي إنما أنا امرأة من بني يربوع ، فإن كان مُلك فالمُلك مُلْككم ، وقد آزرها بنو مالك بن حنظلة ، وأجابها منهم وكيع بن مالك التميمي وتبعها رجال من قومها : غَيْلاَنُ بنُ خَرْشَنَة ، وشَبَثُ بن رِبْعِي الرياحي ، وكان مؤذنها يقول : أشهد أن سجاح نبيَّة الله »[٢] .

« اجتمع وكيع ومالك وسجاح على قتال الناس ، وقالوا : بمن نبدأ ، بخَضمّ ، أم ببهدَى ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرّباب ؟ فقالت : أعدُّوا الرِّكاب واستعدُّوا للنّهاب ، ثم أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب » ، ثم نزلت سَجَاح بالأحفار ، وقالت لهم : « إنَّ الدَّهناء حجازُ بني تميم ولن تعدوَ الرَّباب إذا شَدَّها المصاب ، أن تلوذ بالدّجانى والدّهانى ، فنزل مالك بن نويرة بالدّجانى ، واجتمعت الرباب لها (ضَبَّتُها وعبد مناتها) فلم يستطع جنود سجاح مواجهة بني بكر من بني ضَبَّة ، فهُزِموا ، وقتل الكثير وأُسِر سماعة ووكيع وقعقاع . فوجَّهت سجاح جنودها قائلة : « اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون لهم دماءَهم ، وتحمد غبَّ رأيهم أخراهم ، فأطلقت لهم ضَبَّة

---

(١) المنتظم ٤/ ٢٢ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٥٢١ ، تاريخ الخلافة الراشدة ٤٤ .

وقيل : هي سَجَاح بنت أوس بن حِقّ بن أسامة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم (أم صادر) . في جمهرة النسب ٥٤٣ وفتوح البلدان ١٣٨ . وفي البدء والتاريخ ٥/ ١٦٤ ، وهي نصرانية ، وزوجها كاهن يُدعى أبا كحيلة .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢ ، والرِّدَّة ١١١ .

الأسْرَى ، وودُوا القتلى ، وخرجوا عنهم »[١] .

ثم قرَّرت سجاح التوجّه إلى اليمامة بعد ما اجتمعت إليها الهُذَيل وعَقَّة ورؤساء أهل الجزيرة بعد أن انفَض عنها مالك ووكيع ، « فقالت : اليمامة ، فقالوا : إن شوكة أهل اليمامة شديدة ، وقد غَلُظَ أمر مسيلمة ، فقالت : عليكم باليمامة ، ودُفُّوا دفيفَ الحمامة ، فإنها غزوة صَرّامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » ، وبَلَغَ ذلك مسيلمة ، فهابها ، وخافَ إن هو شغل بها أن يغلبه ثُمامَةُ بنُ أثال على حَجْرٍ أو شُرَحْبِيْلُ بنُ حَسَنَة ، أو القبائل التي حولَهم ، فأهدى لها ، ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيَها ، وجاءها وافداً في أربعين من بني حنيفة ، وكانت راسخةً في النَّصرانية ، قد علمت من علم نصارى تغلِب وهم أخوالها ، فقال مسيلمة : لنا نصف الأرض ، وكان لقريش نصفها لو عدَلَتْ ، وقد ردَّ الله عليكِ النصفَ الذي رَدَّت قريش ، فَحَباك به ، وكان لها لو قبلَتْ ، فقالت : « لا يردّ النّصف إلاّ من حَنَف ، فاحمل النّصف إلى خيلٍ تراها كالسَّهَف »[٢] .

« فذهبت إليه وبدأا يتدارسان ما أوحى إليهما ، قالت : أشهد أنك نبيّ ، قال : هل لكِ أن أتزوّجك فآكل بقومي وقومك العرب! قالت : نعم . . . فقال فيها أبياتاً خليعة . . . فأقامت عنده ثلاثاً ، ثم انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحَقِّ فاتبعته فتزوّجته ، قالوا : فهل أصْدَقَكِ شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا ، ارجعي إليه ، فقبيحٌ بمثلِكِ أن ترجع بغير صَدَاق! فرجعت ، فلمّا رآها مسيلمة أغلق الحِصْنَ ، وقال : ما لك ؟ قالت : أصدقني صَدَاقاً ، قال : من مؤذِّنك ؟ قالت : شَبَث بن ربْعي الرِّيَاحي ، قال : عليّ به ، فجاء فقال : نادِ في أصحابك أنَّ مسيلمة بن حبيب رسولُ الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا أتاكم به محمَّد ، صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر »[٣] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٢ ، السَّهَف : شدة العطش ، وسَهَفَ القتيل : اضطرب ، وسَهَفَ الدُّبُ : صاح ، دفّ الطير : حَرّك جناحيه ، والدَّفيف : الدبيب والسَّير اللَّين ، صَرَمَهُ صَرْماً : قطعَهُ بائناً ، والصَّريمة : العزيمة .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٤ .

وبعد ذلك انقَضَّت عليهم جيوش خالد بن الوليد ، وفرَّت سجاح إلى أخوالها في بني تغلب ، ثم أسلمت سجاح وحَسُنَ إسلامها ، وتوفيت في عصر معاوية بن أبي سفيان (٥٥هـ)[١] .

ومن يقرأ خبر رِدَّة سَجَاح ، يتعجَّب من أن هذه المرأة استطاعت أن تقود جيوشاً جرّارة لتتحدى سلطان المسلمين وخليفتهم ، وهي نصرانية لا زكاة عليها ولا صلاة ، ثم تحالفت مع المرتدِّ مسيلمة لضرب المسلمين ، ولكنَّ سلطانها القوي يختفي ويتلاشى أمام مسيلمة الذي استغلها لتحقيق مصالحه بالتوسع وحرب المسلمين ، إشارات استفهام كثيرة تطرح نفسها ، ما السبب الحقيقي لرِدَّة سجاح ، يطرحُ الباحثُ الأستاذ عبد القادر فياض حرفوش أسباباً عديدة وراء ردَّة سجاح[٢] : « ربَّما كان وراءها من يدفعها من أخوالها بني تغلب الذين يعتنقون النصرانية خوفاً من ظهور الدين الجديد في جزيرة العرب ، وامتداده ، فقد يمسُّ وجودهم ودينهم ، وربَّما خطَّطَ لها البيزنطيون وبعضٌ من أخوالها من قادة تغلب ، وذلك لانتمائها لتميم واتصالها بتغلب ، وذلك لخشية البيزنطيين من دولة الإسلام » .

ونجد طرح الأستاذ عبد القادر فياض حرفوش منطقياً ، فربما كانت الدوافع السياسية هي السبب الحقيقي وراء رِدَّتِها وغزوها ، والله أعلم .

هذا فيما يتعلَّق بالرِّدَّة الجماعيَّة أيام الرّسول ﷺ ، وقد لاحَظْنَا أنَّ الحدث التاريخي مُتَداخِلٌ بشكل واضح من حيث التقسيم ، فهذه الرِّداتُ قد بدأت في حياةِ الرسول ﷺ وواحِدَةٌ منها فقط انتهت في حياته وهي رِدَّةُ الأسود العنسي ، أما رِدَّة طُليحة ومسيلمة ، فقد بدأتا في حياته ﷺ وقُضِيَ عليهما في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وقد اتسعت هاتان الحركتان بعد وفاة الرَّسول ﷺ ، فانضمَّت إليهما قبائلُ أخرى ، وحَدَثت أثناءهما حَرَكَاتٌ أخرى سنشير إليها ضِمْنَ

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦ .

(٢) انظر أنبياء بلا نبوة ١٢٧ ، وفصيحات العرب وبليغاتهم ١٣٦ .

الرِّدَّة في عَهْدِ أبي بَكْر ، وقد حاولنا أن يكون حديثنا عنها مختصراً مفيداً ، يمكن أن يطلع القارىء على تسلسل الأحداث وأهمِّ من شاركوا فيها دون أن نخوض كثيراً في تفاصيل تاريخيَّة قد تفيد البحث ولكنَّها تحوّله عن موضوعه الأساسي : شعراء الرِّدَّة .

٢) الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

اضطربت أحوال العرب بعد وفاةِ الرسول ﷺ ونجَمَ نفاقُ من أسلموا كُرهاً ، وانساق وراءهم من أسلموا جهلاً وتقليداً ، فارتدَّت قبائل عديدة ، وثبتت قبائل أخرى ، ونَهَضَ الصِّدِّيق رضي الله عنه بقوَّة وحزم لمواجهةِ الموقف الخطير ، فعزَمَ على قتال من ارتدّوا حتى يعودوا إلى جادة الصواب كي تترسخ أركان الدولة الإسلامية .

أمَّا ما قيل عن رِدَّة العرب جميعاً فهو كلام ليس دقيقاً ، فلم تذكر أيٌّ من المصادر أن مكَّة والمدينة والطائف كانت من المدن التي ارتدَّت ، وكذلك لم يُذْكَر أن قبيلتي قريش وثقيف قد ارتدَّتا ، وفي الأخبار « أن الهِيَاجَ عَمَّ أهل مكَّة عندما بلغتهم وفاة الرسول ﷺ فقام فيهم سُهَيْل بنُ عَمْرٍ خطيباً ، فقال : أيُّها الناس ، إن يكن محمَّدٌ قد مات فالله حيٌّ لم يَمُتْ ، وقد علمتم أنِّي أكثركم قَتَباً في بَرٍّ وجاريةً في بحرٍ ، فأقِرُّوا أميركم ، وأنا ضامنٌ لكم إن لم يتمَّ الأمرُ أن أردَّها عليكم ، فسكن الناس »(١) .

فالرِّدَّة لم تكن عامة ، وقد لاحظنا أن القبائل التي ذكرناها لم ترتد جميعاً ، وإنَّما بقي فيها أشخاصٌ أو ربما فروع صادقة ومخلصة للإسلام ، وكان تَغَلُّبَ المسلمين على الرِّدَّة أحياناً بفضل هؤلاء أو عن طريقهم . ففي بني حنيفة هرب ثُمَامَةُ بن أَثَال مع جماعةٍ مسلمين ، واستطاع عَدِيُّ بن حاتم الطائي أن يفاوض

---

(١) هو أبو زيد سُهيلُ بنُ عمرو بنُ عَبْدِ شَمْس ، خطيب قريش ، وهو الذي تولّى أمْرَ الصلح بالحُدَيبية ، وكان من المؤلّفة قلوبهم ، أعطاه الرسول ﷺ مائة من الإبل ، مات بالطاعون سنة ثماني عشرة ، وقد كان خطيباً مفوّهاً ، قام في خطبة قبل إسلامه فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرسول ﷺ : يا رسول الله ، انزع ثِنِيَّتَيْهِ السُّفْلِيَّتين حتى يَدْلَعَ لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان أعلم من شفته العليا ، فقال ﷺ : « لا أُمَثِّلُ فيُمَثِّلَ الله بي وإن كنتُ نبياً ، دعْهُ يا عمر ، فعسى أن يقوم مقاماً تحمدُه » . البيان والتبيين ١/٥٨ . القتب : إكاف البعير وهو رحل صغير على قدر السنام .

بعض أحياء طيىء فأعادهم إلى جادة الصواب وضَمَّهُم إلى جيش المسلمين ، وفي اليمن ثَبَتَ قيس بن المكشوح وبعض الأبناء في أثناء ردَّة الأسود العنسي . . .

وكنا قد أوجزنا رِدَّة الأسود العنسي التي قضي عليها في حياة الرسول ﷺ ، ورِدَّة بني حنيفة ، وردة طليحة بن خويلد الأسدي التي انساق وراءها عدد من القبائل ولهذا سنتحدث عن حركة الرِّدَّة التي بدأت في عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه والتي انتشرت منذ اللحظة التي أُعْلِنَ فيها خبرُ وفاة الرسول ﷺ .

١ ـ رِدَّة بني تميم :

أمسكَ بعضُ عُمَّال الصدقة في تلك القبيلة ما في أيديهم من صدقات عندما جاءهم خبر وفاة الرسول ﷺ أمثال مَالِكِ بنِ نُوَيْرَة ، وَوَكِيْع بنُ مَالِك ، وفي هذه الأثناء أقبلت سَجَاح وكانت عند أخوالها في بني تغلب وقد تنبأت وتركت التنصُّر ، فراسلت مالك بن نويرة فوادعها ، واجتمع مالك ووكيع وسَجَاح على قتال الناس(١) .

٢ ـ رِدَّة البحرين :

وكان سببها أنَّ نفراً من بكر بن وائل كانوا يعادون قبائل عبد القيس ، وعَبْدِ القيس يومئذ متمسكة بدين الإسلام ، وجعل هؤلاء الذين ارتدُّوا من بكر بن وائل يقول بعضهم لبعض : تعالوا حتى نردَّ الملك في دار النعمان بن المنذر فإنَّه أحقُّ بهذا الأمر من ابنِ أبي قُحافة ، وقد فاءت عبد القيس عن طريق الجارود بن المُعلَّى ، وبقيت بَكْرٌ على رِدَّتها ، وارتدَّت ربيعة بالبحرين إلا الجارود وقومه ، أما الحُطَمُ بن ضُبَيْعَة فقد اتبعه من بكر بن وائل ومن ارتدَّ ، فقاتلهم العلاء بن الحضرمي(٢) .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٧١ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٠١ . النّجد : ما بين الحجاز إلى الشام إلى العُذيب ، فالطائف والمدينة واليمامة والبحرين وعمان والعروض كلها من نجد (الروض المعطار ٥٧٣) .

٣ـ رِدَّة عُمَان[1] :

وقد ظهر في عمان ذو التّاج لَقِيْطُ بن مالك الأزدي وادّعى النبوّة وغَلَبَ على عُمَان ، فألجأ عمّال المسلمين إلى الأجبال والبحر ، فأرسل إليهم أبو بكر الصِّدِّيق حُذَيفة بن محصن الغَلْفاني ، وعَرْفَجَةُ البارقي ، ثم أمدَّهم بعكرمة بن أبي جهل ، فاقتتلوا بدَبَا وانتصر المسلمون .

وسار عكرمة نحو مَهْرَة بالنّجد ، وفيها رجلان أحدُهما يُدعى شِخْرِيْت ، والآخر يُدْعَى المُصَبِّح ، وقد انقسم الناس بينهما وانقادوا وراءهما وكلٌّ واحدٍ منهم طامعٌ بالسيادة ، فبدأ عكرمة بشِخْرِيت ودعاهُ إلى الرجوع إلى الإسلام فأجابه وانضمَّ إليه ، فقاتلوا المُصَبِّحْ فهزموه بالنَّجْدِ .

٤ـ رِدَّة اليمن مرَّةً ثانية[2] :

لمَّا وردهم خبر وفاة الرسول ﷺ انتقضت اليمن مرة ثانية ، وكانت قد تذبذبت خيولُ العَنْسيّ لا تأوي إلى أحدٍ ولا يأوي إليها أحدٌ ، وفي تِهامة تجمعت جُمَّاعٌ من مُدْلِج وشذّاذ من خزاعة وأفناء كنانة ، عليهم جُنْدُبُ بن سلمى أحد بني شَنُوق من بني مُدْلِج ، فهزَمَهُ عتّابُ بن أسيد ، وسار عثمان بن أبي العاص إلى شنوءة وبها جُمَّاع من الأزد وبَجِيلة وخَثْعَم ، عليهم حُمَيضة بن النعمان ، وعلى أهل الطَّائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوا بشنوءة فهزموا تلك الجُمَّاع .

وقد سار الطَّاهِرُ بنُ أبي هالة إلى تِهامة وفيها عَكٌّ والأشعرون ، وهم أوَّلُ مُنْتَقِضٍ بعد وفاة النبي ﷺ بتِهامة ، وقد تجمَّعَ إليهم متفرِّقونَ من هُنَا وهناك ، فأقاموا على طَريقِ السَّاحل من دون رئيسٍ ، فحاربَهُمُ الطَّاهِرُ وقضى عليهم أمَّا رِدَّةُ

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣١٤ـ٣١٥ . دَبَا : سوق من أسواق العرب بعمان (معجم البلدان) .

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣١٩ـ٣٢٠ . مَهْرَة : من بلاد اليمن ، وفيها قبر هود عليه السلام (الروض المعطار ٥٦١) .

تهامة : أرض تهامة قطعة من اليمن وهي جبال مشتبكة أولها في البحر القلزمي ، وطول أرض تهامة من الشَرجة إلى عدن على الساحل اثنتا عشرة مرحلة (الروض المعطار ١٤١) .

اليمن الثانية[1] فقد كانت على يد قيس ابن المكشوح[2] الذي قَرَّرَ طَرْدَ الأبناءِ من اليمن ، فهم دُخَلاءُ وغُرَباء ، لذا فقد بدأ يجمع المُناصرين لهذه العصبية ، وآزرتْهُ فلولٌ من خيول الأسود وعوامِ بعضِ القبائلِ فحاربته جيوش أبي بكر ، وأَسِرَ ثم ثاب إلى رشدهِ وعاد إلى الإسلام .

٥ـ رِدَّة أهل حضرموت من كندة وغيرهم[3] :

بدأت الشرارة الأولى لهذه الرِّدَّة في أثناء قيام زياد بن لبيد البياضي بجمع الصَّدقات ، وذلك أنَّه أخذ ناقَةَ أحدِهم ووسمها بميسم الصَّدقة ، فاعترض الرجل وطلبَ منه إعادتها وأخذ غيرها ، فرفض زيادٌ ، فتصايح الرجلان وغضبت كُلُّ قبيلةٍ لابنها ، ونشبت المعارك بين المسلمين وبين هؤلاء الذين صمَّموا على منع الصَّدَقة .

وقَبْلَ ذلك كان الأشعثُ بن قيس قد عَزَمَ على الرِّدَّة وجمع حوله بعضَ قبائل كندة ، فقاتل المسلمين بقيادة زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أميَّة حتى كانت هزيمته عند حِصْنِ النُّجَيْر .

وفي تلك الأثناء تَجَمَّع بنو عمرو بن معاوية من قبائل كندة إلى محاجِرِ الملوك الأربعة[4] الذين جمعوا حولهم أيضاً أقواماً من السَّكاسِكِ والسَّكون وشُذَّاذاً من حضرموت ، فهاجمهم زياد بن لبيد والمسلمون فهزموهم ، وقد طابقت معاويةُ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٢٣ وبعد . شَنُوءَة : مخلاف باليمن ، بينها وبين صنعاء اثنان وأربعون فرسخاً ، تنسب إليها قبائل من الأزد يُقال لهم أزد شنوءة .

(٢) هو قيسُ بن هبيرة بن عبد يغوث بن الغُزَيِّل بن سَلَمَة بن بَدَّا بن عامر ـ بنُ مُرَاد ، فارِسُ بني مَذْحِجْ ، ويُكَنَّى بأبي حَسَّان ، وسُمِّيَ أبوه (بالمكشُوح) ، لأنَّه اكتوى فَبَرِص ، وقيل لأَنَّهُ كُوِيَ على كَشحِهِ ، أسهمَ في قتل الأسودِ العنسيِّ ، ثم انتفَضَ على الدولة المسلمة ، وخاض حَرْباً كبيرةً سببها العصبيَّة القبليَّة والحقدُ على الأبناء والرَّغبةُ في انتزاع السِّيادَةِ منهم وطردهم من اليمن ، انظر : مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ١٢٥ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٨٣ـ٤٨٤ ، نسب معد واليمن الكبير ٣٣٥ ، الاشتقاق ٤١٤ ، نسب ابن سلاّم ٣٢٥ ، الطبقات الكبرى ٦/ ٢٦٣ ، المنتظم ٤/ ١٨ـ١٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٤ـ٣٣٥ وبعد . النُّجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع (معجم البلدان) .

(٤) سبقت ترجمتهم ص٣٥ .

كُلَّها على منع الصَّدقة عدا شُرَحبيل بن السَّمطِ وابنه .

وقد تحدَّثنا عن اتِّساع الرِّدَّة التي قادها طليحة بن خويلد الأسدي وذلك بانضمام كثيرٍ من رؤساء القبائل إليه ، فقد ارتدَّت غَطَفَان وكان عليها عُيَيْنَة بن حِصْنٍ الفَزَارِي ، وثبت على الإسلام قلّة من أفرادها .

أما قرَّة بن هُبَيْرَة القشيري وقومهُ من بني عامر ، فقد أقبلوا من بعدِ إعراض ودخلوا في الإسلام من بعد تربُّصٍ فبايعَهُم الصِّدِّيق رضي الله عنه على ما بايع عليه أهلَ البُزَاخة ، وأوثق قرَّة بن هبيرة القشيري الذي أمسك الصَّدَقات ، ثم عفا عنه وأطلَقَهُ[1] .

وفي هذه الأثناء اجتمعت الفُلول المنهزمة من غَطَفَان إلى ظَفَر وفيها امرأةٌ تُدعى أمُّ زِمْلٍ وهي أمُّ زِمْل سَلْمى بنةُ مَالِك بنُ حُذَيفةَ بنُ بَدَر ، أُمُّها قِرْفة بنتُ رَبيعة بنُ فُلان بنُ بَدْرٍ ، وكانت أمُّ قِرْفَة عندَ مالكِ بنِ حُذَيْفَة ، فولدت له قرفة ، وحَكَمَة ، وجُرَاشة ، وزِمْلاً ، وحُصَيناً ، وشَرِيكاً ، وعَبْداً ، وزُفَر ، ومعاوِيَة ، وحَمَلَة ، وقَيْساً ، ولأْيَاً .

فأما حَكَمَة فإنه قتل يوم أغار عُيينة بن حِصْن على سَرْح المدينة ، قتله أبو قتادة بأمر رسول الله ﷺ .

كانت سلمى قد سُبِيَتْ أيَّام أمِّ قِرْفة ، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها ، ثم رجعت إلى قومها ، وقد كان النبي ﷺ دَخَلَ عليهنَّ يوماً ، فقال : إنَّ إحداكُنَّ تَسْتَنْبِحُ كلابَ الحوأب[2] ، ففعلت سلمى ذلك حين ارتدَّت ، وطلبت بذلك الثأر .

وقد ظهر دور سلمى بشكل غريب ومفاجىء في أحداث الرِّدَّة ، وذلك في أثناء رِدَّة طُلَيْحَةُ بنُ خُويلد ، فقد اجتمعت إليها فلول المُرتدين المُنهزمين يوم بُزَاخة من أصحاب طُليحة من غَطَفَان ، فنزلوا إليها ، فقادتهم ووجهتهم لحرب خالد بن

---

(١) تاريخ الطبري ٢٤٤-٢٥٣ . وبعد وانظر تراجم هؤلاء مع الشعراء .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٣-٢٦٤ ، وانظر البداية والنهاية ٩/ ٤٥٦ ، معجم البلدان (حوأب) .

الوليد ، حتى اجتمعوا إليها ، وتشجَّعوا على ذلك ، والتجأَ إليها الشُّرَداء من كل جانب ، فَسَيَّرت ما بين ظَفَر والحوأب[1] لتجمع الناس إليها ، فتجمع إليها المنهزمون والمُضَيَّق عليهم من تلك الأحياء من غَطفان وهوازن وسُلَيم وأسد وطيىء ، فلما بلغ ذلك خالداً ـ وهو فيما هو فيه من أخذِ الصَّدقة ودعاء الناس وتسكينهم ـ سار إلى المرأة وقد استكثف أمرُها ، وغلُظَ شأنها ، فنَزَل عليها وعلى جُمَّاعِهَا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وهي واقفة على جَمَلِ أُمِّها ، وفي مثل عِزِّها ، وكان يُقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزِّها ، واحتَدَم القتال حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها ، وقُتِل حول جملها مائة ، وبعث خالد بالفتح[2] .

ونتساءل : ما الدَّوافع التي جعلت هذه المرأة تقود هذه الجموع لضرب الإسلام في أشدِّ الأوقات خطورة للدولة الإسلامية ، فقد استقطبت فلول المرتدين الحاقدين وجمعتهم حولها فاستطار أمرها وشكّلت خطراً حقيقياً دون أن تدّعي أنها نبيّة ، إذ استغلت جهل أولئك الرِّعَاع وقابليتهم للانصياع تحت إمرتها أو تحت أي قيادة تسعى لضرب المسلمين ، لاسيما أن خطط ارتدادهم أُحْبِطَت فذلوا وانصاعوا لدفع الزكاة وتطبيق التشريع الإسلامي ، لذا آثروا الهرب والانضمام إلى أي حركة حاقدة أخرى .

وكانت هذه المرأة فتنة على المسلمين ، وقد ألمح الرسول ﷺ إلى سوء منقلبها ، فصدق رسول الله ﷺ فيما قاله فيها .

---

(١) الحَوْأب : موضع في طريق البصرة ، وهو من مياه العرب ، وهو من مياه أبي بكر بن كلاب ، والحوأب في أخبار الرِّدَّة : مخلاف بالطائف . (معجم البلدان) .

ـ ظفر : اسم موضع قرب الحوأب في طريق البصرة إلى المدينة (معجم البلدان) .

(٢) وَرَدَ في معجم البلدان : (أن الحوأب موضع إلى جنب الشُّميط بين المدينة والشام من ديار فزارة ، وهناك قتلت أُمُّ قِرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت تُؤَلِّبُ على رسول الله ﷺ وكان لها اثنا عَشَرَ وَلَداً قد رَأسَ ، وكانت يوم بُزَاخَة تُؤَلِّب الناس واجتمع إليها فُلاّل طليحةَ ، فقتلها خالد وبعث رأسها إلى أبي بكر فعلَّقه فهو أوَّل رأس عُلِّق في الإسلام (معجم البلدان : ظَفَر) .

إلا أن محاولتها باءت بالإخفاق فلم تستطع مع فلول المرتدين أن تقوم بشيء ؛ فسرعان ما جابهها خالد بن الوليد رضي الله عنه ، بضربةٍ قاصمة ، أعزَّت المسلمين .

ونذكرُ أيضاً رِدَّة الفُجَاءَةِ بن عبدِ ياليلَ ، وقد خَدَع أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فطلبَ منه سلاحاً ليعينه على قتال المرتدين ، ثم بدأ بقتال المسلمين ، فأمسك به الصِّدِّيق وعاقبه بأن رمى به في النار(١) .

أمّا بنو سُلَيم فقد ارتدَّ بعضهم وثبتَ آخرون مع معنٍ بن حاجز .

(١) انظر ترجمته مع الشعراء ص١٢١ .

الفصل الثاني
شعراء الرِّدَّة

١ ـ في عهد الرَّسول ﷺ .
٢ ـ في عهد الرّاشدين .

١ـ شعراء الرِّدَّة في عهد الرَّسول ﷺ

* شعراء الرِّدَّة الفردية :

ـ أبو بكر بن شَعُوب الليثي .

ـ عَصْمَاءُ بنتُ مروان .

ـ أبو عَفَكْ بنُ عمرو بن عوف بن عُبَيدة .

ـ مِقْيَسُ بنُ صُبَابة الكناني .

* شعراء الرِّدَّة الجماعية :

ـ جُنْدُبُ بن سُلمى المُدْلِجِي الشَّنُوفي .

ـ طُلَيْحَةَ بنُ خُوَيْلد الأسدي .

ـ أم طُلَيْحَة الأسديَّة .

ـ علي بنُ هوذَة الحنفي .

ـ عمرو بن سَمُرة الحنفي .

ـ مُحَكَّمُ بنُ الطُفَيْل الحَنفِي .

ـ مُسَيْلِمَة الكَذَّاب .

ـ عدد من الشعراء المجهولين أنشدوا شعراً دون أن يعرفوا وعددهم أربعةُ شعراء :

ثلاثة رجالٍ وامرأة .

فصلنا بين المرتدين ردَّة فردية ، وبين المرتدين ردَّة جماعية ، ورتبنا تراجم كل قسم بحسب الترتيب الهجائي .

شعراء الرِّدَّة في عهد الرسول ﷺ

شعراء الرِّدَّة الفردية

أبو بكر بن شَعُوب اللَّيثي

شَدَّاد بن الأسود بن عبد شمس بن مالك بن جَعْوَنة بن عُوَيرة بن شِجْع ، واشتهر بأبي بكر بن شَعُوب اللَّيثي ، وشَعوب هي أمُّه ، وهو من بني شِجْع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة[1] .

تذكر المصادر أنَّه أسلم ثم ارتدَّ ، وله أبيات شهيرة في رثاء قتلى بدر من المشركين منها[2] :

تُحَيَّى بالسَّلامةِ أُمُّ بَكْرٍ ... وهل لي بعدَ قومي مِنْ سَلامِ[3]

يُخَبِّرنا الرَّسولُ لَسَوف نحيا ... وكيفَ لقاءُ أصداءٍ وهامِ

ولم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات أخرى عن حياته وأخباره ووفاته .

---

(١) جمهرة أنساب العرب ١٨٢ . أنساب الأشراف ١/ ٣٥٩ ، الإصابة ٧/ ٣٨ .

(٢) السيرة النبوية ٣/ ٢٩ ، الإصابة ٧/ ٣٩ .

(٣) السيرة النبوية ٣/ ٢٩ .

عَصْمَاءُ بنتُ مَرْوان

هي عَصْمَاءُ بنتُ مروان من بني أُمَيَّةَ بن زيد لم تسعفنا المصادر بمزيد من المعلومات عن حياتها أو تاريخ ولادتها .

أسلمت ولكنّها أَظهرت النِّفاق ، وأنشدت أبياتاً تَعيب الإسلام وأهله[١] : [من المتقارب]

باسْتِ بني مالكٍ والنَّبيتِ ... وعَوْفٍ وباستِ بني الخَزْرَجِ
أطعتُم أتاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ ... فلا مِنْ مُرَادٍ ولا مَذْحِجِ

فأجابها حَسَّان بنُ ثابت[٢] : [من المتقارب]

بنو وائلٍ وبَنُو وَاقِفٍ ... وخَطْمَةُ دُون بني الخَزْرَجِ
متى ما دَعَت سَفَهاً ويْحَهَا ... بعَوْلَتِها والمنايا تَجِي
فَهَزَّت فتىً ماجِداً عِرْقُهُ ... كريمَ المداخِلِ والمَخْرَجِ

وبعد أنْ سمع الرسول ﷺ شعرها قال : ألا آخِذٌ لي من ابنة مروان ؟ فسمعَ ذلك عُمَير بن عَديٍّ الخَطْمي وهو عِنْدَهُ ، فما أمسى في تلك الليلة حتى سَرَى عليها في بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، إني قد قَتَلْتُها ، فقال : نَصَرْتَ الله ورسولَهُ يا عُمَيْر ، فقال : هل علي شيء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : « لا يَنْتَطِحُ فيها عنزان »[٣] .

وكان مقتلها قبل الفتح .

---

(١) الخبر والأبيات في سيرة ابن هشام ٤/٦٣٦ـ٦٣٧ ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، طبعة لبنان .

(٢) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د . وليد عرفات ١/ ٤٤٩ .

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ٤/ ٦٣٤ .

أبو عَفَك

هو أبو عَفَك أحد بني عَمْرو بن عوفٍ ثم من بني عُبَيْدة لم تسعفنا المصادر بمعلومات وافية عن حياته أو تاريخ ولادته . وكان قد نَجَمَ نفاقهُ ، حين أمر رسول الله ﷺ بقتل الحارث بن سُوَيد بن الصامت الأنصاري[1] ، فقال يحرِّضُ على الإسلام وأهله[2] : [من المتقارب]

لقد عِشْتُ دَهْراً وما إن أرى ... من النّاس داراً ولا مَجْمَعَا
أَبَرَّ عهوداً وأوفى لِمَنْ ... يُعاقِدُ فيهِمْ إذا ما دعا
مِنَ أولادِ قَيْلَةَ في جَمْعِهِمْ ... يَهُدُّ الجِبَالَ ولم يَخْضَعَا

فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ لي بهذا الخبيث »[3] ، فخرج سالم بن عُمير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقتله ، وكان ذلك قبل الفتح .

فقالت أُمامة المُزَيْرِيَّةَ في ذلك[4] :

تُكَذِّبُ دينَ اللهِ والمَرْءَ أَحْمَدَا ... لَعَمْرُ الذي أَمْناكَ[5] أن بئسَ ما يُمْني
حَبَاكَ حَنِيفٌ[6] آخِرَ اللَّيْلِ طَعنَةً ... أبا عَفَكٍ خُذها على كِبَرِ السِّنِّ

---

(١) الحارث بن سُوَيد بن صامت الأنصاري ، أحد المنافقين ، أسلم ثم خرج يوم أحد يُقاتل مع المسلمين ، فلمّا التقى الناس ، عدا على قاتل أبيه (المُجَذَّر بن زياد البَلَويّ) فقتله ، فأمَرَ الرسول ﷺ بقتله ، انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٨٩ .

(٢) الخبر والأبيات في سيرة ابن هشام ٤/ ٦٣٥-٦٣٦ .

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٦٣٦ .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٦٣٦ .

(٥) أمناك : مدَّ في أمنيتك .

(٦) حنيف : مسلم .

مِقْيَسُ بنُ صُبَابَةَ الكِنَانِيُّ

مِقْيَسُ بنُ صُبَابَةَ الكِنَانِيُّ ، و(صُبَابَةُ أُمُّهُ) بنتُ مِقْيَس بنِ قَيْسٍ بنِ عَدِيٍّ بنِ سَهْم بنِ عمرو بن حُصَيْص[١] .

وأبوه حَزْنُ بنُ سَيَّارَ بن عَبْدِ الله بنِ عُبَيد كَلْب بنِ عَوْف بنِ كَعْب بنِ عَامِر بنِ لَيْثِ بنِ بَكْر بنِ عَبْدِ مَنَاة بنِ كِنَانَة ، وعِدادُهُ في قُرَيْش في بني سَهْم ، وكان مع أخوالِهِ بني سَهْم ، ثم رأى منهم بعضَ ما يَكْرَهُ فخرجَ عنهم ، وقال : [من الكامل]

ودّعــتَ سهمــاً غيــر راجــعٍ رَحْلِهَــا أبـــداً وإنْ أفِقَـــتْ بكـــلِّ أَفِيـــقِ[٢]

وُلِدَ في الجاهليّة ، ولم تذكر الرّوايات تاريخ ولادته ، وأدرَكَ الإسلامَ فأسلم سنة (٦هـ) ثم ارتدَّ ، وفي الخبر : (قَدِمَ مِقْيَسُ بنُ صُبَابَة من مكّة مسلماً ، فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطلب ديَّةَ أخي ، قُتِلَ خطأً ، فأمرَ له رسول الله ﷺ بديّةِ أخيه هشام بن صُبَابَة)[٣] .

وكان رجلٌ من الأنصار قتلَ هشام بن صُبَابَة خطأً ، في غزوة المُرَيْسِيْع ، وهو يحسِبه مشركاً[٤] . ثم أقام مِقْيَسُ بنُ صُبَابَة عند رسول الله ﷺ غيرَ كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتلَهُ ، ثم خَرَجَ إلى مكَّة مرتدًّا[٥] ، وقال في ذلك[٦] : [من الطويل]

---

(١) ترجمتُهُ في السيرة النبوية ٣/ ٢٩٣ـ٢٩٤ ، البداية والنهاية ٤/ ١٥٦ـ٢٩٩ ، معجم الشعراء والمرزُباني ٤٣٤ ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، الحماسة الشجرية ١/ ١٥٢ـ١٥٣ ، وورد اسمه (مِقْيَس بن صُبَابة) .

(٢) معجم الشعراء ٤٣٤ ، الحماسة الشجرية ١/ ١٥٢ـ١٥٣ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٩٣ ، تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٩ .

(٤) أنساب الأشراف ١/ ٣٥٨ . المُرَيسِيع : ماء في ناحية قُدَيد إلى الساحل ، وكانت هذه الغزوة سنة (٥هـ) بين المسلمين وبني المصطلق من خزاعة (معجم البلدان) .

(٥) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٩٣ ، تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٩ .

(٦) البيتان في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٩٣ .

شَفى النَّفسَ أنْ قَدْ مات بالقَاعِ[1] مُسْنَداً تُضَـرِّجُ ثَـوْبَيْـه دِمـاءُ الأَخَـادِعِ[2]
ثـأرْتُ بـه فِهْـراً وحَمَّلْـتُ عَقْلَـهُ[3] سَـرَاةُ بنـي النَّجَّـارِ أرْبـاب فـارِعِ[4]

وقد قُتِلَ مِقْيَسُ بنُ صُبَابَة عام الفتح (٨هـ) قَتَلَهُ رجلٌ يُدْعَى نُمَيْلَة بن عبد الله الكِنَانيْ ، وفي الخبر : (أَمرَ رسولُ الله ﷺ بقتلِه مَنْ لَقِيَهُ ، فلمَّا كانَ يوم الفَتْحِ خرجَ مُدَجَّجاً وهو يقول : [من الكامل]

دُوْنَ دُخُـوْلِ مُحَمَّـدٍ أَتَـاهـا ضَـرْبٌ كَـأَفْـوَاهِ المَـزَادِ أراهـا[5]

وكان قد اصطبح ذلك اليوم في أصحاب له ، فعادَ حين انهزمَ الناسُ فَشَرِبَ ، وعَرفَ نميلةُ بنُ عبدِ الله الكِنَانيّ موضِعَهُ ، فدعَاهُ فَخَرَجَ إليه ثملاً ، وهو يقول مُتَمَثِّلاً[6] : [من الوافر]

دَعِينـي أَصْطَبِـحُ يـا بَكْـرُ إِنِّـي رَأَيْـتُ المـوتَ نَقَّـبَ عـن هِشَـامِ
ونَقَّـبَ عـن أبيـكَ أبـي يَـزِيْـدٍ أَخِـيْ القَيْنَـاتِ والشُّـرْبِ الكِـرَام

فلم يزل نُميلة يضربُهُ بالسَّيف حتى قَتَلَه ، فقال شاعرهم[7] : [من الطويل]

لعَمْـري لقـد أخـزى نميلـةُ رهْطَـهُ وفَجَّـعَ أضيـافَ الشِّتَـاءِ بمِقْيَـسِ
فللّـه عينـاً مـن رأى مثـلَ مِقْيَـسٍ إذا النفسَـاءُ أصبحـت لـم تُخَـرَّسِ[8]

ويُروى أنَّ مِقْيَس بن صُبابة كان قد حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية ،

---

(١) القاع : المنخفض من الأرض .
(٢) الأخادع : عروق القفا .
(٣) العقْل : الديّة .
(٤) فَارِعْ : حصن بني النّجار .
(٥) هذا البيت في أنساب الأشراف ١/ ٣٥٩ . والقصيدة لأبي بكر بن شعوب الليثي ، وقد تمثلها مِقْيَس وأنشدها في هذا الموقف .
(٦) البيتان في أنساب الأشراف ١/ ٣٥٨ .
(٧) الخبر والأبيات في الحماسة الشجرية ١/ ٣٥٨-٣٥٩ ، والأبيات في سيرة ابن هشام ٣/ ٤١٠ ، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٦٠ .
(٨) لم تُخرَّس : لم يُصنع لها طعامها .

ويقول في هذا[1] : [من الوافر]

رأيــــتُ الخمـــرَ طيِّبَـــةً وفيهـــا خِصَـــالٌ كُلُّهـــا دَنِـــسٌ ذَمِيْـــمُ
فـــلا واللهِ أشـــربهـــا حيـــاتـــي طَـــوالَ الـــدَّهـــر مـــا طَلَـــعَ النُّجُـــومُ

(١) الأبيات في معجم الشعراء للمرزباني ٤٣٤ـ٤٣٥ .

شعراء الرِّدَّة الجماعية

جُنْدُبُ بنُ سُلْمَى المُدْلجي الشَّنُوْقي

من بني شَنُوق من مُدْلِج[1] ، أحد قادة المرتدّين في اليمن ، وهم الذين اتَّبعوا الأسود العنسي وساندوا قيس بن هبيرة[2] ، الذي عَزَمَ على طرد الأبناء من اليمن ، ويُذكر أن عتَّاب بنُ أُسيد[3] بعث لقتالهم خالد بن أُسيد فهزمهم وانتصر عليهم ، وتجمعت جُمَّاعٌ من بني مُدْلج في تهامة ، ومعهم أخلاطٌ من قبائل أخرى ، وأفناء كنانة يقودهم جندبُ بن سُلمى ، فأوقع المسلمون بهم مقتلةً عظيمة ، وأفلت جندب وهرب ، ومات بعد سنة (١١هـ)[4] .

ومن شعره : [من الطويل]

نـدمـتُ وأيقنـتُ الغـداةَ بـأنَّنـي أتيتُ التي يبقى على المرءِ عارها
شهـدتُ بـأنَّ الله لا شَـيء غيـرهُ بنـي مُـدْلـجٍ فـالله ربّـي وجـارهـا

ولم تسعفنا المصادر بمزيد من المعلومات عنه .

---

(١) ترجمته في تاريخ الطبري ٣/ ٣١٩ ، شعر الدَّعوة الإسلامية ص٨٨ .
وقد ورد اسمه مضبوطاً بالضم (سُلمى) والعرب لم تضُمَّ سُلْمى إلا في اسم الشاعر زهير ابن أبي سُلمى والسائد فتحها .

(٢) مُدْلِج : اسم قبيلة في اليمن .

(٣) قيس بن هُبَيْرة ، انظر ترجمته ص١٢٣ من هذا الكتاب .

(٤) انظر الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٣١٩ .

طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِد الأَسَدِيّ

هو طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِد بنِ نَوْفَلِ بنِ نَضْلَةَ بنِ الأَشْتَرِ بنِ حَجْوان بنِ فَقْعَس الأَسَدِيّ الفَقْعَسِيّ[1] .

يُلَقَّبُ بطُلَيْحَةَ الكذَّاب لادِّعائه النبوَّة ، وهو شاعر فصيح وشجاع يُعَدُّ من أشجع العرب وكان يعدِلُ ألفَ فارس بشجاعته .

أظهر ـ قبل إسلامه ـ الكثير من العداوة للمسلمين وللرسول ﷺ ، ففي عام (٤هـ) (كانت سريَّةُ أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسد إلى طُلَيْحَةَ الأسدي في المحرَّمِ من هذه السنة ، وسببها أنَّ طليحة بن خويلد وأخوه سَلَمَةَ بنُ خويلد ، قد جمعا خلقاً من بني أسد ليقصِدوا حرب النبي ﷺ ، فجاء رجلٌ منهم إلى النبي ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه ، فبعث الرسول ﷺ هذه السريَّة ، فلمَّا انتهَوا إلى أرضهم ، تفرَّقوا وتركوا نَعَماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، أخذها أبو سَلَمَة ، وأسَرَ منهم ثلاثة مماليك ، وأقبلَ راجعاً إلى المدينة ، ولم ينل طليحة مما فَعَلَ زعامةً ولا غنيمة)[2] .

كذلك نقرأ أنَّ طُلَيْحَة بنُ خُوَيْلِد على رأس بني أسد في غزوة الخندق عام (٥هـ) ، ولا يخفى على أحد تأثير اليهود في هذه الغزوة ، فقد حرَّضوا قريشاً على المسلمين ، فاستجاب طليحة لتحريضهم ، وخرج على رأس قومه وضمَّهم إلى الأحزاب التي حاصرت المدينة ، وباءت آمال طليحة مرة أخرى بالإخفاق فلم يحصل على غنيمة ولم يتبوَّأ زعامة قومه[3] .

---

(١) الإصابة ٣/ ٤٤٠ ، جمهرة النَّسَب ١٧٠ ، جمهرة أنساب ابن حزم ١٩٦ .
(٢) السيرة النبويَّة لابن هشام ٣/ ٢١٥ ، المنتظم ٣/ ١٩٧ ، المغازي ـ الواقدي ١/ ٣٤٠ ، البيهقي : دلائل النبوَّة ٣/ ٣١٩ .
(٣) السيرة النبويَّة لابن هشام ٢/ ٦٣٧ ، ٣/ ٢١٥ ، المنتظم ٣/ ١٩٧ ، المغازي ـ الواقدي ١/ ٣٤٠ ، دلائل النبوَّة ٣/ ٣١٩ .

* إسلامه :

أسلمَ عام الوفود مع وفد بني أسد عام (٩هـ) ، وفي الخبر[١] : « قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ وفيهم حضرميُّ بنُ عامر ، وضرار بن الأزور ، ووابصة بنُ معبد ، وقَتَادة بن القائف ، وسَلَمَةُ بنُ حُبَيْش ، وطُلَيْحةُ بن خُوَيلد ، ونُقَادة بن عبد الله بن خلف ، فقال حضرميُّ بن عامر : أتيناك نتدرّعُ الليل البهيمَ في سَنَة شهباء ، ولم تبعث إلينا بَعْثاً ، فنزلت الآية : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢] » .

وفي رواية أخرى : (قال متكلِّمهُم : (يا رسول الله ، إنَّا شهدْنا أنَّ الله وحدَهُ لا شريك له ، وأنَّك عبدُهُ ورسوله ، وجئنا يا رسول الله ولم تبعث إلينا بَعْثاً ، ونحن لمن وراءنا سِلْم . .)[٣] .

إنَّ في كلامهم نبرة تكَبُّرٍ مميَّزة ، فربما جاؤوا كغيرهم من القبائل التي أسلمت رهبةً أو طمعاً أو تقليداً للآخرين ، فثبت صدقهم أو كذبهم بعد حين .

* ردَّته :

لا رَيْبَ في أنَّ الدوافع السياسية والعصبية القبلية ، قد كانت السبب الأول والرئيس لرِدَّة طليحة ـ كما أسلفنا ـ فالدين الإسلامي السَمِحْ ، قد ألغى الأحلاف الجاهلية القديمة التي كانت سبب اندلاع حروب قبلية طاحنة ، أودت بحياة الكثيرين ، وأدت إلى العداوة مع القبائل الأخرى ، ومع أن تعاليم الإسلام الحنيفة قد انتشرت ، إلا أن تلك العصبيات ما زالت قابعة في النفوس المريضة التي لم يتمكَّن منها الإيمان ، فكانت كالنار تحت الرماد ، قد تشتعل في أية لحظة ، وها هو عيينة بن حصن يُفصح عمّا يعتلج في تلك العقول المريضة قائلاً : « ما أعرف حدود غَطَفَان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإني لمُجَدِّد الحلف الذي كان

---

(١) المنتظم ٣/ ٢٢٨ ، الإصابة ٣/ ٤٤٠ ، طبقات ابن سعد ٢/ ٥٠ ، ٣/ ٤٦٧ .
(٢) سورة الحجرات ـ آية رقم : ١٧ .
(٣) الطبقات الكبير ٦/ ١٥٥ ، الإصابة ٢/ ٢٣٨ ، الاستيعاب ٢/ ٢٣٤ .

بيننا ومتابع طليحة والله لأن نَتَّبعَ نَبيّاً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش ، وقد مات محمّد ، وبقي طُليحة فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا »[١] .

ونجد أن دور طيّىء في منازعة المسلمين في أثناء ردّة طليحة كان ضئيلاً جداً ، وسببُ ذلك قبليٌّ أيضاً ، فأسدٌ وغَطَفَان وطَيِّىء كانت قد تحالفت في الجاهلية ، غَوْثِها وجَدِيْلَتِهَا ، (فكَرِهَ ذلك عَوْف الجَذَمِيُّ ، (ذو الخمارين) ، فقطع ما بينه وبين غَطَفَان) وأعاد الحلف بين حَيَّي طيىء : الغَوْثُ والجَدِيْلة ، لذا التفَّ الحيَّان حوله في أثناء الرِّدَّة وأزروا المسلمين ، أما عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِي وقبيلته فقد آزروا طُليحة ليجددوا حلف أَسَدْ وغَطَفَان[٢] .

ومن المُرَجَّح أن رِدَّة طليحة كانت في حياة رسول الله ﷺ ، وفي الخبر : « لما انصرف النبي ﷺ إلى المدينة بعد ما قضى حِجَّة التمام ، فتحلَّل به السيرُ ، وطارت به الأخبار أنه قد اشتكى ، فوثب الأسود العنسي باليمن ومُسيلمة الحنفي في اليمامة ، وجاء الخبر عنهما للنبي ﷺ ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبي ﷺ ، ثم اشتكى في المحرّم وجعه الذي توفّاه الله فيه »[٣] .

وفي خبر آخر : « أرسل طليحة ابن أخيه (حبالاً) إلى النبي ﷺ يدعوه إلى الموادعة بعدَ أن عَسكَرَ ومن اتبعه من العوام بسَمِيراء ، فسأله النبي ﷺ عن علامات نبوّة طليحة ، فقال (حِبَال) : إن الذي يأتيه ذو النون ، فقال ﷺ : لقد سمَّى ملكاً ، فقال حِبَال : أنا ابن خويلد ، فقال ﷺ : قتلك الله وحرمك الشهادة . . . »[٤] .

وفي خبر آخر : « . . . وأوّل من كتب إلى النبي ﷺ بخبر طُليحة : سِنَانُ بنُ أبي سِنَان ، وكان على بني مالك . . . »[٥] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٧ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٥٣ ، غَوْث والجَدِيْلة : من أكبر بطون طيىء .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٧ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ١٤٧ ، وانظر المنتظم ٤/ ٢٤ ، مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٢ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٥٣ ، ١٠/ ٤٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٦ ، مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٢١٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ١٨٧ ، الإصابة ٢/ ٨٢ ، الاستيعاب ٢/ ٨٠ .

وعقدَ الصِّدِّيق لخالد بن الوليد لواءً ، وأمرهُ بطُلَيْحَة بنِ خُوَيلد ، فإذا فرغ سار إلى مالِكِ ابن نُوَيْرة بالبُطاح ، واجتمع على طليحة عوام طَيِّيء وأَسَد ، وارتدَّت غَطَفَان إلى ما كان من أَشْجَعَ وخَوَاصٌ من الأفْنَاءِ ، فبايعوه ، وقدَّمت هوازن رِجْلاً وأخَّرت أخرى ، وقد آزرت عَبْسٌ وذُبْيَانٌ طُلَيحة الذي جمع القبائل حولَه في بُزَاخَة[1] ، كما انضم إليه أُناس من جَدِيْلة والغَوث ، بعد أن طردَ ضرارَ بن الأزور الذي بُعِثَ لقتاله بادِيءِ الأمر .

وبدأ أبو بكر بإصدار الأوامر العسكرية بذَكاء وحِذْقٍ ودَهَاء ، فقد أمر خالداً أن يبدأ بطيِّيء على الأكناف ، ثم البُزَاخَة ، ثم يُثَلِّثَ بالبُطاح[2] ، وكلَّما فرغ من قومٍ يحدِّثُه بهم ، وأظهر أبو بكر أنه خارجٌ إلى خَيْبَر مُنْصَبٌّ عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف[3] (أكناف سلمى) ، وعلى هذا الأساس خرج خالد فانحرف على البُزَاخةِ إلى أجأ ، وأظهر أنه خارجٌ إلى خيبر ثم إليهم ، وهنا تأخّرت قبيلة طَيِّيء عن التوجه إلى طُليحة .

وقبل أن يوجِّه أبو بكر خالداً ، كان قد أمرَ عَدِيَّ بن حاتم الطائي بالتوجُّه إلى طيىء ليحاور أهلها ويدعوهم إلى البيعة ، « فقالوا : لا نبايع أبا الفصيل أبداً ، فقال عَدِيّ : لقد أتاكم قوم لَيُبيْحَنَّ حريمكم ، ولتُكَنُّنَه بالفحل الأكبر ، فشأنكم به ، فقالوا له : فاستقبلِ الجيش فَنَهْنِهه عنّا حتى نستخرج من لَحِقَ بالبُزاخة منّا ، فإنّا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم »[4] .

وتَصَرَّف الصِّدِّيق تصرُّفَ القائد الحاذق ، والخبير ، فقد خَشِيَ أن يبدأهم خالد بالقتال فأرسل عَدِيّاً لمفاوضتهم وبذلك حُقِنَت دماء المئات ، وهذا ما عبَّر عنه عدي لخالد حين قال : يا خالد أمسك ثلاثاً ، يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرِبُ بهم عدوَّك ، وذلك خيرٌ من أن تُعجلهم إلى النار ، ففعل وفعلوا[5] .

---

(١) البُزاخة : ماء لطيىء بأرض نجد ، وقيل : ماء لبني أسد . (معجم البلدان) .
(٢) البُطاح : منزِلٌ لبني يربوع ، وقيل : ماء في ديار بني أسد بن خزيمة . (معجم البلدان) .
(٣) الأكناف : جبلا طَيِّيء : سَلْمَى وأجَأ والفَرَادِخ . (معجم البلدان) .
(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٨ـ٢٤٩ .
(٥) المصدر السابق ٣/ ٢٤٨ـ٢٤٩ .

وكذلك كان عديّ بن حاتم الطائي قائداً متمرِّساً ومفاوضاً ماهراً ، فقد توجَّه خالد نحو الأَنْسُرِ[1] يريدُ جديلة ، فقال له عدي : « إن طيئاً كالطائر ، وإن جَدِيلةَ أحدُ جناحي طيىء فأجّلني أياماً لعل الله أن ينتقذ جَدِيلة كما انتقذ الغَوث ، فذهب عديّ وفاوضهم ، فبايعه » وهكذا استطاع أن ينقذ مئات من المسلمين الذين كادت العصبية القبلية تودي بهم .

« ويبعث أبو بكر الصِّدِّيق ، بثابت بن قيس الأنصاري على رأس كتيبة من الأنصار إلى لواء خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ويأمره أن يصمدَ لطليحة وعُيَيْنَة ابن حِصْن على بُزَاخة .

ومن جديد يناور أبو بكر ، فيقول لخالد : أظْهِر أني ألاقيك بمن معي من نحو خيبر[2] مكيدة ، ليبلغ ذلك أسماع العدو فيرعبهم ، ثم رجع أبو بكر إلى المدينة ، واقترب خالد من بُزَاخَةَ وأرسل من يستطلع خبر الأعداء ، فوقع اختياره على عُكَاشة بن مُحْصِن ، وثابت بن أقرم ، فلقيا طُلَيحة وأخاه سَلَمة ، فقتل الأخير ثابتَ بن أقْرَم ، وتعاون الاثنان على عُكّاشَةَ بنَ مِحْصَن » وقال طليحة في تلك الحادثة شعراً سنورده لاحقاً .

وبعد أن عَبَر المسلمون تجاه بزاخة وجدوا جثة ثَابِتَ بن أقْرَم تطؤها خيلهم ، عثروا على جثة عُكَّاشة الغنمي وروي « أن خيلَ طيىء كانت تلقى خيل بني أَسَدَ وفَزَارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامّون (أي يدنو بعضهم إلى بعض) ولا يقتتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نبايع أبا الفصيل أبداً ، فتقول لهم خيل طيىء : أشهد ليقاتلنَّكم حتى تكنُّوه أبا الفحل الأكبر! »[3] .

---

(١) الأَنْسُرُ : ماء لطيىء دون الرمل قرب الجبلين (معجم البلدان) . والخبر في تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٣ .

(٢) خَيْبَر : ناحيةٌ من ثمانية بُرُد من المدينة ، يُطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخلٍ كثير ، وقد فتحها النبي ﷺ سنة سبع ، وقيل سنة ثمان (معجم البلدان) .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٤-٢٥٥ .

والتقى الجيشان ، واحتدمت المعركة ، وقاتل عيينة بن حصن مع سبعمائة من فزارة قتالاً شديداً ، وطُليحة متلفِّف بكِسَائه في بناء بيت من شعر يَتَنَبَّأُ لهم ، والناس يَقْتَتِلُونَ ، فإذ بعُيَيْنَة يحسُّ أن الدائرة ستكون عليهم ، فيسأل طليحة ، هل نزل الوحي ؟ هل جاء جبريل ؟ فقال طليحة في النهاية وبعد يأس من انتصارهم : « نعم ، جاء وقال لي : إن لك رحىً[1] كَرحاه ، وحديثاً لن تنساه ، قال عيينة : أظن أن قد علم الله سيكون حديث لا تنساه يا بني فزارة ، هكذا فانصرِفُوا ، فهذا والله كذّاب ، فانصرَفوا ، وانهزم الناس فَغَشُوا طليحة يقولون : ماذا تأمرُنا ؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فليفعل ، ثم سلك الحوشيّة[2] حتى لَحِقَ بالشام وانفض جمعه ، وبنو عامر قريباً منهم على قادتهم وسادتهم ، وتلك القبائل من سُلَيم وهَوَازن على تلك الحال ، فلما أوقعَ الله بطُلَيحة وفَزَارة ما أوقع ، أقبل أولئك يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونُسلّم لحُكْمِهِ في أموالنا وأنفسنا »[3] .

وفي نهاية الأمر قال لهم طليحة : « قاتلوا عن أحسابكم ، أما دينٌ فلا دين »[4] ، وربما كانت هذه العبارة هي قانون الرِّدَّة ، وغير غريب أن طليحة اندحر ، واعترف بخداعه وكذبه ، يقول الجاحظ : « لم نعلم أحداً قطُّ ادّعى أن الله أرسله إلى قومٍ وآمنوا به ، ثم زعم أنه كاذب سوى طليحة وسَجَاح ، فإنهما تنبأا ثم أظهرا التوبة ، وجلسا يحدّثان من كان مؤمناً بهما وصدَّقهما ، ويخبرانهم بأنهما كانا يدّعيان مبطلين كاذبين ، وإذا لم تستحِ فاصنع ما شئت »[5] .

وقد ازداد أتباع طليحة بعد أن ضُرِب طليحة ـ في أوّل أمره ـ بسيف فنبا عنه ،

---

(١) رحىً : الرَّحى : معروفة ، والرَّحَى : كِركِرَةَ البعير .
(٢) الحوشِيَّة : الحوشِيُّ : رملٌ بالدَّهناء . (معجم البلدان) .
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٧ .
(٤) أسد الغابة ٣/ ٩٤ .
(٥) ثمار القلوب ٤٨٦ .

فشاع في الناس أن السلاح لا يَحِيْكُ فيه فاستطار أمرهُ ، ويقال : ضَرَبَهُ مُخنف بنُ السَلِيل[١] .

ومن كلام طليحة[٢] : « إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم ولا فتح أدباركم شيئاً ، فاذكروا الله قياماً » .

وقال : « والحمام واليَمَام ، والصُّرَدِ[٣] الصَوَام ، قد صُمْن من قبلكم أعوام ، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنا العرَاق والشَّام ، والله لا نسحب ولا نزال نضرب حتى نفتح أهل يثرب » .

وروى الواقدي أن قوم طليحة طلبوا منه أن يبعث عيوناً تأتيه بخبر خالد وقومه ، فقال : « أرأيتم إن بعثتم بفارسين بطلين على فرسين عَتِيْقَتَيْنِ أَدْهَمَيْنِ[٤] أَغَرَّيْنِ مُحَجَّلَيْنِ[٥] من بني نصر بنِ قَعِيْن ، أتياكم من القوم بعَيْن » فقال له بعض أصحابه : « أبا عامر ، أشهد أنَّك لنبيٌّ حقاً ، فليس هذا الكلام إلا من كلام[٦] الأنبياء » .

إن كلامه هو سَجَعٌ من سجع الكهان ، وهذي وسخافة ، فهو يريد أن يغيِّر طريقة الصلاة ، فيجعلها وقوفاً فقط .

وقال له بعض أصحابه : « يا أبا عامر ، إنّا قد أضرَّ بنا العطش ، فهل عندك من حيلة » ، فقال طليحة : « نعم ، اركبوا عَلالا ، فاضربوا أميالاً ، وجاوزوا الرمالا ، وشارفوا الجبالا ، ويمِّموا التلالا ، تجدوا هناك قِلالا » .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٧ ، المنتظم ٤/ ٢٤ـ٢٥ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٠ ، المنتظم ٤/ ٢٤ـ٢٥ .
(٣) الصُّرَدُ : طائرٌ فوق العصفور ، وطائر أبقع ضخم الرأس والمنقار نصفه أبيض ونصفه أسود ، وقيل : من سباع الطير ، ويقال : فَرَسٌ صُرَدٌ : إذا كان على ظهره بياضٌ في موضع السرج . (اللسان : صرد) .
(٤) أدهم : أسود ، أغرُّ : في جبهته بياض .
(٥) مُحَجَّل : التحجيل : بياضٌ في قوائم الفرس كلّها ، ويكون في رجلين ويد ، وفي رجلين فقط ، وفي رجل ، ولا يكون في اليدين خاصة .
(٦) الرِّدَّة : ٨٧ .

قال : فركب بعض بني أسد فرساً لطليحة يقال له عَلال ، ثم سار إلى ذلك الموضع الذي وصَفَهُ طليحة ، فإذا هو بماء عذب زلال ، فشرب منه ، وملأ سقاء كان معه ، ثم رجع إلى قومه فخبّرهم بذلك ، فمضوا إلى ذلك الموضع فاستقوا منه وازدادوا فتنة إلى فتنتهم[1] .

أما طليحة بعد هربه ، فقيل : إنه نزل قبيلة كلب على النَّقْع ، فأسلم ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر ، وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا ، ثم خرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر ، ومرَّ بجنبات المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به! خلوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام ، ومضى طليحة نحو مكة فقضى عمرته ، ثم أتى عمر إلى البَيعة حين استُخلِف ، فقال له عمر : أنت قاتل عُكَّاشة وثابت! والله لا أحبك أبداً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تهَمّ من رجلين أكرمهما الله بيدي ، ولم يُهِنِّي بأيديهما! فبايعه ، ثم قال له عمر : يا خُدَع ، ما بقي من كِهانتك ؟ قال : نفخةٌ أو نفختان بالكير[2] .

* أخباره في الفتوحات :

يبدو أن طليحة قد رجع إلى الإسلام رجوعاً حسناً ، وأبلى في الفتوحات وكان له مواقف عظيمة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « والله الذي لا إله إلا هو ، ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر ، فما رأينا كما هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم : طليحة بن خويلد ، وعمرو

---

(١) الرِّدَّة : ٨٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦١ ، الرِّدَّة ١٠١ ، الإصابة ٣/ ٤٤٠ ، وقيل : هرب إلى الشام ثم أحرم بالحج فرآه عمر . . . فقال طليحة : يا أمير المؤمنين فمعاشرة جميلة ، فإن الناس يتعاشرون مع البغضاء ، وأقام عند بني جفنة بالشام : (أسد الغابة ٣/ ٩٤) ، وفي (معجم البلدان) ، قال طليحة لعمر : هذا ما فتن الكفر الذي هدمه الإسلام ، فلا تعنيف عليَّ . النقع : موضع قرب مكة في جنبات الطائف (معجم البلدان) . الكير : أداة من جلد يستخدمه الحداد للنفخ في النار لاشتعالها .

بن معدي كرب ، وقيس بنِ المكشوح »[١] .

وكانوا يعتمدون عليه في القتال ، فها هو ذا سعد بن أبي وقاص يوم القادسية يقول لعمرو بن معدي كرب الزبيدي ولقيس بن مكشوح ولطليحة بن خويلد الأسدي : (إنكم شَوَاحِطُنَا[٢] ، فسيروا في الناس فحرِّضوهم)[٣] ، وله ذِكْرٌ حسنٌ في الفتوحات .

* **وفاته :**

نطالع في معظم المصادر التي ترجمت لطليحة أنَّ وفاته كانت في نهاية سنة (٢١هـ) ، ولدى مطاردتنا لأخباره في المصادر ، نجد أنَّه شارك في فتح قزوين وزنجان سنة أربعٍ وعشرين للهجرة[٤] وفي أخبار سنة (ثلاثٍ وثلاثين للهجرة) نجد ذكره في (ذكر تسييرِ من سُيِّرَ من أهل الكوفة في الشام) فقد جاء طُلَيحة مع بني أسدٍ ، وحاصر قصر سعيد بن العاص ، ردّاً على إهانةٍ وجَّهها سَعْد لخُنَيْس بن حُبَيْش الأسدي وأخيه وأبيه)[٥] .

وبالرغم من تضارب الروايات عند الطبري وغيره من المؤرخين فإن ابن الجوزي في المنتظم ذكر في وفيات (١٩هـ) ثم قال : (شهد القادسيّة ونهاوند وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص (شاوروا طليحة في حربكم ولا تولُّوه شيئاً)[٦] ، وقُتل بنهاوند سنة (٢١هـ) على الغالب .

---

(١) المنتظم ٣/ ٢٠٩ .
(٢) شواحطنا : أبطالنا .
(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٣٠٥ .
(٤) فتوح البلدان ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .
(٥) قَزْوِيْن : مدينة مشهورة قريبة من الرّي ، فتحها البراء بن عازب ، ومَصَّرَها سعيد بن العاصي بن أمية وجعلها مغزى أهل الكوفة إلى الدَّيْلَمْ . (معجم البلدان) .
زَنْجان : بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهي قريبة من أبهر وقزوين . (معجم البلدان) .
(٦) المنتظم ٤/ ٢٨٢ . الإصابة ٢/ ٢٣٤ . الاستيعاب ٢/ ٢٣٨ . تاريخ الطبري ٣/ ٢٣٤ . البداية والنهاية ١/ ١٤٢ .

أُمُّ طُلَيْحَةُ الأَسَدِيَّة

لم تسعفنا المصادر بمزيد من المعلومات عن اسمها ونسبها وأخبارها ، فذُكِرت كنيتها مقترنةً برجز أنشدته قبيل موتها عندما أبت الرّجوع إلى الإسلام ، وهي إحدى نساء بني أسد اللواتي شاركن في الرِّدَّة ، وفي الخبر : « أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه بالحظائر أن تُبنى ويوقَد فيها النار ، ثم أمَرَ بالأسرى ، وأُخِذَت أم طُلَيْحَة الأسديَّة إحدى نساء بني أسد ، فعُرِض عليها الإسلام ، فأبت ، ووثبت واقتحمت النار وهي تقول[1] : [من مشطور الرَّجز]

يـــا مــــوتُ عِـــمْ صَبَـــاحـــا
كـــــافحتُـــــهُ كفـــــاحـــــا
إذ لـــــم أجـــــد بَـــــرَاحـــــا

---

(١) الاكتفا ٥٤ .

عَلِيّ بنُ هَوْذَةَ الحَنَفِيّ

هو علي بن هَوْذَةَ بن عَلِي ثمامة بن عمرو الحَنَفِيّ ، من بني حنيفة من بكر بن وائل[1] ، وأحدُ أتباع مُسيلمة الكذَّاب ، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا ترجمةً وافيةً عن حياته وأخباره وتاريخ وفاته ، وأبوه هوذةُ بن علي صاحب اليمامة بنجد ، أخباره كثيرة ومشهورة ، وهو خطيبُ بني حنيفة قبل الإسلام وفي العهد النبوي « ولمّا ظهر الإسلام كتب الرسول ﷺ إلى هَوْذَة بن علي الحنفي : « أسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك » . فأجاب هَوْذَةُ بن علي الحنفي مشترطاً أن يجعل الأمر له من بعده على أن يُسلم ويصير إليه وينصره ، فقال له رسول الله ﷺ : « لا ولا كرامة ، اللهم اكفنيه » فمات بعد قليل »[2] . ويبدو أنَّ علي بن هَوْذَة الحنفي كان مع مرتدي حنيفة ، وذكر له ياقوت الحموي شعراً قاله دفاعاً عن بني حنيفة عندما سمع الناس يعيرون بني حنيفة بالرِّدَّة فقال يذكر من ارتدَّ من القبائل غير بني حنيفة[3] : [من الطويل]

رَمتنـــا القبـــائـــل بـــالمنكـــرات ... ومـــا نحـــنُ إلا كمـــن قـــد جَحَـــد
ولسنـــا بـــأكفـــر مـــن عـــامـــرٍ ... ولا غَطَفَـــان ولا مـــن أســـد

(١) جمهرة أنساب العرب ٢١٩ ، ٣١٠ .
(٢) فتوح البلدان ١١٨ ـ ١١٩ ، وانظر تاريخ الطبري ٢/ ١٦٩ ، ١٧١ ، ٦٤٤ . وديوان الأعشى الكبير ، تحقيق د . محمد حسين القصائد (٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) ، فيها مدائح له . والكامل في التاريخ ١/ ٦٢١ ، ٤٦٨ ، ٢/ ٢١٠ ، ٢١٥ .
(٣) انظر معجم البلدان : الجَنَد .

عَمْرو بن سَمُرة الحنفي

هو عَمْرو بن سَمُرة الحنفي ، من وجوه أهل اليمامة ، ارتدّ مع بني حنيفة ، وبعد الهزيمة التي حلت بهم في موقعة اليمامة ، اختير مع خمسين من وجوه أهل اليمامة بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما مع خُمُسِ الغنائم ، فتحدَّث عمرو بن سَمُرة فقال : « يا خليفة رسول الله ، خرج بيننا وكان رجلاً مشؤوماً ، أصابته فتنة من حديث النفس وأماني الشيطان ، دعا إليه قومه من مثله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، فلم يبارك الله له ولا لقومه فيه ، وقد كانا منّا مما كان من غيرنا ، ممن ارتدّ من قبائل العرب ، وأنت أولى بالعفو والصفح الجميل والسلام » ، ثم أنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

رَمتنا القبائل بالمنكرات ... وما نحنُ إلا كمن قد جَحَد
ولسنا بأكفر من عامرٍ ... ولا غَطَفَان ولا من أسد

وقد بحثنا مطوّلاً في المصادر التي توافرت بين يدينا ، فلم نعثر على معلومات أخرى أو أخبارٍ عنه بعد الرِّدَّة تغني الترجمة وتدلنا على تاريخ وفاته ومكانها .

=

(١) الرِّدَّة ١٤٢ ، والأبيات منسوبة لعلي بن هَوْذَة الحنفي في (معجم البلدان : الجَنَد) .

عَمْرو بنُ مَعْدِي كَرِب الزُّبَيْدِيّ

عَمْرو بن معدي كرب بن عبد الله بنِ عَمْرو بنِ عُصْم بنِ عمرو بنِ زبيد الأصغر ، يُكَنَّى أبا ثور[1] . فارس العرب ، أحد المشاهير الأبطال ، رابع فُرسان العرب[2] .

وعن تركيب اسمه قيل : معدي كَرِب : معناه بالحِميَريَّة : وجه الفلاح ، ومَعْدي وجه ، والكَرِب : الفلاح[3] . وقيل مَعْدِي : اشتقاقه اشتقاقُ مَعْدان ، ويجوز أن يكون من العدوان فقُلبت الواو ياء لمّا بني على مَفْعِل ، أو قد يكون بُني على مفعول ، فقُلبت الواو ياء ، ثم خُفِّفت الياء لطول الاسم لأنه جُعل مع كَرِب كالاسم الواحد . وكَرِب : يجوز أن يكون من الكَرْب الذي هو أشدُّ الغَمِّ ، أو من كَرِب في معنى قَارَبَ ، أو من أَكْرَبْتَ الدّلو : إذا شددتها بالكَرْبِ ، وهو الحَبْل ، قال ابن جنّي : فسّره ثعلب : أنه عَداهُ الكَرَب ، أي تجاوزه وانصرف عنه[4] .

وقيل : إنّ مَعْدي تعني إحساني[5] .

---

(١) ترجمته في : جمهرة النسب ٤٧ ، النّسب ٣٢٣ ، المؤتلف والمختلف ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، وفي الحاشية ميّز الآمدي بينه وبين عمرو بن معدي كرب الزبيدي الأكبر ، جاهلي قديم ، الشعر والشعراء ١/ ٣٧٢ ، المرزباني : معجم الشعراء مطبوع من كتاب الآمدي بمجلد واحد ، ص٢٠٨ .

(٢) من اسمُه عمرو من الشعراء (١٤٠ ـ ١٤١) ، الأغاني ١٥/ ٢٠٨ ـ ٢٤٤ .

(٣) حاشية السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٠ .

(٤) خزانة الأدب ٢/ ٤٤٤ .

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب ، مطاع طرابيشي ٢٠ ـ ٢١ . (وعن رسمه وإعرابه : فيه وجهان : التركيب والإضافة بحيث يكون الاسمان اسماً واحداً فيعربان إعراب ما لا ينصرف ، فتقول : رأيت مَعْدِيكَرِب ، ومررتُ بمعديكرب ، وإذا صَرَفتَهُ اعتقدْتَ فيه التذكير ، وإذا منعتَهُ من الصَّرف اعتقدتَ فيه التأنيث ، فتقول في المنصرف رأيت مَعْدي كَرِب ، ومررتُ بمعدي كرب وتقول في غير المنصرف ، رأي مَعْدي كَرِبَ ، ومررتُ بمعدي كَرِبَ .

وكان عمرو قد أَسْلَمَ في حياة الرسول ﷺ سنة (٩هـ) في وفد بني زبيد ، ثم ارتدَّ مع مرتدَّة اليمن ، وحارب عُمَّال الرسول ﷺ ، ثم عاد إلى الإسلام ، وأخرجه عمر بن الخطاب في بعثة العراق فشهد فتوح فارس وأبلى فيها ، فكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقّاص أن يستشيره في الحرب وطليحة الأسدي ، ولا يوليهما شيئاً من أمر المسلمين[١] .

* **ردَّته :**

(وكان أوّل ردَّة عمرو بن معدي كرب أنَّه كان مع خالد بن سعيد ، فخالَفَهُ ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالدُ بن سعيد حتى لقيه ، فاختلفا ضربتين ، فضرَبَهُ خالدٌ على عاتِقِهِ فقطَعَ حِمَالَة سيفِهِ ، فوقع ووصلت الضربةُ إلى عاتقِهِ ، وضرَبَهُ عمرو فلم يصنع شيئاً ، فلما أراد خالد أن يُثَنِّي عليه نَزَلَ فتوقَّل[٢] في الجبل ، وسَلَبَهُ فَرَسَهُ وسيفهُ الصِّمصامة ، ولَحَّجَ[٣] عمرو فيمن لَحَّجَ (أي ذهب إلى لحْج مع المرتدِّين الذين ذهبوا إليها وهم اللَّحجيَّة) . . . ولمّا فَصل المهاجرُ ابن أميَّة عند أبي بكر . . . وقَدِمَ على أهل نجران[٤] ، انضَمَّ إليه فروة بن مُسَيك ، وفارق عمرو ابن معدي كرب قيساً ، وأقبل مستجيباً حتى دَخَلَ على المهاجر على غير أمان ، فأوثَقَهُ المهاجر ، وأوثَقَ قيساً ، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله ، وبَعَثَ بهما إليه ، فَقُدِمَ بهما عليه ، فقال الصِّدِّيق لعمرو بن معدي كرب : أما تَخْزَى أنَّك كُلَّ يَومٍ مهزومٌ أو مأسور! لو نَصَرت هذا الدِّيْنَ لرَفَعَكَ الله ، ثم خَلَّى سبيله ، ورَدَّهما إلى عشائرهما ، وقال عمرو : لا جَرْمَ! (لأقبلَنَّ ولا أعود)[٥] .

---

(١) من اسمه عمرو من الشعراء ١٤٢ .

(٢) وقلَ من الجبل يَقلُ وقُولاً ، وتَوقَّل تَوَقُّلاً : صَعَّد فيه ، وفرسٌ وَقِلٌ ووَقُلٌ : صاعِدٌ ، وكُلُّ صاعِدٍ من شيء : مُتَوقِّل .

(٣) لَحج : موضع من سيف عدن وقِبَل نجران، قيل : وهي من مُدن تهائم اليمن (معجم البلدان).

(٤) نَجْران : في عدّة مواضع منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكّة (معجم البلدان) .

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

ولا شك في أن رِدَّة عمرو بن معدي كرب ، كان سببها العصبيَّة القبليَّة ، والعداوة بينه وبين فروة بن مُسَيك المرادي ، الذي كان على صَدَقات مُرَاد ومن نازلهم أو نَزَل في دارهم ، فلما فارق عمرو بن معدي كرب قومه سعدَ العشيرة في بني زُبيد وأخلافها ، أسلم معهم ، ثم ارتدَّ واتَّبع الأسود العنسي ، وكان بإزاءِ فروة بن مسيك الذي اعتزل فيمن أقام معه على الإسلام ، وتأججت العداوة بينهما ، فكانا يتهاديان الشعر . ففارق عمرو بن معدي كرب فروة مرتدّاً ، وقال فيه شعراً يَذُمُّ إمارَتَهُ وسُلْطَتَهُ[1] . ويبدو جليَّاً أن ردَّته كانت إغاظة لفروة بن مسيك فهو قد كره إمارته عليه ، ولم يقبل بأن يكون مُسَيَّراً منفِّذاً لأوامره . فكان اتباع الأسود العنسي خيراً من البقاء تحت إمرة فروة بن مسيك .

وسيفه الصِّمصَامة مشهورٌ شُهْرَةَ صاحبه ، وقد استلَبَهُ خالد أيام الرِّدَّة ، وقيل : كان مع خالد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة[2] .

*** شعره :**

وقد جُمع شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي منذ القرن الثالث الهجري على يد أبي عمرو إسحاق بن مِرار الشيباني الكوفي (٢٠٦هـ) ثم على يد عبد الله الأعرابي (٢٣١هـ) ثم على يد أبي سعيد السُّكري (٢٧٥هـ)[3] .

ولديوان عمرو بن معدي كرب عدة طبعات[4] ، اعتمدنا على طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق[5] ، إذ نهج فيها المحقق الأستاذ مُطَاع الطّرابيشي منهجاً توخّى فيه الدِّقَّة ما استطاع ، فقد صنَّفَ شعر عمرو بن معدي كرب في ستمائة وعشرين بيتاً ، نصفها تقريباً ـ وهو ثلاثمائة بيتٍ ونَيِّف ـ صحيح النسبة إلى

---

(١) انظر المصدر السابق ٣/ ٣٢٧ .

(٢) المعارف ٢٩٦ .

(٣) الأغاني ١٥/ ١٩٢ ، معاهد التنصيص ٢/ ٢٤٠ ، معجم الشعراء ١٥ ـ ١٦ .

(٤) ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، تحقيق د . عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان ـ مكتبة العبيكان ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ .

(٥) ديوان عمرو بن معدي كرب ـ جمع وتنسيق : مطاع طرابيشي ، مجمع اللغة العربية بدمشق .

عمرو ، ونصفها الآخر فيه نحو مائةٍ من الأبيات مختلطة النسبة بينه وبين غيره ، والمائتان الباقيتان ما بين مجهول ومنحول .

ونلحظ أنَّ الأغراض الشعرية في الديوان متنوّعة ، يغلب عليها الشعر الحماسي وشعر الحرب والهجاء ، وهي الأمور التي كانت أكثر أهمية في حياة الشاعر ، فقد كان القائد والفارس والمنافس فحازت من شعره الحيِّز الأكبر .

توفي سنة (٢١هـ) في آخر خلافة عمر بن الخطاب في إحدى قرى نهاوند[١] .

---

(١) ديوان عمرو بن معدي كرب ٣٠ ـ ٣١ .
نَهَاوَنْد : مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام (معجم البلدان) .

مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْل الحَنَفِيّ

مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْل بن سُبَيْع بن مَسْلَمَةَ من بني حنيفة بن لُجيم بن عليّ بن بَكْر بن وائل[1] . من أشراف قومه ، كان له أثر كبير في فتنة أهل اليمامة ، وتشجيعهم على اتّباع مسيلمة ، فلُقِّبَ بمُحَكَّمِ اليمامة ، وشاركه في فتنة أهل اليمامة « الرَّجَّال بن عُنْفُوَة ، وكان قد هاجر إلى النبي ﷺ ، وقرأ القرآن ، وفُقِّه في الدين ، فبعثه مُعَلِّماً لأهل اليمامة وليشْغَبَ على مُسَيلمة وليَشْدُد على أمر المسلمين ، فكان أعظم فتنةٍ على بني حنيفة من مسيلمة ، شهد له أنَّه سمع محمداً ﷺ يقول : إنه قد أُشرِكَ معه ، فصدّقوه واستجابوا له »[2] .

ولا شك في أنَّ اتباع هذين الرجلين لمسيلمة فتن الكثيرين وزاد من غطرسة مسيلمة وجبروته كما روى لنا الواقدي : « فتفاخر مسيلمة بذلك وزاد أتباعه عندما شَهِد عليه الرجّال ومُحَكَّمُ بن الطّفيل وهما من سادات أهل اليمامة يقول : « وبعد ، هذا الرّجال بن نهشل ومُحَكَّم ابن الطُفيل وهما من سادات أهل اليمامة ، وهما يشهدان لي أن محمّد بن عبد الله قد أشركني في نبوَّته ، فقالوا لهما : « إن مسيلمة بن حبيب قد ادّعى النبوّة بين أظهرنا منذ كذا وكذا ، ويزعم لنا أنَّ محمد بن عبد الله قد أشركه في النبوّة قبل وفاته وأنتما شاهدان ، ما معكما وأنتما شيخان صادقان ، فما الذي عندكما » ، قال الرجّال بن نهشل : « لقد صَدَقَ مُسَيْلمة في قوله ، أنا أشهد أنَّ محمد بن عبد الله قد أشركه في نبوّته قبل وفاته » ، وقال مُحَكَّم بن الطفيل : « وأنا أشهد بذلك ، فعند ذلك تسارَعَ الناس إلى مسيلمة وآمنوا بنبوّته إلا القليل منهم »[3] . . . وأنشأ رجل من مؤمني أهل

---

(١) جمهرة أنساب ابن حزم ٣١٢ . وانظر الاشتقاق ٣٤٩ . انظر تاج العروس (حكم) ٣١/ ٥٢٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨١ .

(٣) الرِّدَّة ١٠٨ ـ ١٠٩ .

اليمامة يقول[1] : [من الخفيف]

يـا سُعـاد الفـؤادِ بنـت أثـالِ طـالَ ليلـي بفتنـى الـرّجـالِ
أهلـك القـومَ محكـمُ بـن طُفيـلِ ورجـالٌ ليسـوا لنـا بـرجـالِ
فُتـنَ القـومُ بـالشّهـادةِ واللَّـ ـهُ عـزيـزٌ ذو قُـوَّةٍ ومعـالـي
بَـزَّهُـمْ[2] أَمْـرَهـم مسيلمَـةُ اليـو مَ فلـن يـرجِعـوا بـإحـدى الليـالـي

وكانت منزلَةَ مُحكَّم بن الطُّفَيل عند مسيلمة مميزةً مهمة ، ويبدو هذا من ثقته باستشاراته الحربية ووضعه في قيادة الجيش واستشارته في الأمور الطارئة ، وقد لقَّبته المصادر بوزير مسيلمة ، وقال السُّهيلي : « كان مؤذِّنُ مسيلمة يُقَالُ له حُجَيْر ، وكان مدبِّر الحرب بين يديه مُحكَّمُ بن الطُّفَيل »[3] .

وقد كلّفَ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه خالد بن الوليد بقتال مسيلمة وأتباعه ، بعد أن عظُمت فتنتهم وكثر أتباعهم ، فكتب حسان بن ثابت أبياتاً يهدِّد فيها مُحَكَّم بن الطُفَيْل وزير مسيلمة ومنها[4] : [من البسيط]

يا محكم بن طُفَيلٍ قد نصحتُ لكم أتاكُمُ اللَّيثُ ليْثُ الحَضْرِ والبَادِيْ
يـا مُحكـم بـن طُفَيـلٍ إنَّكُـمْ نَفَـرٌ كـالشَّـاءِ أسلمهـا الـرَّاعـي لآسـادِ
ما في مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ من عِوَضٍ مـن دارِ قـومٍ وأمـوالٍ وأولادِ

(فلمّا وصل هذا الشعر إلى مُحَكَّمُ بن الطُفَيل وزير مسيلمة ، قرأه ، وأرسلَ إلى وجوهِ اليمامةِ فجمعهم ، ثم قال : يا بني حنيفة ، هذا خالد بن الوليد قد سار إليكم في جمع المهاجرين ، وإنكم تلقونَ غداً قوماً يبذلون أنفسهم دون صاحبهم ، فابذلوا أنفسكم دون صاحبكم) . قال : فقالت بنو حنيفة : « سيعلم خالدٌ غداً إذا نحنُ التقينا بخلاف من لقي من العرب » ، فقال مُحَكَّمُ بن الطُّفَيل :

---

(١) الأبيات في الرِّدَّة ١١٠ .
(٢) البَزُّ والابتزاز : الغَلَبَةُ ، وأخذُ الشيء بجفاءٍ وقَهْرٍ .
(٣) البداية والنهاية ٧/ ٢٥٩ ، ٩/ ٤٦٦ . وانظر الرِّدَّة ١١٤ .
(٤) الرِّدَّة ١١٥ .

(فهذا الذي أريد منكم ، ثم كتب إلى خالد بن الوليد بهذه الأبيات[1] : [من المتقارب]

أيـا بـن الـوليـد ويـا خـالـدُ ويـا أيُّهـا الأسَـدُ الـلاَّبـدُ
لَـرُبَّ أُنـاسٍ قـد أفنيتَهُـمْ وأنـتَ إلـى مثلهـا عـائـدُ
وأمّـا اليمـامـة فـاشـدُدْ لهـا حيـازمـكَ اليـومَ يـا خـالـدُ

وقد قُتل مُحكم بن الطفيل في معركة حديقة الموت بعد أن قاتل بضراوة ولم يألُ جهداً في قتال المسلمين وتحريض قومه على القتال بقوله : « يا بني حنيفة ، ادخلوا الحديقة ، فإنّي سأمنع أدباركم »[2] ، فهو من أشار عليهم بدخول حديقة الموت ، وقد كان محكم بن الطفيل جنباً إلى جنب مع مسيلمة ، في هذه المعركة ، فقد خرج يومئذ إلى جنب مسيلمة في الجيش[3] وأبلى بلاءً نادراً ، ذكر الواقدي « قال : واشتبكت الحرب بين الفريقين ، فقتل من المسلمين زهاء ثلاث مائة رجل ، ومن بني حنيفة أضعافهم ، وأمسى المساء فرجع القوم بعضهم من بعض ، وتقدم مُحكّم بن الطُّفيل لما يخافون من البيات ، فلما كان من الغد دنا بعضهم من بعض ، وتقدّم محكّم بن الطُّفَيل وزير مسيلمة حتى وقف أمام أصحابه وهو شاهر سيفه على عاتقه ، رافعاً صوته وهو يقول : [من الخفيف]

رُبَّ رَخْـوِ النِّجَـادِ مُصْطَلَـمِ الكَشْـ ـحَيْـنِ بَـدْرٍ يلـوحُ كـالمِخْـراقِ
فـأنـا محكـمٌ فهـل مـن شجـاعٍ يَبْـرُزُ اليـومَ للسيـوفِ الـرِّقـاقِ

قال : ثم حمل على المسلمين فقاتل قتالاً شديداً . . . » .

وقد اختلفت المصادر في قاتل مُحكَّم بن الطُّفَيل (سنة ١١هـ) : ذُكِرَ أنَّ ثابت ابن قيس الأنصاري حمل عليه ، فطعنه في خاصرته طعنة نكَّستهُ عن فرسه قتيلاً[4] .

---

(١) الخبر والأبيات في الرِّدَّة ١١٣ ـ ١١٤ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٨ .
(٣) الرِّدَّة ـ الواقدي ١٢٦ ـ ١٢٧ .
(٤) المصدر السابق ٣٤٩ .

وقيل : قتله خالد بن الوليد يوم مسيلمة[1] ، وبعض المصادر ذكرت أن عبد الرحمن بن أبي بكر قتله وهو قائم يحرِّض قومه على القتال[2] : « قال مصعب ابن عبد الله : وقف مُحَكَّم اليمامة يوم الحديقة على ثَلْمَةٍ فحماها ، فلم يجترىء عليه أحد فرماه عبد الرحمن بن أبي بكر فقتله ، فدخل المسلمون من تلك الثلمة ، قال : وكان أحد الرماة » .

لقد كانت هذه المعركة فاصلة ، أبلى فيها المسلمون أعظم بلاء فكُشِف المخلص من المنافق ، وقُتِلَ من ارتدَّ ومن والاه على غِيِّه وجهله ، يقول زيد بن الخطاب يوم اليمامة معبّراً عن شدة تلك المعركة ودور مسيلمة ومُحَكَّم بن الطُّفَيل المُنْكر في هذه الفتنة : (اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة ومُحَكَّم بن الطُّفيل)[3] .

وقد وُجدت جثته بين القتلى في حديقة الموت ، وفي الخبر :

« لمّا فَرَغَ المسلمون من مسيلمة أتى خالد فأخبر ، فخرج بمجّاعة بن مُرَارة الحنفي يَرسُفُ معه في الحديد ليدلَّهُ على مسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتّى مَرَّ بمحكَّم بن الطُّفيل ـ وكان رجلاً جسيماً وسيماً ـ فلما رآه خالد ، قال : هذا صاحبكم ، قال : لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا مُحَكَّم اليمامة »[4] .

---

(١) الاشتقاق ٣١٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٨ ، خزانة الأدب ٦/ ١١٥ ، المنتظم ٤/ ٨١ ـ ٨٢ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٦٩ ، ١١/ ٣٢٩ ، الخبر في مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ٢٨٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ابن سعد ٣/ ٣٣٧ .

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٥ ، ومُجَّاعة بن مُرَارة الحنفي : أحد سادات بني حنيفة ، وقد أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة واستبقاه ، وتزوّج ابنته ، وقد صالح مجّاعة خالد بن الوليد صلحَ مكرٍ فأبقى على بني حنيفة ، انظر الرِّدَّة ١٣٨ ـ ١٤٤ .

مُسَيْلِمة الكَذَّاب

هو مُسَيْلِمَةُ بن ثُمامة بن كَثِير بن حَبِيْب بن الحَارِث بن عبدِ الحَارِث بن عَديّ بن حَنِيفة ، يُكنَّى أبَا ثُمامَه . المتنبيء المشهور ، وله ذِكْرٌ كثير في كتب التاريخ والأدب[١] .

لم تذكر المصادر شيئاً عن ولادته أو حياته قبل أن يفِدَ على الرسول ﷺ ، وقد وفد على الرسول ﷺ مع قومه ، وفي الخبر : « أنَّ وفْدَ بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخلَّفوا مسيلمة في رحالهم ، فلمّا أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد خلّفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي رِكابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمَرَ به للقوم ، قال : أما إنّه ليسَ بشرِّكُم مكاناً - أي لِحِفْظِهِ ضيْعَةَ أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ - ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاؤوه بمثل ما أعطاه ، فلمّا انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله وتنبَّأ وتكذَّبَ لهم ، وقال : إني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه ، وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنّه ليس بشرِّكم مكاناً ، ما ذاكَ إلاّ لما كان يعلم أنّي قد أشركت في الأمر معه ، ثم جَعَل يَسْجَعُ لهم الأساجيع ، وأحَلَّ لهم الخمرَ والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنَّه نبي ، فأصفقت (أي أجمعت) معه حنيفة على ذلك »[٢] ، وهكذا جاء مسيلمة بعقيدة تجمع بين ثناياها ما ينحدر بالمستوى الأخلاقي والرُّوحي للإنسان ، وذلك ليجذب إليه ضعاف النفوس من الرَّعاع والعوام والمتذمرين من النظام الإسلامي الرفيع أخلاقياً ، وكان لهُ هذا .

وبدأ مسيلمة بنشر دعوته في الأرجاء ، معتمداً على العصبية القبلية والجهل ، وهي أمورٌ ما زالت متجذِّرة في نفوس القبائل إلا القِلَّة القليلة التي استطاعت قيم

---

(١) جمهرة أنساب ابن حزم ٣١٠ - ٣١١ ، جمهرة النسب ٥٤٣ ، نسب ابن سلاّم ٣٥٢ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ٥٧٦ - ٥٧٧ .

الإسلام السامية أن تنفذ إلى أعماقهم وتهذبها وتسمو بها .

وأوّل ما فعله مسيلمة هو مراسلة الرسول ﷺ ودعوته لتقاسم النبوّة بينهما ، وفي الخبر : « وقد كان مسيلمة بن حُبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : « من مُسَيْلِمَةَ رسول الله ، إلى محمَّد رسول الله : سلامٌ عليك ، أما بعدُ ، فإنِّي قد أُشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ولقرَيشٍ نصفُ الأرض ، ولكنَّ قريشاً قومٌ يعتدون »[1] .

« فَقَدِم عليه رسولان بهذا الكتاب ، وسألهما الرسول ﷺ حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، أمَا واللهِ لو أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما ، ثم كتب إلى مسيلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى مُسَيْلِمَة الكذّاب : السّلام على من اتَّبع الهدى ، أمّا بعد ، فإنّ الأرض لله يورِثُها من يشاء من عِبَادِهِ ، والعاقِبَةُ للمتَّقين »[2] .

وقد استغل مُسيلمة جهل بعض القوم ، فاستعرض لهم حِيَلَهُ وما يجيدُهُ من خُدَعٍ ، وهو أمْرٌ عُرِفَ به مُسَيْلِمَة قبل أن يدّعي النبوّة ، قال الجاحظ : « كان مُسَيْلِمة قبل التَّنبُّؤ يدورُ في الأسواق التي بين دور العجم والعَرَب ، كسوق الأُبُلَّة وسُوقِ الأنبار وسوقِ بَقَّة وسوقِ الحيرة يلتمسُ تعلُّمَ الحِيَل واحتيالات أصحاب الرُّقى والنجوم ، وقد كان أحكم حيل أصحاب الزّجر والحظّ ، فمِنْ ذلك أنَّه صَبَّ على بَيْضَةٍ من خلٍّ حاذِقٍ قاطِعٍ فلانت حتى إذا مدَّدَها استطالَتْ واستدقَّت كالعِلك ، ثم أدخَلَها قارورةً ضيِّقةً الرَّأس وتركها حتى انضمّت واستدارت وعادت كهيئتها الأولى فأخرجها إلى قومِهِ ، وادّعى النبوّة فآمنَ به جماعَةٌ منهم »[3] .

« وكان مسيلمة يعمل رايات تُسمَّى برايات الشّادِن ، وهي الرايةُ التي يعملها الصَّبِيُّ من القِرطاس الرقيق ، ويجعل لها ذَنَباً وجناحاً ، ويرسِلُها يوم الريح

---

(١) السيرة النبويّة ـ ابن هشام ٤/ ٦٠٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ١٤٦ .

(٣) التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٥٢ ، الأُبُلة : بلدة على شاطىء دِجْلة الأنبار : مدينة قرب بلخٍ ، بَقَّة : موض قرب الحيرة (معجم البلدان) .

بالخيوط الطِّوال ، وكان يعمل راياتٍ من هذا الجنسِ ويُعلِّقُ فيها الجَلاجِلَ ويرسلها في ليلة الرِّيح ويقول : الملائكةُ تنزل عليَّ ، وهذه خَشْخَشَةُ الملائكة وزجَلُها ، وكان يصل جناحَ الطّائرِ المقصوص بريشٍ مَعَهُ فيطير »[(١)] .

وكان يدّعي أن معه رئياً في أوّل زمانه[(٢)] ، ولَقَّبَ نفسه برحمان اليمامة[(٣)] ، وضُرِب به المثل في الخداع والكذب ، وقد كان يسجع الأسجاع السخيفة ، وهذه بعضٌ منها : والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل إذا عَدَاها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها »[(٤)] ، وقال : « ضفدعٌ بنت ضفدعين ، نُقِّي ما تنقِّين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، ولا الشاربَ تمنعين ولا الماء تكدِّرين »[(٥)] .

ويُحكى أن أبا بكر الصِّدِّيق سمع بعض أسجاعه فتعجَّب قائلاً : إنّ هذا كلامٌ لم يَخْرُج من إلٍّ ، أي ربوبية .

وقد كان مسيلمة شرع لمن اتّبعه : أن الأعزب يتزوج ، فإذا وُلِدَ له ذكر فيحرم عليه النساء حينئذ ، إلا أن يموت ذلك الولد الذَّكر ، فتحِلُّ له النساء حتى يولَدَ له ذَكَر[(٦)] .

ومما قاله : « والليل الأطحم ، والذئب الأدلم ، والجَذَع الأزلم ، ما انتهكت أسَيّدٌ من مَحْرَم » ، وقال : « إنَّ بني تميم قوم طهر لَقَاح ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيينا بإحسان ، نمنعهم من كُلِّ إنسان ، فإذا متنا فأمرهم إلى الرّحمن » ، وقال : « والشّاةِ وألوانها ، وأعجبُها السود وألبانها ، والشاة السوداء

---

(١) الحيوان ٤/ ٣٦٩ ، الزّجرُ : العِيافة والتكهُّن ، الزَّجْلَةُ : صوت الناس ، والقطعة من كل شيء ، والزَّجَلُ : اللعبُ والتَّطْرِيبُ ورَفْعُ الصَّوْتِ .
(٢) الحيوان ٦/ ٢٠٥ .
(٣) خزانة الأدب ٢/ ٢٥٨ .
(٤) الحيوان ٤/ ٨٩ ، وانظر التذكرة الحمدونية ٧/ ٣٥٠ .
(٥) الحيوان ٥/ ٥٣٠ .
(٦) الأضداد ٣٩٥ .

واللَّبَنِ الأبيض ، إنَّهُ لعَجَبٌ مَحْضٌ ، فما لكم لا تمجَّعُون »[1] .

وقد حاول مسيلمة تقليد الرسول ﷺ في دعائه وتبريكه ، فكانت النتيجة أن هلك كل ما دعا له أو حاول أن يباركه ومن ذلك « أنَّ رجلاً أتاه فقال : ادعُ الله لأرْضِي فإنّها مُسْبِخةٌ ، كما دعا محمد ﷺ لسُلميّ على أرضه ، فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال : قَدِمَ عليه سُلميّ ، وكانت أرضه سبخةً فدعا له ، وأعطاه سَجْلاً من ماء ، ومجَّ له فيه ، فأفرَغه في بئره ، ثم نزع ، فطابَتْ وعَذُبَتْ ، ففعل مثل ذلك فانطلق الرَّجُلُ ، ففعل بالسَّجْل كما فعل سُلْمِي ، فغرقت أرضُه ، فما جَفَّ ثراها ولا أدرك ثمرها »[2] . فدعوة مسيلمة قد أجيبت عكس ما أراد والرواية فيها مبالغة .

وعن عُمَيْر بن طلحة النَّمْرِي ، عن أبيه ، أنه جاء اليمامة فقال : « أين مسيلمة ؟ قالوا : مه رسول الله! فقال : لا ، حتى نراه فلمّا جاءه ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يأتيك ؟ قال : رحمن ، قال : أفي نورٍ أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد أنَّك كذّاب وأنَّ محمداً صادق ، ولكنّ كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مُضَر »[3] ، ما الذي يمكن أن يُقال إزاء هذا النوع من التفكير وهذه العصبية المهيمنة ؟!

استفحل أمرُ مسيلمة ، واتبعه الكثيرون ، عصبية وجهلاً وغباءً وفتنة ، وكان للرَّجَّالِ بن عُنْفُوَة ومُحَكَّم بنُ الطُّفَيْل دَوْرٌ في فتنة النّاس بشكل كبير ، فقد أسلما وحفِظَا القرآن ، ثم شَهِدا لمسيلمة بالنبوّة ، ولاسيّما الرَّجَّال بن عُنْفُوَةَ ، فقد أرسله أبو بكر الصِّدِّيق إلى أهل اليمامة ليعلِّمهم ، وهو يرى أنَّه على الصدق ، فكانت فتنةُ الرَّجَّال أعظم من فتنة مسيلمة[4] ، قال أبو هريرة : « جلستُ مع النبيِّ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، والأطحم : الأسود ، والأدلم : الأسود الطويل ، والجَذَع الأزلم : الدّهر ، ولَقَاح : ثم يَسْتَعبدوا ولم يُسبوا ، يُقال : تمجَّعَ القوم : إذا أكلوا التمر واللبن .

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، مُسْبِخَة : مالحة .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٢٨٦ .

(٤) انظر الرِّدّة ١٠٨ ـ ١٠٩ .

ﷺ في رهط معنا الرَّجَّال بن عُنْفوة ، فقال ﷺ : إنَّ فيكم لرَجُلاً ضِرْسُهُ في النار أعظم من أُحُد ، فهلك القوم وبقيت أنا والرَّجَّال ، فكنت متخوِّفاً لها ، حتى خرج الرَّجَّال مع مسيلمة ، فشَهِدَ له بالنُّبوَّة »[1] .

وإزاء هذا كلّه ، بدأ المسلمون بالتحرّك ، فوجَّه الصِّدِّيق رضي الله عنه ، خالد ابن الوليد إلى مسيلمة مع نفر من المهاجرين والأنصار ، فوصل خالد البُطاح ، فلمَّا قَدِمَ عليه جيش المعونة من المدينة ، نَهَضَ حتى أتى اليَمامة ، وبنو حنيفة يومئذ كثير يكاد يربو عددهم على أربعين ألفاً ، وعندما سمعوا بقدوم خالد ، عسكروا بعقرباء ، وهي على طَرَفِ اليمامة ، وريف اليمامة وراء ظهورهم ، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس ، وكانت العرب على راياتها ، ومُجَّاعة بن مرارة أسير مع أم تميم في فسطاطها ، فدخل عليها أناس من بني حنيفة يريدون قتلها فمنعهم مُجَّاعة ، وترادَّ المسلمون ، فانهزم بنو حنيفة ، فأوعز إليهم محكّم بن الطّفيل بدخول الحديقة ، ليمنع أدبارهم ، والتقى الناس فاقتتلوا قتالاً شديداً ما جرى في حَرْبٍ قطّ ، واقتحم البراء بن مالك الحديقة ، حديقة الموت ، قاتل حتى فتحَ الباب للمسلمين ، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى قُتِلَ مسيلمة في معركة اليمامة سنة (١١هـ) ، بعد أن ثبت طوال المعركة ، فعرف خالدٌ أن بني حنيفة لن ينهزموا إلا بقتل مسيلمة ، وعندما حَمَلَ المسلمون على بني حنيفة حملةً واحدةً ، وبدأت هزيمتهم ، قالوا لمسيلمة : أين ما كُنْتَ تَعِدُنا ؟ فقال : قاتلوا على أحسابكم ، وقُتِلَ مسيلمة ، قتله وحشي غلام جُبَير بن مُطْعم ، رمى بحربَةٍ كانت في يده ، فوقعت الحربة في خاصرة مسيلمة ، وضربه عبد الله بن زيد بضربَةٍ على رأسه فأوهَنَهُ ، وجعل وحشي ينادي :

« أيها الناس ، أنا وحشيّ غلام جُبَير بن مطعم ، قتلت خير الناس وأنا كافر ، وأعني حمزة ابن عبد المطّلب ، وقتلت شرّ الناس وأنا مسلمٌ ، يعني مسيلمة

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٧ .

الكذّاب ، وسمع الناس يومئذٍ صارخاً يقول : قَتَلَه العبدُ الأسودُ »[1] .

خرج خالد بن الوليد مع مُجّاعة بن مرارة ، يكشفان عن القتلى لِيَدُلَّه على مسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة ، فإذا رويجل أُصَيْفِر أُخَيْنَس ، وهو مسيلمة[2] .

كانت معركة اليمامة انتصاراً حاسماً للمسلمين ، واستشهد من الصحابة رضي الله عنهم نحو أربعمائة وخمسين ، وقيل : ستمائة ، وجملة القتلى من المسلمين ألف رجلٍ ومائتا رجل ، وفُتِحت اليمامة صلحاً على يد خالد بن الوليد[3] ، ولا شكَّ في أن المسلمين جَسَّدوا مثالاً رائعاً للثبات على الحقِّ في أشد الأوقات اضطراباً وفتنة بعقيدتهم الراسخة ، وبنضال سيوفهم التي يقودها خالد بن الوليد لمواجهة الكفر والعصبية القبلية .

---

(١) الخبر باختصار من تاريخ الطبري ٣/ ٢٨١ ـ ٢٨٩ ، وانظر الرِّدَّة ١٣٦ ـ ١٣٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٢ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٥٢١ ، المنتظم ٣/ ١٨٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٩٥ ، الرِّدَّة ١٣٧ . أصيفر : ذو لونٍ أصفر .

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١/ ١٥١ .

٢ـ شعراء الرِّدَّة في عهد الراشدين :

أ ـ شعراء الرِّدَّة في عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

- أبْضَعَة بنُ مالِكَ الكِنْدِيّ
- الأشعث بن قيس الكِندِيّ
- الأشعَثُ بنُ مِئنَاس السَّكُوني
- الجَبْرُ بنُ القَشْعَم الكِنْدِيّ
- الحارثُ بن معاوية الكِنْدِيّ
- حارثةُ بنُ سُرَاقَةُ بنُ مَعْدِيْ كَرِبْ
- الحُطَيْئة
- حُوَي بنُ سعيد بن زهرة السَّعدي
- الخُطَيْل بن أوس
- أبو شَجَرَة بن عبد العُزَّى السُّلَّمِي (عمرو بن عبد العُزَّى)
- عبد الله الليثي
- عَرْفَجَةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الذّهلي
- عُطَارِدْ بنُ حاجِب التميمي
- عَفيْف بنُ مَعْدِيْ كرب الكنْدي
- عُيَيْنَةُ بنُ حَصْن الفَزَاري
- الفُجَاءَةُ بنُ عبد ياليل
- قُرَّةُ بنُ هُبَيْرة القُشَيْرِي
- أبو قُرَّة الكِنْدِيّ
- مالك بنُ نويرة التميمي
- وكيع بنُ مَالِكْ التميمي

ـ الشعراء المجهولون في عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه :

ـ عدد من الشعراء الذين أنشدوا شعراً ولم نعثر على تراجمهم وعددهم ثمانية شعراء

ب ـ شعراء الرِّدَّة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ـ جبلة بن الأيهم الغساني

أبضَعَةُ بنُ مَالِكَ الكِنْدِيّ

أحدُ أبناءِ ملوك كندة ، لم تسعف المصادر بنسبه ، قاتل المسلمين أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنع زكاة المال ، واتبع الأشعث بن قيس الكندي .

ولم نجد لهذا الشاعر ـ فيما وقع بين يدينا من مصادر ـ ترجمةً وافية أو شعراً ، فقد تفرَّد الواقدي في كتاب (الرِّدَّة) بالحديث عنه[1] ، وكان من أمرِهِ مؤازرةُ الأشعث بن قيس الكِندي بادِىءَ ذي بدء ، وقد تغَيَّر موقفه عندما أقبل جيش زياد بن لبيد لحرب المرتدين من كندة ، وكان جيشاً ضخماً تعداده أربعة آلاف رجلٍ من المهاجرين والأنصار باتجاه حضرموت ، وعندما سمعت قبائل كندة بهذا الخبر ، خافت وندمت على ما كان منها ، وتحدّث أبضعة بن مالك الكنديّ قائلاً : « يا معشر كندة ، إنّا قد أضرمنا على أنفسنا ناراً لا أظنُّ أنها تُطْفَأُ أو تَحرِقَ بشراً كثيراً ، والرّأي عندي أن نتدارَك ما فعلنا ونُسكِنَ هذه الثائرة التي ثارت ، ونكتبَ إلى أبي بكر الصِّدِّيق ، ونُعْلِمَه بطاعتنا ، وأن نؤدِّي إليه زكاةَ مالِنَا طائعينَ غير مُكرَهين ، وإنّا قد رضينا به خليفةً وإماماً ، مع أني أقولُ لكم هذه المقالة ولستُ بخارِجٍ من رأيكم ، على أني أعلمُ ما تؤول أموركم غداً . . . »[2] .

فهو ناصح قومه ولكنه متابعهم إن أرادوا القتال ، وهذا وجهٌ من وجوه العصبية التي تدفع أفراد القبيلة إلى مناصرة قبيلتهم في غِيّها وضلالها ، حتى لو كانت حياتهم هي الثمن! ؟

ولمّا سمعت قبائل كندة رأيه والأبيات التي أنشدها ، بدؤوا يوجهون النُّصح إلى أنفسهم ؛ فينصح بعضهم بعضاً بالرُّجوع إلى الإسلام ، فقال قوم : نرجع عَمَّا فعلنا ونؤدِّي الزكاة ، وقال قوم : لا بل نمنع الزّكاة ونقاتل من يجيئُنا من عِنْدِ أبي بكر . . . واستمرّ الاختلاف بين أتباع الأشعث بن قيس الكندي ، حتى حاصرهم

---

(١) انظر الرِّدّة ١٧٩ ـ ١٨٠ .
(٢) المصدر السابق ١٧٩ ـ ١٨٠ .

المسلمون ، فهُزِموا وعادوا إلى دفع الزكاة .

ـ ومن شعره في الرِّدَّة يحثُّ قومه على الطاعة[1] : [من الوافر]

أرى أمـــراً لكـــم فيـــه ســـرورٌ   وآخــــرُهُ لكـــم فيـــه نَـــدَامـــه
ومـــا لـــي بعـــد كنـــدةَ مـــن بقـــاءٍ   ومـــا لـــي بعـــد ظعنكـــم إقـــامـــه

(١) انظر ص٢٦٥ من هذا الكتاب .

الأَشْعَثُ بنُ قَيْس الكِنْدِي

الأَشْعَثُ بنُ قَيْس بنِ مَعْدي كرِبْ بنِ معاوِيَةَ بنِ جَبَلَةَ بنِ عَدِيٍّ بنِ رَبِيْعَةَ بنِ معاويةَ بنِ الحارثِ بنِ معاويةَ بنِ ثورِ بنِ مُرْتِع بنِ معاويةَ بن كندة[١] .

يُكَنَّى أبا محمَّد ، وكان اسمه مَعْدي كَرِب ، ولُقِّبَ بالأشعث لأنه كان أبداً أشعث الرَّأس[٢] ، ولُقِّب الأَشَجَّ[٣] ، وقيل : الأَشَجُّ لَقَبُ أبيه[٤] .

ولَهُ من الولد : النعمان وهلك صغيراً ، ومحمد بنُ الأشعث ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وحَبَّانة ، وقُرَيبة ، وأمهم أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر[٥] .

وكان الأشعث موصوفاً مع جماعة قد بَذُّوا الناس طولاً وجمالاً[٦] ، وصُنِّفَ مع (أعرق العرب في الغدر) ومع الجرّارين (والجرّار هو الذي يقود فوق الألف من الجند) ، ومع العُوْرَانِ الأشراف ، فقد فُقِئت عينه يوم اليرموك[٧] ، وقيل : (فارس اليمن في بني زُبَيْد عمرو بنُ معدي كرب ، وشاعرها امرُؤُ القيس ، وبيتها في كندة الأشعث بن قيس)[٨] ، وقيل : أول من مشت معه الرّجال وهو راكب الأشعث بن قيس[٩] . وتروي المصادر أن الأشعث بن قيس أُسِرَ في الجاهلية ،

---

(١) نسب معد واليمن الكبير ١٣٩ ، جمهرة أنساب العرب ٤٢٥ ، طبقات خليفة بن خياط ١٣٣ ، الإصابة ١/ ٦٦ ، الاستيعاب ١٠٣ ـ ١٠٨ .

(٢) الإصابة في أخبار الصحابة ١/ ٢٣٩ ، الاشتقاق ص٣٦٢ ، كتاب النسب لأبي عبيد ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(٣) مروج الذهب ٣/ ٢١١٠ ، الطبقات الكبير ٦/ ٢٣٠ ، الكامل ٢/ ٣٧٨ .

(٤) خزانة الأدب ٣/ ٢٣٩ ، وفي فتوح البلدان ١٤١ ولُقِّبَ (عُرْفَ النارِ) وذلك لغَدْرِهِ بقومه .

(٥) الطبقات الكبير ٦/ ٢٣٠ .

(٦) الكامل ـ المبرِّد ٦٤٢ ، بَذُّوا : فاقوا أو تميّزوا .

(٧) المحبَّر : ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٠٢ ، صُبح الأعشى ١/ ٤٤٨ ، البُرصان والعُرجان والعُميان والحولان ٣٦٢ .

(٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٨٨٤ .

(٩) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤١ .

أسرَتْهُ بنو الحارث بن كعب فافتُدِي بثلاثة آلاف بعير[1] .

وقد عَرَض الأشعث أخته قُتَيْلة على الرسول ﷺ ، بعد أن ردّ الرسول أسماء بنت النُّعمَانِ بنِ الجَوْنِ إلى أهلها ، فجهّزها الأشعث وحملها ، حتى إذا فَصَلَ من اليمن ، بلغتْهُ وفاة النبي ﷺ فَرَدّها[2] .

أسلم الأشعث مع قومه في وفد كندة ، « إذ قَدِم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كندة ، فقال الأشعثُ بنُ قيس : يا رسولَ الله ، نحن بنو آكِلِ المُرار ، وأنت ابنُ آكل المُرار ، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : ناسِبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، ثم قال : لا ، بل نحن بنو النَّضْرِ بن كنانة ، لا نقفوا أُمَّنا ولا ننتفي من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كِنْدة ، والله لا أسمع رَجُلاً يقولها إلا ضَرَبته ثمانين »[3] .

وقال الأشعث بن قيس : قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ في وفد كِنْدة فقال لي : « هل لك من وَلَد » قلت : غلام وُلِدَ لي في مخرجي إليك من ابنه جَمَدْ (بن وَلِيْعَة الكِنْدِي) ولودِدْتُ أنَّ مكانه شَبِعَ القومُ ، قال ﷺ : « لا تقولَنَّ ذلك فإنّ فيهم قُرَّة عين وأجراً إذا قُبِضُوا ، ولئن قلت ذلك إنهم لمَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ » .

وفي خَبَرٍ آخر أنَّه « بُشِّر بالنعمان بن الأشعث عند رسول الله ﷺ فقال : والله لجَفْنَةٌ من ثَرِيدٍ أطعمها إلى قومي أحبُّ إليَّ منه ، وهَلَكَ صغيراً »[4] .

وروى الأشعث أن الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] [آل عمران : ٧٧] قد نزلت فيه ، وقال :

---

(١) المعارف ٥٥٥ ، وهو أكثر العرب كلّها فداء ، افتدى نفسه بدية ثلاثة ملوك .
(٢) المحبّر : ٩٥ ، البداية والنهاية ٨/ ٢١٦ ، خزانة الأدب ٣/ ٢٣٩ .
(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ، ولا نقفو أمَّنا : لا لا نتبع نسب أمنا ، وقد كان من جَدَّات الرسول ﷺ من هي من ذاك القبيل ، وانظر البداية والنهاية ٣/ ٢٢١ ، ٣/ ٣١٣ .
(٤) خزانة الأدب ٣/ ٢٣٩ ، سيرة ابن هشام ٣/ ٥٨٦ ، ويبدو أن قومه كانوا مُجْدِبين ، الجَفْنَة : القَصْعَة .
(٥) سورة آل عمران ـ آية : ٧٧ .

« خاصمتُ رَجُلاً في رسول الله ﷺ فقال : ألكَ بَيِّنَة ؟ قلت : لا ، قال : فيحلف ؟ قلتُ : إذاً يَحلِفْ ، فقال : من حَلَفَ على يمينٍ فاجرةٍ ليقتطع بها مالاً ، لقِيَ الله وهو عليه غضبان »[1] .

وكان الأشعث يُبدِي الكثير من العُجب عندما يناقش الرسولَ ﷺ حول بعض قِيَم الإسلام كالمساواة والعدل ، ومن الخبر : « قال الأشعث للرسول ﷺ : أتتكافأ دماؤنا ؟ قال : نعم ، ولو قتلت رَجُلاً من باهلة[2] لقتلتك به ، وكانت العَرَبُ تستنكف من الانتساب إلى باهلة »[3] .

*** أخباره أثناء الرِّدَّة :**

ارتدَّ الأشعث مع قبيلة كندة في حضرموت ، وكان عاملهم زياد بن لبيد الأنصاري يصلي بهم ويأخذ ما يجب عليهم من زكاة أموالهم ، فلم يزل كذلك حتى صار الأمر إلى أبي بكر ، فقال له الأشعث بن قيس : « يا هذا ، إنّا قد سمعنا كلامك ودعاءك إلى هذا الرجل ، فإذا اجتمع إليه الناس اجتمعنا » ، فقال له زياد بن لبيد : « يا هذا ، إنّه قد اجتمع المهاجرون والأنصار » ، فقال الأشعث : « إنك لا تدري كيف يكون الأمر بعد ذلك » .

ويذكر الخبر أن الأشعث عزم على الرِّدَّة منذ سماعه بوفاة الرسول ﷺ ، فخاطبه أحد أبناء عمِّه ، ويُقال له امرؤُ القَيْس بنِ عَابِسَ فقال : « يا أشعث ، أنشدك بالله وبإيمانك وقدومك إلى رسول الله ﷺ إن نكصت أو رجعت عن دين الإسلام ، فإنّك إن تقدَّمْتَ تقدَّمَتِ الناسُ معك ، وإنّ هذا الأمر لا بُدَّ له من قائم يقوم به فيقتل من خالفَهُ عليه ، فاتّقِ الله في نفسك ، فقد علمت بما جرى على من خَالَفَ أبا بكر من العرب ومنع الزكاة » .

فقال له الأشعث : « يابن عابس ، إنّ محمَّداً قد مضى لسبيله ، وإنّ العرب قد

---

(١) سيرة أعلام النبلاء ٢/ ٣٨ والحديث في صحيح البخاري ٢/ ٨٣١ رقم (٢٢٢٩) و٢/ ٨٣٥ رقم (٢٢٤٠) .
(٢) باهلة : إحدى القبائل العربية ، وكان العرب يخجلون من الانتساب إليها .
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٩٠ .

رجعت إلى ما تعبد من الآباء ، ونحن أقصى العرب داراً » .

قال له امرؤ القيس : « فسيبعث إلينا أبو بكر جيشاً كما بعث إلى غيرك ، وأيضاً فإنّ زياد بن لبيد بين أظْهُرِنَا ، وهو عامل علينا ، فلا يدعك تراجع الكفر بعد الإيمان » قال : « فضحك الأشعث ثم قال : أو لا يرضى زياد يابن عابس أن نُجِيْرَهُ ويكون بين أظهرنا ، فقال له امرؤ القيس : « يا أشعث ، انظر ما يكون بعد هذا » . وافترق القوم فرقتين ، فرقة أقاموا على دين الإسلام ، وأخرى عزموا على منع الزكاة والعصيان »[(١)] .

وبدأ زياد بن لبيد يجمع الصدقات من بني عمرو بن معاوية ، فأخذ ناقة للعدَّاء ابن حجر ووسمها بميسم الصدقة فطالبه العدّاء بإرجاعها واستبدالها ، فرفض زياد ، فاستغاث العدّاء بحارثة بن سراقة لإرجاع الناقة فأطلقها حارثة ، فأمر زيادٌ شباباً من حضرموت والسكون فضربوه وأَسَرُوا أصحابه وأرجعوا الناقة ، فنشبت الفتنة ها هنا فغضب السَّكون وحضرموت لزياد ، وبنو معاوية لحارثة ، وتوافى عسكران عظيمان ، فقال لهم زياد : إما أن تضعوا السِّلاح وإما أن تُؤذِنوا بحرب ، فقالوا : لا نضع السلاح أبداً حتى ترسلوا أصحابنا ، فرفض زياد ، وهاجمهم ليلاً ، فهربوا ، وخَلّى زياد عن الأسرى ، ورجع إلى منزله ظافراً ، فلما رجع الأسرى إلى قومهم ، عسكروا جميعاً ، ونادَوا بمنع الصَّدَقة[(٢)] .

وقارىء الأحداث يلحظ أن سلوك حارثة بن سُرَاقة في جمع الصدقة كانَ سبباً في إثارة القبائل التي اتخذت منه موقف المتحدي ، فظهرت النعرات والعصبية ، ورغبت هذه القبائل بإشعال الحرب لتثبت لحارثة أنها قادرة على هزيمته والوقوف في وجهه ، فعزمت على التحدي وإمساك الصدقة .

« ويروي الواقدي : أنَّ زياد بن لبيد بعث أبياتاً إلى حارثة بن سُرَاقة يهدِّد بالحرب إذا منعوا الصَّدقة ومنها :

---

(١) الخبر كاملاً من الرِّدَّة (١٦٧ ـ ١٧٠) .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ، وذكرتُ حادثةَ الناقةِ بالتفصيل في ترجمة حارثة بن سُرَاقة .

نُقاتلكم في اللهِ واللهُ غالِبٌ   على أمْرِهِ حتَّى تُطِيعوا أبا بَكْرِ
وحتى تقولوا بَعْدَ خِزْيٍ وذِلَّةٍ   رضينا بإعطاءِ الزَّكاة على القَسْرِ

فلما وردَتْ هذه الأبيات غضبَتْ أحياء كندة غَضَباً شديداً ، ثم وثَبَ الأشعث بن قيس فقال : (خبروني عنكم يا معشر كندة إن كنتم قد أزمعتم على منع الزّكاة وحرب أبي بكر ، فهلا قتلتم زياد بن لبيد ، فكان يكون الأمر في ذلك واحداً كائناً من كان ، ولكنكم أمسكتم عنه حتى أخذ زكاة أموالكم ثم رحل عنكم إلى صاحبه وكتب إليكم يهددكم فهذه الأبيات ، فقال له رجلٌ من بني عمه : صدقت والله يا أشعث ، ما كان الرّأي إلا قتل زياد بن لبيد وارتجاع ما دفع إليه من إبل الصدقة ، والله ما نحن إلا عبيدٌ لقريش ، مرة يوجهون إلينا بالمهاجر بن أبي أمية فيأخذون من أموالنا ما يريدون ، ومرَّةً يولّون علينا مثل زياد بن لبيد ، فيأخذ من أموالنا ويهدِّدنا بالقتل ، والله لا طمعت قريش في أموالنا بعدها أبداً »[1] .

ثم تكلَّم الأشعث بن قيس فقال : « يا مَعْشَرَ كندة ، إن كنتم على ما رأى ، فلتكن كلمتكم واحدة ، والزموا بلادكم وحوطوا حريمكم ، وامنعوا زكاةَ أموالكم ، فإنِّي أعلَمُ أن العرَبَ لا تُقِرُّ بطاعَةِ بني تيم بن مُرَّة وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيرها ، وإنها لنا أجود ، ونحنُ له أحرى ، وأصلح من غيرنا ، لأنّا الملوك وأبناء الملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قُرَشِيٌّ ولا أبطحي » ، ثم أنشأ الأشعَثُ يقول[2] :

وإنْ صَلُحَتْ في تيمِ مُرَّةَ إِمْرَةٌ   ففي كِنْدَةَ الأملاكُ أَحْرى وأَصْلَحُ
لأنّا مُلوكُ النّاسِ من قبلِ أن يُرى   على الأرضِ تَيْمِيٌّ ولا مُتَبَطِّحُ

وحاول زياد بن لبيد أن يدعو بعض قبائل كندة قبل إبلاغ أبي بكر بردّتهم ، فتوجه إلى بني ذهل بن معاوية فخذلوه ، فأخبر أبا بكرٍ بردّتهم ، فأرسل إليه جيوشاً أخرى ، وسمعت أحياء كندة بذلك ، فأظهروا الندم ، وندم حارثة بن

---

(١) الرِّدَّة (١٧٢ ـ ١٧٥) .
(٢) البيتان في : الرِّدَّة ١٧٥ .

سراقة ، وأعلن الأشعث بن قيس الكندي الحرب ، وفي هذه الأثناء ظهرت حركة العمَّردة والملوك الأربعة ، وقد قضى عليها المسلمون ، فوهنت شوكة المرتدين وبني عمرو بن معاوية وجمع الأشعثُ إليه بني الحارث بن معاوية وبني عمرو بن معاوية ومن أطاعه من السكاسك والقبائل ، فسار إليهم المهاجر بن أمية ، وقدم على زياد ، فَنَهَدَ إلى كندة وعليهم الأشعث ، فالتقوا بمحجر الزُّرقان[1] فاقتتلوا به وانهزمت كندة ، فالتجأت إلى النُّجَيْر[2] وقد رَمُّوه وحَصَّنوه ، ومعها أقوام من السكاسك وشُذَّاذٌ من السَّكون وحضْرموت والنُّجير ، على ثلاثة سُبُل ، فنزل زياد على أحَدِها ، والمهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه ، غلى أن قَدِم عِكْرمة فنزل فيه ، فقطع عليهم المواد ورَدَّهم وفَرّق في كندة الخيول . . .[3] .

ويذكر الواقدي أن زياد بن لبيد غزا عدداً من أحياء كندة فهزمهم وهم[4] : بنو هند ، وبنو العاتك ، وبنو حُجْر ، وبنو حَجْر ، فغضب الأشعثُ لذلك ، ثم قال : « لا كرامة لزياد يقتل قومي وبني عمِّي ، ويسبي النساء والذراري ، ويحتوي على الأموال ، وأقعُدَ عنه ، ثم نادى الأشعث في بني عَمِّه من[5] : بني مُرَّةَ وبني عدي وبني جَبلَة ، وسار يُريد زياد بن لبيد ومعه ألف فارس من فُرسان قومه ، وزياد بن لبيد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار ، وخمس مائة رجل من السَّكاسِك والسَّكُون ، فالتقى القوم بمدينة تَرِيم[6] ، فاقتتَلوا هنالك ساعة ، فوقعت الهزيمة على زياد والمسلمين ، وحوصروا هناك ، فاستنجد الأشعث

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، مَحجر الزُّرْقَان : والمَحْجر كالناحية للقوم : بأرض حضرموت أوقع فيه المهاجر بأهل الرِّدَّة .

(٢) النُّجَيْر : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، هو تصغير النجر . (معجم البلدان) .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٦ .

(٤) انظر كتاب النسب لبي عبيد القاسم بن سلام ، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٠٤ .

(٦) تَرِيم : اسم إحدى مدينتي حضرموت لأن حضرموت اسمٌ للناحية بجملتها ، ومدينتاها شِبَام وتريم ، وهما قبيلتان سُمِّيت المدينتان باسميهما . (معجم البلدان) .

بالمهاجر بن أمية في ألف فارس ، فدخل المدينة وجلس مع زياد بعد أن تَنَحَّى الأشعث عن باب المدينة ليسمح لهم بالدخول ، ثم رجع وجلس على الباب ، ونادى الأشعث قبائل كندة فأجابه بنو الأرقم وبنو حُجْر وبنو هند ، فحاصروا المسلمين وضيّقوا عليهم ، فأرسل المسلمون يستنجدون بأبي بكر ، فلم يجد بُدّاً من الكتابة إلى الأشعث بن قيس بالرِّضا : فأمرهم بتقوى الله ، ووعدهم أن يعزل زياد بن لبيد إذا كان هو سبب رجوعهم عن دين الإسلام ومنع الزكاة بحربه لهم ، وأن يولي عليهم من يُحبُّون »[1] .

فلمّا وصل الكتاب إلى الأشعث قرأهُ وقال للرسول : « إن صاحبك أبا بكر هذا يلزمنا الكفر بمخالفتنا له ، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي ، فقال له الرسول : نعم يا أشعث ، يلزمك الكفر ، إن الله تبارك وتعالىٰ قد أوجب عليك الكفر لمخالفك جماعة المسلمين » فوثب إلى الرسول غلام من بني مرَّة بن عم الأشعث ، فقتله ، فاعترضت قبائل كندة على قتل الرسول ، وانفضّ بعضها عن الأشعث ، حتى بقي الأشعث في قريب من ألفي رجل ، وأقبل السكاسك والسكون على زياد بن لبيد ومهاجر بن أمية في مدينة تَرِيم ، في نيّف من خمسة آلاف رجل من المهاجرين والأنصار ، فالتقوا بوادي الرَّقَّان[2] ، فقاتل الأشعث بضراوة ، وكاد يقتل المهاجر بن أمية ، وهزم الأشعث المسلمين وأدخلهم إلى تَرِيم ، فجدّد المسلمون الاستنجاد بأبي بكر ، وجمع أبو بكر أصحابه للمشاورة ، فاقترح أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن يصفح عنهم هذا العام ، على أن يأتوا بزكاتهم العام القادم طائعين غيرَ مُكْرَهين ، لأنهم كثيرون وأقوياء ، فرفض أبو بكر ، وقرَّر إرسال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لقتالهم ، فنصحه عمر بن الخطاب بتسيير عكرمة بن أبي جهل ، فكتب أبو بكر إلى عكرمة بمكّة فاستنهض أهلها وخرج في ألفي فارس ، ومَرَّ بصنعاء فاستنهض أهلها إلى القتال فأجابوه ،

---

(١) الرِّدَّة (١٨٨ ـ ١٩١) وقد اختصرنا الخبر لأنه مطوّل جداً .

(٢) وادي الرَّقَّان : موضع بالقرب من مدينة تَرِيم . (معجم البلدان) .

وفي هذا الوقت ارتدَّ أهل دَبا[1] فقاتلهم عكرمة فهزمهم ، وبلغ الأشعث بن قيس قدوم عكرمة في جيشه ، فالتجأ إلى حصن النُّجَير بعد أن رَمَّهُ وأصلحه وجمع نساء قومه وذريَّته ، وجعل زياد يشجِّع أصحابه ، وكذلك يفعل الأشعث ، وجعل كلُّ رأس من رؤوس كندة يحرِّض بني عمه على الحرب ، ويأمرهم ألاَّ يقصروا ، وخرج الأشعث وعلى رأسه تاج لجدِّه يزيد بن معد يكرب ، وجعل الأشعث يقاتل ويحرِّض قومه ، حتى حمل المسلمون على الأشعث وأصحابه ، ورفعوا أصواتهم بالتكبير ، فألجؤوهم إلى حصنهم الأعظم ، وضَيَّقوا عليهم الحصار فقال لهم الأشعث : يا بني عمِّي ، ما الرأي ، فقالوا : والله الرّأي أن نموت كراماً[2] ، قال الأشعث : فإن كنتم عزَمتم على ذلك فافعلوا كما أفعل حتى أعلم أنكم صادقون ، قال : ثم ضَرَبَ الأشعث بيده إلى ناصيته فَجزَّها وربطها على رأس رمحه ، وجَزَّ القوم نواصيهم وربطوها في رؤوس رماحهم ، وتبايعوا على الموت ، فلمّا فتح باب الحصن ، التقى الفريقان فتقاتلوا قتالاً شديداً لم يسبق لهم ، فولّى الأشعث منهزماً هو وأصحابه والتجؤوا إلى الحصن مرَّة ثانية ، وانضمت إليهم القبائل التي انفضَّت عنهم عندما قُتِل الرسول حامل الرسالة ، فقاتلوا المسلمين ، واشتدَّ عليهم الحصار ، فأرسل الأشعث إلى زياد أن يعطيه الأمان ولأهل بيته ولعشرة من وجوه أصحابه ، فأجابه زياد إلى ذلك ، ونزل الأشعث بن قيس من الحصن في أهل بيته وعشيرته من رؤساء بني عمه ، مع أهاليهم وأموالهم وأولادهم[3] .

وهكذا يمضي الواقدي في سرد الخبر بتفصيل شديدٍ ، وتطويل وإسهاب ، لذا أوجزنا الخبر ما استطعنا ، يروي الطبري أن الأشعث طلب من المهاجر أماناً ، فقال له المهاجر : « اكتب ما شئت واعْجل » ، فكتب أمانه وأمانهم ، وفيهم أخوه وبنو عمِّه وأهلوهم ، ونَسي نفسه ، عَجِل ودَهِشَ ثم جاء بالكتاب فختمه ،

---

(١) دَبَا : سوق من أسواق العرب بعُمَان . (معجم البلدان) .
(٢) الخبر كاملاً من الرِّدَّة (١٩٢ ـ ٢٠٠) وقد أوردِ المعركة بتفصيلٍ شديدٍ ، لذا آثرنا الاختصار .
(٣) الرِّدَّة : (٢٠٨ ـ ٢١٠) .

ورجع فسرَّب الذين في الكتاب ، وقيل : « لمّا لم يبقَ إلا أن يكتبَ نفسه وثَبَ عليه جَحْدَم بشفرة ، وقال : نفسَك أو تكتبني ، فكتبه وترك نفسه » .

فلما فُتِح باب الحصن ، اقتحمه المسلمون وضربوا أعناق المقاتلين ، وأحصوا ألف امرأة ممن في النجير والخندق ، ووُضِعَ على السَّبي والفَيء الأحراس ، وقرأ المهاجر الأمان ، فإذا الأشعث ليس فيه ، فقال المهاجر : الحمد لله الذي أخطَأَك نوْؤُكَ يا أشعث ، يا عدوَّ الله قد كنت أشتهي أن يخزيَك الله ، فشدّه وثاقاً ، وهَمَّ بقتله ، فقال له عكرمة : أخِّره ، وأبلغه أبا بكر ، فهو أعلم بالحُكْم في هذا ، وإنه كان رَجُلاً نسي اسمه أن يكتبه ، وهو وليُّ المخاطبة ، أفَذَاك يبطل ذاك ، فقال المهاجر : إنّ أمرَهُ لبَيِّنٌ ، ولكنّي أتّبع المشورة وأثرها ، وأَخَّرَهُ وبعث به إلى أبي بكر مع السَّبي ، فكان معهم يلعنه المسلمون ، ويلعنه سبايا قومه ، وسمّاه نساء قومه « عُرْفَ النار » كناية عن الغدر[1] .

وخاطبه أبو بكر قائلاً : استزلّك بنو وَلِيعة ، ولم تكن لتستزلَّ لهم ـ ولا يرونك لذلك أهلاً ـ وهلكوا وأهلكوك ، أما تخشى أن تكون دعوة رسول الله ﷺ قد وَصَلَ إليك منها طَرَف ، ما تراني صانعاً بك ؟ قال : إني لا عِلْمَ لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإني أرى قتلك . قال : فإني أنا الذي راوضْتُ القومَ في عشرة ، فما يحلُّ دمي ، قال : أفوّضوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : فإنما وجَبَ الصُّلْحُ بعد خَتْمِ الصحيفة على مَنْ في الصحيفة ، وإنَّما كنتَ قبل ذلك مُراوَضاً . فلمّا خَشِيَ أن يقع به قال : أوَ تحتسِبُ فيَّ خيراً فتطلق إساري وتقيلني عثرتي ، وتقبل إسلامي ، وتفعل بي مثل ما فعلتَه بأمثالي وتردّ عليّ زوجتي ـ وقد كانَ خَطَبَ أُمَّ فروة بنت أبي قحافة مَقدَمَهُ على رسول الله ﷺ ، فزوَّجه وأَخَّرها إلى أن يَقْدمَ الثانية ، فمات رسول الله ﷺ ، وفعل الأشعَثُ ما فعل ، فَخَشِيَ ألاّ تُرَدَّ عليه ـ تجدُني خيرَ أهلِ بلادي لدينِ الله ، فتجافى له عن دمه ، وقَبِلَ منه ، وردّ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٣٨ ـ ٣٣٩ ، وأخطأك نوْؤك : أي خابت توقعاتُك ولم تُوَفَّق إلى الصواب . وروى الواقدي في الرِّدَّة (٢٠٩ ـ ٢١١) أن الأشعث طلب الأمان من زياد ودار بينهما حوارٌ طويل ، وأنشد الأشعث أبياتاً .

عليه أهله ، وقال : انطلق فليبلغني عنك خيرٌ[1] .

وفي خبر آخر قال الأشعث : يا خليفة رسول الله ، ما كفرتُ بعد إسلامي ولكنّي شححْتُ على مالي[2] .

وقد أولَمَ الأشعث لزواجه وليمةً ضُرِبَ بها المثل فقيل: «أَوْلَمُ من الأشعث»[3]، وذلك أن الأشعث اخترَطَ سيفَهُ ، ودخَلَ سوق الإبل ، فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلا عَرْقَبَهُ ، فصاح الناس : كَفَر الأشعث ، فلمّا فرغ طَرَح سيفه وقال : إني والله ما كفرت ، ولكن زوّجني هذا أخته ، ولو كُنَّا في بلادنا كانت وليمة غير هذه ، يا أَهْلَ المدينة كُلوا ، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا شَرْواها[4] .

وقد ندم أبو بكر فيما بعد على ترك الأشعث حيّاً ، ففي الخبر قول أبي بكر : « إني لا آس على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتُهنَّ ووددتُ أنّي تركتهنّ ، وثلاث تركتهنَّ ووددتُ أني فعلتهنّ . . . فوددت أني يوم أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربْتُ عُنُقَه ، فإنّه تخيَّل إليَّ أنّه لا يرى شرّاً إلا أعانَ عليه . . . »[5] .

وهكذا انتهت رِدَّة كندة ، وراجع الأشعث الإسلام ، وأبلى بلاء عظيماً في الفتوحات والمعارك وقد شارك الأشعث في كثير من الوقائع ، فها هو ذا في القادسية على رأس كتيبة أسد يحمّسهم ويخطب فيهم (سنة ١٤هـ)[6] ، وهو يلتقي خالد بن الوليد بقنَّسرين[7] فيجيزه (سنة ١٧هـ) ، وقد شارك سنة

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٩ ، وقد أورد الواقدي في الرِّدَّة ٢١٣ ، حواراً مطوّلاً للأشعث وأبي بكر وزياد بن لبيد ، وفيه أنشد الأشعث أبياتاً .

(٢) الطبقات الكبير ٦/ ٢٣٥ .

(٣) انظر جمهرة الأمثال ٢/ ٣٤٨ .

(٤) ثمار القلوب ١/ ١٧٥ ، شذرات الذهب ١/ ٢٢١ ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٣٣٠ ، وراجع الإصابة ١/ ٢٣٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٠ ، مروج الذهب ٣/ ١٥١٨ .

(٦) تاريخ الطبري ٣/ ٥٣٩ _ ٥٦٠ .

(٧) تاريخ الطبري ٤/ ٦٧ ، المنتظم ٤/ ٢٣٠ ، قِنَّسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة=

(٢١هـ) في نهاوند ، وكان عامل عثمان بن عفّان على أذربيجان سنة (٣٤هـ)[١] ، وله أخبار كثيرة جداً في النزاع بين علي ومعاوية ، فقد كان في التحكيم وفي معركة النهروان سنة (٣٧هـ) ، واعتمد عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الرأي والمراسلة والمشورة ، وقد شهد مع علي الجمل وصفين ، وكان من أكبر أمرائه آنذاك ، وكان على ميمنة علي[٢] .

ويروى أن جعدةَ بنت الأشعث بن قيس كانت امرأة الحسن بن علي رضي الله عنه وروي أنها من دَسَّت له السُّمَّ فَقُتِلَ مسموماً . . .[٣] .

واختلفت المصارد في تاريخ وفاته ، فقيل إنه مات سنة أربعين[٤] ، وقيل سنة اثنتين وأربعين[٥] بعد مقتل علي بأربعين يوماً ، وصلّى عليه الحسن بن علي ، وأمرهم أن يوضؤوه بالكافور وضوءاً[٦] .

وقيل مات بالكوفة والحسن بن علي رضي الله عنه بها حين صالح معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة (٤١هـ)[٧] .

= حمص بقرب العواصِم . (معجم البلدان) .

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٣٣٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٦٩ ، ٥/ ٨٩ ، المحبّر : ٢٩١ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٠ ، وله أخبار كثيرة ومطوّلة جداً مع علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، انظر مروج الذهب ٣/ ١٥١٨ـ (١٦٥٢ ـ ١٦٦٥) ، وراجع وقعة صفين وفيها أخبار مطوّلة جداً عن دوره في النزاع ، (٢٠ ـ ٢٢) ، وبلاؤه في صفين ١٣٧ ، (١٦٦ ـ ١٧٤) ، ١٨٠ ، ٢٠٥ ، ٣٠٢ ، ٣٣٩ ، (٤٨٠ ـ ٤٨٤) ، (٤٩٨ ـ ٥٠٠) ، ونطالع في هذه الأخبار دوره في الصلح ووقف النزاع وخطبته قبيل القتال في أخبار مطوّلة جداً .

(٣) المحن ١٥٧ ، التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٩٤ ، أنساب الأشراف ١٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤١ ، المعارف ٣٣٣ ، شذرات الذهب ١/ ٢٢١ ، الأشراف في منازل الأشراف ٢٢٤ .

(٥) الإصابة ١/ ٢٣٩ ، الاستيعاب ١/ ٢٢٠ .

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤١ ، الطبقات الكبير ٦/ ٢٣٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤١ .

الأَشْعَثُ بنُ مِئْنَاس السَّكُوني

هو الأشعثُ بنُ مِئْناس السَّكُوني أحدُ بني السَّكون ، وهم بطنٌ من كندة ، وقيل : هو الأشعث بن ميناس أيضاً[١] .

هو أحدُ أتباعِ الأشْعَثِ بن قيس الكِنْدِي ، وأخباره قليلةٌ ، وقد آزر قومه من بني السَّكُون في منع الزكاة والوقوف في وجه زياد بن لبيد[٢] وقال مهدِّداً كل القبائل التي تدّعي أنّها قادرةٌ على حماية زياد بن لبيد[٣] : [من الطويل]

لعمري وما عمري بعُرْضَةِ جانبٍ ليَجْتَلِبَنْ منها المرارَ بنو عَمْرو
كذبتم وبيتِ الله لا تمنعونها زياداً وقد جئنا زياداً على قَدْرِ

وتنقطعُ أخبار الأشعث بن مِئْنَاس السَّكوني بعد الرِّدَّة لسنوات ، ثم يردُ ذكرُهُ في فتح حمص مع أبي عبيدة بن الجرّاح ، وكان قد أحلَّهُ مع من انضمَّ إليه من قومه في حمص سنة (١٥هـ)[٤] .

ولم نجد له ذكراً آخر في المصادرَ التي بين يدينا مما يرجح وفاته في تلك السنة .

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في : الرِّدَّة ٢١٤ ، تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٣ ـ ٣٤١ ـ ٣٤١ ـ ٦٠٠ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٩٢ ، فتوح البلدان ١٤٥ ، الإصابة في أخبار الصحابة ١/ ٣٤٤ .

(٢) انظر حادثة زياد بن لبيد وحارثة بن سراقة في ترجمة الأشعث بن قيس ص٨٢ ، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٣ .

(٣) انظر الأبيات في تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٨ ، ونُسِبَت إليه أبيات في رثاء قتلى حصن النُّجَيْر وقائلها الحقيقي هو الأشعث بن قيس الكندي ص٨٢ انظر ص٢٨٠ من هذا الكتاب .

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٦٠٠ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٤٩٢ ، الإصابة ١/ ٣٤٤ .

الجَبْرُ بنُ القَشْعَمِ الكِنْدي

هو الجَبْرُ بنُ القَشْعَمِ بن يَزِيْد بن الأَرْقَمِ الكِنْدِيِّ ، من أصحاب الأَشْعَثِ بنِ قَيْس[1] ، وجدُّه القشعم بن يزيد بن الأرقم ، كان أحد رؤساء قومه يومَ لقوا بني الحارث بن كعب ، وهو من بني زيد بن كهلان من قحطان[2] .

وَفَدَ الجبرُ بن القشعم على الرسول ﷺ في وفد السَّكَاسِكِ والسَّكُون سنة (٩هـ) ، وفي الخبر « أن النبيَّ ﷺ صلّى على السكاسك والسَّكُون ، وقال : « يا أهل اليمن هم أَلينُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً » ، وقال : اللهم اقبل بقلوبهم »[3] .

وهو أحدُ من تولّى القضاءَ في الكوفة[4] .

*** أخباره في الرِّدَّة :**

وهو ممن شاركوا في رِدَّة أهل حضرموت من كندة وغيرها ، فآزروا الأشعث ابن قيس ، ومنعوا الزكاة وقرّروا محاربة المسلمين ، ونلحظُ في أخباره تناقضاً مرَدُّهُ الانقياد الأعمى وراء العصبيّة القبليّة ، فقد حارب الجبر بن القشعم إلى جانب الأشعث بن قيس مدَّةً طويلةً ، ثم انفضَّ عنه بعد أن قَتَل أحدُ أبناء عمِّ الأشعث رسولَ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه[5] ، وقال مخاطباً الأشعث بن قيس : « يا هذا ، إنّا رجونا أنكَ تعتذر إلينا بعذرٍ نقبله منك ، فأجبتنا بما قد أنفرنا منك ، وايمُ الله لو كنتَ ذا إرْبٍ[6] لغيَّرتَ هذا ولم ترتكب العدوان ، وقَتْلَكَ

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في الرِّدَّة ١٩٠ ـ ١٩٣ ، ٢٠٦ ، الإصابة في أخبار الصحابة ١/ ٥٦٣ ، الاشتقاق ٣٦٥ ، والقَشْعَمُ : هو المُسِنُّ من النُّسُور ، ج قشاعم .

(٢) الاشتقاق ٣٦٥ .

(٣) الإصابة ١/ ٢٢٢ ، وانظر في أسد الغابة ١/ ٥٠٨ ت(٦٧٧) .

(٤) الاشتقاق ٣٦٥ ، تاريخ الكوفة .

(٥) انظر تفاصيل الخبر في ترجمة الأشعث بن قيس الكندي ص٨٢ من هذا الكتاب .

(٦) الإِرْبُ والأُرْبَةُ والأَرَبُ : الحاجَةُ والدَّهاء ، الإرْبُ : العُضْوُ ، والفَرْجُ ، والعَقْل ، والإِرْبَةُ : الحيلة .

رسولاً لا جرمَ له » ثم نادى الجبر في بني عمِّه من بني الأرقم فقال : « ارحلوا عن هذا الظّالم حتى يعلم الله أنّكم لم ترضوا بما قد فعل » وأنشد[1] : [من المتقارب]

سيــرحَــلُ عنكــم بنــو الأرْقَــمِ عَشِيَّــةَ جُــرْتَ علــى المُسْلِــمِ
أيُــؤْذَى الــرَّسُــولُ بــأن حَلَّكُــم بِخَــطٍّ كتــابٍ ولــم يُجــرِمِ

ولكننا نقرأ لجبر بن القشعم موقفاً مناقضاً ، عندما حوصِرَ المرتدون بقيادة الأشعث بن قيس في حصن النُّجَيْر ، واشتدَّ الحصار عليهم ، فنادت كل القبائل التي انفضت عن الأشعث لنصرته ، ومنهم الجبر بن القشعم الذي خرج يتقلد سلاحه وهو يقول[2] : [مشطور الرجز]

قــد حُصِــرَتْ كِنْــدَةُ فــي النُّجَيْــرِ
مــا إن لهــا مــن الــدِّفــاع غيــري

ولا شك في أن التعصب القبلي قد أغشى عقولهم ، فانحازوا إلى قبائلهم ظالِمةً أو مظلومةً ، ورفضوا دفع الزكاة ، وعزموا على سفك الدِّماء ، وإشعال الحروب ، وإثارة الفتن ، بهدف التمسك بالعنجهية ، أو الحصول على زَعَامةٍ أو غنيمة دون أن يُفكّروا بعاقبة ما ارتكبوه ، فهم إزاء عصبيتهم صمٌّ بكمٌ عميٌ تدفعهم الرغبة في الثأر والانتقام ، وإعلاء شأن القبيلة ، وتحجز عقولهم عن التفكير في أي شيء آخر .

ولم نجد للجبر بن القشعم ذكراً آخر في أخبار الرِّدَّة ، ولم تسعفنا المصادر التي بين يدينا بمزيد من المعلومات عنه .

(١) الخبر والأبيات في الرِّدَّة : ١٨٩ ـ ١٩٣ .
(٢) المصدر السابق ٢٠٦ .

الحارثُ بنُ مُعَاوِيَةَ الكِنْدِيّ

الحارِثُ بنُ مُعَاوِيَةَ الكِنْدِيّ من رؤساء بني ذَهْلِ بن مُعَاوية ، كان ممن حرّضوا على منع الزكاة وقِتال المسلمين(١) ، ولم يذكر الواقدي عن نسبه ما يعيننا على تتبع نسبه ومن ثمَّ الوصول إلى معلومات أكثر غنى وإلى أخبار أكثر إفادة ، وقد وجدنا في كتب التراجم عدداً من الأشخاص ممن حملوا الاسم نفسه(٢) ، لكنّ الشخصية التي ندرسها هنا عاصرت الرِّدَّة في زمن أبي بكر واشتركت فيها .

*** أخباره في الرِّدَّة :**

وقف الحارثُ بنُ معاوية في مواجهة زياد بن لبيد عندما جاء لجمع الصدقة ، فتحدّاه ، وأعلن رفض بيعة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وجَاهَرَ بعداوته له وللمسلمين ، وأنكَرَ حقّ الله في زكاة المال ، وحاوره قائلاً : « يا زياد ، إنَّك تدعو إلى الطّاعة لرجُلٍ لم يُعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد ، فقال زياد بن لبيد : صَدَقْتَ ، فإنه لم يُعهد إلينا ولا إليكم فيه عَهْدٌ ، ولكن اخترناهُ لهذا الأمر ، فقال له الحارث : خبرني فلِمَ نحّيتم عنها أهل بيته ، وهم أحقُّ الناسِ بها ، لأنّ الله عزّ

---

(١) الرِّدَّة ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٢) انظر أسد الغابة ١/ ٦٣٩ ورد ذكر لشخص اسمه الحارث بن معاوية الكندي في سند حديث شريف دون معلومات أخرى . وفي الطبقات الكبير ٩/ ٤٤٧ ورد اسم للحارث بن معاوية الكندي الذي رَحَلَ إلى عمر بن الخطاب ، وحدّثه عن الشام وأهلها فقط ، وفي الطبقات الكبرى ٣/ ٣٩١ ورد اسم الحارث بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف . . . بن أُدَد ابن مَذْحِجْ ، وهو من قبيلة أخرى . وفي مختصر تاريخ دمشق ١١/ ٣٠٢ ذُكِرَ اسم الحارث بن معاوية فقط دون الإشارة إلى اسم قبيلته . فهو شخص آخر ، وفي المصدر نفسه ٢٨/ ٢٢١ ذكر اسم الحارث بن معاوية الكندي دون أي زيادة أو توضيح ، وفي المصدر نفسه ٦/ ١٦٦ ورد ذكر للحارث بن معاوية الكندي الأعرج ، ولا نعتقد أنه شاعرنا الذي ندرسه لأنه تميَّز بلقب الأعرج . وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٦٨ ذكرٌ للحارث بن معاوية الحمصي . ولا نعتقد أنه شاعرنا . . .

وجلّ يقول : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾[1] ، فقال زيادُ بنُ لبيد : إنّ المهاجرين والأنصار أنْظَرُ لأنفسهم منكَ ، فقال له الحارث ابن معاوية : لا والله ، وما أزلتموها عن أهلها إلاّ حَسَداً منكم لهم ، وما يستقرُّ في قلبي أن رسولَ الله ﷺ خرج من الدنيا ولم يُنَصِّبْ للناس عَلَماً يتّبعونه ، فارحل عَنّا أيّها الرجل ، فإنّك تدعو إلى غيرِ رضا »[2] .

إنّ مؤازرة الحارث بن معاوية الكندي للمرتدّين سببها عدم اقتناعه بمبايعة أبي بكر الصِّدِّيق ، حَسَداً منه ورغبةً في أن تكون الخلافة في قبيلته ، لذا فهو يُفَضِّل الانضمام إلى المرتدين تحت لواء الأشعث بن قيس الكندي ، فهو من قبيلته ، وأنْ يتبع أحد أبناءِ قبيلته خيرٌ له من أن يتبع خليفةً من قبيلة أخرى ؟!

ومن شعره في الرِّدَّة قوله[3] : [من الكامل]

كانَ الرّسولُ هو المطاع فقد مضى صلّى عليه الله لم يستخلفِ
إن كان لابن أبي قُحَافَةَ إمرةٌ فلقد أتى في أمرِهِ بتعسُّفِ

ولم نجد للحارث بن معاوية الكندي المرتد ، ذكراً آخر في المصادر التي توافرت لنا ، فلم نعثر على أخبارٍ أخرى أو إشارات تدل على مكان أو تاريخ وفاته .

(١) سورة الأنفال ـ آية : ٧٥ .
(٢) الخبر في الرِّدَّة ١٧٦ ـ ١٧٧ .
(٣) الرِّدَّة ١٧٧ .

حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَة بنُ مَعْدِي كَرِب

من أصحاب الأشعث بن قيس ، وهو حَارِثَة بنُ سُرَاقَة بنِ مَعْدِي كَرِب بنِ وَلِيْعَةَ بنِ شُرَحْبِيْل الكِنْدِيّ ، أحدُ رؤساءِ كندة[1] .

* أخباره في الرِّدَّة :

إن من يطالع خبر ارتداد أهل حضرموت الذين منعوا الزكاة ، وقاتلوا زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يرى أن موقف حارثة بن سراقة أذكى العصبية القبلية في نفوس أبناء قبيلته ، وحثَّهم على العصيان ومنع الزكاة ومجابهة زياد بن لبيد ، ولا شك في أن العصبية العمياء استحوذت على عقول هؤلاء القوم ، ودفعتهم إلى خوض حروب مريرة وطاحنة مع المسلمين ، دون أن يتفكّروا في العواقب أو الأسباب ، لذا نجد بعضهم يعترف بخطئه ، وأنه لم يرجع عن دين الرسول وتعاليمه ، إلا أن سلطة القبيلة الراسخة في نفوس أبنائها في كل زمان ومكان هي التي أشعلت نار المواجهة في معظم الأحيان .

وقد ذكر الطبري خبره بالتفصيل فقال :

« وكان زياد بن لبيد حين رجع الكِنْديّون ولَجُّوا ولَجَّ الحضرميون ، ولي صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه ، فَقَدِمَ عليهم وهم بالرِّياض[2] ، فصدّق أوّل من انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يُقال له شيْطان بن حُجْر[3] ، فأعجبته ناقة من الصّدقة ، فدعا بنارٍ فوضع عليها الميسم ، وإذا النَّاقة لأخي الشيطان العدّاء بن حُجْر ، وليست عليه صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنَّها غيرها ،

---

(١) الرِّدَّة ١٧٠ ، تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٢ ، الفتوح ١/ ٦٥ ، وهو غير حارثة بن سراقة من بني عدي بن النجار أحد شهداء غزوة بدر ، راجع : الإصابة ٢/ ٣٣٢ ، الاستيعاب ١/ ٣٧٠ ، أسد الغابة ١/ ٦٥٠ ، سيرة ابن هشام ٦٢٧ ، المنتظم ٣/ ٧٢ ، شذرات الذهب ١/ ١٢٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٢ .

(٣) في الفتوح ١/ ٥٧ صاحب الناقة زيد بن معاوية القشيري ، وكذلك في الرِّدَّة : ١٧٠ .

فقال العدَّاء : هذه (شَذْرة) باسمها ، فقال الشيطان : صدق أخي ، فإني لم أعْطِكموها إلاّ وأنا أراها غيرها ، فأطلِق (شَذْرَة) وخُذْ غيرها ، فإنَّها غير متروكة . فرأى زياد أنَّ ذلك فيه اعتلال ، واتَّهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتَحَرِّي الشرّ .

فحمي وحمي الرجلان وأبى زياد ردها ، واستغاث الرجل بقومه وبحارثة بن سراقة بن معدي كرب الذي قال لزياد بن لبيد : أطلق لهذا الفتى بَكْرَته وخذ بعيراً مكانها ، فإنّما بعيرٌ مكان بعير ، فقال زياد : ما إلى ذلك سبيل ، فقال : ذاك إذا كنتَ يهوديّاً ، وعاجَ إليها فأطلقَ عِقالها ، ثم ضربَ على جَنْبها ، فبعثها وقام دونها وهو يقول : [من مشطور السريع]

يَمْنَعُها شيخٌ بخدَّيْهِ الشَّيْب   مُلَمَّعٌ كما يُلَمَّع الثوب

فأمرَ به زيادٌ شباباً من حضرموت والسَّكون فضربوه وأصحابه ، وارتهنوهم ، وأخذوا البَكْرة فعقلوها كما كانت ، وهنا ثارت ثائرة القبيلتين ، فغضبَ بنو معاوية لحارثة ، وغضبت السَّكُون لزياد ، وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء ومن هؤلاء ، فأرسل إليهم زياد وأنذرهم بترك السلاح أو الحرب ، فرفضوا ، فهاجمهم زياد ليلاً فقتل منهم ، وهربوا ، ولمّا هَرَب القوم أطلق زيادٌ الأسرى الذين عادوا إلى أصحابهم ، واتفقوا على منع الصدقة فأجمعوا وعسكروا جميعاً)[1] ، ثم أنشأ حارثة بن سُرَاقة يحرِّضُ قومه على منع الزكاة بقوله : نحن إنما أطعنا رسول الله ﷺ إذ كان حيّاً ، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه ، أما ابن أبي قحافة فما له في رقابنا طاعة ولا بيعة » ، ثم أنشأ يقول[2] : [من الطويل]

فيا قومُ لا تُعطُوا اللئامَ مقادةً   وقُوموا وإنْ كان المَقامُ على الجَمْرِ
فكِنْدَةُ ما زالت ليوثاً لدى الوغى   وغيثَ بني حوّاء في العُسْرِ واليُسْرِ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٣٣ ، والخبر مطوّل جداً لذا آثرنا الاختصار ، وانظر الفتوح ٨/٥٨ ـ ٥٩ ، ومختصر تاريخ دمشق ٤/٤٠٩ .

(٢) الرِّدّة (١٧١ ـ ١٧٣) وفي الخبر حوارات طويلة وتفاصيل لم نوردها تجنباً للإطالة .

فلمّا سمعَ زياد بن لبيد هذه الأبيات ، خاف على ما جمعه من الصدقات ، وخرج مع نفر من أصحابه يريدون أبا بكر ، وأرسل لحارثة بن سراقة وقومه بهذه الأبيات : [من الطويل]

نقاتلكم في الله والله غالبٌ ... على أمرِهِ حتى تطيعوا أبا بكرِ
وحتّى تقولوا بعد خزيٍ وذِلَّةٍ ... رضِينا بإعطاءِ الزّكاةِ على القسرِ

فلما وردت أبيات زياد بن لبيد هذه غضبت أحياء كندة غضباً شديداً[1] فتفرَّقت الناس عند ذلك طائفتين ، فصارت طائفةٌ مع حارثة بن سُرَاقة قد ارتدُّوا عن الإسلام ، وطائفةٌ مع زياد بن لبيد ، فلما رأى ذلك زياد قال لهم : نقضتم العهد وكفرتُم ، فأحللتم بأنفسكم واغتنمتم أُولاها بعد عقباها ؟ فقال حارثة : أمَّا عهد بيننا وبين صاحبك هذا الأحدث ، فقد نقضناها ، وإن أبيتَ إلاّ الأُخرى أصبتنا على رجل ، فاقضِ ما أنت قاضٍ[2] .

ثم أجمعت قبائل كندة على الرِّدَّة ومنع الزكاة وعلى رأسهم الأشعث بن قيس ، وبدأ بعضهم يحرض بعضاً على منع الصدقة ، والوقوف في وجه أبي بكر صفاً واحداً ، فهم ليسوا عبيداً لقريش ، وهم الملوك وأبناء الملوك من قبل أن يكون على وجه الأرض قرشي ولا أبطحي ، وعند ذلك بدأ زياد بن لبيد بدعوة كندة إلى الطاعة ودفع الصدقة ، فكانوا يردّون عليه بحقد وعصيان وتمرّد وعصبية قبلية متأججة ، فقرّر العودة إلى المدينة وإخبار أبي بكر بعزم قبائل كندة على الارتداد والعصيان[3] .

اغتم أبو بكر رضي الله عنه غماً شديداً ، وقرّر مواجهتهم بالقوة فأرسل إليهم

---

(١) المصدر السابق ١٧٣ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٤/ ٤١٠ ، ويقصد بالأحدث أبا بكر الصديق رضي الله عنه .
(٣) الرِّدّة ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ١٧٨ ـ ١٧٩ ، والخبر طويل وفيه حوارات كثيرة ، وانظر تتمة أبيات الشعر في ترجمة الشاعر أبضعة ابن مالك ، وفي المصدر السابق ١٧٩ ، والخبر في الفتوح ٨/ ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢ .

زياد بن لبيد بعد أن ضمّ إليه جيشاً آخر . ووصل الخبر إلى قبائل كندة فخافت وندمت ، وبدأ بعض رؤسائها يوجهون النصيحة إلى أقربائهم ، والدعوة إلى الطاعة والعودة ودفع الصدقة ، فها هو ذا أبضعة بن مالك ـ وهو زجل من أبناء ملوكهم ـ يقول : « يا معشر كندة ، إنّا قد أضرمنا على أنفسنا ناراً لا أظنّ أنها تطفأ أو تحرق منها بشراً كثيراً ، والرأي عندي أن نتدارك ما فعلنا ونسكن هذه الثائرة التي ثارت ، ونكتب إلى أبي بكر الصِّدِّيق ، ونعلمه بطاعتنا ، وأن نؤدي إليه زكاة أموالنا طائعين غير مكرهين ، وإنا قد رضينا به خليفة وإماماً ، مع أني أقول لكم هذه المقالة ولست بخارج من رأيكم ، على أني أعلم ما تؤول أموركم غداً ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الوافر]

أرى أمـــراً لكُـــمْ فيـــه سُـــرورٌ وآخِـــرُهُ لكـــم فيـــه نَـــدَامَـــه
ومـــا لـــي بعـــدَ كِنْـــدَةَ مـــن بَقَـــاءٍ ومـــا لـــي بعـــدَ ظَعْنِكُـــمُ إقـــامـــهْ

قال : فلما سمعت قبائل كندة هذا الشعر والكلام ، كأنهم انكسروا لذلك وجعل بعضهم يثوِّب بعضاً ، فقال قومٌ : نرجع عمّا فعلنا ونؤدِّي الزكاة ، وقال قومٌ : لا بل نمنع الزكاة ونقاتل من يجيئنا من عند أبي بكر ، فأنشأ حارثة بن سُرَاقة يقول نادماً ومتحيِّراً[2] : [من الخفيف]

لســـتُ أدري إذ خلـــوتُ بنفســـي أخطـــأٌ أولـــى بهـــا أم صـــوابُ
أجمعـــت كنـــدةٌ الغَـــدَاةَ علـــى الحَـــرْ بِ هـــوى مَعْشَـــرٍ مـــن الأوشـــاب

فلما سمعت قبائل كندة هذه الأبيات من حارثة بن سُرَاقة ، وثبوا إليه من كل جانب وقالوا : والله ما أملنا فيما نحن عليه سؤال ، وما زلت مشؤوماً على كلِّ حالٍ ، ثم وثب إليه الأشعث بن قيس فقال : والله يابن سُرَاقة لأسلمنك غداً إلى زيادٍ بن لبيد ، قضى فيك ما قضى ، فإنّ ذلك خيرٌ لكندة من نصب الحرب لمثل أبي بكر في سبب ناقةٍ لا أقلَّ ولا أكثر ، ثم أنشأ الأشعث يقول[3] : [من الخفيف]

---

(١)
(٢) الرِّدَّة ١٨٠ ـ ١٨١ .
(٣) المصدر السابق ١٨٠ ـ ١٨١ .

عَجَبَاً ما عجبتُ من حَدَثِ الدَّهـ ـرِ ومن فِعْلِ حارثِ بن سُرَاقهْ
هاج حرباً يشيبُ من هَوْلِها الرأ سُ ويسْجِي بها الوليد الناقهْ

قال : فقال حارثة بن سُرَاقة : يا أشعث ، إنّ كلامك هذا يدلُّ على أنك ناصح قومك غداً إذا وافاهم جيش أبي بكر ، قال : فقال له الأشعث : والله ما أبرأ إليك من ذلك يا حارثة ، فكن مما قلته على يقين »(١) .

وعندَ هذا الحد تنقطع أخبار حارثة بن سُرَاقة ، فلا نجد له ذكراً آخر في المصادر التاريخية والأدبية التي توافرت لنا ، فلم تذكر معلومات أخرى عنه ، ولا نعلم تاريخ ومكان وفاته .

ولا شك في أنَّ موقفه ينمُّ على عداءٍ حقيقي مستحكم في نفسه لكل القبائل الأخرى ولاسيما قريش ، لذا يرفض دفع الزّكاة لأبي بكر ويحرِّض الآخرين على رفضها ، فكان موقفه هو الشرارة التي أشعلت نيران الرِّدَّة في قبيلته ، ولم تنطفىء إلا عندما جابههم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه بقوةٍ وحزمٍ ليؤدوا حقّ الله ، ويعودوا إلى الطاعة والجماعة .

---

(١) المصدر نفسه ١٨٠ ـ ١٨١ .

الحُطَيْئَة

هو جَرْوَلُ بنُ أَوْس بنِ مَالِك من بني قُطَيْعة بن عَبْس ، ولُقِّبَ بالحطيئة لِقِصَره وقربه من الأرض ، ويُكَنَّى أبا مَلِيْلَة ، وكان راوية زُهَيْر بن أبي سُلْمى ، وهو أحد المخضرمين الفحول[1] ، وهو رابع فحول الطبقة الثانية عند ابن سلاّم[2] .

يُقال : إنه أسلم في عهد الرسول ﷺ ويؤكِّد ابن قتيبة إسلامه بعد وفاة الرسول ﷺ[3] .

يقول ابن قتيبة : (وكان الحطيئة رقيق الإسلام ، لئيم الطبع ، فاسد العقيدة) .

*** أخباره :**

وربما كانت رقّة دينه هي ما جعله يظهر الحقد على المسلمين ، ويجاهر بكراهيته للقيود الدينية ورفضه خلافة أبي بكر ، وحثه الآخرين على إمساك الزكاة ، فهي إتاوة سيدفعونها لأبي بكر ، والمتمعن في سيرة الحطيئة يلحظ أن نفسه حملت تمرّداً وحقداً على البشر جمعاء ، وهذا جزء من تلك النفس الغريبة المتقلبة .

وقد ارتدَّ في أيام أبي بكر الصِّدِّيق ، وأنشَدَ أبياتاً تلخِّص مفهوم الرِّدَّة وسببها ، وتفصِحُ عمّا يجول في نفوس الأعراب المرتدين الذين لا يريدون زعامةً ولا دفْعَ زكاةٍ ، يقول[4] : [من الطويل]

أطعنا رسول الله إذ كان صادِقَاً ... فيا عَجَباً ما بالُ دينِ أبي بَكْرِ
ليورثنا بكراً إذا ماتَ بعدَهُ ... فتلكَ وبيتِ اللهِ قاصمةُ الظَّهْرِ

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ٣٢٢ .
(٢) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٠٣ .
(٣) الشعر والشعراء ١/ ٣٢٢ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٣٢٢ ، والأبيات في ديوان الحطيئة ، د . نعمان أمين طه ص١٩٣ .

يقول ابن قتيبة : « وقد يجوز أن يكون أراد بقوله : أطعنا رسولَ اللهِ ، قومَه أو العرب » .

ويُخَيِّل إلينا أن الحطيئة قد عاد إلى جادّة الصواب فمارس الإيمان بشكل فعلي ، وشارك في القادسية[1] ، وبدأ يُحَمِّسُ المقاتلين وينشد أبياتاً فيها روح إسلامية حقيقية .

ومن شعره الديني[2] : [من الوافر]

ولستُ أرى السَّعادة جمْعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السَّعِيْدُ
وتقوى الله خيرُ الزّادِ ذُخراً ... وعند الله للأتقى مَزِيْدُ
وما لا بُدَّ أن يأتي قريبٌ ... ولكنَّ الذي يمضي بَعِيْدُ

ولكّنا نلمس رِقَّةَ دينه مرّة أخرى في وصيته ومضمونها : « ما لي للذكور من ولدي دون الإناث ، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكنّي آمُرُ به ، ثم قال : ويلٌ للشعر من الرواة السوء ، وقيل له : أوصِ للمساكين بشيء ، فقال : أُوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فإنها تجارة لن تبور ، وقيل له : أعتِق عبدَكَ يَسَاراً ، فقال : اشهدوا أنَّه عَبْدٌ ما بقي عبسيٌّ ، وقيل له : فلانٌ اليتيم ما توصي له بشيء ؟ فقال : أوصي أن تأكلوا ماله وتفعلوا بأُمِّه ، قالوا : فليسَ إلاّ هذا ؟ قال : احملوني على حمار ، فإنّه لم يمت عليه كريمٌ ، لعلّي أنجو . . . »[3] .

يبدو جليّاً أنه تعمّد جعل بنود وصيته مخالفةً للشريعة الإسلامية ولم يأبه بتعجُّبِ الحضور ، وقد علق بعضهم أن فكاهة الشاعر ودعابته لم تغب في وصيته قبيل موته .

يقول د . طه حسين معلّقاً على أخلاق الحطيئة : « . . . ومهما يكن من شيء ، فقد كان الحطيئة أخمل ذكراً وأهون شأناً من أن يظهر له خطر في الإسلام

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٣٢ .
(٢) ديوان الحطيئة ٣٢١ .
(٣) الشعر والشعراء ١/ ٣٢٢ .

أيّام النبي ، لكنه اضطر حين انهزم المرتدون إلى أن يذعن لما أذعنت له العرب ، ويدخل فيما دخل فيه الناس ، فاتخذ لنفسه من الإسلام رداء ، لم يشك الرواة في أنه كان رقيقاً جداً ، يشفّ عمّا تحته من حُبِّ الجاهلية وإيثارها ، والحزن الشديد عليها ، وأكاد أعتقد أن الحطيئة لم يكن يُظهر الإذعان والطاعة والدخول في دين الله حتّى حدثته نفسه أن ينقض هذا كله ، وأن يهرب إلى حيث يستطيع أن يعيش عيشته تلك التي كان يُحبّها ويهواها ، فكانت نفسه شديدة الامتناع على العهد الجديد محتاجة مع هذا إلى أن تعيش عيشة خمول وجمود ، على أن يأسَ الحطيئة وحزنه لم يكونا فيما أرى مقصورين على حياته الماديّة ، بل كانا يأتيانه من ناحيتين أُخريين : كانا يأتيانه من دخيلة نفسه التي لم تطمئن إلى الدين الجديد ، ولم تؤمن به فيما يظهر إلا تكَلُّفاً ورياء ، واتّقاء للسيف الذي لم يكن للعربي إلاّ أن يختار بينه وبين الإسلام ، فنفس الحطيئة لم تكن ساخطة على حياته الماديّة وحْدَهَا ، بل كانت ساخطة على حياته المعنوية التي حالت بين عواطفه الجاهلية ، وبين أن تظهر وتنمو وتُؤتي ثمرَهَا كما كان يجب أن تؤتِيَهُ ، وتذوق لذّات الحياة وآلامها كما كان يجب أن تذوقها »[1] .

إذاً فحقد الحطيئة على الكون والبشرية ناجم عن ظروفه الاجتماعيّة السيّئة التي عاش فيها ، وحنينه إلى الجاهلية وقبحه واضطراب نسبه ، فقد كان مُهاجَماً من جميع النواحي ، مضطراً للدفاع عن نفسه ، فاتّخذ الهجاء حرفَةً له فخافَهُ النّاس وابتعدوا عنه واشتكوا من أذاه ، فاشترى منه عمر بن الخطاب أعراض المسلمين والقصة مشهورة .

ويورد المعرّي في رسالة الغفران وصفاً لمآلِ الحطيئة كرجل رقيق الدين سيِّىء الخُلقِ لا يسلم الناسُ من أذاه ، فهو على شفا حُفْرَةٍ من النار كادَ يهوي بها ، لولا أن ترفَّقَ به الخالق ، وأدخله الجنة بشهادة لا إله إلا الله فحسب ، فكان في أدنى درجات الجنة ، يقول[2] : « وإذا ببيتٍ في أقصى الجنَّة ، كأنّه

---

(١) حديث الأربعاء ١/١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٢) رسالة الغفران ١٥٦ ـ ١٥٧ .

حِفْشُ[1] أَمَة راعِيَةٍ ، وفيه رَجُلٌ ليسَ عليه نور سُكّانِ أهل الجنة ، وعندَهُ شجرة قميْئة ثمرها هِياطٍ ومياطٍ[2] ، وعرق من شقاء ، وشفاعة من قريشٍ ودِدْتُ أنَّها لم تكن ، فيقول : أنا الحطيئة العبسي ، فيقول : بم وصلْتَ إلى الشفاعة ؟ فيقول : بالصِّدْقِ ، فيقول : في أيِّ شيء ؟ فيقول في قولي[3] :

أبــت شفتَــايَ اليــومَ إلاّ تَكَلُّمــا بهُجْـر فمـا أدري لمـن أنـا قـائلُـهُ
أرى لــي وجهــاً شــوَّهَ اللهُ خَلْقَــهُ فقُبِّـحَ مـن وجْـهٍ وقُبِّـحَ حـامِلُـهُ

فيقول : ما بال قولك :

مـن يفعـل الخيـرَ لا يعـدم جـوازِيَـهُ لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ[4]

لم يُغْفَر لك به ؟ فيقول : سبقني إلى معناه الصالحون ، ونظمتُهُ ولم أعمل به ، فحُرِمْتُ الأجرَ عليه .

فيقول : ما شأنُ الزِّبرقان بن بدر ؟ فيقول الحطيئة : هو رئيس في الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائي ولم ينتفع غيره بمدحي » .

وللحطيئة ديوان مطبوع[5] ، وقد جُمِعَ شعرُه وشُرِح منذ العهد القديم ، فشـرحـه السكـري (٢٧٥هـ) وابـن السكيـت (١٨٦ـ٢٤٦هـ) والسجستـانـي (٢٤٨هـ) وديوانه مطبوع ومحقق بعدد من الطبعات .

وقد اعتمدنا على ديوان الحطيئة بشرح ابن السِّكيت (٢٤٦هـ) تحقيق د . نعمان أمين طه ، ويقع ديوان الحطيئة في زهاء مائة وعشرين مقطوعة بين قصائد طوال وقصار ، ويحتل المدح والهجاء المكانة البارزة في الديوان ، ثم الفخر والنسيب والوصف .

---

(١) الحِفْشُ : كيس تضع فيه المرأة زينتها ، قميئة : حقيرة .
(٢) هِياطٍ ومِيَاطٍ : شِدّة وأذى .
(٣) البيتان في : ديوان الحطيئة د . نعمان طه ٢٦٥ .
(٤) البيت في : ديوان الحطيئة د . نعمان طه ١١٣ .
(٥) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت ٢٤٦هـ تحقيق د . نعمان أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١٩٨٧ .

ومن الملاحظ أن الحطيئة احتفظ بأسلوبه الجاهلي وإن تأثر بروح الإسلام أحياناً قليلة ، لكنّ شخصيته الجاهلية ظلّت طاغية على ملامح شعره وتعبيره وأسلوبه .

وكانت وفاة الحطيئة نحو سنة (٤٥هـ) .

حُوَيُ بن سعيد بن زهرةَ السعدي

من قبيلة تميم لم تورد المصادر معلومات أخرى عن اسمه ونسبه ، ولادته ووفاته ، وهو أحد الذين تابعوا مالك بن نويرة ، وامتنعوا عن أداء الزّكاة ، له أبياتٌ في رثاء مالك بن نويرة عرَّض فيها بخالد بن الوليد رضي الله عنه ومنها قوله(١) : [من الطويل]

ألا قُل لحيٍّ أُوطِئُوا بالسَّنابكِ ... تَطاوَلَ هذا اللَّيلُ من بعدِ مالكِ

عدا خالدٌ بغياً عليهِ لِعرْسِهِ ... وكانَ له فيها هوىً قبل ذلكْ . .

ولم نجد له ذكراً آخر ، أو معلومات أخرى في المصادر التي توفرت بين يدينا .

---

(١) الرِّدَّة ١٠٧ ـ ١٠٨ ، والأبيات في وفيات الأعيان ٦/ ١٥ (ترجمة وثيمة بن الفرات ٢٣٧هـ) منسوبة إلى أبي زهير السعدي ، وقد توقَّفْنا مطوّلاً عند هذين الاسمين ، وبحثنا كثيراً في كتب الأعلام والتراجم التي توافرت بين يدي فلم أجد ذكراً لهذين الشاعرين ، وإن كنا نميل إلى الاعتقاد أنَّ الاسم واللقب هما لشخص واحد .

الخُطَيْلُ بنُ أوس

ورد اسمه في عدد من المصادر دون أن تذكر عنه أي ترجمة أو معلومة تقودنا إلى نسبه أو إلى معلوماتٍ أخرى عن حياته وشعره[1] ، فقيل إنّه أخو الحطيئة ، ونُسِبَت إليه أبيات الحطيئة الشهيرة التي أنشدها في الرِّدَّة وبينها بيتٌ واحدٌ ليس للحطيئة ، نعتقد أنَّ الخُطيل قد أنشده ، وقد بحثنا كثيراً في المصادر التي وصلت إلينا فلم نستطع الحصول على معلومات جديدة عنه ، وكذلك بحثنا في عدد من الكتب التي ترجمت للحطيئة ، فلم نعثر على شيء جديد .

ويردُ ذكرُهُ مرَّةً واحدة في بداية حروب الرِّدَّة[2] ، في المعركة الأولى إذ نفرت إبل المسلمين وعادت بهم إلى المدينة دون أن يصاب أحدٌ منهم بأذى ، فأنشد في ذلك الخُطَيْل بن أوس أخو الحطيئة بن أوس :

فدًى لبني ذُبيانَ رحلي وناقتي ... عشيَّةَ يُحدى بالرِّماحِ أبو بكرِ
ولكن يُذد هدى بالرّجال فهبنه ... إلى قَدَرٍ ما إن يزيد ولا يحري

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٥ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٤٢ ، نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٧٤ ، كتاب الرِّدَّة ١٧١ وفيه أنَّ اسيمه الخَيْطَل بن أوس .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٥ .

أبو شَجَرَة السُّلَمِي

هو عَمْرو بنُ عبد العُزّى بنِ عبد الله بنِ رُواحَة بنِ مُلَيل بنِ عُصَيَّة ، من بني عُصَيَّة بنِ خُفَاف ، أُمُّهُ الخنساءُ الشاعرةُ تُماضِر بنت عَمْرو بن الحارث بن الشّريد[1] .

وكان أبو شجرة « من فُتَّاك العرب ، مخضرمٌ كثيرُ الشعر ، أسلم مع أمِّه ، ثم ارتدَّ في زمن أبي بكر ، وقاتل المسلمين ، وكان يسكن البادية »[2] .

* أخباره في الرِّدَّة :

كان قد ارتدَّ فيمن ارتدَّ من سُليم ، حين منعوا الزكاة وصمموا على قتال المسلمين ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أميرِ أبي بكر معن بن حاجز ، فقال أبو شجرة حين ارتدَّ[3] : [من الطويل]

سَلِ النـاسَ عنّـا كـلَّ يـومِ كـريهـةٍ إذا مـا التقينـا دارعيـنَ وحُسَّـرا
فـروَّيـتُ رمحـي مـن كتيبـةِ خـالـدٍ وإنـي لأرجـو بعـدهـا أن أُعَمَّـرا

وكان أبو شجرة وقومه قد اتبعوا الفُجَاءَة بنَ عَبْدِ يالِيْل ، وآزروه في خداعه

---

(١) الرِّدَّة ٧٩ ، جمهرة النسب للكلبي ٣٩٨ ، النسب لابن سلاّم : ٢٥٤ ، جمهرة أنساب العرب ٢٦١ ، الكامل ٥٠٣ وتورد المصادر اختلافاً في اسمه ، فهو من الشعراء الذين اشتهروا بكنيتهم ، ففي الإصابة ٣/ ١٤١ و٧/ ١٧٢ نجد اسمه : سليم بن عبد العُزّى ، وفي الإصابة ٣/ ١٤١ سليم بن عبد العزيز بن عبيد السلمي ، وفي الشعر والشعراء ١/ ٣٤٤ اسمُهُ عبد الله بن رواحة بن عبد العُزّى السلمي ، ابنُ الخنساء من زوجها الأوّل رَوَاحَة بن عبد الله بن عبد العزّى السلمي ، ويورد المرزباني نسباً آخر مستبعداً مخالفاً لما أوردته المصادر يقول : « يقال اسمه عمرو ، ويقال عبد الله بن عبد العزّى بن قَطَن بن رياح بن عَصَر بن معيص بن خُفاف بن امرىء القيس بن بَهْز بن سليم ، ويقال هو عمرو بن الحارث بن عبد العزّى ، مخضرمٌ كثير الشعر » الإصابة ٧/ ١٧٢ .

(٢) الإصابة ٣/ ١٤١ ، ٧/ ١٧٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ .

للمسلمين وحربهم[1] . وله أبياتٌ أخرى في الرِّدَّة أوردها الطبري[2] : « وقد كان فيمن لحق من بني سُليم بأهل الرِّدَّة أبو شجرة ابن عبد العُزَّى ، وهو ابنُ الخنساء » ، فقال : [من الطويل]

فلـو سـألَـتْ عنّـا غـداةَ مُـرامـرٍ كمـا كنـتُ عنهـا سـائـلاً لـو نـأيْتُهَـا
لقـاء بنـي فِهْـرٍ وكـان لقـاؤهـم غـداةَ الجِـوَاءِ حَـاجَـةً فقضيتُهـا

خبره مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3] :

وهو خبر شهير تناقلته كثير من المظانّ التاريخية ، وفيه أنَّ أبا شجرة عاود الإسلام ، فلمّا كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قدم المدينة فرأى عمر يقسم في المساكين ، فقال له أبو شجرة : أعطني فإني ذو حاجة ، فقال : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة بن عبد العُزَّى السُّلمي ، قال : أيْ عدوَّ الله لا والله ، ألستَ الذي تقول[4] : [من الطويل]

فـروّيـتُ رمحـي مـن كتيبـة خـالـدٍ وإنـي لأرجـو بعـدهـا أن أُعَمَّـرا

وجعل يعلوه بالدِّرَّة في رأسه ، حتى سبقه عدواً إلى ناقته ، فركبها ولحق بقومه وقال[5] :

ضَـنَّ علينـا أبـو حفـصٍ بنـائِلِـه وكـلُّ مُخْتَبَـطٍ يـومـاً لـه وَرَقُ
لمّـا رهبـتُ أبـا حفـصٍ وشُـرْطَتَـهُ والشيـخُ يفـزعُ أحيـانـاً فينمحـقُ

ولعل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أدرك أثر الشعر في إشعال الفتنة وإخمادها ، وطارت إليه شهرة أبيات أبي شجرة التي وصف فيها

---

(١) الرِّدَّة ٧٩ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦ .
(٣) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ ـ ٣٥٢ ، وانظر الخبر في الطبري ٣/ ٢٦٦ ، وفي الإصابة ٣/ ١٤١ . . .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ .
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦ ، والدِّرَّة : التي يُضْرَبُ بها ، معروفة ، وفي التهذيب : الدِّرَّة : دِرَّة السلطان التي يضرب بها (لسان العرب : درر) .

تصدّي المرتدين لجيوش المسلمين مفتخراً بقوتهم ، متمنياً الهزيمة للمسلمين ، فأشعل نار الفتنة وقوّى من عزائم المرتدين ، فكان موقفه في حبس العطاء عنه .

ويروى أن أبا شجرة شارك بسيفه في حرب المسلمين ، ولم يكتف بقول الشعر فقط ، « ويروى أنَّه كان يَرْمي المسلمين يوم الرِّدَّة فلا يُغني شيئاً ، فجعل يقول[1] :

هـــا إنّ رَمْيِـــي عَنْهُـــمُ لمَعْبُـــولْ   فـلا صَـرِيـحَ اليـومَ إلاّ المَصْقُـولْ

وتنقطع أخبار أبي شجرة في خلافة عمر بن الخطاب ، فلم نجد له ذكراً في المصادر التي وصلت إلينا واطلعنا عليها ، ولم تحدد المصادر مكان أو تاريخ وفاته .

---

(١) الكامل ـ المبرّد ٣٠٥ .

عَبْدُ اللهِ اللَّيْثِي

وقد وردَ اسمه مرَّةً واحدة في بداية حروب الرِّدَّة[1] ، ونُسِبت إليه أبيات الحطيئة الشهيرة التي أنشدها في الرِّدَّة ، وقد بحثنا في المصادر التي بين يدينا عن ترجمةٍ لهذا الاسم الذي ورد دون أي توضيح يعيننا على تتبع نسبه وأخباره فلم نجد معلوماتٍ عن شاعرٍ بهذا الاسم شارك في أحداث الرِّدَّة .

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٦ .

عَرْفَجَةُ بنُ عبدِ اللهِ الذُّهْلِي

من بني ذُهْلِ بن معاوية[١] ، لم تسعفنا المصادر بتفاصيل أكثر عن نسبه ، وهو من أتباع الأشعث بن قيس ، آزره ومنع الزكاة وحرَّضَ قومه على حرب أبي بكر والمسلمين ، وقد قابل دعوة زياد بن لبيد إلى الطاعة بقوله : (. . . أخرجوا هذا الرَّجل عنكم ، فما صاحبه بأهل للخلافة ، ولا يستحقُّها بوجهٍ من الوجوه ، وما المهاجرين والأنصار بأنظَرَ لهذه الأمة من نبيها ﷺ ، ثم أنشأ عرفجة يقول[٢] : [من الطويل]

فمَــنْ مُبْلِــغٌ عنّــا عتيقــاً رســالــةً　　لبِسْــتَ لبــاسَ الظَّــالميــنَ عــلانيــه
لحــا الله مــن أعطــاكَ طــاعــةَ بَيْعــةٍ　　مُقِرّاً ولا أبقى له الدَّهر باقِيه . .

وقد كانَ له أثر كبيرٌ في القتال ، فقد صَمَدَ حتى النهاية وهو يقاتل المسلمين بصبرٍ وعزمٍ على هزيمتهم ، ومع أنَّ قبيلة كندة كانت في خوفٍ ووجلٍ إذ تَعِبَ المرتدّون ، وكلُّوا من قتال المسلمين ، فكان الأشعث بن قيس يشجعهم ويأمرهم بالصبر ، وعندما اشتبك الجيشان (تقدّم رجلٌ من فرسان الأشعث يُقال له عرفجة بن عبد الله الذّهلي ، فحمل على خيل المسلمين ، ولم يزل يقاتل حتّى ضَجَّ المسلمون من طعانِهِ ، فرمَاهُ رجلٌ من أهل مكةَ بسهم فوقع في فؤاده فقتله ، فصاح زياد بن لبيد : يا معشر المسلمين ، أبشروا فقد أخمد الله جمرةَ كندة بقتل عرفجة بن عبد الله الذهلي)[٣] .

ولم نجد ذكراً آخر في المصادر التي توافرت بين يدينا .

---

(١) ترجمته في الرِّدَّة ١٧٧ ، ٢٠٤ ، وقد بحثنا كثيراً في المصادر التي توفرت لنا فلم نعثر على أخبارٍ له .
(٢) الخبر والأبيات في الرِّدَّة ١٧٦ ـ ١٧٧ .
(٣) الرِّدَّة ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

عُطَارِد بنُ حَاجِب

هو عُطَارِد بن حَاجِب بن زُرَارة بن عُدُس بن زَيْد بن عَبْدِ الله بن دَارِم بن مَالِك بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيدِ بن مَنَاة بن تَمِيم[١] .

وهو خطيبٌ معروفٌ في قومه وبين العرب ومشهورٌ ببلاغته ، وقد ضُرِب به المثل في البلاغة ، فقال الشاعر ضُمْرَة بن ضُمْرَة النهشلي[٢] : [من الطويل]

وإن يـكُ مجـدٌ فـي تميـمٍ فـإنَّـهُ   نَمَـانـي اليَفَـاعُ نَهْشَـلٌ وعُطَـارِدُ

وجدُّه حاجب بن زرارة مشهور بقصة قوسه التي رهنها عند كسرى ، ولا يتّسع المقام لذكرها هنا[٣] .

*** أخباره :**

أسلم سنة (٩هـ) إذ قدم مع وفد قومه في أشراف بني تميم ، ولمّا قدم وفد بني تميم دخلوا المسجد ونادوا الرسول ﷺ من وراء حُجُراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك الرسول ﷺ ، فنزلت الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤] ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ، قال : قد أذنتُ لخطيبكم فليقل ، فقام عطارد بن الحاجب وقال : (الحمدُ لله الذي لَهُ علينا الفَضْلُ والمنُّ ، وهو أهله ، الذي جَعَلَنا ملوكاً ، ووهَبَ لنا أموالاً عِظَاماً ، نفعَلُ فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثرهُ عدداً ، وأيسَرَهُ عُدَّةً ، فمن مثلنا في النّاس ؟ ألسنا برؤوس الناس

---

(١) الطبقات الكبير ٦/ ١٦٣ ، جمهرة أنساب العرب ٢٣٢ ، واشتقاق عُطَارِد من الطُّول ، لأنّهم يقولون : شأوٌ عَطَرَّد : أي بعيدٌ طويل ، وقد سمّوا عَطَرَّداً وعُطارِداً . (الاشتقاق ٢٣٧) .

(٢) المفضليات ٩٣ ـ ٩٩ ، نماني : رفعني ، وانظر في خزانة الأدب ٩/ ١١٥ ، البيان والتبيين ١/ ١٢٨ ، وفيها عدد من الأبيات والمقولات التي أشادت بشاعرنا وفصاحته .

(٣) القصة معروفة وطويلة جداً انظر في المعارف ٦٠٨ ، الإصابة ٤/ ٤١٩ ، خزانة الأدب ١/ ٣٥٥ .

(٤) سورة الحجرات ـ آية : ٤ .

وأُوْلي فضلهم ؟ فمن فاخَرنا فليعدد مثل ما عَدَدْنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنّا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنّا نُعْرَفُ بذلك ، أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضل من أمرنا)[١] .

نلاحظ أنَّ التكبر والعصبيّة هما فحوى خطبته ، فهو يفاخر بالعدد والعدَّة ، ويتحدى بقية الأقوام أن تكون بمثل منزلتهم ومكانتهم ، وقد قام ثابت بن قيس بن الشّماس بالرَّدِّ على عطارد بأمرٍ من الرسول ﷺ[٢] .

وقد أجاز الرسول ﷺ وفدَ بني تميم ، وولّى عطارد بن حاجب على صَدَقات بني تميم[٣] ، وقيل : على صدقات بني دارم[٤] .

*** أخباره في الرِّدَّة :**

وقد ارتدَّ عطارد بن حاجب مع من ارتدَّ في بني تميم ، واتَّبع سَجَاحاً وقال فيها أبياتاً تتضمن تهكماً وسخرية وقد أنشد هذه الأبيات بعد توبته[٥] : [من الكامل]

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء النّاس ذكرانا

فلعنة الله رب الناس كلهم ... على سجاح ومن بالكفر أغوانا

ثم عاد إلى الإسلام نادماً على متابعته سَجَاحاً وامتناعه عن دفع الزّكاة .

شارك عطارد بن حاجب في الفتوحات ، فقد اشترك في القادسية سنة

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٦٠ ، وانظر الخبر في المنتظم ٣/ ٣٥٢ ، التذكرة الحمدونية ٣/ ٤١٩ ، الأغاني ٤/ ١٥٤ ، البداية والنهاية ٧/ ٢٣٥ ـ ٢٤٣ ، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٨ ـ ٥٩ ، ٥/ ٢١٨ ، جمهرة خطب العرب ١/ ١٦٣ .

(٢) انظر الخطبة في سيرة ابن هشام ٣/ ٥٦٠ ، جمهرة خطب العرب ١/ ١٦٣ ، وتجدر الإشارة إلى أننا وجدنا في المصادر عدداً من الروايات لقصة ثوب عطارد بن الحاجب ، وهي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلب من الرسول ﷺ شراء ثوب حرير كان يرتديه عطارد بن الحاجب ، كي يلبسه النبي ﷺ أمام الوفود ، فرفض رسول الله ﷺ انظر الإصابة ٤/ ٤١٩ ، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) الإصابة ٤/ ٤١٩ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٣ .

(٥) الإصابة ٤/ ٤١٩ ، البداية والنهاية ٩/ ٤٥٨ .

(١٤هـ)[١] ، ونقرأ عنه سنة (٢٢هـ) في أثناء تعديل الفتوح بين أهل الكوفة والبصرة ، أنَّه كان معترضاً على عمّار بن ياسر عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة[٢] .

وذُكِرَ أنَّه وفد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٣] ، وهو آخر خبرٍ ورد عنه في المصادر التي توافرت لنا ، ولم نستطع تحديد مكان وفاته وزمانها .

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٥٧٠ .

(٢) المصدر السابق ٤/ ١٦١ .

(٣) انظر تفاصيل الخبر المطوّل في الأغاني ٢٠/ ١٧٠ ـ ١٧٤ ، وذكر وفوده على معاوية في مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٣ .

عَفِيْف بن مَعْدِي كَرِب الكِنْدِي

من قبيلة كندة وهو أحد رؤسائهم وذوي أنسابهم ، لم تسعفناالمصادر التي توافرت لنا بمعلومات أخرى عن نسبه أو ولادته[1] ، وهو ممن رفضوا دفع الزكاة وبيعة أبي بكر ، وصمموا على قتال المسلمين ، وعندما وجّه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه زياد بن لبيد إلى حضرموت لقتال الأشعث ، وقوّاه بجيش آخر ، اتصل الخبر بقبائل كندة ، فكأنهم ندموا على ما كان منهم ، وبدؤوا بالتشاور للرجوع عن ردّتهم وإعلان الطاعة ، وكان منهم عفيف الكندي الذي أسدى النصح لقومه كما في الخبر :

« قال : فوثب رجل من كندة يُقَال له عفيف بن معدي ، وكان من رؤسائهم وذوي أنسابهم ، فقال : يا معشر بني كندة ، إنكم قد علمتم الذي بينكم وبين مَذْحِج[2] من العداوة والشحناء ، وهذه خيل أبي بكر قد سارت إلى ما قبلكم ، فتخبروني الآن أي الخيلين تدفع عنكم ، خيل أبي بكر أم خيل مَذْحِجْ ، أما والله ما أقول لكم وما أنا إلا رجل منكم ، ولكن كأني بملوككم وساداتكم قد أهلكتهم هذه الحروب التي تتوقعونها ، وقد والله وقعنا في أمر ما لنا من مُخَلِّصٍ إلا السمع

---

(١) ترجمته في : الرِّدَّة : الواقدي ١٧٢ ـ ١٧٣ ، وفي أثناء بحثنا في المصادر ، وجدنا تراجم لشخصية اسمها عفيف بن معد يكرب أو عفيف بن قيس أو شرحبيل (شراحيل) بن معد يكرب ، وهي أسماء لشخص واحد ، قيل إنه ابن عم الأشعث بن قيس ، وقيل : إنّه أخوه ، وقيل : إنّه ابنُ عمّه ، ونعتقد أن شاعرنا هذا هو شخصٌ آخر لأنّ التراجم التي ترجمت لصاحب تلك الأسماء السابقة لم تذكر أي شيء عن رِدَّته ، بل اشتركت جميعها في ذكر أحاديث رواها ، وأنه لقب نفسه عفيفاً لامتناعه عن الخمر ، وهذا يعزّز شكّنا أن الاسم واحد لشخصين مختلفين .

انظر خزانة الأدب ٥/ ٣٣٠ ، الطبقات الكبير ٦/ ٢٣٨ ، المعجم الكبير الطبراني ١٨/ ٩٩ ، الإصابة ٣/ ٢٦٩ ، ٤/ ٤٢٥ ، الاستيعاب ٣/ ٣١٠ ، الكامل ـ المبرِّد ١١٦١ ـ ١١٦٩ ، أمالي القالي ١/ ٢٠٥ .

(٢) مَذْحِج : قبيلة من قبائل اليمن .

والطاعة ، والسلام » ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وقعنا بأمرٍ ما لنا منه مَخْرَجٌ سوى دفعه بالصَّبْرِ حتى تَفَرَّجَا
وإيزَاحِهِ عَنّا بغيرِ خِدَاجَة ولا خيرَ في أمر إذا كان مخدِجَا
منعتم زياداً مالكم وأظُنُّهُ سيُوقَدُهَا ناراً عليكم مُوَهَّجَا

وتنقطع أخباره في هذه الأثناء فلا تورد المصادر التي بين يدينا شيئاً عن تاريخ وفاته ومكانها .

(١) انظر الرِّدَّة ١٨٢ ـ ١٨٣ .

عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَارِي

هو عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن بنِ حُذَيفة بنِ بَدْر بنِ عمرٍو بنِ جُوَيَّةً بنِ لَوْذَان بنِ ثعلبةَ بنِ عُدَيّ بنُ فَزَارة بنِ ذُبيان بنِ بَغِيْض بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفَان بنِ سعد بنِ قيس عَيْلان الفَزَاري ، يُكَنّى أبا مالك[(١)] .

جدُّهُ حُذَيفَةُ بنُ بدر سيِّدُ غطفان ، وكان يُقال له رَبُّ مَعْد ، وابنه خارجةُ بنُ حصن سيد أهل الكوفة[(٢)] .

وكان عُيَيْنَةُ في الجاهليَّة من الجرَّارين ، وكان يقودُ عشْرَةَ آلاف[(٣)] .

وعُيَيْنَةُ تصغيرُ عَيْن ، وهو مما أصابته اللِّقوة ، فجحظت عيناهُ وزال فَكُّه ، فسُمِّي عُيَيْنَة ، وإذا عَظُمَت عينُ الإنسان لقّبوه أبا عُيَيْنَة ، أبا عُيَيْناء[(٤)] وكان له مِشْيَةٌ عَجِيْبَةٌ[(٥)] .

أسلم عند فتح مكّة ، وشهد حنيناً والطّائف ، وكان من المؤلّفة قلوبهم[(٦)] .

وكان لقبه : الأحمق المطاع في قومه ، كذلك قال عنه الرسول ﷺ[(٧)] وفي الخبر : « جاء عُيَيْنَة بن حصن إلى النبي ﷺ ، وعندَهُ عائشةَ ، فقال : من هذه ؟ وذلك قبل أن ينزل الحجاب ، فقال : هذه عائشة ، فقال : ألا أنزل لك عن أُمِّ البَنِيْن ، فغضبت عائشة ، وقالت : من هذا ؟ فقال النبي ﷺ : هذا الأحمق

---

(١) الإصابة ٤/٦٣٨ ، أسد الغابة ٤/٣١٨ ، الاستيعاب ٣/٣١٦ ، الحماسة المغربية ٦١ ـ ٦٢ ، المعارف ٣٠٢ .

(٢) المعارف ٣٠٢ .

(٣) أسد الغابة ٤/٣١٩ ، الاستيعاب ٣/٣١٦ .

(٤) الاشتقاق ٢٠٥ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ٢٧٦ .

(٥) المصدر السابق ١٥٣ .

(٦) أسد الغابة ٤/٣١٨ ، الإصابة /٦٣٨ وانظر أسماءهم في صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١/٤٨٨ لم نذكرها تجنباً للإسهاب والإطالة .

(٧) البيان والتبيين ٢/٢٥٣ .

المُطَاعُ ـ يعني في قومه ـ »[١] .

ومن خلال مطالعتنا لأخباره سنلاحظ أنَّ شخصيته متقلبة منافقة وانتهازية ، وهو يعترف بنفاقه وعدم إخلاصه لعقيدته وحرصه على مصالحه الخاصة .

*** أخباره قبل إسلامه :**

نقرأ قصّة مشهورة مفادها أنَّ حِصْنَ بنَ حُذَيْفَة وصّى ولده عند موته وكانوا عشرة ، وطلب منهم أن يقتلوه ، فالموت أسهل مما هو فيه ، فأَبَوا جميعاً إلاّ عيينة إذ قال له : « يا أبت ، أليس لك فيما تأمرني به راحةٌ وهوى ؟ ولك فيه مني طاعة ؟ قال : بلى ، قال : فمُرْني كيف أصنع ؟ قال : ألقِ السيفَ يا بني ، فإني أردت أن أبلُوَكم فأعرف أطوَعَكُم لي في حياتي ، فهو أطوع لي بعد موتي ، فاذهب أنت سيِّدُ ولدي من بعدي ، ولك رياستي »[٢] .

وروي أنَّ عُيَيْنَة بن حصن قبل أن يُسلم رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصِرٌ خيبر ، فطمع من رؤياه أنَّه يقاتل رسول الله ﷺ فيظفَرُ به ، فلما قدم على رسول الله ﷺ خيبرَ وجده قد افتتحها ، فقال : « يا محمد ، أعطني ما غنمت من حلفائي ـ يعني أهل خيبر ـ فقال له رسول الله ﷺ : كذبت رؤياك ، وأخبره بما رأى »[٣] .

ويروى أنَّ الرسول ﷺ وادع عيينة بن حصن أن يرعى بتَغْلِمَيْن وما والاها سنة[٤] (٥هـ) .

وقد حارب المسلمين في غزوة الخندق (٥هـ) وكان قائد غَطَفان ، فصالحه النبي ﷺ على ثلث ثمار المدينة ثم أبطل الصُّلْحَ بعد مشاورةِ أصحابه[٥] .

---

(١) الإصابة ٤/ ٦٣٩ .
(٢) الأخبار الموفقيات ٦٢٧ ، الإصابة ٤/ ٦٣٨ .
(٣) البداية والنهاية ٦/ ٣٣٢ .
(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٤ ، المعارف ٣٠٢ ، تَغْلَمِيْن : موضع يرد في شِعْرٍ كثير (معجم البلدان) .
(٥) تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٥ ، السيرة النبوية ابن هشام ٣/ ٢١٥ ، البداية والنهاية ٦/ ٣٩ ، ١٣ ،=

وفي سنة (٦هـ) أغار عُيينة بن حصن بن حُذَيفة في خيل لغَطَفَان على لِقَاح رسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجلٌ من بني غِفَار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقاح[١] .

وفي سنة (٧هـ) قاد عُيَينة بن حصن جمعاً من غَطَفان لمحاربة رسول الله ﷺ فبعث إليهم الرسول ﷺ بشيرَ بن سعد في سريّة ، فهزمهم[٢] .

*** إسلامه :**

اختُلف في تحديد وقت إسلامه بدِقَّة ، فقيل : أسلم عام الفتح ، وروى ابن إسحاق أنَّ عيينة بن حصن والأقرع بن حابس شهدا مع النبيّ ﷺ مكة وحنيناً والطائف[٣] .

وذكر الطبري مشاركته في فتح مكة مسلماً ، ولكنّ إسلامه كان ضعيفاً ، وظهر ذلك منه في مواقف لاحقة أيّام حصار حصن ثقيف ، حين أبدى رغبته بسبيّةٍ من ثقيف وأعطاه النبي ﷺ مع المؤلّفة قلوبهم من الغنائم أما قدومه مع وفد بني تميم ، فكان لتوكيد إسلامهم عام الوفود[٤] .

= ٨٩ ، المنتظم ٣/ ٢٣٠ .

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٨٨ ، المنتظم ٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، وانظر خبره في غزوة ذي قَرَد (٦هـ) والخبر مطوّل جداً .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٣ ، المنتظم ٣/ ٣٠٣ ، ٥/ ٢٢٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٥٦١ ، المنتظم ٣/ ٣٠٣ ، مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٢٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ٤/ ٤٨٥ ، ٤٩٦ ـ ٥٦١ ، تاريخ الطبري ٣/ ٥١ ـ ٥٢ ، وخبرهُ في أثناء حصار حصن ثقيف في غزوة الطائف (٨هـ) ثبتت ثقيف وعجز المسلمون عن فتح الحصن ، فانسحبوا ، فأبدى عيينة شماتةً بهم ، وقال : والله ما جئتُ لأقاتل معكم ثقيفاً ولكني أردت أن يفتح محمّد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها أن تلدَ لي رجلاً ، فإن ثقيفاً قوم مناكيد ، وهذا يدل على إسلامه هذا العام ، وقد شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وكان من المؤلفة قلوبهم ، انظر تاريخ الطبري ٣/ ٨٤ ـ ٨٥ ، سيرة ابن هشام ٤/ ٤٨٥ ، مناكيد : ذوي دهاء وفطنة .

أمرُ أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم سنة (٨هـ) :

« قَدِم إلى الرسول ﷺ وفد من هوازن قد أسلموا ، وطلبوا منه أن يردّ عليهم ما سُبِيَ من نسائهم وأبنائهم ، فقال ﷺ : أمّا ما كان لي ولبني عبد المُطَّلب فهو لكم ، فإذا أنا صلّيت بالناس فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم ، فلما صلى الرسول ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : أمّا ما كان لي ولبني عبد المطّلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فَزارة فلا ، وقال عبّاس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سليم فلا . . . فقال رسول الله ﷺ أما من تمسَّكَ بحقّه من هذا السبي منكم فله بكل إنسان ست فرائض من أوّل شيء نُصيبه ، فرَدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم . . »[1] .

ولا يخفى طمعه على أحد ، فقد خالف كلام الرسول ﷺ ، ولا شك في أنَّ له حقّاً في السبي ، لكن اتِّباع أوامر الرسول وعدم نقض كلامه هو من شيم الكرام المسلمين والمؤمنين ، ويتضح جشعه بشكل أكثر وضوحاً في تتمة الخبر . . . فقد قسّم الرسول ﷺ الغنائم « فأخذ عيينة بن حصن عجوزاً لها نسبٌ في الحي عسى أن يعظم فداؤها . . . »[2] .

ويبدو أن رسول الله ﷺ أحسّ برقّة دينه ونفاقه وتذبذبه فكان حريصاً على تألُّفِ قلبِه بالعطايا ليقرّبه من الإسلام ، مع أن الكثيرين عاتبوا الرسول ﷺ على إعطاء عيينة وأمثاله ، وتركِ أفرادٍ آخرين صالحين ومؤمنين ، فكان جواب رسول الله ﷺ كما ذكرنا . . . وفي الخبر « أنَّ قائلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، أعطيتَ عُيَيْنَة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائةً مائة ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضّمريّ!

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٨٦ ـ ٨٧ ، سيرة ابن هشام ٤/ ٤٨٩ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ٨٨ ، سيرة ابن هشام ٤/ ٤٩٠ .

فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفسي بيده ، لَجُعَيل بن سراقة خيرٌ من طلاع الأرض ، لكنّي تألّفتهما ليُسلما ، ووكلت جُعيل بن سُراقة إلى إسلامه »[1] .

*** أخباره في الرِّدَّة :**

لحق عُيَيْنَة بن حصن الفزاري بطُلَيْحَة بن خُوَيْلِد المتنبّيء ، وآمن به . وعَظُمَ أمرُ طليحة وأتباعه ، فأرسل إليهم الصِّدِّيق رضي الله عنه خالد بن الوليد لينظر في شؤون الجيش ، وجعل ثابت بن قيس على كتيبة الأنصار ، وأمَرَهُ أن يصمُدَ لطليحة وعيينة بن حصن وهما على بُزَاخة ، ماء لبني أسد[2] .

وكان سببُ ارتداد عيينة وغَطَفان ومن ارتدّ من طيىء قَبَليّاً بدافع العصبية والحنين إلى الجاهلية ولاسيما الأحلاف التي كانوا يعقدونها آنذاك وكانت تبسط سيطرة بعض القبائل على غيرها ، وكان عيينة يحلم برفع اسم غطفان وإعادة مجده الذي كان في الجاهلية . فقد كان بين أسد وغطفان وطيىء حلْفٌ جاهلي ، وقبيل البعثة النبوية اجتمعت غطفان وأسد على طيىء ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية . . . ، وانقطع ما بين أسد وغطفان بتدبير من ذي الخمارين عوف الجَذَميّ الذي أعاد علاقته مع طيىء وقام بنصرهم ، فاشتدّ ذلك على غَطَفان ، فلمّا مات رسول الله ﷺ ، « قام عُيَيْنَة بن حصن في غَطَفَان ، فقال : ما أعرف حدود غَطَفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإني لمُجَدِّد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابعٌ طليحة ، والله لئن نَتَّبع نبيّاً من الحليفين أحبُّ إلينا من أن نتّبع نبياً من قريش ، وقد مات محمد ، وبقي طُليحة . . »[3] .

واعتمد عُيَيْنَة على إثارة العصبية والعشائرية التي ما زالت قابعة في نفوس بعض أولئك القوم الذين أسلموا ، لكنَّ حنينهم الجارف إلى الجاهلية حالَ دون غرس قيم الإسلام النبيلة في عقولٍ لم يجاهدوا أنفسهم لتطويعها لسماحة

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٩٠ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٦ ، سيرة ابن هشام ٤/ ٥٦٠ .
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

الإسلام ، فبقوا متحفّزين جاهزين لأي انقلاب يعزّز مكانة قبيلتهم ويجدد أمجاد الأحلاف الجاهلية التي قضى الإسلام عليها .

والسبب الثاني هو جهل عيينة وكثير ممن اتّبعوا طليحة ، فقد ضُرِب طليحة بالسيف ، فنبا عنه ، فشاع ذلك بين الناس ، وقالوا : إن السّلاح لا يحيك ـ أي لا يؤثر ـ في طليحة ، واجتمع الناس إليه واستطار أمره . .[1] .

فقد عدوه إنساناً خارقاً . . . ومعجزةً فاتبعوه إلا القلَّة القليلة التي رفضت السير في طريق السفاهة والضلال ومنهم زياد بن عبد الله الغَطَفَاني الذي هرب في جوف الليل مع جماعة من بني عمه إلى خالد بن الوليد . . . وأرسل إلى عُيَيْنَة بن حصن بهذه الأبيات[2] : [من الكامل]

أبلــغ عُيينـــة إن مَــرَرْتَ بــدارِهِ ... قَـوْلاً يسيـرُ بـه الشَّفِيْـقُ النـاصِـحُ
إن تحتشـــد تسلــم فــزارة كُلّهــا ... ويقـم بمـدحِـكَ يـابـنَ حِصْـنٍ مـادِحُ
أوْ لا فـإنّـكَ يـابـنَ حِصْـنٍ هـالِـكٌ ... خُـذْهـا وقَـرْنَـكَ يـابـنَ بَـدْرٍ نـاطِـحُ

« وقد وجل عُيَيْنَة عندما سمع هذه الأبيات وقال ناصحاً قومه من بني فزارة : اعلموا أنّا ما صنعنا شيئاً ، وإنّا لنرى النقص والعار في مسيرنا هذا مع طليحة بن خويلد ، ولسنا ندري كيف يكون الأمر غداً ، لنا أَمْ علينا ، ولقد لبسنا في مسيرنا هذا ثوب المخازي » .

ومرَّة أخرى يسمع عيينة جارية سوداء تنشد شعراً سمعته من مجهولٍ قريباً من غديرٍ كانت به . . . ومنه[3] : [من المتقارب]

بنــي أســدٍ أيــنَ الفِــرارُ غُلبتــمُ ... إذا مـــا أنــاخَ بكــم خـــالـــدُ
ألا إنّــــه اللّيـــث فـــي غَيْلِـــهِ ... ألا إنَّـــــهُ الأَهْــــرَتُ الجـــــارِدُ

---

(١) تاريخ الطبري : ٣/٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٢) الرِّدَّة : ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ .
(٣) المصدر السابق ٨٣ ، الغَيْل : القتل ، الأهرت : واسع الفم ، الجارد : جَرَدَ السَّيْفَ : سَلَّه ، وجَرَدَ : قَشَر . والشطر الأول في البيت الأول مكسور الوزن .

وأحس طليحة بن خويلد بخوف عُيينة بن حصن فقال لقومه يشجعهم : « انظروا أن تمنعوا القوم أموالكم كما منعتموها في جاهليتكم ، وأما عُيَيْنَةُ بن حصن فقد أخبرني عنه جبريل عليه السلام أنَّه قد خاف من حرب القوم ، وايمُ الله ، لو كانت له نيةٌ صادقة لما خَافَ أبداً إذا كان على هذا الدِّين »[1] ، واشتبك المسلمون مع المرتدين من جديد واشتدَّ القتال وظهرت هزيمة المرتدين ، فأقبل عيينة بن حصن على طليحة بن خويلد يسأله هل جاءه الوحي بشيء ما ، ويعود للقتال ، حتى ضجر عيينة من الضرب والطعان ، فقال : « يا أبا عامر ـ يقصد طليحة ـ هل أتاك جبريل ، قال : نعم ، قد أتاني ، قال عيينة : الله أكبر ، هاتِ الآن ما عندك ، وما الذي قال لك جبريل ، قال : نعم قال جبريل عليه السلام : (إنّ رجالاً تقوم لرجال ، وإنّ لك وله حديثاً لا تنساه الناس أبداً) ثم أقبل عيينة على بني عمه من فزارة فقال لهم : ويحكم يا بني عمي ، هذا والله رجلٌ كذّاب والآن صحَّ عندي كذبه لتخليطه في كلامه » ، ثم أنشأ عيينة يقول في أبيات[2] :

[من الخفيف]

خـفَّ حلمـي أطـاعنـي أصحـابـي ... والهـوى فـي طُليحـة الكـذّاب

مـا لنـا اليـومَ فـي طُليحـةَ رأيٌ ... غيـر شَـدِّ النّحـى وتَـرْكِ القِبَـابِ

ثم هربَ عيينة بن حصن مع بني عمّه من فزارة ، وانهزمت بنو أسد وغَطَفَان ، فخرج خالد بن الوليد وراءهم حتّى وافاهم بباب الأجرب[3] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأُسرَ عيينة بن حصن الفزاري ، وأُسِرَ معه جماعةٌ من بني عمِّهِ ، ثم أمر خالدٌ بالمجامع فوُضِعَتْ في أعناق هؤلاء الأسارى ، فإذا هم بعيينة بن حصن على بعير ويداه مجموعتان إلى عنقه ، فجعل المسلمون يشتمونه ويلعنونه وهو ساكت لا ينطق بشيء ، وهم ينخسونه بالعِسْبان[4] ويقولون له : « يا عدوَّ الله ، أكفرت

---

(١) الرِّدَّة ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) الخبر والأبيات في الرِّدَّة ٩١ ـ ٩٢ .

(٣) باب الأجرب : موضع بناحية المدينة ، وقيل : بناحية نجد (معجم البلدان) .

(٤) العِسْبان : جمع عسيب : جريدة من النَّخل دقيقة مستقيمة ، يُكشَطُ خوصها .

بعد إيمانك ، وقاتلت المسلمين » فقال : « والله ما آمنَ ذلك الرَّجل بالله ساعةً قطّ ، يعني نفسه »[١] .

ونقرأ في الأخبار أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق حاكمه بعين الإمام العادل والسياسي الخبير والمُحَنَّك ، فعفا عنه بحكمة مكَّنته من استقطاب قلوب أبناء قبيلته جميعاً ، وفي الخبر : « أُتي به حتى أُدخل على أبي بكر رضي الله عنه فأوقفه بين يديه ، فقال له أبو بكر : « يا عدوّ الله ، أسلمتَ وقرأتَ القرآن ثم رجعت عن دين الإسلام كافراً ، لأضرِبَنَّ عنقك صبراً » ، قال عيينة : « يا خليفة رسول الله ﷺ ، إنَّ الجميل أجمل ، وقد كان رسول الله ﷺ أعرفَ بي منك ، لم يخفَ عليه شيءٌ من أمري ، ولقد خرجَ من الدنيا وإني لمقيمٌ على النِّفاق ، غير أني تائب إلى الله وإليك في يومي هذا ، فاعفُ عني ، عفا الله عنك » فعفا عنه أبو بكر الصِّدِّيق وصَفَحَ عن بني عمِّه ، وأحسَنَ إليهم ، وكساهم ، فأنشأ عيينة بن حصن يقول[٢] :

إنــي لشــاكــر نعمــةِ الصِّــدِّيــق ... ذاك المُعَصَّــبُ بــالأمــورِ عتيــق
والله لــــولا عفـــوُهُ وفِضَـــالُـــه ... ضاقَ البلادُ ولم يَسُغ لي ريقي . .

ولا يخفى على قارىء أخباره أنَّ لعيينة طبيعة غريبةٌ فيها سوء خلقٍ وجفاءٌ ونفاقٌ وغدرٌ ، حتى إنّه كان يعترف بهذه الصفات بلا خَجَلٍ أو حياء ، وكانت فيه عصبية مهيمِنَةٌ عليه هيمنةً كاملة ، قيل : « إنّه دخل على النبي ﷺ من غير إذن ، فقال له ﷺ : أين الإذْنُ ؟ فقال : ما استأذنتُ على أَحَدٍ من مُضَر . . »[٣] .

وسَمِعَ عُيينة النبي ﷺ يقول : « غِفارٌ وأسلمُ ومُزَيْنَة وجهينةُ خيرٌ من الحليفين أسد وغطفان ، فقال : والله لأن أكون في النار مع هؤلاء أحبُّ إليَّ من أن أكون في الجنة مع هؤلاء »[٤] .

---

(١) الرِّدَّة ٩٣ ـ ٩٥ ، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٦ ـ ٢٦٠ .
(٢) الخبر والأبيات في الرِّدَّة ٩٥ ـ ٩٦ .
(٣) أسد الغابة ٤/ ٣١٨ .
(٤) الاشتقاق ٢٨٥ . وانظر الحديث في جامع الأصول ٩/ ٢١٢ ـ ٢١٣ رقم ٦٧٩٣ .

وقد اعترف عيينة بإعجابه بالمنافقين ورغبته في الانضمام إليهم ، والخبرُ : « أقبل عُيينة ابن حصن الفزاري قبل إسلامه إلى المدينة فلقيه ركبٌ خارجون منها ، فقال لهم : أخبروني عن هذا الرَّجل - يعني النبي ﷺ - فقالوا له : الناس فيه ثلاثة : رجلٌ أسلم فهو معه يقاتل قريشاً والعرب ، ورجلٌ لم يُسلم فهو يقاتله وبينهم التذابح ، ورجلٌ يُظهر له الإسلام إذا لقيه ويُظهر لقريش أنَّه معهم ، قال : وما يُسمَّى هؤلاء ؟ قالوا : المنافقون ، قال : ليس فيمن وصفتم أحزم من هؤلاء أُشهِدُكم أنني من المنافقين »[1] ، ومثل هذه الأخبار ، تكشف عن نفاقه ، وإسلامه رغبةً في العطاء ورهبةً من المسلمين .

أمّا عن سوء خلقه فالأخبار كثيرة ، فهو لم يتورَّع عن إظهار شَكِّهِ في أمانة الرسول ﷺ وخلقه الرفيع ، وفي الخبر : « أنَّ رسول الله ﷺ كتب لعُيَيْنَة بن حصن كتاباً ، فلمّا أخذ كتابَهُ قال : يا محمّد ، أتراني حاملها إلى قومي كتاباً كصحيفة المتلمِّس ، يقول : لا أحمل إلى قومي كتاباً لا عِلْم لي بمضمونه »[2] .

وقد نزلت آيات عديدة في سوء خلقه ونفاقه[3] ، وكذلك نقرأ أخباراً كثيرة عن هذه الصفات المكروهة فيه ، ولكننا لن نذكرها خشية الإطالة[4] .

*** أخباره في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه :**

له أخبارٌ طويلة مع عمرو بن معدي كَرِب الزُّبيدي (سنة ١٦هـ) في أثناء خلافة عمر ابن الخطاب[5] .

ونُطالع طائفةً من أخباره في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، تصف فظاظته وجفاء خلقه ، وتؤكّد أنَّهُ صاحب شخصية عدوانية حاقدة ومتمردة .

---

(١) التذكرة الحمدونية ١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ، ٩/ ٣٧٧ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٣٨ .
(٣) سورة الكهف/ الآية ٢٨ ، سورة الأنعام/ الآية ٥٢ .
(٤) انظر التذكرة الحمدونية ١/ ٥٦ ـ ٥٧ ، ٩/ ١٦٢ ، البداية والنهاية ٧/ ٧٢ ، مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١١٥ .
(٥) الخبر مطوّل في الأغاني ١٥/ ١٧٠ ـ ١٧١ .

وقد وفد عيينة بن حصن على الخليفة الفاروق بوساطة ابن أخيه الحرِّ بن قيس ، وهو رجل صالح من أهل القرآن له منزلة عند عمر بن الخطاب « فقال عيينة لابن أخيه : ألا تدخلني على هذا الرَّجل ؟ قال : إني أخاف أن تتكلم بكلامٍ لا ينبغي ، فقال : لا أفعل ، فأدخله على عمر ، فقال : يابن الخطَّاب ، والله ما تُقَسِّمُ بالعدل ، ولا تُعطي الجَزْل ، فغضب عمر غضباً شديداً حتى همَّ أن يُوقِعَ به ، فقال ابن أخيه : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله يقول في كتابه العزيز : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[١] ، وإن هذا لمن الجاهلين ، فخَلّى عنه ، وكان عمر وقّافاً عند كتاب الله عزَّ وجل »[٢] .

وفي رواية أخرى أنَّه قال لعمر : « يا أمير المؤمنين ، احترس ، وأخرِجِ العجم من المدينة ، فإني لا آمن أن يطعنك رجلٌ منهم في هذا الموضع ـ ووضع يده في الموضع الذي طعنه أبو لؤلؤة ـ فلما طُعِن قال : ما فَعَل عيينة ؟ قالوا : بالهَجْمِ أو بالحاجر ، فقال إنّ هناك لرأياً »[٣] .

* أخباره في خلافة عثمان بن عَفَّان رضي الله عنه :

وقد وفد عيينةُ بن حِصْن الفَزَاري على عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فقال له : « يا بن عفّان سر فينا بسيرة عمر بن الخطاب ، فإنه أعطانا فأغنانا وأخشانا فأتقانا ، فقال له عثمان : أما والله على ذلك ما كنتَ بالرّاضي بسيرةِ عمر ، هل لك إلى العشاء ؟ قال : إني صائم ، قال : أمواصل أنت ؟ قال : وما الوصال ؟ قال : تصوم يومك وليلتك حتى تُمسي ، قال : لا ، ولكنني وجدتُ صيامَ الليلِ أيسرَ عليَّ من صيام النهار » وجوابه غريب وغير متوقّع ، فهو يسخر من الصوم ويقر أنه ليس بصائم ؟[٤]

---

(١) سورة الأعراف ـ آية : ١٩٨ .

(٢) أُسد الغابة ٤/٣١٩ ، الإصابة ٤/٦٣٨ ، البيان والتبيين ١/٣١٧ ، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٣٥ ، وفي أمالي اليزيدي ٩٩ (أن عيينة وفد على عمر بن الخطاب مع ملوك اليمن) .

(٣) الشيخان ٣٤٨ ، مختصر تاريخ دمشق ١٩/ ٣٥ ، الهَجْمِ : ماءٌ لبني فزارة قديم مما حفرته عاد . (معجم البلدان) الحاجِرُ : موضعٌ في ديار بني تميم . (معجم البلدان) .

(٤) المعارف ٣٠٢ ، الشيخان ٢٠٥ ، أُسد الغابة ٤/٣١٩ ، الإصابة ٤/٦٣٨ ، التذكرة =

ذكرت الأخبار أن عيينة بن حِصْن الفزاري زوّج ابنته أمّ البنين لعثمان بن عفان رضي الله عنه[1] .

وهذا آخر خبر عن عيينة وجدناه في المصادر التي وقعت بين يدينا . ولم تسعفنا المصادر بأخبار عن تاريخ وفاته ، ومكانها .

= الحمدونية ٩/ ٣٦٦ .

(١) النوادر ٥/ ١٥٧ . تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

الفُجَاءَة بن عَبدِ يَاليل

هو إِيَاس بن عَبد الله بن عَبد يَاليل بن سَلَمة بن عَميرَة بن خُفاف من بني سُليم[1].

وهو ممن قادهُ حبُّ الزَّعامة والعصبية القبلية إلى مفارقة الجماعة ومواجهة المسلمين ، فقد ادّعى الرغبة في مساعدة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في قتال المرتدين ، وأخَذَ ما زوّده به أبو بكر من مال وخيل وسلاح ليقتل الناس كلهم المسلم والمرتد ، وليجمع حوله أهل الفساد والشر .

وفي الخبر : « قَدِمَ على أبي بكر رجلٌ من بني سُليم ، يُقال له الفُجَاءَةُ ، وهو إياسُ بنُ عبدِ الله بن عَبْدِ ياليل بن عُمَيْرة بن خُفَاف ، فقال لأبي بكر : إنّي مسلم ، وقد أردت جهاد من ارتدّ من الكُفَّار ، فاحملني وأعنّي ، فحمله أبو بكر على ظَهْر ، وأعطاه سلاحاً ، فخرج يستعرض الناس : المسلم والمرتدّ ، يأخذ أموالهم ، ويصيب من امتنع منهم ، ومعه رجلٌ من بني الشَّريد ، يقال له نَجْبَةُ بنُ أبي المَيْثَاء ، فلمّا بلغ أبا بكر خبرُه ، كتب إلى طُرَيْفَة بن حاجز : إن عدوّ الله الفجاءة أتاني يزعُم أنّه مسلم ، ويسألني أن أقوّيه على من ارتدّ عن الإسلام ، فحملته وسلّحته ، ثم انتهى إليّ من يقين الخبر أنَّ عدوّ الله قد استعرض الناس : المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ، ويقتل من خالفه منهم ، فسرْ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتلَه ، أو تأخذه فتأتيَني به ، فسار طُرَيْفَة بنُ حَاجِز ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرِّميّا بالنّبل ، فقُتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به ، فلما رأى الفُجَاءة من المسلمين الجِدَّ قال لطُريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر منّي ، أنت أميرٌ لأبي بكر وأنا أميره . فقال له طُرَيْفَة : إن كنت صادقاً فضع السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر . فخرج معه ، فلما قدِما عليه أمر أبو بكر طُريفَة بن حاجز فقال : اخرج به إلى هذا البقيع فحرِّقه فيه بالنار ، فخرج به طُريفة إلى

---

(١) جمهرة النسب ٢٦١ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٠ ، تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، مروج الذهب ٧/ ٥٥٢ .

المُصَلَّى فأوقد له ناراً ، فقذفه فيها »[1] .

ومن شعره الذي قاله مفتخراً فيه بقتل المسلمين وخداع أبي بكر[2] : [من الوافر]

أَلَمْ تَرَنِي خدعتُ القومَ حتّى قويتُ بما أخذتُ من السِّلاحِ
وقلتُ له أبا بكرٍ أعِنّي على من بالبُزَاخة والبُطَاحِ
ولستُ أرى على تقتيلِ قومي ولا قتلِ الأباعِدِ من جُنَاحِ

ولا شكَّ في أنَّ فعلةَ الفُجَاءَةِ تتمُّ على رغبةٍ عمياء في السيادة ونشر الفساد ، والقتل وسفكِ الدّماء ، وقد اغتمَّ بنو سليم غمّاً شديداً لفعلته الشنيعة ، وقالوا لأبي بكر : « والله يا خليفة رسول الله لقد حدّثتنا أنفسنا ببعض ذلك ، ولقد قلَّدَنَا عدوُّ الله بفعاله عاراً لا يُغْسَلُ عنّا أبداً »[3] .

وقد سُرَّت الأقوام بمقتل الفجاءة الذي عاث فساداً كبيراً في تلك الأثناء ، وكاد جهله الأعمى وسيطرته على الشذّاذ والجاهلين من أتباعه يستفحلان لولا حكمة أبي بكر وحزمه ، يقول رجل من بني سُليم معبّراً عن فرح المسلمين بمقتل الفُجاءة[4] : [من الخفيف]

إنّ حرقَ الفُجَاءةِ من نِعَمِ اللّـ ـهِ على من أقَرَّ بالإسلام
أخَذَ الخيلَ والسِّلاحَ على العَهْـ ـدِ فخانَ الفَجَاءةُ عهدَ الإمام

وقد ذكرت المصادر ندم أبي بكر الصِّدِّيق على إحراق الفُجَاءَةِ ، « قال أبو بكر رضي الله عنه : إنِّي لا آسى على شيء من الدُّنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنَّ وددت أني تركتهنَّ ، وثلاث تركتهُنَّ وددت أني فعلتهنَّ ، وثلاث وددت أني سألت النبي ﷺ عنهنَّ ، فأما الثلاث اللاتي وددتُ أني تركتهنَّ ، فودِدتُ أني لم أكشف بيتَ فاطمةَ عن شيء وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب ، وودتُ أني لم أكن حَرَقْتُ الفُجاءة السُّلَميّ ، وأني كنتُ قتلته سريحاً أو خلّيتهُ نجيحاً . . . »[5] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٥ ، وانظر الخبر في الرِّدَّة ٧٧ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ .
(٢) الرِّدَّة ٧٦ .
(٣) الرِّدَّة ٧٧ .
(٤) الرِّدَّة ٨١ .
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٠ .

قُرَّةُ بنُ هُبَيْرة القُشَيْري

قُرَّةُ بنُ هُبَيرةُ بنِ عَامر بنِ سَلَمة الخيرِ بنِ قُشَير بنِ كَعْب بنِ رَبيعَة بنِ عامِرِ بنِ صَعْصَعَة العامري ثم القُشَيْري ، وينتهي نسبُهُ إلى قُشَير بنِ كعْب بنِ رَبيْعَة بنِ عَامِرِ بنِ صَعْصَعَة بنِ مُعَاوية بنِ بكْر بنِ هَوازِن بنِ مَنْصُور بنِ عِكْرِمَة بنِ خَصفَة بنِ قَيْس عَيْلان بنِ مُضَر ، وكان لِقُرَّةَ من الولد حبيب والطُّفَيْل[١] .

وهو جدُّ الشاعر الصِّمَّة القُشَيري ، وقُرَّة بن هُبَيرة شاعرٌ مخضرمٌ من فرسانِ بني قُشَير المشهورين وشعرائهم ووجهائهم[٢] ، وأبوه هُبَيرَة بن عَامِرِ بن سَلَمَة الخَيْرِ الذي أغار على النُّعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وسبى المتجرِّدة زوج النعمان ، ولمّا عرفها أطلقها ، وسبى كثيراً من أمواله ، فافتخرت عشيرتُهُ بهذه الغارة على ملك الحيرة[٣] .

أدرك الجاهلية وله ذكرٌ في بعض الأيّام والوقائع الشهيرة فيها ، فقد ذَكَر المَرْزُبَاني أنه شَهِدَ يومَ شِعْبِ جَبَلة[٤] ، ونجدُ له ذكراً آخرَ في أيّام العربِ في الجاهلية في يوم النِّسار[٥] .

---

(١) الإصابة ٥/ ٣٣٣ ، الطبقات الكبير ٦/ ٢٠١ ، جمهرة أنساب العرب ٢٨٩ .

(٢) خزانة الأدب ٣/ ٦٢ ، شرح حماسة أبي تمّام للأعلم الشنتمري ٧٧٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٨٩ .

(٤) شِعْبُ جَبَلة : موضع كان فيه يوم من أيام العرب بين بني عامر وتميم وعَبْس وذُبيان وفَزَارة ، وكان النّصر فيه لبني عامر ، وجَبَلَةُ : هضبة حمراء بنجد بين الشُّرَيف (ماء لبني نُمَير) ، والشَّرف (ماء لبني كلاب) . معجم البلدان : (شِعْبُ جبلة) ، وانظر معجم البلدان ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢ ، معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

(٥) يومُ النِّسَار : يومٌ لبني أسد وغطفان وطيىء ، وهم الأحاليف على بني عامر ، والنِّسار هي جبالٌ صغار ، وقيل : قبل ماء لبني عامر بن صعصعة ، وقيل : جبل في ناحية حِمَى ضريّة ، والأكثر أنَّه جبل ، (معجم البلدان) ، أيام العرب قبل الإسلام : (أبو عبيدة معمر بن المثنّى ٥٢٧) .

* إسلامه :

أدرك قُرّة الإسلام ، فوفد مع قومه بني قُشَير بن كعب على النبي ﷺ ، وذلك قبل حجّة الوداع وقبل حنين[1] .

وفي الخبر : أن قرّة بن هبيرة أتى النبي ﷺ فقال له : إنه كان لنا ربّاتٌ وأربابٌ نعبدهنَّ من دون الله ، فبعثك الله فدعوناهنّ فلم يُجِبْنَ ، وسألناهُنَّ فلم يُعْطَيْنَ ، وجئناك فهدانا الله ، فقال رسول الله ﷺ : « أفلَحَ من رُزِقَ لُبّاً » ، فقال : يا رسول الله ، إكسني ثوبين قد لبستهما ، فكساه ، فلمّا كان بالموقف من عرفات ، قال له رسول الله ﷺ : أعِدْ عليَّ ما قلت ، فأعاد عليه ، فقال ﷺ : أفلحَ من رُزِق لُبّاً مرتين[2] .

وقد أمره الرسول ﷺ أن يلي صدقات قومه[3] .

* أخبارُهُ في الرِّدَّة :

كان قرّة أحد سادات قومه ، وقد نظر إلى الزّكاة على أنها إتاوة ، ورأى الخلافة زعامة وسيطرة لقبيلة على غيرها من القبائل ، وما إن شاع خبر وفاة الرسول ﷺ حتى بدأ وقومه يتربصون وينتظرون فعل القبائل الأخرى ، فإن ثبتت ثبتوا معها ، وإن ارتدّت حذَوا حذوها .

وكان رسول الله ﷺ قد جعل عمرو بن العاص على صدقات بني عامر ، فنزلَ على قرّة بن هبيرة الذي كان يقدِّم رِجْلاً ويؤخِّر رِجْلاً ، وعلى ذلك بنو عامرٍ كلهم إلا خواص[4] ، وبعد تردّد قرّر قرّة وقومه منع الزّكاة كما في الخبر : « نزل عمرو بن العاص منصَرَفَهُ من عُمَان ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ بقرّة بن هبيرة بن سَلمة بن قُشَير ، وحولَه عسكر بني عامر وأفنائهم ، فذبح له وأكرم مثواه ، فلمّا أراد الرّحلة

(١) البداية والنهاية ٧/ ٣٥٨ .
(٢) الإصابة ٥/ ٣٣٣ ، المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ٣٣ .
(٣) البداية والنهاية ٧/ ٣٥٨ .
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٨ .

خلا به قرّة ، فقال : يا هذا ، إنّ العرب لا تطيبُ لكم نفساً بالأتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فَستَسْمَعُ لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا أرى إلا أن تجتمع عليكم ، فقال عمرو : أكفرتَ يا قُرّة ، وحولَهُ بني عامر ، فكرهَ أن يبوحَ بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته فينفر في شرٍّ ، فقال : لَنرُدَّنّكُم إلى فيئتكم ـ وكان من أمره الإسلام ـ اجعلوا بيننا وبينكم موعداً ، فقال عمرو : أتُوعِدُنَا بالعرب وتُخوِّفنا بها ، موعدك حَفْشُ أمِّكَ ، فوالله لأوطِئَنَّ عليك الخيل ، وقَدِم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم »[١] .

وبذلك يقرّر قرّة بن هبيرة تزعُّمَ عصيان قومه والانضمام إلى طُلَيْحة الأسدي وأتباعه ، واندلعت المجابهة بين المسلمين والمرتدّين ، ولم تذكر لنا المصادر التي توافرت بين يدينا أي خبرٍ مفصَّلٍ عن قرّة في هذه المواجهات .

وبعد أن ظَفرَ المسلمون ، جمع خالد بن الوليد رضي الله عنه الأسارى ووجه بهم إلى أبي بكر الصِّدِّيق وفي الخبر : « وسار خالدٌ إلى بُزَاخة ، فلقي طُلَيْحَة ومعه عُيَيْنَة بن حِصْن بن مالك الفَزَاري ، وقُرَّة بن هُبَيْرة القُشَيري ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله سبحانه وتعالىٰ طُلَيحة ، وهرب إلى الشام ، وأُسِرَ عُيَيْنَة وقُرّة بن هُبَيْرَة ، فبعث خالد إلى أبي بكر فَحَقَنَ دماءهما »[٢] .

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٦٢ ، وفي الرِّدَّة : ١٤٩ وارتدّت بنو عامر وغطفان ورأسوا على أنفسهم قرّة بن سلمة القشيري . ويورد الطبري ٣/ ٢٥٩ رواية أخرى نوجزها بأن عمرو بن العاص نزل أرض بني عامر فأكرمه قرّة وأحسن ضيافته ، ثم قال له حين أراد الانصراف : إنَّ صاحبكم قد توفّي ، وعبَّر عن رفضه لخلافة الصِّدِّيق ، وطلب منهم أن يلحقوا بحرمهم فيأمنوا ، فغضب عمرو بن العاص وبلغ أبا بكر بذلك ، فأرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد وقال له : يا أبا سليمان ، لا يَفْلِتَنَّ منك قُرَّة بن هبيرة ، وانظر الرواية في الإصابة ٥/ ٣٣٤ ، الطبقات الكبير ٦/ ٢٠١ ، والحِفْشُ : درج المرأة تجعل فيه متاعها .

ونشير هنا أن الواقدي (في الرِّدَّة : ٤٩) يورد أبياتاً لقرّة بن سلمة القشيري يدعو فيها قومَه إلى الإسلام والطاعة ، وهذا غير معقول ، فقرّة بن هبيرة في هذه الأثناء كان متزعماً لردة قومه ، وصاحب الأبيات الحقيقي هو خُوَيْلِد بن رَبِيعة العَقِيْلي ، انظر الإصابة ٥/ ٣٣٤ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

ومن المعروف أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق عفا عن قرّة بن هبيرة ، ولكنَّ المصادر اختلفت في طريقة عرض الخبر وتسويغ قرّة مؤازرته المرتدّين ، وهي روايات مطوّلة[1] سنوجز الرواية الأشهر[2] ، إذ إنّ قُرّة بن هُبَيْرَة القُشَيْرِي يقول لأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه : يا خليفة رسول الله ، إني رجلٌ مسلم ، يشهد لي بذلك عمرو بن العاص ، وذلك أنَّه مرَّ بي منصرفاً من عُمَان ، فقريتُهُ وأكرمتُهُ . . . فسأل الصِّدِّيق عمرو بن العاص الذي قال : نعم يا خليفة رسول الله ، عندي من الشهادة أنّي مررتُ به وأنا مُنْصَرِفٌ من عُمَان ، فلمّا نزلت إليه سمعته يقول : والله لئن تجافى أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ عن زكاة أموالنا ، وإلا فما في رقابنا طاعة ، فقال قرّة بن هبيرة : (لم يكن القول على ما تقول يا عمرو) ، فقال عمرو : بلى والله يا خليفة رسول الله ، لقد سمعته يقول هذه المقالة ، وعلمتُ أنَّه قد عَزَمَ على العصيان ومنع الزَّكاة وأنشأتُ أقول هذه الأبيات : [من الكامل]

يا قُرَّ إنَّكَ لا مَحَالَةَ ميِّتٌ يوماً وإنَّك بعد موتِكَ راجِعُ
فاللهُ حيٌّ لا يموتُ ودينُنَا دينُ النبيِّ وللرِّجَالِ مَصَارِعُ
إنَّ التي منَّتكَ نفسكَ خالياً مما تؤمِّلُهُ سرابٌ ساطِعُ

فلما قلتُ هذه الأبيات رأيته وقد بيَّنَ الغضب في وجهه ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

إنّ عمراً يرى نصيحةَ غِشٍّ ويَرَى كلَّ ما أقولُ خَبَالا
ليسَ ما وافقَ الهوى بصَوَابٍ أن يكونَ المسوَّدونَ نِعَالا
قلت خلُّوا عن الغَرِيبِ وكُفُّوا عن أذاهم وثَمِّروا الأموالا . .

فهذا والله يا خليفة رسول الله ﷺ ما كان من مقالتي ومقالته ، ثم إني رحلتُ عنه ، فلمّا قَرَّبْتُ فرسي وركبت سمعته يقول[3] : [من مشطور الرجز]

---

(١) انظر الطبقات الكبير ٦/ ٢٠٣ ، تاريخ الطبري ٣/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .
(٢) الرِّدَّة : ٩٦ ـ ١٠٠ ، وفي الفتوح ٨/ ١٨ ورد فيها أن عمرو بن العاص سمع قرّة بن هبيرة يقول : إن أتيتنا فعضض على الأنامل .
(٣) الرِّدَّة : ٩٨ ـ ٩٩ .

أوعـــدتنـــا يـــا عمـــرو بـــالقبـــائـــل
لســـتَ بمـــا أوعَـــدْتَنَـــا بـــالطَّـــائـــل

فاعترف قُرَّة بصدق مقالةِ عمرو ، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد لام عمرو بن العاص بقوله : « سوأةً لك يا عمرو ، رجلٌ نزلتَ عليه فآواك وأحسَنَ ضيافتك وأطعمك وأسقاك ، ثم تكلّم بكلامٍ بينه وبينك فأجبْتَهُ على كلامه ، ثم رحلتَ عنه ، فالآن لمّا نظرتَ إليه في هذه الحالة أسيراً قد جمعت يداهُ إلى عنقه ، وثبتَ قائماً على قدميك وهَوَيْتَ عليه بجهدك ، ثم قال عمر بن الخطاب لأبي بكر : « يا خليفة رسول الله ﷺ هذا رجلٌ من سادات العرب وأشراف بني عامر ، وما أولاك بالصَّفحِ عنه بعدَ أن قدرتَ عليه » فقال أبو بكر : قد عفوتُ عنه ، ثم أطلقه وأطلق من كان معه من بني عمه ، وكساه وأحسن إليه ، فمدحه قرَّة بقوله[1] : [من المتقارب]

جـزى الله بـالخَيْـرِ تيـمَ بـن مُـرَّة   وإن جُـرِعَـتْ كـأسُهَـا المُـرة
بـإطـلاقِـهِ الغُـلَّ خيـرَ الجَـزَا   وإبـلاعهـا الـرِّيـقَ كـم مَـرَّة

وقد أورد صاحب الإصابة أنَّ قرّة بن هبيرة اعتذر إلى أبي بكر ، فهو لم يرتدّ ، وإنّما عامل المرتدّين بالتّقية خوفاً على ماله وولده ، وفي الخبر : أن عمرو بن العاص سألَ قرّة بعد أن عفا عنه أبو بكر ـ ما حملك على ما قلت ؟ قال : كان لي مالٌ وولدٌ فتخوّفتُ من مسيلمة ، وإنما أردتُ أني لا أصدِّق من يقول بعدَهُ أنه رسول الله »[2] .

وعند هذه المرحلة تنقطع أخبار الشاعر قُرّة بنُ هُبَيْرَة القُشَيْرِي ، فلا نجد له ذكراً آخر في المصادر التي بين يدينا ، ولم تسعف المصادر بتاريخ وفاته ومكانها .

---

(١) الرِّدَّة : ٩٩ .
(٢) الإصابة ٥/ ٣٣٤ .

أَبُو قُرَّة الكِنْدِي

أبو قُرَّة بن مُعاوية بن وَهْب بن قَيْس بن حُجْر الكندي ، كان شريفاً ، ووفد على النبي ﷺ[1] ، وذكره ابن الكلبي وقال : وكان شريفاً ، وذكر ابن سعد أنَّ ابنه عمرو بن قرّة ولي قضاء الكوفة بعد شُرَيْح[2] ، وذُكِرَ أنه كان قاضياً بالكوفة واسمه فلان بن سلمة ، روى عن عمر بن الخطاب ، وسَلْمَان ، وحُذَيفة بن اليَمَان ، وكان معروفاً قليل الحديث[3] .

وهو من أتباع الأشعث بن قيس الكندي ، اتبعه عصبيةً وتحدّياً للمسلمين ، وآزرهُ مانعاً الزّكاة ، ثم انفضّ عنه بعد قَتْلِهِ رَسولَ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ثم عاد وآزره بعد أن حُوصِر في النُّجَير[4] .

والبداية كانت في مؤازرة قبائل كندة للأشعث بن قيس في أثناء حصاره للمسلمين « قال : وأقبل الأشعث بن قيس وأصحابه حتى نزل على مدينة تَرِيْم ، فحاصر زياد بن لبيد ومن معه من المسلمين حصاراً شديداً » .

قال : وكتب زياد بن لبيد إلى المهاجر بن أميّة المخزومي يستنجده على الأشعث ، فلما بلغه ما فيه زياد ، سار إليه فيمن معه وهم ألف فارس معونة لهم ، وبلغ ذلك الأشعث ، فأمر أصحابه فتنحوا عن باب تَرِيْم ، وأقبل مهاجر بن أمية في ألف فارس حتّى دخل المدينة ، وصار مع زياد ، ورجع الأشعث « وجلس على الباب ، وأرسل إلى جميع قبائل كندة ، فأجابه الجبر بن القشعم في قومه من بني الأرقم ، وأجابه أبو قُرَّة الكندي في قومه من بني حُجْر ، وأجابه الخَنْفَسِيس ابن عمرو في قومه من بني هند »[5] . واشتد الحصار على المسلمين ، فقرّر

---

(١) الرِّدَّة : الواقدي ١٩٢ ، أسد الغابة ٦/ ٢٤٧ ، الإصابة ٧/ ٢٧٦ .
(٢) أسد الغابة ٦/ ٢٤٧ .
(٣) الطبقات الكبير ٨/ ٢٦٩ .
(٤) انظر تفاصيل هذه الحوادث في ترجمة الأشعث بن قيس ص٨٢ .
(٥) الرِّدَّة : الواقدي ١٨٩ ـ ١٩٠ .

الصِّدِّيق رضي الله عنه مفاوضة المرتدين ، فقتلوا رسوله وكان موقفه عند قَتْلِ رسول أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه كما في الخبر « فوثب أبو قرَّة الكندي مُغْضِباً فقال : (يا أشعث ، لا والله ، ما يوافقك أحد منَّا على هذا الأمر أبداً ، تقتل الرسولَ بلا ذنبٍ كان منه ، ولا سبيل لك عليه) ، ثم أقبل أبو قرّة على قومه من كندة فقال : انصرفوا ولا تقيموا ، فإنّ الصواب عندي الرحيل عن هذا الرجل ، وإلاّ فتوقّعوا العقوبة » .

قال : ثم انصرف أبو قُرَّة الكِنْدي وهو يقول[1] : [من الطويل]

قَتَلْتُمْ رسولاً أن أَتَى برسالةٍ ... وليسَ عليهِ أو إليه سبيلُ
فَجِئْتُمْ بأمرٍ فيه خَوْفٌ عليكُمُ ... وذلك خِزْيٌ في الحياةِ طويلُ[2]

وبعد أن حوصر الأشعث بن قيس في النُّجَير ، واشتدّ عليه ذلك « سمعت بذلك قبائل كندة ممن كان تفرّق عن الأشعث لما قَتَل رسولَ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، فقال بعضهم لبعض : يا قومنا ، إنّ بني عمِّنَا قد حُصِروا في حصن النُّجَيْر ، وهذا عارٌ علينا أن نُسْلِمَهُم ، فسيروا بنا إليهم . قال : فسارت قبائل كندة يريدون محاربة المسلمين . . . وأقبل أبو قُرَّة الكِنْدِي في قومه ، وأنشد أبياتاً لم نذكرها . . . »[3] .

فقد عاد عن موقفه عندما وجد قبيلته في خطر ، واتبع هواه وعصبيتهُ ، وقرّر محاربة المسلمين من جديد .

وتنقطع أخبار أبي قرَّة الكندي عند هذه الحادثة ، وكغيره من الشعراء لم تسعفنا المصادر التي بين يدينا بتاريخ ولادتهم أو وفاتهم ، كما لم تسعفنا بالمزيد عن أخبارهم وشعرهم ، فبقيت طيَّ النسيان .

---

(١) هذا البيت في الرِّدَّة : الواقدي ١٨٩ ـ ١٩٠ .
(٢) المصدر السابق ١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢٠٦ .

مالكُ بنُ نُوَيرَةَ التَّمِيْمِي

مالِكُ بن نُوَيرةَ بنِ جَمْرَة بنِ شَدَّاد بنِ عُبَيْد بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوع التَّمِيْمِي ، الشاعر المعروف والفارس المشهور ، يُكَنَّى أبا حنظلة[1] .

لم تحدِّد المصادر تاريخ ولادته فقد عاش حقبةً من الزمن في الجاهلية ، وكان أحد فرسان بني يَرْبُوعِ بنِ حَنْظَلَة ورجالهم المعدودين في الجاهلية ، وكان من أرداف الملوك ، ولُقِّبَ بفارس ذي الخِمَار ، وذو الخِمَار فرسُه ، ولُقِّبَ بالجَفُول ، لأنّه جَفَّلَ إبلِ الصَّدَقةِ أي منعها ، وقيل : لكثرة شعره[2] .

أسلم مع قومه بني يربوع حين وفدوا على الرسول ﷺ ، وكان النبيُّ ﷺ استعمله على صدقات قومه .

* **أخبارُهُ في الرِّدَّة :**

تذكر الروايات أنَّ مالكاً فرّق صدقات قومه ، ووالى سَجَاحاً التميميّة ، فتوجّه إليه خالد بن الوليد ، وأمَرَ ضرار بن الأزور فقتله سنة (١٢هـ) ، وهذه الروايات تُظْهِرُ مالكاً بثوب المظلوم حيناً ، وتُظهِرُ خالد بن الوليد رضي الله عنه بمظهر الظلم والعدوان ، أو تُظهر مالكاً مُتَعَنِّتاً مرتدّاً ومتحدّياً للمسلمين طوراً ، وتُظهر خالد بن الوليد بمظهر العادل الذي أنفذَ أمرَ أولي الأمر ، وسنذكر هذه الروايات محاولين قراءتها بتجرُّدٍ ومنطق .

إنّ مالك بن نويرة فرّق الصدقات ووادَعَ سَجاحاً كما في الخبر : « قطع أبو بكر الصِّدِّيق البعوث ، وعَقَد الألوية ، فعَقَد أحدَ عشرَ لواءً : . . . وعقدَ لخالد بن الوليد وأمره بطُلَيْحَةَ بن خويلد ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطَاح »[3]

---

(١) الاشتقاق ٢٣٦ ، جمهرة أنساب ابن حزم ١٩٣ ـ ٢٢٤ ، معجم الشعراء ٢٥٩ .

(٢) معجم الشعراء ٢٦٠ ، الإصابة ٥/ ٢٦٠ ، أسد الغابة ٥/ ٤٨ ، الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٣٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٩ .

وكان مالك بن نويرة على صَدَقات قومه من بني حنظلة ، وقد أجاب سَجَاحاً وفَثَأها عن غزوها ، وحملها على أحياء من بني تميم ، فقالت : « نعم ، فشأنك بمن رأيتَ ، فإني إنّما أنا امرأةٌ من بني يربوع ، وإن كان مُلْكٌ فالمُلْكُ مُلْكُكُمْ »[1] فهو ـ كما يبدو من الخبر ـ متعاونٌ معها يرسم لها جهات غزوها بما تقتضيه مصلحته ومصلحة قبيلته ، وهي تثق به وتنفِّذُ ما يراه .

ومما يُروى أن أكْثَمَ بنَ صيفي نصح قومه بني تميم في خطبة طويلة بأن يعودوا إلى الإسلام لأنّ فيه صلاحهم ، فقال مالك : قد خَرِف شيخكم ، فقال أكثم : « ويلٌ للشجيِّ من الخليّ » ؛ وفي هذا دليلٌ على ردَّته وتحرضه قومه للخروج عن الإسلام[2] .

وانتشر خبر ردة مالك بين القبائل ، فصار مضرب المثل لرجل تخلّى عن دينه واتبع هوس العصبية القبلية ومَنْ يؤججها من دجّالين وكاذبين ، يقول رجل من قبيلة طيىء مفتخراً بثبات قبيلته مُعَرِّضاً بالمرتدين[3] : [من الطويل]

وَفَيْنَـا وَفـاءً لـم يـرَ النـاس مِثْلَـهُ ... وسَـرْبَلَنَا مَجْـداً عَـدِيٌّ بـن حـاتـمِ[4]
ومـالِـكُ بُعْـداً للتميمـيِّ مـالِـكٍ ... وصاحِبِهِ قيسِ الظَّلُومِ بنِ عاصمِ[5]
فلمّـا أتـاهـم خـالـدٌ فـي جمـوعِـهِ ... تنـادَوا وعَضُّـوا عندهـا بـالأَبَـاهِـمِ[6]

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٦٩ ، فَثَأ : فَثَأ الرجل وفَثَأ غضبه يَفْثَؤُه فَثْأً : كَسَرَ غَضَبَهُ وسَكَّنَهُ ، وفَثَأ الشيءَ عنه : كَفَّهُ (اللسان : فثأ) .

البُطَاح : منزل لبني يربوع ، وقيل : ماء في ديار بني أسد بن خُزَيمة ، وهناك كانت الحرب بين المسلمين وأميرهم خالد ابن الوليد وأهل الرِّدَّة (معجم البلدان) .

(٢) ديوان مالك ومتَمِّم ابنا نويرة ١٤ ، ويل للشجيّ من الخليّ : يضرب مثلاً لسوء مشاركة الرجل صحبه ، يقول : إن الخليَّ لا يساعد الشجيَّ على ما به ، ويلومه ، والخليُّ : الخِلْو من الهم ، انظر جمهرة الأمثال ٢/ ٣٣٨ وفيها الخبر . أكثم بن صيفي : تميمي من أشهر خطبا العرب وحكمائهم .

(٣) الأبيات في الرِّدَّة : ٦٧ .

(٤) عدي بن حاتم الطائي المعروف ، أحد أكابر قبيلة طيىء . وسَرْبَلَ : أي كسا .

(٥) يقصد مالك بن نويرة وقيس بن عاصم ، وقد فرّقا الصدقات ومنعا الزكاة أيام الرِّدَّة .

(٦) عَضُّوا بالأباهم : كناية عن الخوف أي عَضُّوا أصابعهم .

وأنشد حسان بن ثابت مادحاً خالد بن الوليد ساخراً من المرتدين[١] : [من المتقارب]

هـو القـاتـلُ القـومَ يـومَ البُـزَاخِ وقَـدْ طَـاعَنُـوهُ وقَـدْ جَـالَـدُوا
وأمْكَنَـهُ الله مِـنْ قُـرَّةٍ ومـالـكٍ إذ كُفْـرُهُ تـالِـدُ[٢]

وها هو ذا فاتك بن زيد العبسي يهجو قومه يوم ارتدادهم محاولاً إصلاحهم ، وإذ بمالك بن نويرة يكاد يقتله فيقول : [من الخفيف]

قلـت يـا مـالِ إن ربّـك حـيٌّ فـاعْبُدَنْهُ ودِنْ بـديـن الـرسـول[٣]
إنهـا رِدّةٌ تقـود إلـى النّـا رِ فـلا تُـوْلَعَـنْ بقـالٍ وقيـل

وينقل لنا الواقدي حادثة يُجَاهِرُ فيها مالك بردّته ويوضح أنَّه منع الزكاة عامداً ، وفي الخبر « أن خالد بن الوليد توسَّطَ البُطَاح وفيها يومئذٍ رجلٌ من أشراف بني تميم يُقال له (الجَفول) لأنه جَفَّلَ إبل الصدقة ومنع الزكاة ، وجعل يقول لقومه : « يا بني تميم : إنكم قد علمتم بأنّ محمد بن عبد الله كان قد جعلني على صَدقاتكم قبل موته ، وقد هلك محمّد ومضى لسبيله ، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به ، فلا تُطمعوا أحداً في أموالكم ، فأنتم أحقُّ بها من غيركم ، وقال فلامه بعض قومه على ذلك ، وحمد بعضهم وسدَّد له رأيهُ ، فأنشأ مالك يقول[٤] : [من الطويل]

يقـولُ رجـالٌ سُـدِّدَ اليـومَ مـالِـكٌ وقـوم يقـولـوا مـالِـكٌ لـم يُسَـدِّدِ
وقلت خذوا أموالَكُمْ غيرَ خائفٍ ولا نـاظـرٍ فيمـا تخـافـونَ مـن غَـدِ
ودونكمـوهـا إنهـا صَـدَقـاتكـم مُصَـرَّرَةٌ أخـلافُهـا لـم تُجَـدَّدِ
فـإن قـام بـالأمـر المُخَـوَّفِ قـائِـمٌ أطعنـا وقلنـا الـديـنُ ديـنُ مُحَمَّـدِ

---

(١) البيتان في الرِّدَّة : ١١٦ .
(٢) يقصد قرّة بن هبيرة القشيري أحد المرتدين : تالد : قديم .
(٣) يقصد مالك بن نويرة إلا أنه استخدم (مال) كي لا ينكسر الوزن .
(٤) الأبيات في الرِّدَّة : ١٠٤ . ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة ٦٨ .

قال : وبَلَغَ شعرهُ وكلامه أبا بكر والمسلمين فازدادوا عليه حَنَقاً وغَيْظاً ، وأما خالد بن الوليد فإنّه حلف وعاهد الله لئن قدر عليه ليقتلنه وليجعلن رأسه أُثْفِيَّة للقدر[1] .

سمع مالك بن نويرة بانتصار المسلمين وسحقهم للمرتدين واقترابهم من البُطاح ، ففرّق قومه في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع وقال : « يا بني يربوع ، إنّا كنّا قد عصينا أمراءنا إذ دعوْنا إلى هذا الدين وبَطَّأنا الناس عنه فلم نُفْلِحْ ولم نُنْجِحْ ، وإنِّي قد نظرت في هذا الأمر ، فوجدت الأمرَ يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فإيَّاكم ومناوأة قوم صُنِع لهم ، فتفرّقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر . فتفرَّقوا على ذلك إلى أموالهم وخرج مالك حتى رجع إلى منزله »[2] .

وكما يبدو من الخبر فإنّ مالك بن نويرة قد أنعم النظر وأطال التفكير فيما جرى ، فوجد أن النصر حليف للمسلمين بلا شك ، لذا فقد نصح قومه بالعودة والرجوع وفرّقهم ، لا بل عاد إلى منزله وكأن شيئاً لم يكن ، دون أن يُفكِّر في الخروج إلى خالد بن الوليد وإخباره بتوبتهم ـ إن حدثت ـ أو دون أن يكلف نفسه عناء إرسال رسول للمسلمين يوضِّح لهم أنهم خافوا أو عاودوا الإسلام أو ندموا ، ودون أن يؤكدوا للمسلمين حُسْن نياتهم معلنين إسلامهم طائعين مختارين . إنّ هذا التصرف ليس تكفيراً كافياً عن تفريق الصدقات لذا يرسل خالد بن الوليد من يأتيه بأولئك القوم ليستوضح منهم ما يجري « فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، فاختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قَتَادة ، فكان فيمَن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحُبِسوا »[3] . لقد تأنّى خالد بن الوليد في محاكمة أولئك القوم وفق ما تقتضيه أوامر أبي بكر

---

(١) الرِّدَّة : ١٠٤ ، والأُثْفِيةُ : الحجرُ توضع عليه القدر ، ج أثافي ، وتُخَفَّفُ الياء ، والأبيات في ديوان مالك ٦٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٧٨ .

الصديق إذ يقول : « إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ، فإن أذّن القوم وأقاموا فكُفُّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ، ثم اقتلوهم كلّ قِتْلة ، الحرْق فما سواه ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن أقرُّوا بالزكاة فاقبلوا منهم ، وإن أبَوها فلا شيء إلاّ الغارة »[١] .

ومن الغريب أن القوم اختلفوا فيهم صلّوا ولم يصلّوا ، أذّنوا ولم يؤذّنوا ، وهنا يبرُز موقف أبي قَتَادة الذي شهد معهم أنهم أذّنوا وصلّوا وراجعوا الإسلام ، وعندما رأى عزم خالد على قتلهم أقسم ألا يشهد معه مشهداً أبداً ، ولم يرض أن يكون جندياً تحت إمرته ، فمضى إلى الصِّدِّيق (فأعاده إلى حيث كان)[٢] ، ويورد الواقدي[٣] حوار أبي قتادة وخالد بن الوليد في هذا الأمر : « قال أبو قتادة : إني لأشهد أنّه لا سبيل لك عليهم ، قال خالد : وكيف ذلك ، قال : لأني كنت في السّريّة التي قد وافتهم ، فلما نظروا إلينا قالوا : من أنتم ، قلنا : نحن المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون ، ثم أذّنّا وصلينا وصلوا معنا . فقال خالد : صدقت ، إن كانوا قد صلُّوا معكم فقد منعوا الزّكاة التي تجب عليهم ، ولا بدّ من قتلهم ، قال : فرفع شيخٌ منهم صوته يقول :

يـا معشـر الأشهـادِ إنّ أميـركـم ... أمـر الغـداةَ ببعـضِ مـا لـم يُـؤْمَـرِ
حَـرُمَـتْ عليـه دمـاؤنـا بِصَـلاتِنَـا ... واللهُ يَعْلَـمُ أنَّنَـا لـم نَكْفُـرِ
إن تَقْتُلـونَـا تَقْتُلُـوا إخـوانكـم ... والـراقصـاتِ إلـى منـى والمَشْفَـرِ[٤]
يـابـن المغيـرة إنّ فينـا خِطَّـةً ... شنعـاء فـاحشـةً فخـذهـا أو ذَرِ

قال : فلم يلتفت خالد بن الوليد إلى مقالة الشيخ ، فقدّمهم وضربَ أعناقهم عن آخرهم » .

وفي رواية أخرى أن خالد بن الوليد لم يقتلهم مباشرة وإنما حبسهم في ليلة

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٧٧ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٧٨ .
(٣) الرِّدَّة : ١٠٦ .
(٤) يقصد بالراقصات : البعير المسرعة . المَشْفَرِ : مزدلفة أي المشعر .

باردةٍ ، جعلت تزداد برداً ، « فأمر خالد منادياً فنادى أدفئوا أسراكم ـ وفي روايات أخرى دافئوا أسراكم ـ وكانت في لغة كنانة إذا قالوا : دَثِّروا الرجل فأدفئوه ، دِفْئُهُ قتله ، وفي لغة غيرهم : أدْفِهِ فاقتله ، فظنّ القوم ـ وهي في لغتهم القتل ـ أنه أراد القتل فقتلوهم ، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً ، وسمع خالد الواعية ، فخرج وقد فزعوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه »[١] .

ونتساءل : « كيف يتفق مع العقل وأوليات الدين أن قوماً أذّنوا ودعوا بداعية الإسلام وصلّوا مع المسلمين كما تزعم الرواية ثم تختلف السرية في إسلامهم وهي قد صلّت معهم وصلّوا معها ؟ أليس في هذا نسبة الكذب الصريح والغش المتعمد إلى خيرة الصحابة من المهاجرين والأنصار ؟! لأن الرواية تزعم أن المختلفين من رجال السرية كلهم قد اشتركوا في الصلاة مع القوم ، فإذا كان ابن نويرة وقومه قد صلّوا مع المسلمين ولم يعلنوا إسلامهم ، فالذين شهدوا بإسلامهم قد كذبوا وغشوا ، وهل عرف تاريخ الإسلام هذا النحو من الأخلاق عن أصحاب محمد ﷺ ، ثم كيف جاء رجال السرية بابن نويرة إلى خالد إذا كان قد أسلم ، وإنما أمر خالد جنده أن يجيئوا بمن لم يُجب إلى الإسلام ، وكيف صح من قائد المسلمين أن يخاطبهم بلغة يعلم أنها ليست لغتهم فيما يقصد إليه من معنى وغرض ؟ وإذا كان لا يعلم ذلك فلِمَ يعتذر بهذا العذر الوجيه عند الخليفة يوم أن عاتبه ، وقد يغلب على الظن أن إقحام اسم أبي قتادة من نوع ما قلناه في إقحام الأسماء الضخمة في الروايات الملفقة للتمويه والتضليل . . »[٢] .

إنّ الناظر المتمعِّن في الروايات يلحظ بعض التناقضات ، فكيف تختلف السرية في صلاتهم ومعظم من فيها خرجوا لمحاربة المرتدين عن عقيدة راسخة وهم في معظمهم خيرةُ الناس ؟ وكيف لقائد نزيه كخالد أن يصدر أمراً في هذا الموقف بالذات بلهجة مغايرة لما يقصد ؟

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٨ . الواعية : الضجيج ونعي الميت والصراخ والصوت .
(٢) خالد بن الوليد ، صادق إبراهيم عرجون ١٦١ ـ ١٦٢ .

وفي رواية أخرى أكثر منطقية يورد الطبري أن السبب الأساسي لقتل مالك هو تمسّكه بردته واستخفافه بالرسول ﷺ ، وفي الخبر : « وكان خالد يعتذر في قتله أنّه قال وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم إلا وقد كان يقول كذا وكذا ، وقال : أو ما تعدّه لك صاحباً ، ثم قَدَّمهُ فضرب عنقه وأعناق أصحابه »(١) .

وفي خبر آخر : « استدعى خالد مالك بن نويرة ، فأنّبه على ما صَدَر عنه من متابعة سجاح ، وعلى منعه الزكاة ، وقال : ألم تعلم أنّها قرينة الصلاة ؟ فقال مالك : إنّ صاحبكم كان يزعم ذلك ، فقال : أهو صاحبنا وليس صاحبك ، يا ضرار اضرب عنقه ، فضرب عنقه »(٢) .

ولعل هذه الرواية أقرب إلى الصِّحَّة والمنطق ، فخالد بن الوليد قد حاور مالكاً في سبب رِدَّته ، فأظهر مالك ما في نفسه من الضغينة والحقد والعصبية ، وأكَّدَ سببَ ردَّته الرئيس أي منع الزّكاة عندما فرّق الصدقات ، وقد احتجَّ الصِّدِّيق بأنَّ الزّكاة من حقِّها الموجب للقتال ، ولا شكَّ في أن استهزاءهُ بالرسول ﷺ لا يصدر إلاّ عن نفس منافقة حاقدة ، لذا لم يمنحه خالد بن الوليد فرصةً ، فقد رأى أنَّ هذه الكلمة هي الدّليل الأوّل على ردَّته ، وقد قيل : « إنه أراد بقوله : صاحبك ، الأُقيرع بن حابس المُجَاشِعي وذلك أنَّه قال له حين حاول أن يمنعه عن تفرقة أموال الصَّدقة : إنَّ لهذا الأمر قائماً فلا تعجل بتفرقة ما في يديك فقال له مالك(٣) : [من الوافر]

أراني الله بالنِّعَمِ المُنَدّى ... ببرقة رحرحانَ وقد أراني
تَمَشَّى يابن عَوْذَةَ في تميمٍ ... وصاحبك الأقيرع تُلحياني

ويُعَلِّق أحد الباحثين على رواية الطبري آنفة الذكر بقوله : « وقوله صاحبكم هنا لا يحتمل غير التَّبرُّؤ منه ﷺ بالنّظر إلى ملابَسَات القول المذكور ، أمّا قوله

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٠ .
(٢) تاريخ الخلافة الراشدة ، وخلاصة تاريخ ابن كثير ٤٦ .
(٣) ديوان مالك ومتمّم ابنا نويرة ١٦ ـ ١٨ .

تعالىٰ : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[1] ، فاستبشاع لقول قريش باعتبار أنَّهم صَحِبُوه وخبروا عقله وأحواله ، وأينَ هذا من ذلك ، وكُلُّ كلمةٍ لها مع صاحبتها مقام لا يكون لها مع غيرها كما هو معلوم »[2] .

أمّا الرِّوايات التي تُبيِّن أنَّ سبب قَتل مالك هو زوجته فهي خاضعة للتدقيق والبحث في معظمها ، ولا شكَّ في أنَّ الخيال ضخَّمها وبالغَ فيها كثيراً ، وفي الخبر « ثم قَدَّم خالد مالكَ بن نويرة ليضرب عنقه ، فقال مالك : أتقتلني وأنا مسلم أُصَلِّيْ القبلة ، فقال له خالد : لو كنتَ مسلماً لما منعتَ الزّكاة ولا أمرْتَ قومَكَ بمنعها . . . قال : فالتفتَ مالك بن نويرة إلى امرأته فنَظَر إليها ثم قال : يا خالد ، بهذه تقتلني ؟ فقال خالد : بل لله أقتُلُكَ برجوعك عن دينِ الإسلام وجَفْلِكَ لإبل الصَّدَقة ، وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم ، قال : ثم قدَّمَهُ خالد فضربَ عُنُقَهُ صَبْراً ، فيقال : إنّ خالد بن الوليد تزوّج بامرأة مالك ، ودَخَلَ بها ، وعلى ذلك أجمع أهل العلم ، وقد ذكر ذلك حوى بن سعيد بن زهرة السعدي حيث يقول[3] : [من الطويل]

ألا قُـلْ لحـيٍّ أُوطِئُـوا بـالسَّنَـابِـكِ   تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ من بعدِ مالِكِ[4]
عَـدَا خـالِـدٌ بغيـاً عليـه لِعِـرْسِـهِ   وكـان لـه فيهـا هـوىً قبـل ذلـكِ
وأمضـى هـواهُ خـالـدٌ غيـرَ عـاطـفٍ   عِنَـان الهـوى عنهـا ولا مُتَمَـالـكِ

إنّ هذه الرِّواية تصوّر خالد بن الوليد زير نساء[5] لا يتمسَّكُ بمبادىء الإسلام والدِّين ، فقد اتهمته بأنّه عشقَ امرأة مالك وقتل زوجها عدواناً وظلماً ليستولي عليها ، وهذا الجزء من الحادثة فيه تجني على خالد ، ولعل ما أثار هذه النقطة هو

---

(١) سورة التكوير ـ آية : ٢٢ .
(٢) مقالات الكوثري ـ الشيخ محمّد زاهد الكوثري ٣٤١ ـ ٣٤٢ .
(٣) الرِّدّة : ١٠٧ ـ ١٠٨ .
(٤) السَّنابك : جمع سُنْبُك ، طرف الحافر وجانباه من قُدُم ، وسُنْبُكُ كلِّ شيء : أوّله (لسان العرب) .
(٥) في خزانة الأدب ٢/٢٦ : امرأة مالك هي ليلى بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة وردَّ عمر بن الخطاب ليلى وابنها جراد إلى متمم بن نويرة في خلافته .

أنَّ العرب كانت تكرهُ الزّواج في أثناء الحرب وتعيبه ، وهذا ما أُخِذَ على تصرّف خالد بن الوليد ، ولو كان ما يصوِّره خيال الرواة يقارب الحقيقة لمّا سكت الشيخان أبو بكر وعُمَر رضي الله عنهما عن مثل هذا الحدث الكريه ، فكلاهما حُجَّةٌ في العدل والبعد عن المحاباة وإنفاذ حدود الله على من يستحقها ، وقد طالب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أبا بكر بعزلِ خالدٍ ورجمِهِ ، لأنّه قتل مسلماً وزنى بامرأته قبل أن تعود إلى الإسلام وقبل أن تكمل عدَّتها ، ووافقه على ذلك عليّ بن أبي طالب وطلحة ، وقال عمر : « إن في سيف خالد رَهَقاً فاعزله[1] » ، فَرَفَضَ الصِّدِّيق ذلك لاعتقاده ببراءة خالد بن الوليد ، وقال : هيه يا عُمَر ، تأوّل فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد ، « لا أشيم سيفاً سلَّه الله على الكُفَّار »[2] ، فالصِّدِّيق رضي الله عنه واثق ببراءة خالدٍ ، حكيم في تصرُّفِهِ ، متمعِّنٌ في حوادث أخرى ، فقد تذكّر حادثة بني جَذِيمة ، « عندما بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة ، فقتل أولئك الأسارى الذين قالوا : صَبَأْنا ، ولم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فوَدَاهم رسول الله ﷺ حتى رَدَّ إليهم مِيْلَغَةَ الكلب ، ورفع يديه وقال : اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ومع ذلك لم يعزل خالد عن الإمرة »[3] .

وعندما استُخْلِفَ عمر بن الخطاب ، لم يعزل خالد بن الوليد بسببِ شكِّه في أخلاقه ونزاهته ، فقد قال : « إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا عن خيانة ، ولكن الناس قد فُتِنُوا به ، فخفتُ أن يوكِلُوا إليه »[4] ، وقد قال ابن عبد البرّ في تعليقه على هذا الحادث بقوله : « واختُلِفَ فيه هل قتله مسلماً أو مرتداً ، وأراهُ ـ والله أعلم ـ قَتَلَهُ خطأ »[5] ، وقال ابنُ أبي الحديد : « ولستُ أُنَزِّهُ خالداً عن

---

(١) ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة ١٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٣) خلاصة تاريخ ابن كثير ٤٦ ، المِيْلَغَة : الإناء يَلِغُ فيه الكلب ، أي يشربُ ما فيه بأطراف لسانه .

(٤) المنتظم ٤/ ٢٣٠ .

(٥) ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة ١٨ .

الخطأ ، وأعلمُ أنَّه كان جبّاراً فاتكاً ، لا يُراقِبُ الدِّيْنَ فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ، لقد وقع منه في حياة الرسول ﷺ مع بني جَذِيمة أعظم مما وقع منه في حقِّ مالك بن نويرة ، وعفا عنه رسول الله ﷺ بعد أن غضبَ عليه مدّة ، وأعرضَ عنه ، وذلك العفو هو الذي أطمعه حتى فعل ببني يربوع ما فعل بالبُطاح »[1] .

وحين علم أبو بكر بما فعل خالد ، أنكر ذلك وأمر بردِّ السَّبْيِ ، وودى مالكاً[2] .

وقد أشار (صاحب أُسد الغابة) إلى رأيه في القضيّة فقال : « لم تَظْهر عنه رِدَّة ، (يقصد مالكاً) ويقول بعد ذكر جميع الروايات : وهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة ، ويدلُّ على أنَّه لم يرتدّ ، وقد ذكروا في الصحابة أبعدَ من هذا عجب ، وقد اختُلِفَ في رِدَّته ، وعمر يقول لخالد : قتلتَ امرأً مسلماً ، وأبو قتادة يشهد أنَّهم أذّنوا وصلّوا ، وأبو بكر يردُّ السبي ويعطي ديَة مالك من بيت المال ، فهذا جميعاً يدلُّ على أنه مسلم »[3] .

ولا شك في أن أبا بكر عندما ودى مالكاً ، حذا حذوا الرسول ﷺ عندما وَدَى أسرى جَذِيمة ، فكانت ديَة مالك من باب الترضية والتأليف لإزالة ما علق بالنفوس من عمل خالد ، فالروايات كلّها تشير إلى : موادعته سجاحاً ، وحبسه أموال الصدقة ، وسيره معها لحرب بعض القبائل المسلمة ، وكلّها دلائل على رِدَّته ، وخالدُ بن الوليد عندما تمعن في أن مالكاً هو الذي قاد قبيلته لفعل تلك الأمور قرَّر عقابه ، ولا شكّ في أنه لم يعاقبه بغرض الفوز بامرأته التي وقعت في الأسر ، فأخذها لنفسه وكره منه الناس أن يتزوّج في أثناء الحرب .

وإذا افترضنا أن مالك بن نويرة قد عاود الإسلام كما تشير بعض الروايات وكما يرى بعض المؤرخين . . . ، فموقف خالد بن الوليد لا يعدو أن يكون موقف

---

(١) المصدر السابق ١٨ .
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٩٠ .
(٣) أسد الغابة ٥/ ٤٨ .

قائد يقدر المعركة وما يترتب عليها ، وإذاً فإن أكبَر ما يُعاب عليه في هذه القضية هي أنَّه (تأوّل فأخطأ) ، وكلُّ ابن آدم خطّاء . . . ، كان خالد في غاية الإخلاص للعقيدة التي اعتنقها ، فبقيادته وبذل نفسه رخيصة في سبيل الدين فأخمد جمرة المرتدين ـ بإذن الله وبتوفيقه ـ وفتح كثيراً من البلدان ، لا شكّ في أنَّ خالداً خاض أصعبَ حَرْبٍ ، وكان شوكة في أعين الكُفَّار وأعداء العرب والإسلام ، وصدق عمر بن الخطاب حينما قال عند وفاته : « على مثل أبي سُليمان تبكي البواكي ، لقد ثُلِمَ الإسلامُ ثُلْمَةً لا تُرْتَق » .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر مراثي متمم بن نويرة في أخيه مالك ، فقد كان موتُ مالك فاجعة فجّرت معاني الشعر عند متمم فأبدع أروع الأشعار ، وهو يذكّرنا في بعضها بالخنساء التي استنفذت دمعها وطاقتها في رثاء أخيها صخر ، وتورد المصادر خبراً هامّاً ويوضِّح أن مُتَمِّماً حزينٌ على مالك ، ورثاه بألم وحرقة لأنه أنهى حياته بصورة مؤلمة بعيدةٍ عن الدِّين ، فآلَ إلى مآلٍ سيىء مع الكُفَّار والمنافقين ، وقد عاتب متمِّمُ بنُ نويرة أبا بكرٍ الصِّدِّيق مرّاتٍ عديدة ، وفي الخبر : « صلّى مُتَمِّم مع أبي بكر الصِّدِّيق الفجرَ في عقبِ قتل أخيه ، وكان أخوهُ يُظْهِرُ الإسلام ، فظَنَّ به خالدٌ غير ذلك ، فأمرَ ضرار بن الأزور الأسدي فقتَلَه ، وكان مالك من أرداف الملوك ، ومن متقدِّمي فرسان بني يربوع ، قال : فلمّا صلّى أبو بكر قام متمِّم بحذائه ، فاتّكأ على سِيَةِ قوسِهِ ثم قال(١) : [من الكامل]

نِعمَ القَتيلُ إذا الرِّياحُ تناوَحَتْ ... خلفَ البيوتِ قتلتَ يابنَ الأزْوَرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ كُنْتَ وحاسِراً ... ولَنِعْمَ مأوى الطَّارِقِ المُتنَوِّرِ
أَدَعَوْتَهُ باللهِ ثُمّ غَدَرْتَهُ ... لَوْ هُوْ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لم يَغْدِرِ

وأومأ إلى أبي بكر ، فقال : والله ما دَعَوْتُه ولا غَدَرْتُهُ ، ثم أتمَّ شِعرَهُ فقال :

لا يُمْسِكُ الفحشاءَ تحتَ ثيابِهِ ... حُلْوٌ شمائِلُهُ عفيفُ المِئزَرِ

ثم بكى ، وانحطَّ على سِيَة قوسِه ، وكان أعورَ دميماً ، فما زال يبكي حتى

---

(١) الأبيات من ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة ٩١ .

دَمَعَت عينُهُ العَوْراء ، فقام إليه عُمر بن الخطاب فقال : لَوَدِدْتُ أنَّك رثيت زيداً أخي بمثلِ ما رثيتَ به مالكاً أخاك ، فقال له : يا أبا حَفْصٍ ، والله لو علمتُ أنَّ أخي صار بحيث صار أخوك ما رَثَيْتُه ، فقال عمر : (ما عزَّاني أحدٌ عن أخي بمثل تعزيته)[1] .

« وتحتمل هذه الرواية عدَّة تأويلات : أوّلها أنَّ متمماً كان يعلم بأنّ أخاهُ قُتِلَ مرتدّاً ، ولكنّه يبكيه ويُطالب بدمه لأنّ هناك ما يبرِّر عدم قتله ـ لو لم يقتله خالد ـ في إعلانه وقومه الأذان ، والتأويل الثاني أنه يعني أنَّ مالكاً قُتِلَ ظُلماً ، وأنَّه يبكيه لأنَّه غُدِر ، وما حقَّ لعمر أن يبكي أخاهُ زيداً ، لأنَّ أخاهُ مات شهيداً وليس غدراً ، وأنَّه حينَ رثى زيداً قصد بذلك أن يكسِبَ رضى عمر بن الخطاب »[2] .

ولمالك بن نويرة ديوانٌ مطبوع وهو يتضمّن شعره ودراسةً عن حياته ، وأُرفِقَ بالديوان شعر متممٍ أخي مالك ، ودراسة عن حياته أيضاً[3] .

لقد كان خالد صفحة مشرقة في تاريخنا ، ربما تأول فأخطأ والأمر يومئذٍ لله .

---

(١) الكامل للمبرِّد ٣/ ١٤٤٦ ـ ١٤٤٧ وورد في الحاشية (تعزيتك) .

(٢) ديوان مالك ومتمِّم ابنا نويرة ٢٠ .

(٣) ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة ، تأليف ابتسام مرهون الصَّفَّار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٨ .

وَكِيْعُ بنُ مَالِك التَّمِيْمِي

من بني تميم ، لم تذكر المصادر مزيداً عن نسبه ، كان على صدقات بني حنظلة مع مالك بن نويرة[١] ، وقد تحالف مع مالك بن نُوَيْرَة وسَجَاح ووالاهما بدافع من عصبية ، ورغبة في الثأر من قبائل أخرى ، فقد « كانت سَجَاح تريد غزو أبي بكر ، فأرسلت إلى مالك بن نويرة تطلب الموادعة ، فأجابها وردّها عن غزوها ، وحملها على أحياء من بني تميم ، فأجابته وقالت : إنما أنا امرأة من بني يربوع ، فإن كان مُلْكٌ فهو لكم ، وهربَ منها عُطارِدُ بن حاجب وسادة بني مالك وحنظلة إلى بني العنبر ، وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد وادعها ، وهرب منها أشباههم من بني يربوع كما كرهوا ما صنع مالك بن نويرة ، واجتمع مالك ووكيع وسَجَاح »[٢] ، وهكذا نجد أن هؤلاء الثلاثة شكلوا قوة لقتال المسلمين ، ولإخافة القبائل العربية الأخرى ، والخبر : « اجتمع وكيع ومالك وسَجَاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً واتفقوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخضَمّ أم ببَهْدَى ، أم بعوْف والأبناء ، أم بالرّباب ، فقالت سَجَاح : أعِدُّوا الرِّكاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب ، وسمعت بهذا الرَّباب فاجتمعوا لها ، ضبّتها وعبدُ مناتها ، فولي وكيع وبِشْر بني بكر من ضَبَّة ، وولي ثَعْلَبَةُ بن سعد بن ضَبَّة عَقَّة ، وولي عبد مناة الهُذَيل ، فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضَبَّة ، فهُزِموا ، وأسِر سماعة ووكيع وقعقاع ، وقتلت فيه قتلى كثيرة »[٣] ، وفي خبر آخر : « فصرفت سَجَاح والهُذيل وعَقَّة بني بكر ، للموادعة التي بينها وبين وكيع . . . ولم يدخل في أمر سجاح عمريّ ولا سعدي ولا ربّيّ ، ولم يمالِئْهُم من حنظلة إلا وكيع ومالك ، فكانت ممالأتهما موادَعةً

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٨ ، الكامل في التاريخ ـ ابن الأثر ٢/ ٣٥٣ .
(٢) الكامل ـ ابن الأثير ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

على أن ينصر بعضهم بعضاً ، وينحاز بعضهم إلى بعض »[1] .

وقد عاد وكيع إلى الإسلام ، وأخرج الصدقة ، « ولما انصرفت سجاح إلى الجزيرة ، ارعوى مالك بن نويرة ، وندم وتحيّر في أمره ، وعرف وكيع قُبْحَ ما أتاه فرجع رجوعاً حسناً ، ولم يتجبّر ، وأخرج الصدقات فاستقبل بها خالداً ، فقال خالد ـ لسمَاعَة ووكيع ـ : ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأرٌ كنّا نطلبه في بني ضبّة ، وكانت أيام تشاغل وفرص ، وقال وكيع في ذلك[2] » : [من الطويل]

نَـدِمْـتُ وأيقَنْـتُ الغَـدَاةَ بـأنَّنـي   أَتَيْتُ التي يبقى على المرءِ عارُها
شَهِـدْتُ بـأنَّ الله لا شـيء غيـره   بنـي مُـدْلِـجٍ فـالله ربِّـي وجـارُهـا

ولم نجد لوكيع ذكراً آخر في المصادر التي بين يدينا ، ولم تصلنا معلومات عن تاريخ وفاته ومكانها .

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٧٦ ، وانظر الكامل : ابن الأثير ٢/ ٣٥٧ .

ب ـ شعراء الرِّدَّة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

جَبَلَةُ بنُ الأيْهَم الغَسَّانيّ

هو جَبَلَةُ بنُ الأيهمِ بنِ جَبَلَة بنِ الحارثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرو بنِ جَفْنَة ، آخر ملوك غسّان ، وقومه هم رَهْطُ الملوك[١] .

ويُروى أن جَبَلَة كان مميز الشكل « كان طوله اثني عشر شبراً ، وكان إذا رَكِبَ مسحت قَدَمُهُ الأرضَ »[٢] ، وهو من ملوك الغساسنة النصارى ، بعَثَ إليه الرسول ﷺ سنة (١٠هـ) ، في جملة الملوك الذين راسلهم يدعوهم إلى الإسلام[٣] .

وقد أسلم أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويُقال : إنه أسلم أيام الرسول ﷺ وأهدى إليه هدية[٤] ، ونعتقد أنه خبر غير دقيق ، فالطبري سَجَّلَ لجَبَلة مشاركة في وقعة اليرموك ضد المسلمين ، وفي الخبر :

« سارَ هِرَقْلُ في الرُّوم حتى نَزَلَ أنطاكيّة ومعه من المستعربة من غسّان وتلك القبائل من قُضاعة اثنا عَشَر ألفاً عليهم جَبَلَةُ بن الأيهم الغَسَّاني وسائرُهُمْ من الرُّوم ، وسار إليهم المسلمون عليهم أبو عبيدة بن الجرّاح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً »[٥] .

ويذكر البَلاذُري مشاركة جَبَلة في اليرموك ضد المسلمين ، وذلك قبيل إسلامه بقليل[٦] .

إذاً : أسلم جبلة بن الأيهم أيّام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأرجح ،

---

(١) النَّسَب : ٣٦٩ ، جمهرة أنساب ابن حزم ٣٧٢ ، جمهرة النسب ٦١٨ ، الاشتقاق ٤٣٦ .
(٢) المعارف ٦٤٤ .
(٣) سيرة ابن هشام ٤/ ٦٠٧ .
(٤) المنتظم ٤/ ٧ .
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٥٧٠ .
(٦) فتوح البلدان ١٨٥ .

وفي خبر إسلامه ورِدَّته روايتان ، الأولى : وهي الأشهر وفيها أنه استأذن في القدوم على الخليفة ، فجاء في أكبر موكب وأبهى حُلَّة ، والخبر « قال أبو عمرو الشيباني : لمّا أسلم جَبَلة بن الأيهم الغسّاني ، وكان من ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج إليه في خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فَسُرَّ عمر رضي الله عنه وأَمَرَ الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ ، وأَمَرَ جبلة مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الدِّيباج والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابها ، وألبسوها قلائد الذّهب والفضة ، ولبس جَبَلة تاجه وفيه قُرطا مارِية وهي جَدَّتُه ، ودخل المدينة فلم يبق بها بِكْرٌ ولا عَانِسٌ إلا تَبَرَّجَتْ وخرجت تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عُمَر رَحَّبَ به وألطَفَهُ وأدنى مَجْلِسَهُ ، ثم أراد عمر الحج فخَرَجَ معه جَبَلة ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم إذ وَطِىءَ إزاره رجلٌ من بني فَزَارَة ، فانحَلَّ ، فرفَعَ جبلةُ يَدَهُ فهشَّمَ أنفَ الفَزَارِيّ ، فاستعدى عليه عُمَر رضوان الله عليه ، فبعث إلى جَبَلة فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنّه تَعَمَّدَ حَلَّ إزاري ، ولولا حُرمةُ الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت ، فإمّا أنْ رَضِيَ الرَّجُلُ ، وإمّا أن أقيدَهُ منك ، قال جبلة : ما تَصْنَعُ بي ؟ قال : آمُرُ بِهَشْمِ أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جمعك وإيّاهُ فليس تَفْضُله بشيء إلا بالتُّقى والعافية ، قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية ، قال عمر : دع عنك هذا فإنَّك إن لم تُرضِ الرّجل أقدْتُه منك ، قال : إذاً أتنصَّر ، قال : إن تنصَّرْتَ ضربتُ عنقك لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتُك ، فلمّا رأى جبلة الصِّدْق من عمر قال : أنا ناظرٌ في هذا في ليلتي هذه ، وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خَلْقٌ كثيرٌ حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلمّا أمسوا أذن له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس ، وهدَؤوا تحمّل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام فأصبحت مكّة وهي منهم بلاقع ، فلما انتهى إلى الشام تحمّل

في خمسمائة رجلٍ من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدَخَلَ إلى هرقل فتنَصَّر هو وقومه فَسُرَّ هرقل بذلك جدّاً ، وظَنَّ أنَّه فَتْحٌ من الفتوح العظيمة ، وأقطَعَهُ حيث شاء ، وأجرى عليه من النُّزُل ما شاء ، وجعله من مُحَدِّثيه وسُمَّاره »[1] .

والرواية الثانية الأقلُّ شهرة تذكر أن حواراً دار بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجَبَلة ، رفض فيه جبلة اعتناق الإسلام ، وأداء الصدقة ، فأبى ذلك ، فعرض عليه الجزية ، فأَنِفَ منها ، فقال عمر : ما عندنا لك إلاّ واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، وإما أداء الجزية ، وإمّا الذهاب إلى حيث شئت ، فدَخَل بلاد الرُّوم في ثلاثين ألفاً ، فلمّا بلغ ذلك عمر نَدِم ، ثم وَجَّه عمر في سنة (٢١هـ) عُمَيد بن سعد الأنصاري إلى بلاد الروم في جيشٍ عظيم وولاّه وأمَرَهُ أن يتلطّف لجبلة بن الأيهم ، ويستعطِفَهُ بالقرابة بينهما ويدعوه إلى الرجوع إلى بلاد الإسلام على أن يؤدي ما كان بَذَل من الصَّدقة ، ويقيم على دينه ، فَسَار عُمَير حتى دخل بلاد الرُّوم ، وعَرَض إلى جَبَلة ما أمرَهُ عُمَر بعرضِهِ عليه ، فأبى إلا المقام في بلاد الرُّوم[2] .

ونجد رواية في الأغاني اقتبستها معظم المصادر : أنَّ جبلة بن الأيهم أظْهَرَ النَّدَم ، وتمنَّى الرُّجوع إلى الإسلام ، وأفصح عن ذلك بشعره ، وفي الخبر أن عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل جَثَّامةَ بن مُسَاحق الكناني ليدعو هِرَقل إلى الإسلام ، فلم يجبه ، وطلب منه أن يلقى جبلة بن الأيهم ليرى حاله ، فرأى جَثَّامةُ عِزّاً وغِنىً يفوق الوصف ، ثم ذَكَرَ جَثَّامة النبي ﷺ وصَلَّى عليه ، ففعل جَبلَةُ مثله ، « فقال جَثّامة : ما يمنعك من الرُّجوع إلى قومك والإسلام ؟ قالَ : أبعْدَ الذي قد كان ؟ قلتُ : قد ارتدَّ الأشعث بن قيس ومنعهم الزّكاة وضربهم بالسَّيف ، ثم رجِعَ إلى الإسلام ، فتحدّثنا مَليّاً . . . » ويذكر الخبر أنَّه طَرِبَ لغناء شعر لحسّان بن ثابت في أجداده بني جفنة ، وسأله عن حَسَّان وبَعَث إليه

(١) الأغاني ١٥/ ١٢٥ ، وانظر الخبر في المعارف ٦٤٤ مع اختلافات منها ، أن الحوار دار بين جبلة بن الأيهم وأبي عُبيدة بن الجَرَّاح .
(٢) فتوح البلدان ١٨٥ ـ ١٨٦ .

بعطيَّة مقدارها خمسمائة دينار وخمسة أثواب من الدِّيباج ، ثم غنت جواريه أبياتاً له منها[1] :

تَنَصَّـرتِ الأشـرَافُ مـن عَـارِ لَطْمَـةٍ   وما كان فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ
تكنَّفنـــي فيهـــا لَجــاجٌ ونَخْـــوَةٌ   وبِعْتُ بها العَيْنَ الصَّحيحة بالعَوَرْ

فبكى حتّى جالت دموعه على لحيته ، يقول جَثَّامة : « فلمّا قدمتُ على عُمَر سألني عن جَبَلة وهِرَقل ، فقصصت عليه القِصَّة من أوَّلها إلى آخرها ، فقال : أوَ رَأَيتَ جَبَلة يشربُ الخمر ؟ قلت : نعم ، قال أبعَدَهُ الله ، تَعَجَّلَ فانيةً اشتراها بباقِيَةٍ فما ربحت تجارتُه »[2] .

ويبدو من الخبر أن جَبَلة بن الأيهم نَدِمَ على تركه للإسلام ، ومنعه من العودة إليه كِبَرٌ في النفس وعنجهية أبعدته عن روح الإسلام .

ولحسان بن ثابت أخبار طويلة مع جبلة بن الأيهم[3] .

توفي سنة (٢٠هـ) على الأرجح[4] .

(١) الأغاني ١٥/ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ، والخبر طويلٌ جداً لذا آثرنا الاختصار .
(٢) الأغاني ١٥/ ١٠٣ .
(٣) الأغاني ١٥/ ١٢٢ وانظر التذكرة الحمدونية ٨/ ٣٦١ .
(٤) المنتظم ٥/ ٢٦٥ ، خلاصة تاريخ ابن كثير ، وفيات الأعيان والمشاهير ٦٧ .

الفصل الثالث

مصادر شعر الرِّدَّة وتوثيقه

مَصَادِرُ شِعْرِ الرِّدَّة وتَوْثِيْقه

عقدنا هذا الفصل للوقوف على مصادر شعر شعراء الرِّدَّة وتتبعها ، وسنتعرف إلى المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع شعرهم وعلى مصادر أخرى اختصت في أدب هذه الحركة وفُقِدَت فلم تصل إلينا أبداً ، إذ انتهى إلينا منها مقتطفات متناثرة في طيات كتب التاريخ ، وسنتناول فيما بعد مسألة اضطراب نسبة الشعر بين بعض شعرائنا بشيءٍ من الدراسة والبحث ، ثم سنتطرّق إلى إشارات أوردتها المصادر تدلُّنا على ضياع كثير من شعر الرِّدَّة ، كغيره من الشعر العربي .

١ ـ مصادر شعر شعراء الرِّدَّة

١ ـ لا شكَّ في أن انتشار الشعر العربي قد اعتمد غالباً الرّواية الشفهيةَ، فالشعر سجلُّ المآثر والمفاخر للقبائل العربيّة التي حرصت أشدَّ الحرص على نشره في الآفاق ، من أجل إعلاء اسم شاعرٍ شهير ، أو لتطرق مسامع القبائل الأخرى أخبار انتصاراتها وفعالها الحميدة، وكان اعتماد العرب على الرّواية في المرتبة الأولى ، بسبب صفاء أذهانهم ، وقوّة ذاكرتهم ، وسرعةِ حفظِهم ، فضلاً عن كون الشعر فنّاً قريباً من نفوسهم، سهل المتناول وليدَ الطبع والسجيّة، كلُّ هذا جَعَلَ المُشَافهة وسيلة انتشار أولى للرواية مدّةً طويلة ، حتى جاء عصرُ التدوين في القرنين الثاني والثالث ، فعَكَفَ بعض من اهتمُّوا بالحفاظ على التراث وحمايته من الضّياع والنّحل على تدوينِ شِعْرِ الفُحُولِ والقبائلِ . . . إلخ ، ولا شكَّ في أن جهودهم المخلصة هذه قد حافظت على قسط كبير من التراث . . ولكننا نشيرُ إلى ضياع الكثير من المخطوطات المهمة في مجالات شتى فلم يصل إلينا منها شيء ، وهذا ما أصاب معظم الكتب التي أرّخت لأحدَاثِ الرِّدَّة بتفاصيلها من تاريخ وأدب وشعر ، فنحن نطالع في المصادر أنَّ (كتاب الرِّدَّة) هو عنوانٌ واحد لجملةٍ من المؤلفات التي عُنيت بتفصيل الدراسة في هذه الحركة ومجرياتها ، ولابُدَّ من أن فقدان معظم هذه الكتب قد أسهم في دفن مادة تاريخية وأدبية غزيرة .

ونقرأ في المصادر أن اسم (كتاب الرِّدَّة) هو عنوانٌ لثمانية كتبٍ وصل إلينا منها واحدٌ فقط ، وهو كتاب الرِّدَّة للواقدي (٢٠٧هـ) وقد حقّق مخطوطته الدكتور يحيى الجبوري عام ١٩٩٠ وطُبِع في بيروت بدار الغرب الإسلامي ، وقد ذكره ابن النديم في (الفِهْرِسْت) ص١١١ أما بقية الكتب ، فمنها ما ضاعَ تماماً فلم تذكرهُ كتب التاريخ ولم تقتبس عنه ، ومنها ما حفظت بعض المصادر مقتطفات منه هنا وهناك ، ولكنّ الجزء الأكبر منه قد فاتها حفظه .

وهذه الكتب هي[1] :

١ـ كتاب الرِّدَّة لمحمد بن إسحاق (١٥٠هـ) ، جاء ذكره في الطَّبَرِي والبَلاذُرِي والكُلاَعِي ، ونقلوا عنه بعضَ النصوص .

٢ـ كتاب الرِّدَّة والفُتُوح لسَيْف بنِ عُمَرَ التَّمِيْمِي (١٩٣هـ) ، ذكره ابنُ النَّدِيْم (٣٨٠هـ) باسم (كتاب الفتوح الكبير والرِّدَّة) ص١٠٦ ، أخذ عنه ابنُ حَجَر في كتابه الإصابة ، وكذلك الطَّبَرِي في تاريخه ، كما اقتبس منه يَاقُوتُ الحَمْوِي في معجم البلدان أشياء كثيرة ، وأفاد منه ابن عساكر .

٣ـ كتاب الرِّدَّة لوَثِيْمَةَ بنِ مُوْسى بنِ الفُرَات الوشّاء (٢٣٧هـ) ، وقد جاء منه نصوصٌ كثيرة اقتبسها ابن حجر في كتابه الإصابة .

٤ـ كتاب الرِّدَّة لأبي مِخْنَفٍ لُوْطِ بنِ يَحْيَى بنِ سَعِيْد بنِ مِخْنَفِ الأَزْدِي (١٥٧هـ) ، انفرد بذكره ابنُ النديم ص١٠٥ .

٥ـ كتاب الرِّدَّة لإسحاق بن بِشْر بنِ مُحَمَّد الهَاشِمِيِّ بالوَلاء أبي حُذَيْفَةَ البُخَارِي (٢٠٦هـ) ذكره ابن النديم ص١٠٦ .

٦ـ كتاب الرِّدَّة للمدائني أبي الحَسَنِ عليٍّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى سَمَرَةَ بنِ جُنْدُب المتوفّى سنة (٢٣٤ أو ٢٣٥هـ) ، ذكره ابنُ النّديم ص١١٥ .

٧ـ كتاب الرِّدَّة لإسماعيل بن عيسى العطّار من أهل بغداد من أصحاب السِّيَر ،

---

(١) الرِّدَّة ١٨ ـ ١٩ ، وانظر الفهرست لابن النديم تحقيق رضا ـ تجدّد . ص١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٢٢ .

ذكره ابن النّديم ص١٢٢ ولم يذكر تاريخ وفاته .

ولعل العمل في جمع شعر ظاهِرَةٍ ما أو شعر شاعرٍ ما أو شعر قبيلة ما ، يتطلّب اطّلاعاً واسعاً على مصادر مختلفةٍ في موضوعاتها وعصور مؤلفيها ، ولاسيما أن تراثنا الأدبي والتاريخي واللغوي يتّسم بالتنوّع والشمولية والامتزاج ، فنجد أبيات الشعر في تضاعيف الخبر التاريخي ، أو في أثناء شرحِ مفرَدةٍ لغوية في المعجمات المتنوّعة ، ولا بُدَّ أن يطّلع الباحث على جملة المصادر التي تُعنى بهذه الحقبة الزمنية وربما تتنوع لتشمل عصوراً أخرى سبقتها .

وشِعْرُ شعراء الرِّدَّة توزّع في عَدَدٍ من المصادر مختلفة الموضوعات والأغراضِ والعصور ، فالرِّدَّة حركة حازت اهتماماً كبيراً وعَوَّل المؤرخون على ذكرها في مصادرهم كظاهرة تاريخية وسياسية ، تناولوها بشيءٍ من الدراسة والتفصيل حيناً ، أو عرضوا لها بذكر عابر مختصر أحياناً أخرى ، وهذه الحروب قد شاركت فيها فئات المجتمع كافة ، وقد أدّى احتكاكها بالحدث وتفاعلها معه إلى ولادة جملة من الخطب والأشعار والأرجاز قيلت على ألسنة شعراء معروفين أو مغمورين من عامةٍ وجندٍ ، أو أشخاص مجهولين وصلت إلينا أشعارهم دون أن تُعرِّف بقائليها ، ولهذا كله فإن المادة الشعرية والأدبية موجودة في كتب الأدب والاختيارات الشعرية ، وتراجمُ الشعراء مدوّنةٌ في كتب النسب والأعلام ، والكتبُ الجغرافية وهي التي سترشدنا إلى صورة الحدث متضمنةً الكثير من الأخبار التي شهدها هذا المكان أو ذاك ، وتزخر أحياناً بمادة شعرية غزيرة ، وهكذا كان دأب بقية المؤلفين في كتب النحو واللغة والشروح فكثيراً ما أوردوا المادة العلمية مشفوعة بأبيات شعرية لفلانٍ ، أو تفصيل معركةٍ أو حادثةٍ ما ، أو حديثٍ عن نسب فلانٍ وحياته .

وقد تفاوتت أهمية تلك المصادر فيما يتعلق ببحثنا ، وسنوجز في التعريف بمصادرنا بحسب أهميتها ونكتفي منه بما يفيدنا .

بلغ عدد شعراء الرِّدَّة (٣٢) شاعراً معروفاً و(١٢) شاعراً مجهولاً وكان من بين هؤلاء الشعراء ثلاث نساء . بلغ تعداد ما جمعناه من شعر شعراء الرِّدَّة

(٤٣٣) بيتاً من الشعر ، و(٦٧) شطراً من الرجز قيلت في شتى الأغراض والموضوعات[١] ، ومنها (٣٦٧) بيتاً من الشعر ، و(٥١) شطراً من الرجز قيلت في الرِّدَّة وهي :

أـ كان لكتب التاريخ الأهمية الكبرى في رواية ما جمعنا من مادّة أدبية ، فقد ضمّت أكبر عدد من أبيات الشعر وكان أهمها :

١ـ كتاب الرِّدَّة للواقدي (٢٠٧هـ) فقد ضم (٢٣٦ بيتاً) لعدد من الشعراء المعروفين والمجهولين ، وبعضِ الأسماء الجديدة لشعراء مغمورين ، وقد تفرّد الواقدي برواية عددٍ كبيرٍ من الأشعار والأرجاز النادرة التي لم نجدها في بقيّة المصادر المتوفِّرة بين يدينا ، ولم تحفظها معظم الكتب والدواوين ، ويبدو أنَّ هذه المادّة الأدبية هي من مُجْمَلِ شعر الحرب الذي سرعان ما يضيع ويُنسى في خِضَمّ الحروب .

٢ـ المصدر الثاني من المصادر التاريخية هو كتاب تاريخ الطبري (٢٢٤ـ٣١٠هـ) أو تاريخ الرسل والملوك ، وقد سار فيه الطبري على منهجين وقسم كتابه بناء على ذلك إلى قسمين : تاريخ ما قبل الإسلام إذ أرَّخ للأمم الغابرة منذ بدء الخليقة ووقف عند تاريخ الأمم التي كان لها أثرٌ في الإنسانية ، ومهّد للتاريخ الإسلامي بالحديث عن الرسول ﷺ ، ثم عرض التاريخ الإسلامي بدءاً من السنة الأولى للهجرة وانتهاءً بسنة (٣٠٢هـ) ، وفيما يتعلق ببحثنا فقد روى الطبري (٥٨ بيتاً) من الشعر و(٥ أشطرٍ) من الرجز لشعراء معروفين ، وقد تنوّع هذا الشعر بين شعرٍ قيلَ في حروب الرِّدَّة وشعرٍ قيلَ في أغراضٍ أخرى ، كان منه (٥٣ بيتاً) من الشعر ، و(٥ أشطر) من الرّجز أنشدت في الرِّدَّة .

٣ـ يلي تاريخ الطبري كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢١٨هـ) وهو مصدر

---

(١) استثنينا من هذا الإحصاء الكم الشعري الموجود في بعض الدواوين المجموعة كديوان الحطيئة ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي ، ومالك بن نويرة التميمي ، وأخذنا منه فقط ما قيل في الرِّدَّة دون أن نضيف إلى هذا العدد ما أنشده أصحاب الدواوين من الشعر في الأغراض الأخرى .

تاريخي موثوق بدأه مؤلفه بالحديث عن نسب الرسول ﷺ وبعض أخبار الجاهلية الشهيرة وحوادثها المعروفة كعام الفيل وقصة أصحاب الأخدود ثم سَرَدَ السيرة النبوية وحوادثها انتهاءً بوفاة الرسول ﷺ ، وقد روى فيه ابن هشام عشرين بيتاً لشعرائنا منها (٢٩ بيتاً) في الرِّدَّة ناهيك عن تراجم كثيرة أفادتنا في ضبط أنساب بعض الأعلام وتفصيل القول في حياتهم .

٤ـ كتاب الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا للكَلاعي (٦٣٤هـ) إذ يلخص هذا الكتاب أهم غزوات الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة الراشدين رضي الله عنهم وفيه (١٢ بيتاً) قيل في الرِّدَّة .

٥ـ مُخْتَصَرُ تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١هـ) ، (اختصار ابن منظور ٧٧١هـ) وفيه يُعَرِّفُ بمدينة دمشق تعريفاً مستفيضاً ، ثم يُتَرجم لكل من دخل دمشق أو اجتاز نواحيها ، فيرسم بذلك صورة لبلاد الشام من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في جاهليتها وصدر إسلامها وفي العصر الراشدي والأموي والعباسي ، حتى القرن السادس الهجري ، وقد ورد فيه (١٥ بيتاً) أنشده شعراءنا منها (١٠ ابيات) في الرِّدَّة . وقد رجعنا إلى كتاب تاريخ دمشق غير المختصر وأفدنا إذ وجدنا فيه (٩ أبيات) أخرى قيلت في الرِّدَّة وأنشدها شعراء معروفون .

٦ـ يليه كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجَوْزي (٥٩٧هـ) ، وقد بدأ ابن الجوزي كتابه بالدلائل على وجود الله عزَّ وجل ، ثم نتبع قصة الخلق فالنبوّات فالحديث عن بعض الأمم ، فالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي حتى سنة (٥٧٤هـ) وقد روى فيه ابن الجوزي ثمانية أبيات لشعرائنا منها (٦ أبيات) في الرِّدَّة .

٧ـ كتب أخرى : كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٣٠هـ) إذ روى فيه ثمانية أبيات ، يليه كتاب البداية والنهاية لابنِ كَثِيْر (٧٧٤هـ) وفيه سبعة أبيات ، كذلك كتابُ فتوحِ البلدان للبَلاذُرِي (٢٧١ و٢٧٩هـ) وفيه سبعة أبيات ، يليه كتاب الفتوح لابنِ أَعْثَم الكوفي (٣١٤هـ) وفيه (٥ أبيات) ، وكتاب تاريخ

اليعقوبي (٢٩٢هـ) وفيه بيتان . وقد استعنا بمصادر تاريخية أخرى أفادتنا في جمع أخبار بعض الشعراء وفي رواية أخبار الرِّدَّة وحروبها مثل تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكّار (٢٥٦هـ) ، تاريخ الخلفاء للسيوطي (٩١١هـ) وغيرها . . . .

ب ـ أما كتب التراجم فتأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد الأبيات التي أوردتها ، وسنتوقف عند عدد منها أبرزها :

١ـ كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حَجَر العسقلاني (٨٥٢هـ) وقد استغرق في تأليف كتابه ما يقرب من أربعين عاماً بعد أن وقَفَ على مصنفات من ألف قبله في علم معرفة الصحابة ، فانتقدها ، وتوسّع في البحث والدراسة ليكون كتابه أكثر استيعاباً من غيره ، وقد أورد فيه (١٧ بيتاً) أنشدها شعراؤنا منها (٩ أبيات) في الرِّدَّة .

٢ـ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٢٥٦هـ) وقد ألفه الأصفهاني في خمسين سنة ، وجمع فيه الأصوات المئة التي اختارها للرشيد ، وترجم لصاحب النصِّ الشعريِّ المُلَحَّن ، وقد أورد فيه الأصفهاني أحَدَ عشر بيتاً منها (٥ أبيات) في الرِّدَّة .

٣ـ ويأتي كتاب (وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ممَّن ثبت بالنَّقْلِ أو السَّماع أو أثبَتَهُ العِيان) لابن خِلّكَان (٦٨١هـ) في المرتبة الثالثة بين كتب التراجم ، وقد ترجم مؤلّفه لأعيان الناس ووجوههم منذ العصر الجاهلي حتى سنة (٦٥٤هـ) وهو عام انتهائه من التأليف ، وأورد فيه خمسة أبيات . وثمة كتب أخرى في التراجم كانت على درجة بالغة من الأهمية وقد استعنا بها في تراجم عدد من الشعراء وضبط أسمائهم ومعرفة أخبارهم منها : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير (٦٣٠هـ) ، والطبقات الكبير لابن سعد (٢٣٠هـ) .

ج ـ أما كُتُب النَّسَبْ : فتماثل كتب التراجم في القيمة ، وأبرزها :

١ـ كتاب النسب لابن سلاّم (٢٢٤هـ) وهو كتاب أنسابٍ وتراجمٍ وتاريخ ، فقد جعل الأنساب عموداً له ثم عقد ترجمةً طويلةً لعددٍ من الأعلام ، وقد روى

خمسة أبيات لشعرائنا .

٢ـ وكذلك فقد روى البَلاذُري (٢٧٩هـ) في (أَنْسَابِ الأشْرَاف) خمسة أبيات أيضاً ، وقد بدأ كتابه بذكر نسب نوح وتكلّم على العرب ، ونزل في النسب إلى عدنان ، فأجداد النبي ﷺ جَدّاً جَدّاً ، ثم ترجم للنبي ﷺ وذكر سيرته الشريفة .

وثمة كتب أخرى في النسب كانت على درجة بالغة من الأهمية ، وقد استعنّا بها في تراجم عددٍ من الشعراء وضبط أسمائهم وأنسابهم ، ومنها : الأشْرَاف في مَنَازِلِ الأشْرَافِ لابنِ أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) ، الاشتقاقُ لابنِ دُرَيْد (٣٢١هـ) ، جمهرةُ النَّسَبِ للكَلْبي (٤٠٢هـ) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) . . وغيرها .

د ـ المصادر الجغرافيّة : وفيها كمٌّ شعريٌّ وأدبيٌّ وتريخيٌّ لا يُستَهَانُ به ، وفي بحثنا جاءت هذه المصادر بعد كتب التراجم والنسب وكان أهمها :

١ـ معجم البلدان لياقوت الحموي (٦٢٦هـ) وهو من أشهر الكتب الجغرافيّة وأوسعها ، قدّم ياقوت لكتابه بأهميّة علم الجغرافيا ، ثم وصف الكرة الأرضية ، وتحدّث عن أقاليم الأرض السبعة ، وقسّم كتابه إلى ثمانيةٍ وعشرين باباً على عدد حروف المعجم ، وكان يستطرد كثيراً فيذكر أخباراً وحوادث وتراجم عند تعريفه ببعض المواقع ، وقد روى ياقوت (٢٥ بيتاً) لشعرائنا منها (٢٣ بيتاً) في الرِّدَّة ، فضلاً عن الكثير من الحوادث التاريخية وتراجم بعض الشعراء .

٢ـ وثمّة كتبٌ أخرى استعنّا بها في توضيح موقع الحدث ، كالرّوض المعطار في خبر الأقطار للحميري (٧٢٧هـ) ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري (٤٨٧هـ) .

هـ ـ كتب الاختيارات الشعرية ، فقد جاءت في المرتبة الرابعة وسنتوقف عند :

١ـ كتاب الحَمَاسَة الشَجَريَّةِ لابنِ الشَجَرِي (٥٤٢هـ) ، ومنهجه في كتابه هذا شبيه بمنهج أبي تمام ، فقد قسّمه إلى تسعة أبواب ، إلا أنَّه جمع فيه شعراً لشعراء

محدثين حتى القرن السادس الهجري ، فضلاً عن الشعراء القدماء ، وقد روى ابن الشجري ثمانيةَ أبياتٍ لشعرائنا في غير موضوع الرِّدَّة .

٢ـ الوَحْشِيَّات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي (٢٣١هـ) ، والوحشيات هي مُقَطّعات من أوابد الشعر وشوارده وغرائبه ، للمقلين المجيدين من الشعراء ، والمغمورين من شعراء الجاهلية والإسلام ، وجعل كتابه في عشرة أبواب ، وترجم فيه لشعراءٍ متنوعين ، وقد روى فيها (٤ أبيات) .

٣ـ معجم الشعراء للمَرْزُباني (٣٧٨هـ) وقد روى بيتين من الشعر .

و ـ وفي كتب اللغة قدر لا بأس به من الأشعار والأخبار ، وسنقف عند كتابين منها :

١ـ كتاب الكامل للمُبَرِّد (٢٨٥هـ) وهو مزيجٌ من الثقافة العربية الأدبية والتاريخية واللغوية والنحوية والبلاغية والقرآنية ، وفيه من أمثال العرب وخطبهم حتى العصر العباسي ، وهو مزيج من أخبار الحكماء والشعراء ، وقد روى فيه ستة أبيات لشعرائنا .

٢ـ خزانة الأدب لعبدِ القادِرِ بنِ عُمَرَ البَغْدَادِي (١٠٩٣هـ) وهو موسوعة في علوم العربية وآدابها ، وقد عُنِيَ فيه بتحقيق المسائل النحوية واستيعاب دراستها ، فضلاً عن إيراده الشواهد اللغوية والنحوية وسرد الأخبار والحوادث . . . ، وقد روى فيه البغدادي خمسة أبيات لشعرائنا .

ز ـ دواوين الشعراء : لا ننسى أن نشير إلى دواوين بعض الشعراء الذين تضمنهم بحثنا ، وقد أفدنا من هذه المجاميع الشعرية في ترجماتهم وإحالة القارىء على دواوينهم وهي : ديوان الحطيئة برواية السُّكَّرِي (٢١٢ ـ ٢٧٥هـ) ، وديوان عمرو بن معدي كرب الزُّبيدي تحقيق الأستاذ مُطاع الطرابيشي ، وديوان مالك ومتمم بن نويرة تحقيق ابتسام مرهون الصَّفَّار .

ح ـ المعجمات : ثمة كتبٌ أخرى كثيرة أفدنا منها في شرح الأبيات الشعرية وضبطها ، وتوضيح أسماء الأعلام الواردة فيها ، أو الإشارة إلى مكان الحدث وموضعه ، وقد تنوّعت هذه الكتب بين معجمات لغوية كلسان العرب لابن منظور

(٧١١هـ) ، والمحيط في اللغة لإسماعيل بن عَبّاد (٣٢٦ ـ ٣٨٥هـ) وتاج العروس للزَّبِيْدِي (١٢٠٥هـ) ، ومعجمات جغرافية ، وكتب تراجم أشرنا إليها فيما أسلفنا .

وهكذا رأينا أن مصادر شعر شعراء الرِّدَّة كانت متنوعة وشاملة لمعظم أنواع المصنّفات في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا ، فكان أهمها كتب التاريخ التي تضمنت أكبرَ عدد من أبيات الشعر ، تليها كتب التّراجم والنَّسَب ، تليها معجمات البلدان والمواضع ، تليها كتب الاختيارات الشعرية ، فكتب اللغة ، فضلاً عن غيرها من المصادر التي أفادتنا في جمع أخبار الشعراء .

*** الاضطراب في نسبة الشعر :**

يُعَدُّ الاضطراب في نسبة الشعر من أهم المشكلات التي تواجه الباحث في الأدب العربي حتى العصور المتأخرة ، وحديثنا عن الاضطراب لا يتوقّف عند نسبة الشعر أو تنازعه فحسب ، بل يتجاوزه إلى الاضطراب في أسماء الشعراء أو ألقابهم وما يصيبها من تصحيف أو تحريف ، وعن الخطأ والوهم في نسب هذا الشاعر أو ذاك ، ناهيك عن الصعوبات الجمّة في تحديد عصر أحدهم أو تاريخ ولادته أو وفاته ، وقد يواجه الباحث مشقّة إذا تطابق اسم أحد الشعراء مع اسم شاعرٍ آخر عاش في عصرٍ مختلف وضنّت المصادر في نقل معلومات واضحة عنه ، وهذه جميعها صعوبات حقيقية تتطلب من الدّارس بحثاً واسعاً في المصادر والمظان ، وكثيراً من الدّقة في مقارنة الأسماء والأخبار لتحديد عصر هذا الشاعر ولتمييز اسمٍ من آخر . . . ، وقد يقف الدارس مكتوف اليدين أمام بعض القضايا ، أو قد يقع في الوهم والخطأ .

ويزداد الاضطراب في رواية الشعر أو ضياعه في ظروف محدّدة وخلال أحداثٍ بعينها . . . لاسيّما الحرب ، إذ يُنَظَمُ الشعر فيها بسرعة ، دون تأنٍ أو تدبيج ، ويكثر الشعر في مثل هذه الظروف إذ لا يختص الشعراء وحدهم به ، بل يُنْظَمُ على لسان العامة من جندٍ أو غيرهم ، عايشوا الحدث وتأثّروا به ، فخرجت الأبيات سريعاً عفويةً ومرتجلةً ، وتنوقلت على الألسنة ، وسرت بين الناس

بسرعة دون دقّة أو عناية في ضبط روايتها ، أو التحقّق من اسم قائلها أو شخصه . . . فاضطربت الأبيات ونُسِبَتْ إلى هذا أو ذاك ، وسنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في موضعه .

والاضطراب في رواية متن الشِّعْرِ نفسه يتناول جوانب عديدة ، فربما وقع الاضطراب في رواية القصيدة أو المقطوعة ، فتروى غيرَ مرّة بأسلوبٍ مغاير ، وقد يقع الاضطراب في الوزن خللاً ، أو في بعض الأسماء تحريفاً وتصحيفاً ، وفي بعض المفردات تغييراً وتبديلاً ، وقد عالجنا هذا الأمر في الديوان عند إثبات كلّ قصيدة ، كما عالجنا الاضطراب الذي أشرنا إليه أولاً في موضعه عند الترجمة لكل شاعر .

وفي دراستنا لاضطراب نسبة الشعر سنتوقف أوّلاً عند الشعر الذي استطعنا تصحيح نسبته إلى قائله الحقيقي ، ثم سنتوقف عند الشعر الذي رجَّحْنَا نسبته إلى أحد الطرفين .

١ ـ المقطوعة الأولى :

التي ثبتت نسبتها ، هي أبيات اضطربت نسبتها بين الأشعث بن قيس الكندي والأشعث بن مئناس السَّكُوني ، وقد أُنشدت في رثاء قتلى كندة في حصن النُّجير الذي حاصره المسلمون ، وقد تفرَّدَ الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) في تاريخه ٣/ ٣٤١ بنسبتها إلى الأشعث بن مئناس السَّكُوني ، بينما نُسِبت في الرِّدَّة للواقدي (٢٠٧هـ) ص٢١٤ ـ ٢١٥ ، وفي فتوح البلدان للبلاذُرِي (٢٧١ أو ٢٧٩) ص١٤٥ ، رُويت الأبيات التي ذكرها الطبري مع بيت جديد يَذْكُرُ أسماء بعض القتلى في هذا اليوم ، وقد نُسِبت الأبيات في الفتوحِ لابن أعثم (٣١٤هـ) ١/ ٧٠ ، وفي مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ابن منظور ٧١١هـ) ٤/ ٤١١ للأشعث بن قيس الكندي ، قالها في رثاء قتلى حصن النُّجير ومنهم بَشِير بنُ الأَوْدَحِ ويَزِيْدُ بنُ أَمَانَاة ، وزِيْدَ على ذلك في مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ أنه أنشدها عندما زوّجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أخته أم فروة .

نلاحظ أن الطبري وحده هو من نسبها إلى ابن مئناس ، بينما أجمعت بقية

المصادر على نسبتها إلى الأشعث بن قيس الكندي ، وهو الأصح ، فالقصيدة معروفة ومشهورة في تداولها بين شعراء عديدين ، وربما كان سبب وهم الطبري في نسبتها إلى الأشعث بن مئناس ، هو أنه من قبيلة كندة وقد حوصر في الحصن ، وأنشدَ مقطوعة في الرِّدَّة يتشابه مطلعها مع مطلع قصيدة الأشعثِ بن قَيْس الكِنْدِي التي نسبها له ، وقد أنشد الأشعث بن مئناس السَّكُوني :

لَعَمْرِي وما عمري بعُرْضَةِ جانِبٍ ... لَيَجْتَلِبَنْ منها المِرارَ بنُو عمرِو

أما مطلع قصيدة الأشعث بن قيس الكندي التي ندرسها هنا ، ونسبها الطبري إلى ابن مئناس :

لَعَمْرِي وما عمري عليَّ بهيِّنٍ ... لقد كُنْتُ بالقَتْلى لَحَقٌّ ضنين

وهذا التشابه ربّما أوقع الراوي في الوهم فخلط بين القصيدتين ، وخلط في نسبتهما إلى صاحبهما الحقيقي .

ونشير هنا إلى دور الأشعث بن قيس الكندي في جمع القبائل في حصن النُّجَيْر وتحريضهم على أبي بكر والمسلمين ، ولا ننسى أنَّه كَتَبَ الأمان لعشرة ممن في الحصن ، فكان دم القتلى هناك بسببه ، وقد تألّم كثيراً لما حَدَث لهم وأنشد هذه المقطوعة بغرض الرثاء والتفجُّع على أولئك القوم الذي قضى عليهم تَعَنُّتُهُمْ وعصبيتهم القبلية ، والأبيات هي :

لَعَمْرِي وما عمري عليَّ بهيِّنٍ ... لقد كُنْتُ بالقَتْلى لَحَقٌّ ضَنِيْنِ
فلا غَزْوَ إلا يَوْمَ أَقْرِعُ بَيْنَهُمْ ... وما الدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَهُم بأَمِيْنِ
فَلَيْتَ جُنُوبَ النَّاسِ تَحْتَ جُنُوبِهِمْ ... ولم تَمْشِ أُنْثَى بَعْدَهُمْ لِجَنِيْنِ
وكُنْتُ كَذَاتِ البَوِّ رِيْعَتْ فأَقْبَلَتْ ... على بَوِّها إذ طَرَّبت بِحَنِيْنِ
عن ابنِ أمانَاةَ الكريمِ وبَعْدَهُ ... بَشِيْرِ النَّدى فليَجْرِ دَمْعُ عُيُونِي

٢ ـ المقطوعة الثانية :

اضطربت نسبتها بين أبي شجرة بن عبد العُزَّى السُّلمي ، وامرىء القيس الكندي ، وهي ليست في موضوع الرِّدَّة ، وإنّما تُعدُّ من جملة موضوعات شعر

الشعراء الذين ترجمنا لهم ، والمقطوعة تتألف من بيتين رواهما البصري (٦٤٧هـ) في الحماسة البصرية ٢/ ٢٧ ونسبهما إلى عدد من الشعراء : أبي شجرة السُّلمي ، وعمرُ بن أبي ربيعة ، والرّاعي النُّميري ، وخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة .

والبيتان لا تصحُّ نسبتهما لأيٍّ من هؤلاء فهما لامرىء القيس الكندي في ديوانه : تحقيق حسن السندوبي ص٩٦ ، والبيتان هما جزء من قصيدة طويلة في الغزل ووصف رحلة الصيد وهما مُتَمَكِّنَان في موضعهما من هذه القصيدة :

كأنَّ المُدَامَ وصَوْبَ الغَمامِ ... وريحَ الخُزَامى ونَشْرَ القُطُرْ
يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابِهَا ... إذا طَرَّب الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ

٣ ـ المقطوعة الثالثة :

يتنازعها عُطارِد بن حاجِبِ التميمي والزِّبرقان بن بدر ، وهي في مديح الرسول ﷺ أنشِدَت لدى قدوم وفد تميم سنة (٩هـ) لإعلان إسلامهم ، وقد أثبتها ابن هشام (١٥٢هـ) في السيرة النبوية ٤/ ٥٦٥ مع بيتين آخرين للزِّبرقان بن بدر ، والأبيات هي :

أتَيْنَاكَ كيما يَعْلَمَ النَّاسُ فضْلَنَا ... إذا احتفلوا وقت احتضار المواسِمِ
بأنَّا فُروعُ الناس في كُلِّ موطِنٍ ... وأنْ ليسَ في أرضِ الحِجازِ كدارِمِ
وأنَّا نذودُ المُعْلِمِيْنَ إذا انتَخَوْا ... ونضربَ رأسَ الأصيدِ المتفاقِمِ
وأنَّ لنا المِرْبَاعَ في كُلِّ غارَةٍ ... نُغِيْرُ بِنَجْدٍ أو بأرْضِ الأعاجِمِ

أما الأصفهاني (٣٥٦هـ) في الأغاني ٤/ ١٥٤ ، فقد أورد البيتين الأول والثاني منسوبين إلى عُطَارِد بن حاجب ، وابن حمدون (٥٦٢هـ) في التذكرة الحمدونية ٣/ ٤٢٢ ، أورد البيتين كليهما منسوبين إلى حاجب بن عطارد .

ونلحظ أن أقدم المصادر قد نسبت البيتين إلى الزِّبْرِقان بن بدر ، والمقطوعة مشهورة في نسبتها إليه والخبر معروف في قدومه إلى الرسول ﷺ وإنشاده الأبيات ، وقد نسبتها مصادر متأخرة زمنياً عن ابن هشام إلى عُطَارَد بن حاجب ، ولا تصح نسبتها إليه .

٤ ـ المقطوعة الرابعة :

هي قصيدة الحطيئة الشهيرة التي أنشدها في بداية أحداث الرِّدَّة وعقب وفاة الرسول ﷺ معلناً بها ضيق صدره بخلافة أبي بكر الصديق ، وقد تنازعها شعراء عدة ، فنحن نجد أن الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) في تاريخه ٣/ ٢٤٦ قد نسبها إلى عبد الله الليثي ، ونسبها الواقدي (٢٠٧هـ) في الرِّدَّة (١٧١ ـ ١٧٢) إلى الخُطَيْلِ بنِ أوس أخي الحطيئة وإلى حارثَةَ بن سُرَاقة بن معدي كرب ، كذلك الأمر في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ابن منظور (٧١١هـ) ٤/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ إذ نسبت إلى حارثة بن سُرَاقة ، وأورد ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في معجم البلدان (حضرموت) بيتين من هذه القصيدة ونسبهما إلى حارثة بن سراقة بن معدي كرب ، ولا شكَّ في أن القصيدة الشهيرة هي للحطيئة وقد رواها ابن السيت (٢٤٦هـ) في شرح ديوان الحطيئة ص١٩٣ .

ولعل السبب الحقيقي في إصرار المؤرخين على نسبتها لحارثة بن سراقة هو أن حارثة بن سُرَاقة أنشد أبياتاً شديدة الشبه بأبيات الحطيئة من حيث الموضوع والمضمون ، فالقصيدة تذمُّرٌ من أداء الزكاة ومن خلافة أبي بكر ، ومن حيث الشّكل فالقصيدة نظمت على القافية نفسها والروي ذاته ، والبحر عينه ، لذا اختلطَت أبيات الحطيئة بأبيات حارثة في المصادر السابقة (عدا الطبري) ، ولعل حارثة بن سُرَاقة قد تَمَثَّل أبيات الحطيئة وزاد عليها ونظم على غرارها ، لذا لم يستطع بعض الرواة فصلها والتمييز بينها ، وقد أشرنا إلى هذا في ترجمتنا للشاعرين[١] . وكذلك الأمر في نسبتها للخُطَيل بن أوس ، فقد نظم ثلاثة أبيات شبيهة بأبيات الحطيئة من حيث الموضوع والمضمون ، وقد اختلطت هذه الأبيات بأبيات الحطيئة الشهيرة[٢] .

---

(١) انظر ص١٠٠ ترجمة الحطيئة ، ص٩٦ ترجمة حارثة بن سراقة .

(٢) انظر ص١٠٥ ترجمة الخطيل بن أوس .

٥ ـ المقطوعة الخامسة :

وهي عدد من الأبيات نسبت للشاعر قرّة بن هبيرة القشيري ، الذي حارب المسلمين وجابههم بكل عنف فكان على رأس غطَفان في رِدّتهم ، وقد ذكره الواقدي (٢٠٧هـ) في الرِّدَّة ص٤٩ ، واستمرَّ موقف قرّة كما هو ، وقد أنشد قرّة شعراً يشجع فيه قومَه على محاربة المسلمين والنَّيل منهم ، ويحرّضهم على منع الزّكاة .

والغريب هنا أن الواقدي يورد في المصدر نفسه ص٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦ أبياتاً تتضمَّن تهديداً لبني غَطَفان بالويل والثبور إذا قَدِمَ عليهم جيش خالد ، وتنصحهم بالعودة إلى جادة الصواب ، وتضرب لهم أمثلة في بعض المرتدين أمثال مسيلمة وعيينة بن حصن الفزاري وقرّة بن هبيرة . . . إلخ فقد كانوا مع غيرهم نموذجاً للخسران والكذب والاحتيال ولا بدَّ أن يصيبهم القصاص الذي يستحقّونه . . . والغريب أن الواقدي ينسب هذه الأبيات إلى قرّة بن هبيرة القشيري ؟! وهذا غير معقول ، فالتناقض واضح بين نسبة الأبيات ومضمونها ، فمن غير المعقول أن يُعَرِّض قُرَّة بنفسه ويضرب بها مثلاً للكذب والاحتيال ، ولاسيّما أن من يتابع الأحداثَ في الصفحات القادمة يقرأ أنَّ قرّة ثبت على موقفه في العصيان وتحريض قومه على الحرب وسفك الدّماء ، وقد توقفنا مطوّلاً عند هذه المقطوعة ، وبعد بحث طويل في كتب التراجم والتاريخ ، وجدنا بيتين من هذه المقطوعة في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢) ٢/ ٣٠٥ ، قد نُسِبَا إلى خويلد بن ربيعة العَقِيْلي (أبو حَرْب) ، وقد أُخِذَا عن كتاب الرِّدَّة لوَثِيْمة بن الفرات ، وهما جزء من مقطوعة أنشدها بعد أن خطَبَ في قومه من بني عامر ، وأمَرَهم بالثبات على الإسلام ، والخبر والأبيات : « ذكر وثِيْمَةُ في الرِّدَّة أنَّ خويلد بن ربيعة العَقِيْلي ، خطب في قومه بني عامر ، وأمرهم بالثبات على الإسلام ، قال : وكان فارس بني عامر ، ومن شعره في ذلك :

أراكم أُنَاساً مُجْمِعِيْنَ على الكُفْرِ ... وأنْتُمْ غداً نَهْبٌ لخيلِ أبي بكرِ
بني عامرٍ إن تأمنوا اليومَ خالِداً ... يُصِبْكُمْ غداً منهُ بقارِعَةِ الدَّهرِ

وهذان البيتان جزءٌ من القصيدة المذكورة في كتاب الرِّدَّة للواقدي ص٨٥ ، والتي نُسِبت إلى قرّة بن هبيرة القشيري وهي :

أراكم أُناساً مُجْمِعِيْنَ على الكُفْرِ ... وأنْتُمْ غداً نَهْبٌ لخيل أبي بكرِ
بني عامرٍ إن تأمنوا اليومَ خالِدَاً ... يُصِبْكُمْ غداً منهُ بقارِعَةِ الدَّهرِ
بني عامرٍ ما عند قُرَّةَ مَنْعَةٌ ... إذا الخيلُ جالَتْ بالمُثقَّفَةِ السُّمْرِ
فوارِسُهَا الآسادُ آسادُ جيشِهِ ... وإخوانُهُ الشُّمُّ العَرانينُ من فَهْرِ
أولئك أصحابُ النَّضيرِ وخَيْبَرٍ ... ويوم حُنَيْنٍ والفوارِسُ من بَدْرِ
ومن كُلِّ حيٍّ فارسٌ ذو حفيظةٍ ... وقُورٌ إذا رِيْعَ الجَبَانُ من الذُّعْرِ
تَقَحَّمَهَا في غَمْرَةِ الموتِ خالدٌ ... بمُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ أَحَرَّ من الجَمْرِ
هُنَالِكَ لا تلوي عَجُوزٌ على ابنِهَا ... وتُخْرِجُ رأسَ الكاعِباتِ من الخِدْرِ

لذا نعتقد أنَّ نسبة الأبيات إلى خويلد بن ربيعة العقيلي صحيحة ، فمناسبة الأبيات والتسلسل التاريخي للأحداث يؤكِّد هذا .

٦ـ المقطوعة السادسة :

وفيها خلطٌ شبيهٌ بالذي تحدّثنا عنه آنفاً ، فقد أورد الواقدي (٢٠٧هـ) في كتاب الرِّدَّة ص١٣٥ مقطوعة نسبها إلى مُحَكَّم بن الطُّفَيْل الحنفي وهو مُحَكَّم اليمامة ، وقد آزرَ مسيلمةَ الكذَّاب وقاتل المسلمين أشدَّ القتال حتى قُتِلَ في حديقة الموت ، ونقرأ في هذه المقطوعة المنسوبة إليه ذمّاً لمسيلمة الكذاب الذي قاد قومه نحو الهلاك ، في قوله :

لبئس ما أوردنا مسيلمهْ
أبقى لنا من بعدِنا أُغَيْلِمَهْ
ونِسْوةً جَرا لهم منينمهْ
واشتماً رمالها أمينمهْ

ولا يُعْقَلُ أن يكون محكّم بن الطُّفَيْل صاحب هذه الأرجوزة ، لموقفه الذي ذكرناهُ ولأنَّ هذه المقطوعة أُنْشِدَت بعد نهاية المعركة أي بعد أن قُتِلَ مُحَكَّم ، لذا نعتقد أنَّ قائلها هو رجلٌ من المرتدّين أغفل الرواة اسمه .

٧ ـ المقطوعة السابعة :

وفيها أبيات تنازعها حُوَيُّ بنُ سَعِيد بنُ زَهْرَةَ السَّعْدِي التميمي ، وأبو زُهَيْر السَّعْدِي التَّمِيْمِي ، وقد توقفت مطوّلاً عند هذين الاسمين ، وبحثتُ كثيراً في كتب التراجم والكِنَى التي توافرت بين يدي ، فلم أعثر على أيّ خبر أو ترجمة أو معلومات وافية عن هذين الرجلين ، وقد أورد الواقدي (٢٠٧هـ) في الرِّدَّة (ص١٠٧ ـ ١٠٨) أبياتاً نسبها إلى حوى بن سعيد بن زهرة السعدي دون أن يذكر عن نسبه أو حياته أيّ شيء آخر ، وهذه الأبيات موجودة في وفيات الأعيان لابن خِلِّكان (٦٨١هـ) ٦/ ١٥ ، وقد نسبها إلى الشاعر أبي زهير السعدي دون أن يضيف أيَّ معلوماتٍ أخرى عن اسمه أو نسبه أو حياته ، ونرجِّح أن الاسم والكنية هما للشخص نفسه الذي أنشد مقطوعة في رثاء مالك بن نويرة التميمي مطلعها :

ألا قُـلْ لحـيٍّ أُوْطِئُـوا بـالسَّنَـابِـكِ تَطَـاوَلَ هـذا الليـلُ مـن بعـدِ مـالـك

٨ ـ المقطوعة الثامنة :

وهي الأبيات التي أنشدها جبلة بن الأيهم نادماً على ترك الإسلام ، ومنها :

تنصَّـرتِ الأشـرافُ مـن عـارِ لطمـةٍ وما كان فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

تكنَّفَنِـــي فيهـــا لجـــاجٌ ونخـــوةٌ وبِعْـتُ بهـا العيـن الصحيـة بـالعَـوَرْ

وقد نُسِبَت هذه المقطوعة إلى حسان بن ثابت في كتاب النسب لابن سلام (٢٤هـ) ص٣٦٩ ، والأبيات معروفة ومشهورة في نسبتها لجبلة بن الأيهم .

٩ ـ المقطوعة التاسعة :

وهي أبيات تنازعها الشاعران عليّ بن هَوْذَة الحنفي ، وعمرو بن سَمُرة الحنفي ، والأبيات يدافع فيها قائلها عن بني حنيفة بتذكير السامعين ببقية القبائل التي ارتدّت ، وبيان شدّة الألم والندم لما أصاب بني حنيفة باتباعهم مسيلمة الكذّاب ، ويعتذر عمّا بدر منهم .

والأبيات وردت في مصدرين فقط ، فقد وردت القصيدة في اثني عشر بيتاً في كتاب الرِّدَّة للواقدي (٢٠٧هـ) ص١٤٣ منسوبةً إلى عَمْرو بن سَمُرة الحنفي ،

وهو أحد وجوه بني حنيفة الذين أرسل بهم خالد بن الوليد مع خمس الغنائم إلى الخليفة عقب معركة اليمامة ، فأنشد عمرو بن سمرة هذه الأبيات معتذراً . وقد بحثنا في المصادر مطوّلاً فلم نعثر على معلومات أخرى عنه سوى هذا الخبر .

أما الأبيات السبعة الأولى من هذه القصيدة فقد نسبها ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) في معجم البلدان : (الجَنَد) إلى عليّ بن هَوْذة الحنفي ، وقد بحثنا في المصادر مطوّلاً عن أخباره أو أي معلومات أخرى عنه فلم نعثر على ما يوضِّح ملامح شخصيته ودوره في الرِّدَّة ، ومطلع هذه القصيدة :

رمتنا القبائل بالمنكرات ... وما نحنُ إلا كمن قد جَحَد
ولسنا بأكفر من عامرٍ ... ولا غَطَفَان ولا من أسد

وقد وقعنا في حيرة كبيرة نظراً لقلة المعلومات التي يمكن أن نرجح بوساطتها نسبة الأبيات إلى هذا الشاعر أو ذاك ، لذا لا بُدَّ من العودة إلى المصدر الأقدم زمنياً وهو كتاب الرِّدَّة للواقدي (٢٠٧هـ) وقد نَسَبها إلى عمرو بن سَمُرة الحنفي ، وزاد على معجم البلدان برواية خمس أبيات جديدة ، وبذكر دور عمرو بن سَمُرة الحنفي في وفد بني حنيفة الذين قدموا إلى الخليفة الصِّدِّيق مع خُمْسِ الغنائم ، وبذكر مناسبة القصيدة ، لذا فربما تكون نسبتها إلى عمرو بن سَمُرة الحنفي أرجح .

وهكذا فقد وقفنا على شيء من الاضطراب في نسبة الشعر ، فكان أن صححنا نسبة بعض المقطوعات والأبيات وفق الأدلّة والبراهين التي توافرت لنا حيناً ، ورجَّحنا نسبة بعض الأبيات والمقطوعات أحياناً أخرى .

* ضياع شعر الرِّدَّة :

ولعل الحديث عن الاضطراب في نسبة الشعر يُفضي بنا إلى الحديث عن ضياع شعر الرِّدَّة ، ولا مِرَاءَ أن الحديث عن ضياع كثير من الشعر العربي ليس بمُبْتَدعٍ ولا مبتكر ، فقد حازت هذه القضية اهتمام الدّارسين منذ بدؤوا بتدوين الشعر العربي ، ولعلّ عبارة أبي عمرو ابن العلاء (١٥٤هـ) الشهيرة هي أوّل ما يتبادر إلى الأذهان من طرح هذه القضية :

(ما انتهى إليكم مما قالت العَرَبُ إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)[1] . إنه قولٌ مانع جامع يشخّص الداء الأخطر الذي أصاب الأدب العربي شعراً ونثراً .

وقد أدرك علماء القرنين الثاني والثالث الهجري أن كثيراً من الشعر العربي ذهب فريسة الضياع لأنّه لم يُدَوّن وإنّما بقي يُتَنَاقَل شفاهاً بين الرواة ، فقد سقطت الكثير من الدواوين وفنيت ، وضاعت مخطوطات مهمة ، فخسر الأدب العربي ودارسوه الكثير ، وقد أشرنا في أثناء حديثنا عن مصادر شعر الرِّدَّة إلى عدد من الكتب المُعَنْوَنَة باسم الرِّدَّة ، وهي سبعة كتبٍ ضاعت ولم يصل إلينا منها شيء أحياناً ، وإن انتهى إلينا بعض المنتخبات أحياناً أخرى .

وعند جمعنا لشعر الرِّدَّة في المصادر التي بين يدينا ، تبيّن لنا أنَّ ما جمعناه ليس إلاّ جزءاً من شعر كثير ضاع ، فلم يصل إلينا إلا ما حفظته ذاكرة الرّاة وتناقلته ألسنتهم ، وهو قليل على ما يبدو ، وأشرنا من قبلُ إلى أن ضياع الشعر ظاهرةٌ موجودةٌ في الأدب العربي إلا أنها تزداد وتستفحل في أحداث معينة ، ولاسيّما الحرب إذ تُرتجل الأشعار ، ويكثر قائلوها من شعراء وجنود وقادة وعامة ومحاربين ، وربّما قلّت لذلك العناية برواية هذا الشعر ونشره كالمعتاد ، فقد ينتشر بيتٌ من هذه الأبيات يوُروى لنكتة فكريّةٍ أو بلاغيةٍ . . . وقد تُهمل أبياتٌ أخرى فتُنسى وتضيع لأسباب كثيرة ، وقد تُروى بعض الأبيات ضمن الخبر التاريخي كشواهد ودلائل تعزّز صحة الخبر إذا أراد الرّاوي تفصيلَ الحديث ، أمّا إذا رغب في الإيجاز وتجنّب الإطناب فقد يتجاوز عنها فيذكر جُزْءاً أو يُغْفِل جزءاً لم يذكر غيرُه . . . فيضيع . وهذا ما وجدناه في كثير من المواضع في أثناء حوادث الرِّدَّة ، فقد أشار الواقدي عدداً من المرات إلى اختصار كثير من الأبيات تجنباً للإطالة ، « ففي رِدَّة كندة ، تجمعت قبائل كندة حول الأشعث بن قيس الكندي وعزمت على محاربة المسلمين ، فَخَرَجَ الأشعثُ من حصنه عازماً على

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥ .

الحرب وبذل النفس ، وأنشد أبياتاً ليُحَمِّس قومه ، ثم خرج خَلْفَهُ الخَنْفَسِيس بن عمرو ، وضفيرته معقودة على رأس رمحه ، وأنشد أبياتاً اختصرنا عن ذكرها .

قال : ثم خَرَج من بعدِه عبد الرّحمن بن مُحرِّز الكندي الحُطَمِي وناصيته مربوطة في رأس رمحه ، وأنْشَدَ أبياتاً تركنا ذكرها . قال : ثم خرجَ من بعده مُسَيْلمةُ بنُ يَزِيد القُشَيري . وأنْشَدَ أبياتاً تركنا ذكرها . ثم خرج من بعده سعدُ بنُ معدي كرب ، وأنْشَدَ أبياتاً تركنا ذكرها ، قال : فكان كُلّما خَرَجَ رجُلٌ من أشرافهم خرج معه قومه وعشيرته »[1] .

ومثلُ هذه الإشارات تؤكِّد ضياع كثيرٍ من شعر الرِّدَّة .

ولا ننسى أن كثيراً من الشعر الذي قيل في هذه الحركة تضمّن فخراً بالعصبية والقبلية وانتقاداً لأبي بكر ولأداء الزكاة ، وعنجهيةً وجهلاً وتحدّياً . . . فربما عاد بعض أولئك الشعراء إلى جادّة الصواب ، فندموا على ما كان منهم ، وتبرّؤوا من ذلك الشعر الذي أنشدوه آنذاك ، وتعمّدوا إغفاله وعدم روايته فمات وضاع كغيره من شعر الرِّدَّة . . . وقد حَدَث هذا مع بعض الشعراء في بداية الدعوة ، فقد قاموا بهجاء الرسول ﷺ والمسلمين ، ثم ندموا وعزموا ـ بعد إسلامهم ـ على عدم نقل هذا الشعر أو روايته ، فماتت تلك القصائد ، أو أنها أُمِيْتَتْ لأمرٍ ما .

هكذا يبدو لنا أننا وقفنا على شيء من الشعر الذي قيل في هذه الحروب ، ووجدنا في بعض المصادر إشارات إلى شعر كثير ضاع وقصائد نقف منها على شيء ، فظلّت أسيرة النسيان ولعل الدّهر القادم يجود علينا بمصادرها التي ما زالت في علم الغيب .

---

(١) الرِّدَّة : ٢٠٥ .

الفصل الرابع
الدّراسة الفنية لشعر الرِّدَّة

الخصائص الفنية لشعر الرِّدَّة

١ ـ الخصائص المعنوية .

٢ ـ الخصائص اللفظية .

٣ ـ الطوابع الشعبية في شعر الرِّدَّة .

٤ ـ الأثر الإسلامي في شعر الرِّدَّة .

الخصائص الفنيَّة لشعر الرِّدَّة

لعل أفضل ما يعيننا على فهم نص أدبي ما بشكل دقيق وعميق ، يؤكد ـ في آن معاً ـ أنَّه وثيقة أدبية تاريخية ونفسية لحياة أصحابه ولتلك الحقبة الزمنية التي أُبدع فيها . . . إنما هو الظرف الذي نُظِمَ فيه . فإذا ما عرفنا معلومات وافية عن مناسبة النص أو عن حياة شاعره وصلته بالواقع ، سنرى مدى ارتباط النص بمبدعه وزمانه ومكانه ارتباطاً وثيقاً ، ومن خلال هذه العلاقات المتبادلة بين النص والمبدع والظروف المحيطة بهما ، نستطيع قراءة النص الأدبي وتحليله بشكل صحيح وعميق . يقول الأستاذ الدكتور حسين جمعة معبِّراً عن ذلك : « والنص الأدبي أيّاً كان زمنه ، بقي يمثل صورة التجربة الإبداعية في مادة الاتصال بين المبدع (المؤلف الأوّل ، القارىء الأوّل) وبين المتلقي (المؤلف الثاني ، القارىء الثاني) . . . وهو يقدِّمُ ذاته للأجيال على أنَّه إبداعٌ فنيٌ أوّلاً ، ورسالةٌ تعبِّر عن مشاعر أصحابه وأفكارهم ومعاناتهم وتاريخهم ومعارفهم ، ولا تنفصل عن العصر والمجتمع والطبيعة ، أي عن الوسط الذي نشأ فيه ذلك الإبداع ثانياً ، فالشعر حقاً كان (ديوان العرب ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون) وهو علمهم الذي لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه »[(١)] .

وعلى هذا فإننا سننظر إلى شعر الرِّدَّة فنياً ضمن الظروف التي نظم فيها ، وهي ساحات الحرب والنِّزاع القبلي ؛ إذ كان هذا الشعر جنباً إلى جنب مع الخيل والرماح والسيوف ، يثير الهمم وغبار المعارك ، ويدمي ويجرح كسواهُ من الأسلحة الحربية .

سنبدأ الخصائص الفنية بدراسة الخصائص المعنوية لشعر الرِّدَّة ونتناول فيها وضوح المعاني وغموضها ، وكل ما يسهم في إيضاح المعنى من استخدام للصور البيانية (تشبيه ، استعارة ، كناية ، . . .) والمحسنات المعنوية (طباق

---

(١) المسبار في النقد الأدبي ٢٤ .

ومقابلة) ومصادر معانيهم ومن أين ولّدوها .

ثم ننتقل إلى دراسة الخصائص اللفظية من حيث منهج القصيدة وبناؤها وموسيقا الشعر في القصيدة من حيث الأوزان والمحسنات اللفظية ، والجانب اللغوي من حيث الألفاظ وسبك العبارة ، وسندرس الطوابع الشعبية في شعر الرِّدَّة ، ثم سننتقل لبيان الأثر الإسلامي في شعر الرِّدَّة لفظاً ومعنى .

١ ـ الخصائص المعنوية لشعر الرِّدَّة

١) وضوح المعاني :

اتسم شعر الرِّدَّة بالوضوح والبساطة في معانيه وهي سمةٌ غالبةٌ على مجمله ، فقد كانت معانيهم مباشرة ومرتجلة بعيدة عن التعقيد والغموض والإبهام ، وتتناول أغراضاً شتّى فصلنا فيها القول في الصفحات السابقة ، إلا أنَّه في بعض الأحيان قد يصعب علينا تبيُّنُ المعنى لأنّ غرابة الألفاظ قد تحجب عنّا وضوح المعنى ، وهذا شيء يمكننا تجاوزه عن طريق الرجوع إلى المعجمات التي تزيل الغموض واللبس وتوضِّح ما صعب علينا فهمه ، وربما كانت هذه الألفاظ التي نراها نحنُ غريبةً ـ واضحة بالنسبة إليهم لأنهم أبناء تلك البيئة وأصحاب فصاحة وبلاغة وذخيرةٍ لغويةٍ غزيرةٍ ، وسنفصل هذا القول في هذا في أثناء حديثنا عن الطوابع الشعبية ، ويفضي بنا الحديثُ عن بساطة معانيهم والمباشرة فيها مع التقرير إلى ملاحظة غموض المعنى في بعض المواضع ، وهو في الغالب ناجم عن الضعف في نظم هذا الشعر . للأسباب التي ذكرناها آنفاً : الحرب ، السرعة والارتجال ، وأن أصحاب هذه الأبيات إنّما كانوا من العامة أو الجند أو ممن نظموا الشعر لأوّل مرّةٍ ، فكانت قلّة الخبرة والانفعال والسرعة أسباباً نتج عنها بعض الرّكاكة والغموض في المغنى ، وربما تُعزى هذه القضية أيضاً إلى ضياع الشعر في مثل هذه الأحداث ، أو لأن الشعراء آنذاك كانوا في شغلٍ شاغلٍ عن التنقيح ، أو لأنّ رواة الشعر لم يعيروا اهتماماً كبيراً بهذا الشعر وقائليه المغمورين . فضلاً عما لحقه من تغيير في روايته لأنه لم يُدَوّن .

ومن أمثلة هذا كله قول رجلٍ في مسيلمة الكذّاب :

لبِئْسَ ما أورَدَنا مُسَيْلِمَهْ[1]
أبقى لنا من بعدنا أُغَيْلِمَه

---

(١) انظر ص .

ونســــوةً جــــرا لهـــم مُنَيْمِنَـــــه
واشتمــــــا رمــــالهـــــا أُمَيْنِمَــــــه

فالغموض والإبهام واضحان في الشطرين الأخيرين ، وهذا لم يأتِ بشكل فني تعمّده الشاعر ، وإنما كان ناجماً عن اضطراب الرواية أو ضياع الرسم الحقيقي للكلمات ، وفي الأبيات الآتية للجَبْرِ بنِ القَشْعَمِ الكِنْدِي ، اضطرابٌ واضح في وزنُ الشطر الأول من البيت الثالث ومعناه ، فمن هو الأشعث ولو كان حقاً هو الأشعث بن قيس فمن المقصود ببقية الشطر :

سيـــرحَـــلُ عنـــك بنـــو الأرقـــم عشيّـــة جـــرت علـــى المسلـــم[1]
أيـــؤذى الـــرســـول بـــأن حَلّكُـــم بخـــطٍّ كتـــابٍ ولـــم يُجْـــرِمِ
أأشعـــــث أوْلِ ذا الـــــديّـــــةَ لغيّـــرت ذاك ولـــم تظلـــمِ

وهكذا نلمح في شعرهم بعضاً من غموض المعنى وركاكة العبارة ، كانت نتيجة النقص والاضطراب في رواية البيت الشعري .

٢) الصورة البيانية :

اعتمد شعراء الرِّدَّة على الصورة البيانية بشتّى أنواعها من تشبيه واستعارة وكناية ، يقول القاضي الجرجاني : « إن الصورة الشعرية أسلوبٌ من أساليب التمثيل والتشبيه ، وإن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصنعة »[2] ، ولم يكن هدفهم التزيين والزخرفة أو زجّ الصور بعضها بجانب بعضها الآخر للتدبيج واستعراض المقدرات اللغوية ، بل كان هدفهم توضيح المعنى وإبرازه بشكل واضح ، وليس غرضنا هنا أن نصنف هذه الأنواع أو أن نحصيها بمقدار ما سُنعنى ببيانها وأهميتها في إيضاح المعنى .

واللافتُ للنَّظَرِ هنا قلّة هذه الأنواع في شعر الرِّدَّة الذي جادت به القرائح في خضمِّ الحروب فجاء بديهياً خالياً من التصنع والتكلف ، فلم يكن الشاعر صافي

---

(١) انظر ص٢٤٨ .
(٢) دلائل الإعجاز ـ الجرجاني ٩٤ .

الذهن ليبدأ باقتناص الصور من هنا وهناك كي يزيّن شعره أو يجوِّد قوله ، فجاءت صوره قليلة مرتجلة تعبِّر عما يقصده وتعين على توضيح المعنى .

والتشبيه هو أكثر الصور دوراناً في شعر الرِّدَّة مثلما هو في الشعر القديم ، إذ نقرأ في شعرهم شتى ألوان التشبيه ، ومنها قول رجلٍ مجهول يندم على اتباعه لطُلَيْحة بن خويلد الأسدي الذي قاد قومه نحو الضّلال فاتّبعوه كمن يُخدع بالسراب :

صَــدَّنــا والهَــوَى لَــهُ أسبــابُ ... عــن هــوانــا طُليحــة الكَــذَّابُ[1]
لبِــسَ العــارَ بــاتِّبــاعِ هــواهُ ... فــإذا قــولُــهُ اللَّعيــنُ سَــرَابُ
ورمــانــا بفتنــةٍ كلظــى النــا ... ر رجعنــا بهــا علــى الأعقــاب
فــأجبنــا إذا دعــانــا سَفَــاهــاً ... وصَحِبْنــا وللشَّقَــا أصحــاب

ففي البيت الثاني صورتان الأولى في قوله (لبس العار) والثانية في قوله (قولُهُ سراب) ؛ إذ حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ليؤكد معنى جهلهم وانخداعهم ، وفي البيت الثالث تشبيه الفتنة بلظى النار .

ومن أمثلة التشبيه في شعر الرِّدَّة قول حارثة بن سراقة محرِّضاً على منع الزكاة :

وإن أنــاســاً يــأخــذون زكــاتكــم ... أقل وربِّ البيت عندي من الذَّرِّ[2]
حلفــتُ يمينــاً غيــر حنــثٍ مشــوبــة ... وإنــي لأهــلٌ أن أُوَفِّــي بهــا نــذري
أنعطــي قــريشــاً مــالَنَــا إنّ هــذه ... لتلكَ التي يُخْزَى بها المرءُ في القبر
فكندةُ ما زالت لُيُوثاً لدى الوغى ... وغيثَ بني حوّاءَ في العُسْرِ واليُسْر

ففي البيت الرّابع يشبِّهُ القبيلة بالأسود عند الحرب ، وبالغيث في العسر واليسر ، ومن ألوان التشبيه في شعر الرِّدَّة قول مالك بن نويرة التميمي اليربوعي مشيداً بردّته ومفتخراً بمنع الزكاة :

---

(١) انظر ص٣٢٣ .
(٢) انظر ص٢٨٩ .

أإن قَــرّت عُيُــونٌ فــاستُفِيْئَـــت   غنــائم قــد يجــودُ بهــا بَنــانــي[1]
تُمَشّــى يــابــن عَــوْذَةَ فــي تميــمٍ   وصــاحِبَــكَ الأُقَيْــرَعُ تلحيــانــي
ألــم أكُ نــارَ رائبــةٍ تلظّــى   فتنقيــا أذاي وتـــرهبـــانـــي

ففي البيت الثالث يشبه نفسه بالنار الملتهبة ، ومن الأمثلة على التشبيه قول الحطيئة مهنئاً الأقوام على منع الزّكاة :

أطعنــا رســول الله إذ كــانَ صــادقــاً   فيــا عجبــاً مــا بــالُ ديــن أبــي بكــر[2]
أيــورثنــا بكــراً إذا مــاتَ بعــدَهُ   فتلــكَ وبيــتِ الله قــاصمــةُ الظَّهــر
فــإنّ الــذي أعطيتــم أو منعتــم   لكــالتمــر أو أحلــى لِخِلْـفِ بنــي فِهْـرِ

فهو يشبه الزكاة بالتمر في الحلاوة ، والتشبيه هنا تام الأركان .

فالتشبيه يضع أمامنا لوحةً تساعدنا على تلمّس تفاصيل الجو الذي عاشه الشاعر فخلق لديه ذلك الوضع النفسي والشعوري ، فلا عجبَ إذا شعرنا بعمق المعنى والجمال الذي أضفاه استخدام التشبيه أو الاستعارة على الشكل والمضمون . فالتشبيه يسهم بشكل ما في إيضاح النص وزخرفته ، ومما يزيد هذه المهمة جمالاً وفعالية أنَّ الهدف الأساسي من التشبيه عند شعرائنا لم يكن التزيين ، ولاحظنا أن صورهم كانت بسيطة وموروثة ومنتزعة من البيئة المحيطة بهم وهي البادية غالباً ، ويغلب عليها الطابع الحسي لأنهم ما زالوا في طور البداوة لم يتعرفوا إلى أي مظهر حضري جديد ، فلم يتناولوا التشبيه بالأشياء المعنوية المجرَّدة ، فكانت الصورة البصرية الحسية هي السائدة ، مما جعل صورهم بعيدة عن الإبداع والابتكار ، وينسحب هذا الحكم على ما جاؤوا به من استعارات وكنايات أيضاً .

ونترك التشبيه لننتقل إلى تعاور الشعراء على استخدام الاستعارة ، إذ نجد أنهم استعانوا بها أيضاً لتوضيح معانيهم وتعميقها ، فوصفوا السلاح بأنه ينشب

---

(١) انظر ص٢٣٩ .
(٢) انظر ص٣٢٠ .

مخالبه ويفترس ، ووصفوا العار بأنه ثوب يُلْبَس واستعاروا صفات العقرب للإنسان ، ومن أمثلة استخدامهم للاستعارة قول أبضعة بن مالك :

أرى أمــراً لكــم فيــه ســرورٌ　　وآخــرهُ لكــم فيــه نَـدَامَـه[1]
ومــالــي بعــد كنــدةَ مــن بقــاءٍ　　ومــالــي بعــد ظعنكــم إقــامــه
وقــد رجعــت ببلــدتهــا تميــمٌ　　فمــا كســرت بــرجعتهــا بِشَــامــه
وقــد رجعــت حنيفــة فــاستبــاحــت　　جنــودُ الله أجنــاد اليمــامــه
وفــي البحــريــن قــد عضــت ببكــر　　رمــاح الخــط والبيــضُ الخَــذَامــه

إنه يحذِّر قومه من عواقب ردّتهم ويعرض مصير بعض القبائل التي ارتدّت ، وقد استعار لفظة عضَّت للرماح للتعبير عن سوء عاقبة أولئك القوم من خلال تشبيه الرِّماح بالوحش الذي يعضّ ، ومن ذلك أيضاً أبيات محكم بن الطفيل التي تحدث فيها عن منعة أهل اليمامة وقوّتهم ، واستهانتهم بخالد بن الوليد رضي الله عنه وبجيشه فقال :

أيــابــنَ الــوليــدِ ويــا خــالــدُ　　ويــا أيُّهــا الأســدُ الــلاّبِــدُ[2]
لــرُبَّ أنــاسٍ قــد أفنيتَهُــمْ　　وأنــت إلــى مثلهــا عــائــدُ
وأمّــا اليمــامــة فــاشــدد لهــا　　حيــازمــك اليــومَ يــا خــالــدُ
ستلقــى اليمــامــة ممنــوعــةً　　بصُــمِّ القَنَــا عِــزُّهــا تــالِــدُ
وبيــض السيــوف بــأيــدي الــرجــا　　لِ يحــن لهــا الكــفُّ والســاعِــدُ

إنه يستعير كلمة الحنين للتعبير عن توق الفرسان الشجعان لوضع السلاح في أيديهم كي يقاتلوا المسلمين فإن أيديهم تظهر حنيناً بالغاً لذلك .

وإذا تأملنا هذه الأمثلة ، سنلاحظ أنَّ صورهم في الاستعارة كانت مقتبسة من العالم الحسي فاستعاروا أشياء حسية موجودة في بيئتهم ليوضحوا بها معانيهم ويرسموا لوحاتهم ، وقد لاحظنا أن الميل إلى استخدام الاستعارة كان أقلّ من

---

(١) انظر ص٢٦٥ .
(٢) انظر ص٢٤٦ .

ميلهم لاستخدام التشبيه فلم يشمل سلطان الاستعارة أبياتاً كثيرةً لأن الاستعارة طور متقدم من التشبيه .

ونجد في أشعارهم أسلوباً بيانياً آخر هو الكناية ، وقد استخدموها بغية توضيح المعنى أيضاً ، ومن ذلك قول قرة بن هبيرة القشيري محذِّراً عمرو بن العاص والمسلمين من العواقب الوخيمة للحرب :

أوعـدتنـا يـا عمـرو بـالقبـائـل[1]
لسـتَ بمـا أوعـدتنـا بـالطّـائـل
إن تـأتنـا تعضـض علـى الأنـامـل

والشطر الأخير كناية عن الندم الشديد والخوف ، ومن أمثلة الكناية في شعر الرِّدَّة قول الأشعث بن قيس يحرِّض قومه على الثبات في الرِّدَّة ، ويفخر بقوة بأسهم وسلطانهم :

فمـن مُبْلِـغٌ عنـي عتيقـاً بـأنَّـهُ　　أنا الأشعثُ الكندي بذاكَ مُصَرِّح[2]
إذا ما غضبنا مادت الأرض وانكفت　　وإمّـا رضينـا الأرضُ لا تتـزحـزح

فاهتزاز الأرض خوفاً من غضبهم ، وثبات الأرض اطمئناناً برضاهم كناية عن قوتهم وشدة بأسهم وسلطانهم .

إنّ صورهم البيانية كانت مستمدة من العالم المحيط الذي كانوا يعيشون فيه ويتأثرون به ، فلم ترتقِ تشبيهاتهم واستعاراتهم وكناياتهم إلى أسلوب جديد يعتمد التشبيه بالمجرَّد العقلي ، لأنهم أبناء بيئتهم ، ولأنّ التطوّر الذي وصل إليه الشعر العربي في أواخر العصر الجاهلي وأيّام الدعوة ، لم يصل بفكر الشاعر إلى الإبداع وتوليد معانٍ مبتكرة ، فهو ابن تلك البيئة ينظم ما يراه ويحسه ويشعر به ، فينتزع صوره من الواقع ، أو مما درجت عليه ألسنتهم وألسنة من قبلهم من تشبيهات قديمة ، والصورة عندهم بصرية تصوِّر المعنوي بالمُحَسّ ، ولا تخلو من بعض

---

(١) انظر ص٣١٧ .
(٢) انظر ص٢٦٦ .

المبالغة ولاسيما في وصف قوتهم وجبروتهم ، وقد استخدم الشاعر الصور البيانية الآنفة الذكر من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ للشرح والتفسير والتوضيح والتوكيد ، وبيان المعنى فحسب وهذا ليس غريباً « فقد تكون حياة الشاعر أو بيئته أو حياة مجتمعه وتاريخه موضوع أشعاره ، وما شكله الخيال لم يخترع من فراغ وإنما قام بعملية تأليف واصطفاء لمواد تصويرية مختزنة في الذاكرة »[1] .

وقد لاحظنا أن صورهم جاءت عفوية ، وقليلة ، فالشاعر في الحرب لا يتعمد الإكثار من الصور أو الإكثار من التشبيه أو التقريب الاستعاري ، لأن شدة الانفعال جعلته في عجالةٍ من أمره فوصفه بشكل مباشرٍ في أغلب الأحيان مبتعداً عن التفكير والصناعة .

٣) **المحسنات المعنوية :**

وقد لجأ الشعراء إلى استخدام المحسنات المعنوية التي أسهمت في إيضاح المعاني وتأكيدها ، ولا نجد إكثاراً من استخدام هذه المحسنات ، فلا نلمح إكثاراً من الطباق أو المقابلة ، وقد استخدم الشعراء الطباق في بعض الأحيان لإيضاح معانيهم فطرة وسليقة ؛ فجاؤوا بالمتناقضين ليثبتوا الصورة في ذهن المتلقي ، ومن ذلك قول عمرو بن سَمُرة :

رَمَتْنَــا القَبَــائِـلُ بِــالمُنْكَـرَات ... ومــا نحـنُ إلا كَمَـنْ قَـدْ جَحَـد[2]
وَكُنَّــا أُنَــاسَــاً علــى غِــرَّةٍ ... نـرى الغـيَّ مـن أمـرنـا كـالـرَّشـد

طابق بين (الغي والرّشد) ليذكرنا بالسبب الحقيقي لضلالهم ، فهم لا يدركون الفرق بين الحق والباطل والصواب والخطأ ، فجاء بهذه المطابقة ليُثَبِّتَ المعنى في ذهن المتلقي ، ولم يعمدوا إليها وإنما جاءت فطرة وسليقة .

ومن أمثلة الطباق في شعر الرِّدَّة قول حارثة بن سراقة مُتَحَيِّراً :

لســتُ أدري إذا خلــوتُ بنفســي ... أخطــأٌ أولــى بهــا أم صَــوَاب[3]

---

(١) المسبار في النقد الأدبي ، ص٣٢ .
(٢) انظر ص٢٤٣ .
(٣) انظر ص٢٨٧ .

فقد طابق بين الخطأ والصواب ليظهر على حيرته واضطرابه بين الكفر والإيمان ، وها هو ذا الشاعر حوى بن سعيد بن زهرة السعدي يستخدم المطابقة مؤكِّداً عظم مصاب قبيلة تميم بموت مالك بن نويرة :

فمن لليتامى عائل بعد مالك ومن للرجال المرملين الصعالك[1]

أصيبت تميمٌ غَثُّها وسمينها بفارسها المرجوِّ تحت الحوالك

فهو يطابق بين (الغثِّ والسمين) ليؤكد أن المصيبة قد نزلت بقبيلة تميم جمعاء عامة وخاصة .

ومن أمثلة الطباق في شعرهم قول أبضعة بن مالك ناصحاً قومه ، مؤكِّداً مؤازرته لهم في السَّراء والضراء :

أرى أمراً لكم فيه سرورٌ وآخرهُ لكم فيه ندامه[2]

ومالي بعد كندة من بقاءٍ ومالي بعد ظعنكم إقامه

يطابق بين الظعن والإقامة ليعمق ارتباطه بقومه ، فإن انتصروا فهو معهم ، وإن هُزِمُوا فهم معهم .

أما حارثة بن سراقة فهو واثقٌ من أنَّه يختار التصرف الصحيح وهو منع الزّكاة وحرب المسلمين ، ويؤكد هذا المعنى من خلال المطابقة بين (الشك واليقين) وبين (العلم والرّيب) :

اليوم لا أخلط العلم بالرَّيب[3]

وليس في منعي حريمي من عيب

وها هو ذا الفجاءة بن عبد ياليل يبرِّر ردَّته بأنها ناجمة عن خصلة في نفسه ، وهي حبَّ الأذى والشر ، وندرك هذا المعنى بالمطابقة بين (الفساد والصلاح) يقول :

---

(١) انظر ص٢٩٤ .
(٢) انظر ص٢٦٥ .
(٣) انظر ص٢٨٨ .

ولستُ أرى على تقتيل قومي ولا قتلِ الأباعد من جناح[1]
وتلك سجيتي أني ولوعٌ بإيثار الفساد على الصلاح

ونقف في شعرهم على ضربٍ آخر مما يسمّى بالمحسنات المعنوية وهو المقابلة بين لفظين أو أكثر ، ولا نجد من هذا النوع أمثلة كثيرة ، ومنه قول الأشعث بن قيس :

فمن مبلغ عني عتيقاً رسالة أنا الأشعث الكندي بذاك مصرِّح[2]
إذا ما غضبنا مادت الأرض وانكفت فإن رضينا الأرض لا تتزحزح

فهو يقابل بين (مادت الأرض وانكفت ، والأرض لا تتزحزح) في حالتي الغضب والرِّضا ليبرز مقدار قوتهم وسطوتهم وتمكنهم من مقاليد الأرض والحكم أينَ ما نزلوا .

وهكذا وضع الشعراء معانيهم عن طريق الاستخدام العفوي للمحسنات المعنوية التي أسهمت في إبراز المعنى وتأكيده لترسيخه في ذهن القارىء ، فكان الطباق والمقابلة من أبرز المحسنات المعنوية في شعر الرِّدَّة .

٤) الأمثال الشعبية :

لجأ الشاعر أحياناً كثيرة إلى ذاكرة الجماعة التي تتجسد في الأمثال ، فاستعان بها في أبياته كي يؤكِّد المعنى ويوضحه ، فهو يعود إلى أمثال شعبية سائدة أُخذت من بيئته التي عاش فيها ، فرسخت في ذاكرة جيله وفي ذاكرة أجيالٍ من قبله ومن بعده ، وقد أسهمت تلكَ الأمثال في توضيح المعنى ، وكما أسهمت في منح النص حياةً وحركة ، ومن الأمثال التي استخدموها لتأكيد المعنى وتوضيحه قول أحدهم :

نسيرُ إلى البحرين نأكُلُ تمرها ونرعى حماها بالقنا والقنابل[3]

---

(١) انظر ص٣١٣ .
(٢) انظر ص٢٦٦ .
(٣) انظر ص٣٢٤ .

ونعركها عرك الأديم بفتيةٍ عرانينَ من أبناء بكر بن وائل
فتصبح عبد القيس فيها أذلة كفقعة قاع أو كشحمةِ آكل

والفقع هو الكَمْأة البيضاء ج فقعة ، يقالُ : (فلان أذلُّ من فقع بقرقرة) ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، ويُقال : بل لأنّه يوطَأُ بالأرجل ، ويُشبَّه به الرّجل الذليل ، لأن الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ، ولأنّ الدواب تدوسه بأرجلها ، فيقال : (فلان فقعُ قَرْقَرْ ، وفلانٌ فقعة القاع)[1] .

فهو يستخدم هذا المثل ليثبت مقدار الذل والهوان الذي ستصل إليه تلك القبيلة ، والتشبيه بالكمأة الرخوة أو الشحم هو دلالة على سوء حالهم وذلهم ، ويرد مرَّة أخرى في قول مالك بن نويرة مؤكداً فكرة أنهم لن يدفعوا الزكاة لأنهم أحرار ، وليسوا أذلاء ، يقول :

يقولُ رجال سدد اليوم مالك وقوم يقولوا مالك لم يسدد[2]
وقلت خذوا أموالكم غير خائفٍ ولا ناظرٍ فيما تخافون من غدِ
فإن قام بالأمر المخوَّفِ قائمٌ أطعنا وقلنا الدينُ دين محمد
وإلا فلسنا فقعةً بتنوفَةٍ ولا شحمَ شاءٍ أو ظباءٍ بفدفدِ

وكما لاحظنا فأمثالهم مأخوذة من بيئة البادية الحسيّة ، وهي تجسيد لمدى الارتباط العميق جداً بينهم وبين محيطهم الذي نشؤوا فيه وصاغوا أفكارهم ومبادئهم من ملامحه ، ونمت موهبتهم بين أجزائه ، ومن الأمثال التي استعانوا بها قول أحدهم يذِمُّ مسيلمة الكذّاب :

مسيلمُ لم يبقَ إلا النساءُ سبايا لذي الخُفِّ والحَافِرِ[3]
وطفلٍ ترشحه أمه ذليلٍ متى يدع يستأخر
سحبتَ علينا ذيولَ البلاء وجئتَ بهنَّ سما قاشر

---

(١) مجمع الأمثال للميداني (٥١٨) : ١/ ٢٨٤ .
(٢) انظر ص٣١٩ ، وانظر المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٣٤ .
(٣) انظر ص٢٦١ .

ففي الشطر الثاني من البيت الأخير مَثَلٌ درج العرب على استخدامه للتعبير عن سوء الطَّالع والفساد وسوء الحظ وهو قولهم : (أشأمُ من قاشر) وهو فحلٌ ضربَ إبلاً فماتت كلُّها ، وقيل : هو العام المجدِب ، ويقال : سنة قاشورة ، وقيل : القاشورة : الشُّؤم بعينه[1] .

وهكذا فقد عُنِيَ بعض الشعراء بتوضيح معانيهم وأبعادها ، فلجؤوا إلى ضرب الأمثال التي توارثوها عن أجدادهم ووظفوها لخدمة معانيهم ، وكانت أمثالهم حسية مستمدة من البيئة البدوية التي ارتبطوا بها أشد الارتباط .

---

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٥٥٦ .

٢ ـ الخصائص الفنية واللفظيَّة لشعر الرِّدَّة

نتناول في دراسة الخصائص اللفظية في شعر الرِّدَّة عدداً من الأمور ، فنقف أوّلاً على المنهج الذي اتبعه الشعراء في بناء قصائدهم ، وإسهامهم في تطوير منهج القصيدة العربية وتحديده ، ثم ننتقل ثانياً إلى دراسة الجانب الموسيقي في شِعْرِ الرِّدَّة ، من حيث الأوزان والقوافي وبعض المحسنات اللفظية التي أسهمت في إغناء موسيقا الشعر ، وننتقل أخيراً إلى دراسة الجانب اللغوي من حيث الألفاظ ومناسبتها للموضوعات ، ونتطرق إلى شيء من تصرّفهم في أبنية الألفاظ ألجأتهم إليه الضرورة الشعرية ، وسنقف عند بعض الأساليب والصيغ التي كثر استخدامها في شعرهم .

١) منهج القصيدة :

يرى د . يوسف خليف « أن شعر المخضرمين يحمل مزاجاً من عناصر جاهلية وعناصر إسلامية جديدة ، وهو مزاج كان يختلف بين الشعراء قوة وضعفاً »[١] ، فالناظر إلى قصائد الأدب الإسلامي يلاحظ أن معظم خصائص الأدب في هذا العصر بقيت جاهلية على نحو كبير ، لأنّ المنهج الشعري الجاهلي وصل إلى مراحل متقدّمة جدّاً من النضج الفني والرسوخ في بنيته بفعل المدّة الزمنية الطويلة ، وإخلاص الشعراء لهذا المنهج والإصرار على استخدامه ، مما أسهم في رسوخ جذوره في المجتمع الجاهلي ، وبقيت جذوره راسخة وتقاليده مُتَّبعة حتى مرحلة متقدمة .

ومع قدوم الإسلام الذي بدّل معالم الحياة الجاهلية ، حدث عدد غير قليل من التغييرات في المفاهيم والنظام الاجتماعي والفكر ، ولكنّ هذا لا يعني أن هذه النقلة العظيمة ستولد منهجاً أدبياً جديداً بين ليلة وضحاها سينتهجه الشعراء في مدّةٍ وجيزةٍ ، ولا يمكن للإسلام الذي بدّل المفاهيم وقلب معالم الحياة أن يظلّ

---

(١) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي ٣٤ .

سلبياً فلا يترك بصمات واضحة وقويّة على البيئة والأدب ، وكانت بصماته واضحة في الألفاظ والمعاني الإسلامية ، وفكر القرآن والحديث الشريف بلاغةً ومعنىً ، وغيرها من معالم الدين الأساسية التي فرضت نفسها بقوّةٍ رَسَخَتْ بجهاد المسلمين ، وسعيهم المستمر لنشر هذا الفكر الراقي في الأنحاء ، فتناول الشعراء في قصائدهم موضوعات جديدة كمدح الرسول ﷺ والإيمان والتّقوى ، وذمّ الكفّار وتعييرهم بكفرهم وشركهم ، وشاعت الألفاظ ذات الصبغة الدينية الإسلامية ، هذا من ناحية اللفظ والمعنى .

أما من النواحي المنهجية فقد ظلّ الشعر جاهلي المنهج دون تجديد جوهري في بنيته ، ولعلَّ الناظر إلى مجموع شعر الرِّدَّة يلحظ خلوّه من المقدّمات الطللية . ولم يكن بتر هذا التقليد تجديداً أو ثورة فنية بمقدار ما كان استجابة لظروف الحرب الزمانية والمكانية . فالمقاتل المنفعل بالحدث لن يقف على الأطلال أو يتفكّر في ماضيه أو يستحضر وجه المحبوبة ولحظات اللقاء والوداع ، ولن يتخيّل قصّة حبٍّ يسلّي بها القارىء والسامِع ليصوغ منها مقدّمة لما سيأتي به من فخر أو هجاء أو مديح أو وصف . لذا فقد خلا شعر الرِّدَّة من هذه المقدّمات ، ناهيك عن أن شعر الرِّدَّة كان في مجمله مقطعات قصيرة ، وحتى القصائد القليلة افتقدت لمثل هذه المقدّمات . أما المقدمة الغزلية فهي مثل سابقتها عدا مقطوعة واحدة لأبي شجرة السلمي ذكر في مطلعها شوقه إلى محبوبته ثم انتهى إلى غرضه الأساسي الفخر بالرِّدَّة وقتال المسلمين ، والمقطوعة هي قوله :

صحا القلبُ عن ميٍّ هواه وأقصرا ... وطـاوع فيهـا العـاذليـن فـأبصـرا
وأصبحَ أدنـى رائـد الجهـل والصِّبَـا ... كمـا وُدُّهـا عنّـا كـذاك تغيّـرا
وأصبـح أدنـى رائـد الـوصـل منهُـمُ ... كمـا حبلهـا مـن حبلنـا قـد تبتَّـرَا
ألا أيُّهـا المُـدلـي بكثـرة قـومـه ... وحظُّـكَ منهـم أن تُضَـامَ وتُقْهَـرا
سـلِ النـاس عنّـا كـلَّ يـومِ كـريهـةٍ ... إذا مـا التقينـا دارعيـنَ وحُسَّـرا
ألسنـا نعـاطـي ذا الطِّمـاح لجـامَـهُ ... ونطعن في الهيجا إذا الموت أقْفَرَا

وعــاضِــرَةٌ شهبــاءُ تخطِــرُ بــالقَنَــا   تــرى البُلْــقَ فــي حــافــاتهــا والسَّنَــوَرا
فــروَّيــتُ رمحــي مــن كتيبــةِ خــالــدٍ   وإنِّــي لأرجــو بعــدهــا أن أُعَمَّــرا

ولهذا كله فإن شعر الرِّدَّة خلا من المقدمات الطللية والغزلية ، لأنّ ظروف الحرب قد فرضت عليهم أن يتصرَّفوا في الشكل العام للقصيدة بما توحيه تلك الظروف « ولكن ليس معنى هذا أنَّ هؤلاء الشعراء قطعوا ما بينهم وبين تراثهم الفني القديم أو أنَّهم بتُّوا حبالهم من ماضيهم الفنيِّ العريق ، ونلاحظ أنَّ طائفة من الشعراء المخضرمين لم يؤثر فيهم الإسلام من الناحية الفنية إلا آثاراً ضئيلة وخافتة »[١] ، وهم لم يتجاوزوا عن هذه المقدّمات والمنهجية المحدّدة تهاوناً أو استخفافاً ، أو لعدم فائدة الالتزام بها ، بل لأنّ هدفهم الأساسي هو التبليغ السريعُ عن الفكرة التي تلمع في أذهانهم بشكل سريع « فالشاعر بلا ريب كان يجد في المقدّمة الطللية متنفساً للحديث عن ذاته ، وإشباعاً لمنازعه الفردية قبل أن يشغل بغرضه الأساسي . وعلى هذا فقد رمى الشاعر في هذا الظرف جانباً ببقيّة بنود القصيدة التقليدية : المقدمة ، الأطلال ، التغزُّل بالمحبوبة ، وصف الظعائن لا استخفافاً بهذا النظام الذي ظلّ سائداً في القصيدة العربية مدّةً طويلةً جداً ، ولكن تمسُّكاً بالقانون (لكل مقام مقال) »[٢] .

وهكذا فقد بدؤوا قصائدهم ـ غالباً ـ مباشرة ودون مقدمات ، ببداية ملائمة للموضوع وهذه دلالة على أنهم لم يكونوا يلتزمون بالمنهج التقليدي الذي يعتمد على بدء القصيدة بالمقدّمات قبل الوصول إلى الغرض الرئيسي . وهذه سمة نجدها في كثير من المقطوعات في الشعر القديم ، كما في قصيدة مُحكَّم بن الطفيل الحنفي يحرّض قومه على قتال المسلمين ، فهو يتحدى خالد بن الوليد ويهدّده ، فيدخل إلى الموضوع مباشرة دون أية مقدّمات ويتوعده والمسلمين بالهزيمة ويصف منعة اليمامة وصلابة رجالها بقوله :

---

(١) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي ص١١٤ .
(٢) شعر الفتوح د . نعمان القاضي ٢١٤ .

أيــابــن الــوليــدِ ويــا خــالِــدُ ... ويــا أيهــا الأسَــدُ الــلابــد[1]
لــرُبَّ أُنَــاسٍ قــد أفنيتهــم ... وأنــت إلــى مثلهــا عــائــدُ
وربَّ أنــاس لهــم سَــورةٌ ... قصَــدْتَ وأنــت لهــم عــائِــدُ
فــأنــتَ تَــدُلُّ علــى حــربهــم ... وأنــتَ علــى فِعْلِهِــمْ حــاقِــدُ
وأمّــا اليمــامــةُ فــاشــدد لهــا ... حيــازمــكَ اليــومَ يــا خــالــدُ
ستلقــى اليمــامــةَ ممنــوعــةً ... بصَــمٍّ القنــا عــزُّهــا تــالِــدُ
وبيضِ السيــوفِ بــأيــدي الــرِّجــا ... لِ يحِــنُّ لهــا الكــفُّ والسَّــاعِــدُ
وهــامٍ يطيــرُ بــأقفــائهــا ... وشــدٌّ عليــكَ لهــم واحِــدُ
فــإن تلقهــم تلقهــم معشــراً ... متــى ينــزلــوا بــك يستــأسِــدُوا
إذا مــا قضــى القــومُ حَــقَّ الــرِّمــاحِ ... وقــالــوا الطِّعــانُ بهــا جــالــدوا
فــإن أنــتَ قــاربتهُــمْ قــاربــوا ... وإنْ أنــتَ بــاعــدتهــم بــاعــدوا
بــه يــأمَــنُ القــومُ أمــوالهُــمْ ... كمــا أمِــنَ الجَــدُّ والــوالــدُ

وهذه القصيدة تشي بأن المقدمة الفنية جاءت من جنس الموقف فنحن لم نعرف من قبل ابتداء قصيدة بالتهديد والوعيد على حين نجد هذا الابتداء في شعر الرِّدَّة فيطالعنا الشاعر بتهديد خالد وإيعازه بالقضاء عليه .

ونجدُ في الرِّدَّة نهجاً آخر هو المقطعات ، وهو منهج معروف إلا أنَّه كثر في ظروف الرِّدَّة مقارنة بغيرها من الحوادث ، ونلاحظ كذلك كثرة الرَّجز وتنوُّعَ موضوعاته وأغراضه وطول الأرجوزة أحياناً ، سنفصل القول في هذا في أثناء حديثنا عن الطوابع الشعبية .

٢) الموسيقا الشعرية :

أشار ابن خلدون (٨٠٨هـ) إلى أن الشعر والوزن مرتبطان بالموسيقا ، وأن الحَسَنَ المرئيَّ والمسموع بمقتضى الفطرة يكون في الأوزان المتناسبة لا المتنافرة[2] . ولا يمكننا دراسة الموسيقا والوزن والعروض بشكل منفرد بعيد عن

---

(١) انظر ص٢٤٦ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٩٣ .

المعنى الأساسي للقصيدة فلا شكَّ في أنَّ القصيدة هي مجموعة من العناصر المتضافرة : اللفظ ، المعنى ، الانفعال ، الإيقاع ، وهي أمور تتناغم بشكل يحقّق النجاح للقصيدة ، وهذا النجاح قد يتلمسه القارىء المرهف حين يشعر بانسجام هذه العناصر جميعاً ، وعندما نتمعن في قراءة القصيدة الواحدة يمكننا أن نحس باشتداد الإيقاع أحياناً ، وبهدوئه أحياناً أخرى ، وقد يكون الإيقاع حزيناً هادئاً ، فيتحول إلى إيقاعٍ قويٍّ ثائر . . . وكل هذه المستويات تتضمنها القصيدة الواحدة ، وما يتحكم بهذا الإيقاع وتنوّعه هو مستوى الانفعال النفسي الذي يعبّر عنه الشاعر ، وهذا أمرٌ طبيعي نلحظه في كل قصيدة باختلاف البحر الذي نظمت عليه .

إنّ تكرار التفعيلة الواحدة في البيت ليس ناجماً عن فراغ ، بل ليس باختيار الشاعر ، فاختيار البحر هو أمرٌ عفوي تابع لشدة الانفعال ، وقريحة الشاعر التي يمكن أن تجود في أي لحظة بأبيات أو شطور دون أن نتعمّد اختيار بحر ما دون غيره « فالأوزان الشعرية مرتبطة بأحوال النفس ، والشكل الموسيقي للبيت في تكرار حركاته وسكناته إنما هو تكرارٌ لغوي ونغمي ، والتشكيل اللغوي يؤصل لدلالته التي تظهر بأشكال صوتية وإيقاعية متعددة وغنية ، وهي تتعمق بالنبض الترددي الذي يختزنه الحرف والكلمة والتركيب تقسيماً وتشطيراً وتصريعاً وترصيعاً . . . أي إنّ التشكيل اللغوي في أي نص أدبي مرتبط بالوظيفة والعاطفة . . والوزن مرتبط بكليهما معاً . . وليس بحالة واحدة »[(١)] .

وعلى هذا الأساس نؤازر من يرى أن استخدام بحر من بحور الشعر هو نتيجة للون الانفعال الذي يتولّد في مخيلة الشاعر ، فلا قاعدة ثابتة تلزم المبدع باستخدام البحر الطويل لقصائد الفخر والحماسة ، أو البحر الكامل للرثاء والشكوى ، وهنا نذكر قول المرزوقي (الوزن لبوس المعنى) وهذا يؤكد أن الوزن متولد عن الحالة الشعورية التي يمرُّ بها الشاعر ، فضلاً عن خصوصية ذاتية

---

(١) المسبار في النقد الأدبي ٤٨ . وانظر كتاب الرثاء في الجاهلية والإسلام ٢٦٤ .

الشاعر في هذا .

والناقد حازم القرطاجني (٦٠٨ ـ ٦٨٤هـ) عندما يصف بحور الشعر ويسمها بسمات محدّدة يؤازر هذا الرأي ، ولا يخص البحور بموضوعات محدّدة ، بل يؤكد أن الشاعر يجب « أن يحقق انسجاماً وتوازناً بين مادة الشعر والأفكار التي يحملها »[١] ، يقول : « فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاء وقوة ، وتَجِدُ للبسيط سباطةً وطلاوةً ، وتجدُ للكامل جزالةً وحسن اطّراد ، وللخفيفِ جزالةً ورشاقةً ، وللمتقارب سباطةً وسهولةً ، وللمديد رقةً وليناً مع رشامة ، وللرمل ليناً وسهولةً »[٢] ، فالأوزان المختلفة لا ترتبط بأغراض الشعر من مديح أو هجاء أو تهنئة ، ارتباطاً يخصّ كل وزن بموضوع ، وعلى هذا الأساس توزّع استخدام البحور في شعر الرِّدَّة ، فنجد أنَّ أكثرها استخداماً هو البحر الطويل (١٧٤ بيتاً) وتشتمل موضوعات الفخر والمديح والاعتذار والتهديد والهجاء ، ويأتي البحر الوافر في المرتبة الثانية (٦٠ بيتاً) وقد تنوعت موضوعاته فطرق الموضوعات ذاتها ، ويليه المتقارب (٥٣ بيتاً) ، فالرجز (٥١ شطراً) ، ثم البحر الخفيف (٣٣ بيتاً) ، الكامل (٢٣ بيتاً) ، الرمل (١١ بيتاً) ، الهزج (٤ أبيات) .

وهكذا فقد عبّر الشاعر العربي عن شعوره بنظم الشعر الذي جاء عفواً نابعاً عن عمق إحساسه وظروف حياته دون أن يلتزم ببحر محدد ودون أن يعرف أسماء البحور ونغماتها حتى تسنّى للخليل بن أحمد الفراهيدي وضع الدوائر العروضية .

وقد ضمت البحور الشعرية دائماً شتى أنواع الموضوعات ، وكذلك في شعر الرِّدَّة ، فقد تضم المقطوعة أو القصيدة مستوياتٍ عديدة للانفعال ، وموضوعات مختلفة صاغها الشاعر ضمن قالب عروضي واحد ، ومن الأمثلة على ذلك قول جندب بن سلمى نادماً على ردّته مقرّاً بسوء ما اقترفته يداه :

نـدمـتُ وأيقنـت الغـداةَ بـأنـني ... أتيتُ التي يبقى على المرء عارها[٣]

---

(١) المرجع السابق ٤٢ .
(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ٦٩ .
(٣) انظر ص ٢٣٠ .

شهـدتُ بـأنَّ الله لا شـيء غيـره   بنـي مـدلـجٍ فـالله ربِّـي وجـارهـا

وتنطوي هذه الأبيات على إحساس عميق بالألم والحزن والندم ، يتآلف مع إيقاع الطويل بعفوية وانسيابٍ يساعدان القارىء على تلمس عظم الذنب الذي اقترفه جندب ، وعمق الندم والحسرة في نفسه . ويؤكّد هذا الحزن ويعمقه ، حرف المد في آخر البيتين فهو يمنح القارىء والسامع شعوراً بمقدار هذا الندم الذي لم يمحوه إلا العودة إلى الإسلام عودة صادقة فعلاً .

وفي أبيات أخرى لطليحة بن خويلد على وزن الطويل ، نقرأ تهديداً شديد اللهجة ، وتوعداً بالانتقام وقتل الأبطال يقول :

فـإن تـكُ أذوادٌ أُصِبْـنَ ونسـوةٌ   فلـن تـذهبوا فـرغـاً بقتـلِ حبـال[1]

فمـا ظنكـم بـالقـوم إذ تقتلـونهـم   أليسـوا وإن لـم يُسلمـوا بـرجـال

ذكرتُ أخي لما عرفت وجوههم   وأيقنـتُ أنـي ثـائـرٌ بحبـال

عشيّـة غـادرت ابـن أقـرم ثـاويـاً   وعكـاشـة الغنمـي عنـد مجـال

نصبـتُ لهـم صـدر الحمـالـة إننـي   معـاودة قيـل الكمـاة نـزالِ

نلاحظ في الأبيات انفعالاً ظاهراً أو غضباً شديداً وحقداً على المسلمين ورغبة في الثورة والانتقام ، وفي البيت الثالث نلمح سريعاً نبرة حُزْنٍ على القتيل ورغبة في الانتقام . ولهذا قلت حروف المدود بالقياس لسابقتها ؛ فالقارىء لا يلبث أن تزول لمحة الحزن الخاطفة لديه ، حتى نجده يتشفّى بالانتقام ويفخر بشجاعته وصرعه لأبطال المسلمين متوعّداً بالمزيد ، وهي كلها مشاعر دقيقة متقاربة عبّر عنها الشاعر بدقّة بعيداً عن التكلف ، بوساطة إيقاع البحر الطويل الذي يتواتر بسرعة وقوة ، حاملاً نبرة الإنذار والتهديد التي تسيطر على معظم الأبيات ، ولا بأس من عرض مثال آخر من وزن الطويل من مقطعة طليحة بن خويلد يعبر فيها عن ندمه الشديد وأسفه على قتل المسلمين ، ويطلب العفو والصفح ، بنبرة حزينة مستكينة وذليلة ومن ينظر إليها يجد أن المدود الكثيرة تتناسب وحالة الشاعر

(١) انظر ص٢٣٥ .

النفسية وهو في حالة ندم وحسرة فيقول :

ندمتُ على ما كان من قتلِ ثابتٍ ... وعكاشة الغنمي والمرء معبدِ[1]

وأعظم من هاتين عندي مصيبة ... رجوعي عن الإسلام رأي التعمدِ

فهل يقبل الصِّدِّيق أني مراجع ... ومعطٍ لما أحدثت من حدثٍ يدي

وما كنتُ إلا مشركاً ومنافقاً ... ولست بنصراني ولا متهوِّدِ

ولكن رمى إبليس قلبي بفتنةٍ ... ظَللت بها أشقى وأخلفتُ موعدي

ويمضي الشعراء في رسم انفعالاتهم ومشاعرهم المختلفة في لوحات شعرية تعزّز عمقها ، وتساعد في التعبير عنها قوالب البحور الشعرية المختلفة ، التي تختزل في إيقاعها حزناً وفرحاً وحقداً وألماً عبر الشاعر لينقل لنا حالةً عايشها بصدق بعيداً عن التكلف والتصنع .

وبعد أن وقفنا على الأوزان المستخدمة في شعر الرِّدَّة ، ننتقل إلى الحديث عن أهم ما يلاحظ في أوزانه وقوافيه ، فننظر إلى بعض ما شذَّ فيه الشعراء ، كبعض عيوب القافية ، والاضطراب في أوزان بعض الأبيات ، ويلفت النظر في شعرهم الاضطراب في بعض الأوزان ، وربما يعود هذا الاضطراب إلى السرعة في نظم الأبيات بسبب ظروف الحرب ، أو الانفعال الشديد ، وربّما يعود إلى خطأ في رواية البيت « فربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرّواة والناقلين له ، فيسمعن الشِّعْرَ على جهة ، ويؤدُّونه على غيرها سَهْواً ، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه »[2] .

ومن أمثلة الخلل في أوزان بعض الأبيات قول الجبر بن القشعم في أبيات نظمها على وزن المتقارب[3] :

سَيَرْحَلُ عنكم بنو الأرقمِ ... عشيّة جُرْتَ على المسلمِ

---

(١) انظر ص٢٣٤ .

(٢) الصناعتين ٢٠٩ .

(٣) انظر ص٢٨٤ .

أيُؤْذى الرسول بأن حَلَّكم بخطٍّ كتابٍ ولم يُجْرِمِ
أأشعثُ أوّلِ ذا الدِّية لغيّرتَ ذاك ولم تَظْلِمِ
وللبغي عاقبةٌ تُتَّقى تحلُّ بمن جار ولم يندمِ

نلاحظ خلل الوزن في الشطر الأول من البيت الثالث ، وفي الشطر الثاني من البيت الرابع ، ومن أمثلة الخلل في الوزن قول الشاعر الأشعث بن قيس الكندي في أبيات نظمها على البحر الطويل[1] :

لعَمْرِي لئِن كانت قُرَيْشٌ تتابعت على بيعةٍ بعد الرّسولِ وسَمّحُوا
بها لبني تيمِ بن مُرَّة إمرة وسموا عتيقاً بعد ذاك وصرحوا
إذا ما غضبنا مادت الأرضُ وانكَفَتْ وإن رضينا الأرض لا تتزحزحُ

نلاحظ اضطراب الوزن في البيت الثالث ، وقد أشرنا إلى هذا الخلل في موضعه من كل مقطوعة أو قصيدة . ولا ريب في أنَّ اختيار القافية يعين الشاعر على نظم القصيدة بإتقان « فمن المعاني ما تتمكن من نظمِهِ في قافية ولا تتمكن من نظمه في أخرى ، أو تكون تلك أقرب طريقاً وأيسرُ منه في تلك »[2] .

(والقافية هي آخرُ كلمةٍ في البيت ، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام)[3] .

وقد جاءت معظم القوافي التي اختارها شعراؤنا لينة سلسة كالرَّاء واللام والميم . . . ، ولم يأت في شعرهم من القوافي وعرة المسالك كالضاد والثاء . . .

وقد تسهم القافية في إيصال ما يريده الشاعر من الجرس الموسيقي ، إذ ربما تختزل القافية ألواناً شتَّى من الانفعال .

وأما عيوب القافية في شعر الرِّدَّة فلم تكن كثيرة على الرّغم من أنَّ معظم شعر

---

(١) انظر ص٢٦٦ .
(٢) الصناعتين ١٤٥ .
(٣) كتاب القوافي ٣ .

الرِّدَّة قد نُظم في ظروف الحرب متسارعة الوتيرة ، والانفعال المتصاعد والمسيطر على نفس الشاعر ، والارتجال والسرعة ، إلا أنَّ هذا لم يؤدِ إلى شيوع العيوب والاستثناءات في شعرهم أو قوافيهم ، ومن أمثلة عيوب القافية في شعرهم « الإقواء : وهو رفعُ بيتٍ وجَرُّ آخر ، والإقواء يؤدي إلى الخلل في موسيقى الشعر بسبب اختلاف حركة الروي بين بيت وآخر »[١] .

ومن أمثلة ذلك قول أبي شجرة بن عبد العزّى[٢] :

ضـنَّ علينـا أبـو حفـصٍ بنـائِلِـهِ   وكـلُّ مختبـطٍ يـومـاً لـه ورقُ
مـا زال يُـرهقنـي حتـى خـذِيْـت لَـهُ   وحالَ من دونِ بعضِ الرّغبةِ الشفقُ
ينـوءُ آخـرهـا منهـا بـأوّلهـا   سـرح اليـديـنِ بهـا نهّـاضة العنيـقِ

ومن أمثلة الإقواء في شعر الرِّدَّة قول حارثة بن سراقة بن معديَ كرب[٣] :

لسـتُ أدري إذا خلـوتُ بنفسـي   أخطـأٌ أولـى بهـا أم صـوابُ
قـد منعـتُ المهـاجـر بـن أُمَيَّـ   ـةَ مـن مـالنـا وكُـلَّ مجـابِ

ومن عيوب القافية في شعرهم : السِّناد وهو اختلافُ كلِّ حَرْكةٍ قبل الروي[٤] :

وكُنّـا أنـاسـاً علـى غِـرَّةً   نـرى الغـيَّ مـن أمـرنـا كـالـرَّشَـدْ
نـديـنُ كمـا دانَ كـذَّابنـا   فيـا ليـتَ والِـدَهُ لـم يلِـدْ

فقد فتح الشين من (الرَّشَدْ) وكسر اللاّمَ من قولِهِ (يَلِدْ) .

ومن عُيُوب القافية في شعرهم : الإيطاءُ ، وهو أن يُقَفِّي بكلمةٍ ، ثم يُقَفِّي بها في بيت آخر[٥] ، كقولِ مالك بن نويرة التميميّ اليربوعي[٦] :

---

(١) الموشح ٣٦٨ ، القوافي ٤١ .
(٢) انظر ص٢٩٨ .
(٣) انظر ص٢٨٧ ، والبيت الثاني مضطرب الوزن .
(٤) الموشح ٣٦٨ ، القوافي ٥٣ ، وانظر الأبيات ص٢٤٣ .
(٥) الموشح ٣٦٨ ، القوافي ٥٥ .
(٦) الموشح ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ، الصناعتين ١٤٥ .

أراني اللهُ بالنَّعم المُنَدَّى ببرقة رحرحانَ وقد أراني
أإن قَرَّت عيونٌ فاستُفِيْئَت غنائم قد يجودُ بها بَناني
حَوَيْتُ جميعها بالسَّيْفِ صِلتاً ولم ترعَد يدايَ ولا بَناني

فقد جاءت كلمةُ (بَنَاني) في مَرَّتين قافيةً لبيتين .

هذه أمثلة من العيوب التي وقعنا عليها في أوزان شعر الرِّدَّة وقوافيه وهي قليلة مقارنةً مع الكمِّ الشعري المجموع ، والظَّرف الذي نُظِمت فيه الأبيات . ومن خلال قراءتنا لشعر الرِّدَّة إجمالاً ، لم نلحظ أنَّ الشعراء قد تكلَّفوا في طلب قوافيهم ليزينوا بها الأبيات أو لغرض السَّجع المكلف « فمن عيوب الشعر أن تكون القافيةُ مُستدعاة قد تُكُلِّف في طلبها فاشتغل معنى سائِرُ البَيْت بها ، ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكونَ نظيرةً لأخواتها في السَّجع لا لأنّ لها فائدة في معنى البيت »[1] ؛ فكانت قوافيهم تأتي على السجيّة لضرورة المعنى ، ونحنُ نعتقد أن الشاعر في معظم الأحيان لم يكن يربط اختيار أوزانه وقوافيه وبحوره بالموضوعات التي يعالجها ، فلا يعمَدُ إلى التدقيق والاختيار للقافية أو البحر ، لأنَّ شعراءنا منذ القديم قد نظموا أشعارهم على السليقة والطَّبع « ومن صَحَّ طبعُهُ وذوقه لم يحتج إلى الاستعانَةِ على نَظْمِ الشعر بالعَروض التي هي ميزانه ، ومن اضطرب عليه الذّوق لم يستغنِ عن تصحيحه وتقويمِهِ بمعرفةِ العَروضِ والحذقِ بها ، حتى تصير معرفتُه المستفادة كالطبع الذي لا تكلفةَ معه »[2] .

ونقف في شعر الرِّدَّة على عَدَدٍ من الأمور التي تُغني موسيقا الشعر ، وتزيدهُ جمالاً ، وهي ما تُسَمَّى بالمحسِّنَاتِ اللفظية ، ومن هذه المحسِّنات الجناس ، وقد ورد في شعرهم من غيرِ إكثارٍ ولا تكلف ، فكان عفوياً يخدم المعنى قبل أن يكون زينةً ، يقول الجرجاني : « وإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان

(١) الموشح ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ، الصناعتين ١٤٥ .
(٢) عيار الشعر ص٥ .

موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمىً بعيداً ، إذ الألفاظ خدم المعاني »[1] .

ومن أمثلة الجناس في شعرهم قولُ قُرَّة بن هبيرة القشيري[2] مادحاً :

جَـزَى اللهُ بـالخَيْـرِ تَيـمَ مُـرَّة   وإن جُـرِعـت كـأسها المُـرَّه
بـإطـلاقـه الغِـلَّ خيـرَ الجَـزَا   وإبـلاعهـا الـرِّيـقَ كـم مـرَّه
أردت الفِـرَارَ وأيـن الفـرار   مـن الله ربِّـك يـا قُـرَّه

نلاحظ الجناس التام في لفظ (مُرَّه) إذ جاءت في الشطر الأول دلالة على اسم القبيلة ، وفي الثاني دلالة على الطعم المُرِّ وفي البيت الثاني في لفظ (مَرَّه) ، ونلاحظ التكرار في البيت الثالث ، فاستخدام الجناس العفوي غير المتكلف يلفت انتباه السامع ، ويستدعي إصغاءه ، لأن الأذن تستحسن المكرَّر وتطرب لسماعه ، ولاسيما إذا جاء هذا الجناس والتكرار دون إكثار أو استكراه .

ومن أمثلة التكرار في شعرهم قول أبضعة بن مالك السكوني[3] :

أرى أمـراً لكـم فيـهِ سُـرورٌ   وآخِـرُهُ لكـم فيـه نَـدَامـه
ومـالـي بعـدَ كنـدةَ مـن بقـاءٍ   ومـالـي بعـدَ ظعنكُـم إقـامـه
فـأمـري أمـركُـم فيـه وإنِّـي   لكـم ممـا أحـاذِرُهُ سـلامـه
وقـد رجعـت بنـو أسـد وكـانـت   بنـو أسَـدٍ وذبيـانٌ خُـزَامـه
وقـد رجعـت قبـائـل مـن سُلَيْـم   وكـانَ حـديْثُهـمْ فـي النّـاسِ شـامـه
وقـد رجعـت ببلـدتهـا تميـمٌ   فمـا كَسَـرت بـرجعتِهَـا بَشَـامـه
وقـد رجعـت حنيفـة فـاستبـاحـت   جنـودُ الله أجنـادَ اليمـامـه

نلاحظ التكرار في الأبيات ، وهو تكرار عفوي لتأكيد المعنى ، وقد منح النصَّ نوعاً من التطريب والإيقاع ، بعيداً عن التكلف والتصنع وهو يناسب حالة

---

(١) دلائل الإعجاز ٦ ـ ٧ .
(٢) انظر الأبيات ص٣١٤ .
(٣) انظر الأبيات ص٢٦٥ .

الاندفاع في القتال وحركة النفس المتدافعة ، وكذلك كان الأمر في الجناس الذي كان قليلاً في شعر الرِّدَّة ، وجاء في الأبيات دون تعمّد ، فمنح النص جمالاً وأسهم في إغناء موسيقاه ، (فإنك لا تجدُ تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغي به بَدَلاً ولا تجد عنه حولاً ، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه أعلاه ، وأحقُّه بالحُسْنِ وأوْلاه ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابِهِ ، وتأهُّبٍ لطلبه)[1] .

ومن عناصر موسيقا الشعر في شعر الرِّدَّة ما يُسَمَّى بالإعنات أو بلزوم ما لا يلزم ، (وهو أن يلتزم الشاعر في قوافيه بما لا يجب التزامه من الحروف ، ويكون في بيتين أو أكثر)[2] ، وقد ورد في شعرهم عفو الخاطر بلا تعمد . ومن أمثلة هذا النوع قول مِقْيَس بن ضُبَابة الكناني[3] :

شفى النفس أن قد ماتَ بالقاع مسنداً تضـرِّجُ ثـوبيـه دمـاءُ الأخـادِعِ
وكانت هموم النفس من قبلِ قَتْلِهِ تُلِـمُّ فتحمينـي وِطـاء المضـاجِـعِ
حللـتُ بـه وِتْـرِي وأدركْـتُ ثُـؤرتـي وكنـتُ إلـى الأوثـانِ أوّلَ راجِـعِ

نلاحظ في قوله (المضاجع ، راجع) أنه التزم بالجيم والألف وبينهما حرف لم يلتزم به ، على حين التزم بالحروف الثلاثة جندب بن سلمى[4] في قوله :

نـدمـتُ وأيقَنْـتُ الغَـدَاة بـأنني أتيتُ التي يبقى على المرءِ عارُها
شهـدتُ بـأنَّ الله لا شـيء غيـره بنـي مُـدْلِـجٍ فـالله ربـي وجـارهـا

ففي قوله (عارها ، وجارها) التزم بالألف والراء قبل الروي .

ولا شك في أنَّ القارىء أو السامع سيلحظ أن هذا الالتزام سيزيد الشعر حسناً ، وسيجذب أذن السامع ، وسيغني موسيقا القصيدة .

---

(١) دلائل الإعجاز ص١١٤ .
(٢) شرح الكافية البديعية ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٣) انظر الأبيات ص٢٥٥ .
(٤) انظر ص٢٣٠ .

ومن العناصر الموسيقية في شعرهم ، التصريع ، وهو أن يقصد الشاعر إلى جعلِ آخر المصراع الأوّل كآخِرِ المِصْراع الثاني في الوزن والرويّ والإعراب)[١] ولم يرد هذا في شعر الرِّدَّة كثيراً ، مع أن الشعراء درجوا على جعل مطالع قصائدهم مُصَرَّعة ، أما التصريع في أثناء القصيدة ، فلم يرد في شعر الرِّدَّة .

ومن أمثلة التصريع في شعرهم أيضاً ، قول عيينة بن حصن الفزاري[٢] :

إنــي لشــاكــرُ نعمــة الصِّــدِّيــق ذاك المُعَصَّــبُ بــالأمــورِ عتيــق

تنميـهِ مــن تيــمِ بــن مُــرَّة خيـرهــا مــن فــرعهــا وأشمهــا الغــرنيــق

فهذه الجوانب الموسيقية وغيرها مما ورد في شعر الرِّدَّة أسهمت في منح الشعر جمالاً موسيقياً يلفت انتباه المتلقي ويؤثِّر في نفسه ، وهي في معظمها عفويةٌ بعيدةٌ عن التكلف والتصنع ، وتهدف إلى خدمة المعنى وتوضيحه .

٣) لغة الشعر : سندرس اللغة المستخدمة في شعر الرِّدَّة من حيث بناء ألفاظها ، وصياغة عباراتها ، وتناسب اللفظ والموضوع سهولة وجزالة وغرابةً . ونقف عند بعض الصيغ التي كثر استخدامها كالأمر والنهي والنداء . . . إلخ .

يقول الأستاذ الدكتور حسين جمعة : « إنّ اللغة تتفتح بالضرورة عن مبدعها وواقعها ، وزمانها وموضوعها ، وهي تتفتح على القارىء في الاتجاهات ذاتها حين يُدْرِكُ خصائصها ، فلا يكفي أن ننظر إلى لغةٍ في ذاتها ، وإنما ننظر إليها ونحن في حضرة إنسانٍ يفكرُ ويشعر ، في رؤية شموليةٍ تتخيل الوضع النفسي والاجتماعي والطبيعي والفني »[٣] .

وهكذا درج الشاعر في أثناء الرِّدَّة على صياغة شعره بطريقة تصوّرُ لنا موقفه النفسي والشخصي من هذا الحدث التاريخي الذي هزَّ المجتمع وأفراده ، فاستطاع الشاعر أن يوظِّف اللفظ والمعنى بشكل مفيد ، فولّد شعره ضمن بناء فني متجانس

---

(١) قانون البلاغة ١٢٨ .
(٢) انظر ص٣١٢ .
(٣) المسبار في النقد الأدبي ٦٢ .

وافق فيه اللفظ والمعنى الذي اختير لأجله ، وكما قال ابن طباطبا : « عيارُ الشعر الحسن ، أن يتمَّ إيفاء كلِّ معنى حظَّهُ من العبارة وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ »[١] .

فلا نستطيع أن ندرس اللفظ والمعنى كُلاًّ على حدة لأنَّ : « الألفاظ خَدَمُ المعاني والمُصَرَّفة في حكمها ، وكانت المعاني هي المالكة سياستها ، المستحقّة طاعتها ، فمن نَصَرَ اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنَّةُ الاستكراه ، وفيه فتحُ أبواب العيب ، والتعرّض للشَّيْن »[٢] .

وقد جاءت الألفاظ في شعر الرِّدَّة بهدف توضيح المعنى ، فوفّق الشاعر في اختيار اللفظ وإلباسه ما يشاكله من معناه ، ومن أمثلة هذا قولُ رجلٍ مجهول مهدِّداً زياد بن لبيد والمسلمين[٣] :

أخبـر زيـاداً أن كنـدةَ أجمعـت ... طُـرّاً عليـك فكيـف ذلـك تصنـع
أحيـاء كنـدةَ قـد أتتـك بجمعهـا ... ولـديـكَ منهـا جيـرةٌ لـو تنفـع
قـد صيّرتـكَ إلـى التحصُّـنِ صـاغـراً ... حتـى كتبـتَ إلـى عتيـقٍ تضـرَعُ
فـاصبِرْ ولا تجـزع لـوقـعِ سيـوفنـا ... إنّ الكـريـمَ إذا جنـى لا يَجْـزَعُ

إنها رسالةٌ شعرية فيها تهديدٌ ووعيد ، وشماتةٌ بالمسلمين وأميرهم ، نلاحظ أن القطعة متجانسةٌ في أصواتها ومعانيها وألفاظها وإيقاعاتها وصورها . ففي البيتين الأول والثاني يرسُمُ لنا صورة جيوش كندة المتقدّمة ، ويعبّر عن ذلك بكلمتي (طُرّاً ، بجمعها) وفي البيت الثالث يصور لنا زياد بن لبيد المُحاصر في الحصن وهو يستنجد بجيوش المسلمين ، ويعبِّر عن ذلك باستخدام الفعلين (صَيَّر ، تضرع) ، وفي البيت الأخير يتحدّى زياداً والمسلمين ، ويهدِّدهم بالحرب المؤلمة التي تنتظرهم . وقد لاحظنا أن لا تنافر بين الألفاظ والمعاني ،

---

(١) عيار الشعر ١٦ ـ ١٧ .
(٢) دلائل الإعجاز ٨ .
(٣) انظر ص٢٣٩ .

بل لقد وُفِّقَ الشاعر في التعبير عن قصده وإلباس المعاني ما يشاكلها من الألفاظ ، وأسهمَ في هذا الإيقاع القويّ البحر الكامل وتفعيلاته الثلاثية إذ جاء الإيقاعُ متواتراً وسريعاً كأنه ينقلُ إلينا أصوات الجيوش المدججة المتقدّمة لقتال المسلمين .

وفي قول عيينة بن حصن الفزاري ، نلاحظ الألم والندم الشديدين في الأبيات[1] :

إنـي لشـاكـر نعمـة الصِّـدِّيـق ... ذاك المُعَصَّـب بـالأمـورِ عتيـق
تنميـه مـن تيـمِ بـن مُـرَّة خيـرهـا ... مـن فَـرْعِهَـا وأَشَمِّهـا الغِـرْنيـق
والله لـولا عفـوه وفَضَـالـه ... ضـاقَ البـلادُ ولـم يَسُـغْ لـي ريقـي
إذ قـال قـائلهـم عُيَيْنَـة هـالِـكٌ ... وجَـرَت ظنـون النَّفـس بـالتحقيـق
إنـي لعمـرك يـوم أطلـب حـربـه ... لأخـو الضَّـلال مجـانـب التـوفيـق
أنـت الـذي كُنَّـا نـؤمِّـل دونهـا ... طـول الشجَـا وتنـاول العيـوق

إنّ هذه المقطوعة تعلن بوضوح توبته وندمه ، إنه أسلوب إظهار الأسف والندم الشديدين إذ يبدأ مقطوعته بالشكر والمديح ، ثم يعمد في البيتين الرابع والخامس إلى تذكير القارىء بالصورة المؤلمة التي كان عليها في الماضي وهي مناقضة لصورته الآن كمسلم نادم ، فهو يعمد إلى جمع النقيضين ليؤكِّد لنا مقدار ندمه ويزيد في التأثير ، فيرسم صورة مشرقة لنفسه الآن بعد أن كان شقياً محروماً ببعده عن الدين وحربه للمسلمين . ونلاحظ أنَّ تفعيلات البحر الكامل خدمت اللفظ والمعنى ، إذ نُحِسُّ بها هادئة طويلةً فيها ألمٌ واستكانةٌ وخضوع ، وقد أسهم حرف الروي (القاف) في تأكيد الحزن والألم ، إذ لمَّ خلفه ألواناً شتَّى من الانفعالات السابقة ثم أطلقها ، وساعده على ذلك حركة الكسر التي دلّت على الاستكانة والانكسار . إنّ هذا الهدوء الواضح في اللفظ والحركة ونبرة الحرف في قوله : (هالك ، ضلال ، مجانب ، عفو ، . . .) يتصل بوضوح بالمعنى الموجود في النص ، ويعبِّر عما يجيش في صدر الشاعر ، فقراءة اللغة لفظاً ومعنى

---

(١) انظر ص٣١٢ .

« هي قراءة للعاطفة والفكر والموسيقا ، والفكرة تظهر في حالة تبدل الإيقاع والأسلوب »[١] .

ولعلَّ الظاهرة اللافتة للنظر في شعرِ الرِّدَّة هي أنَّ ألفاظه واضحة وبسيطة في شكلها العام ، وحتى إن وجدنا بعض الألفاظ الغريبة بالنسبة لنا ، فهي لم تكن كذلك في نظرهم آنذاك ، وشعراء الرِّدَّة يبتعدون عن الإغراب في شعرهم ، فلا نجد عندهم ألفاظاً غريبة أو نادرة ، ولا نستطيع أن نربط هذا الأمر بقوّة فصاحتهم أو ضعفها .

ونقف في شعرِ الرِّدَّة على شيء من التصرُّفِ في أبنيةِ الألفاظ ، إذ ألجأتهم الضرورة الشعرية إلى تسكينِ متحرِّك أو تحريكِ ساكنٍ ، أو قطعِ همزة وصل ، أو وصلِ همزة قطع . . . ، وربما يكون سبب هذا التصرّف راجعاً إلى السرعة في الارتجال ونظم البيت دون عنايةٍ بتنقيحه وتهذيبه ، ومن أمثلة هذا في شعرهم تسكين المتحرّك ضرورة كقول الأشعث بن قيس الكندي[٢] :

فمـن مبلـغٌ عني عتيقـاً رسـالـةً ... أنـا الأشعـثُ الكنـديْ بـذاكَ مُصَـرِّحُ

فقد سكن الكنديْ عوضاً عن تشديدها وضمها (الكنديُّ) كي لا يختل الوزن ، ومن أمثلة هذا في شعرهم قول الأشعث بن قيس الكندي[٣] :

لقيـتُ المهـاجـرَ فـي جمعـه ... بعضـبٍ حسـامٍ رقيـق الغِـرَزْ
ففـرَّ ذليـلاً ولـم ينثـنِ ... فـرارَ الحمـارِ مـن القَسْـوَرِ

فقد سكَّن كلمة (الغِرَزْ) بدلاً من جرِّها ، وذلك لضرورة الوزن .

ومن أمثلة التصرّف في أبنية الألفاظ في شعرهم ، تحريكُ الساكن ضرورة كقول امرأة من بني حنيفة :

مسيلـمُ لـم يبـقَ إلا النسـاء ... سبـايـا لـذي الخُـفِّ والحـافـر

---

(١) المسبار في النقد الأدبي ٤٨ .
(٢) انظر ص٢٦٦ .
(٣) انظر ص٢٦١ .

وطفــــلٍ تــــرشّحـــــهُ أمُّـــــهُ صغيـــرٍ متـــى يُـــدْعَ يستــأخِـــرِ

فقد حرَّك الفعل المجزوم لأنه جواب الشرط (يستأخر) ، لضرورة القافية .

ومن أمثلة هذا في شعرهم قول الجبر بن القشعم الكندي[١] :

سَيَــرْحَــلُ عنكــم بنــو الأرقَــمِ عشيّـــة جـــرَت علـــى المُسْلِـــمِ
أيـــؤذى الـــرّســـول بـــأنَّ حلَّكـــم بخــــطِّ كتــــابٍ ولــــم يجــــرمِ
أأشعَـــــثُ أوْل ذا الــــدِّيَــــة لغيَّـــــرتَ ذاكَ ولـــــم تَظْلِـــــمِ

فقد حرَّك الفعل المجزوم في البيتين الثاني والثالث لضرورة الشعر .

ومن أمثلة التصرّف في أبنية الألفاظ في شعر الرِّدَّة ، وصلُ همزة القطع ضرورة كقول الشاعر أبو عفك المرتد[٢] :

لقــد عشــتُ دهــراً ومــا إن أرىٰ مــــن النّــــاس داراً ولا مَجْمَعَــــا
أبــــرَّ عهــــوداً وأوفــــى لِمَــــنْ يُعــــاقِــــدُ فيهــــم إذا مــــا دعــــا
مـــن أولاد قيلـــةَ فـــي جمعهـــم يهـــدُّ الجبـــال ولـــم يخضعـــا

فقد وصل همزة (أولاد) للضرورة الشعرية كي لا ينكسر الوزن .

وبذلك نرى أن تصرفات شعراء الرِّدَّة في أبنية الألفاظ كانت بسبب الضرورة الشعرية ، ولم تؤدِّ إلى شيء من الغموض ، ولا خرجت عمّا ألف العرب سماعه في شعرهم .

ونقرأ في شعر الرِّدَّة الأسلوب الإنشائي بكثرة ، فقد لجأ الشعراء إلى استخدام الأمر والنهي والنداء والاستفهام بكثرة ، وهي أساليب تندرج تحت ما يسمى الإنشاء الطلبي ، كما نقرأ في شعرهم بعض صيغ الإنشاء غير الطلبي كالقسم .

والقارىء لشعرهم سيلحظ كثرة صيغ الإنشاء الطلبي بشكل ملحوظ ، فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من صيغ الأمر والنهي ، أو أسلوب النداء والاستفهام ، ولا شك في أن السبب الذي دفع الشعراء إلى الإكثار من هذه الأساليب هو جو

---

(١) انظر ص٢٨٤ .
(٢) انظر ص٢٤٠ .

الحرب الذي كانوا يعيشونه ، والنزاع في ساحات المعارك ، مما يتطلب منهم أسلوباً إنشائياً في معظم الأحيان .

١ ـ وكانت صيغة الأمر هي أكثر الصيغ استخداماً في شعرهم ، وقد كثر استخدامه بشكل مباشرٍ موجَّهٍ إلى المخاطب ، مما منح الأبيات قوة وحدَّةً توحي بظروف الحرب التي نظمت الأبيات في أثنائها ، ومن أمثلة ذلك قول مالك بن نويرة التميمي[١] مصمماً على منع الصدقة :

فقلتُ دعوني لا أبا لأبيكم   فلم أخطِ رأياً في المعادِ ولا البدي
وقلتُ خذوا أموالكم غير خائفٍ   ولا ناظرٍ فيما تخافون من غَدِ

ومن أمثلة ذلك قولُ رجلٍ تحدى زياد بن لبيد والمسلمين[٢] :

فقل لزيادٍ والمهاجرِ أوعِدا   فما مثلنا في وعدِهِ بمروَّعِ

وقد يؤدي الأمر أغراضاً تُفهَمُ من سياق الكلام ، كالالتماس ، إذ يطلب المخاطب شيئاً من نظيره ، كقول امرأة تخاطب مُجَّاعة بن مُرارة الحنفي ، وتلتمس منه إنقاذ قومها[٣] :

ألا يا مُجاعةُ فانظُر لنا   فليس لنا اليومَ من ناظِرِ
سواكَ فإنّا على حالةٍ   يرِقُّ لها قلبُ ذا الكافِرِ

٢ ـ وقد لجأ الشعراء إلى أسلوب النداء والمعاني المختلفة التي يؤديها ، فكثر استخدامه في شعرهم بوساطة أدوات النداء : الهمزة للقريب ، أيا ، يا للبعيد ، ومن أمثلة استخدامهم للنداء ، قول قرّة بن هبيرة القُشَيْري مهدِّداً[٤] :

يا عمرو يابن العاصِ يابن وائلِ
لا يوحشنك اليومَ قول قائلِ

---

(١) انظر ص٣١٩ .
(٢) انظر ص٣٣٠ .
(٣) انظر ص٢٦١ .
(٤) انظر ص٣١٧ .

أوعـــدتنــــا يــــا عمـــرو لقبــــائـــل
لســـت بمـــا أوعـــدْتَنَـــا بـــالطَّـــائِـــلِ

ومن أمثلة استخدامهم للنداء قول مُحكَّم بن الطُّفيل الحنفي متحدِّياً[(١)] :

أيـــا بـــنَ الـــوليـــد ويـــا خـــالـــدُ ويـــا أيهـــا الأســـدُ الـــلابـــدُ
لـــرُبَّ أُنـــاسٍ قـــد أفنيتهـــم وأنـــتَ إلـــى مثلهـــا عـــائِـــدُ

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معانٍ تستفادُ من القرائن ، كالاستغاثة ، ومن أمثلة هذا اللون قولُ امرأةٍ من بني حنيفة مستنجدةً[(٢)] :

ألا يـــا مُجـــاعَـــةُ فـــانظـــر لنـــا فليـــس لنـــا اليـــومَ مـــن نـــاظِـــرِ
ســـواكَ فـــإنّـــا علـــى حـــالـــةٍ يَـــرِقُّ لهـــا قلـــبُ ذا الكـــافِـــرِ

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى كالزجر والتأنيب ، كقول رجلٍ يلوم من أغواه[(٣)] :

يـــا عيينَ بـــن حصـــنٍ آل عـــديٍّ أنتـــمُ مـــن فـــزارة أذنـــابُ

٣ ـ وقد أكثر الشعراء من استخدام أسلوب الاستفهام ، ولاسيما الاستفهام بالهمزة ، كقول رجل[(٤)] :

ألـــم تـــرنـــا علـــى عهـــدٍ أتـــانـــا بملهـــم والخطـــوبُ لهـــا انتهـــاء
فَشُـــلَّ الجمـــعُ جمـــعُ أبـــي فصيـــلٍ بـــذي دورانَ إذ كُـــرِهَ اللقـــاءُ

وقد يخرج الاستفهام عن غرضهِ الأصلي إلى معانٍ أخرى تفهم من سياقِ الكلام ، كالاستنكار والتعجب ، كما في قول رجلٍ مستنكراً دفع الصدقة للمسلمين ومتعجباً مما آلت إليه أحوالهم[(٥)] :

---

(١) انظر ص٢٤٦ .
(٢) انظر ص٣١٧ .
(٣) انظر ص٣٢٣ .
(٤) انظر ص٢٦٠ .
(٥) انظر ص٣٢٨ .

أفـي كُـلِّ يـومٍ للمهـاجـرِ جبـوةٌ ... ولابـــن لبيـــدٍ إنّ ذا لَشــــدِيــــدُ
فحتَّـى متـى نعطـي الإتـاوةَ معشـراً ... إذا أخـذوا قـالـوا لمعشـرهـم عـودوا

وقد يخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى معنى التوبيخ ، كقول الجبر بن القشعم الكندي بعد أن قتلَ قومه رسول أبي بكر[1] :

أيـــؤذى الــرســـولُ بــأن حَلَّكُـــم ... بخـــطِّ كتـــابٍ ولـــم يُجـــرِمِ

٤ ـ ومن أساليب الإنشاء الطلبي في شعر الرِّدَّة أسلوب النهي ، ونجده في شعرهم بصيغة واحدة هي المضارع المقترن بلا الناهية ، كقول طليحة بن خويلد الأسدي[2] :

بنـي أسـد لا تُطْعِمُـوا صـدقـاتِكُـم ... معـاشـر حـيٍّ مـن لـؤيّ بـن غـالـبِ

وقول مِقْيَس بن ضُبَابَة الكناني[3] :

أقـولُ والمـوت تغشـاهـم أسِـرَّتُـهُ ... لا تـأمَنَـنَّ بنـي بكـرٍ إذا ظُلِمُـوا

٥ـ وقد استخدم الشعراء أسلوب القسم أحياناً ، وهو أحد أساليب الإنشاء غير الطلبي ، ومن أمثلة ذلك قول عرفجة بن عبد الله الذُّهلي[4] :

لَعَمْـري ومـا عَمْـري علـيّ بهيِّـنِ ... لقـد قـال حَقّـاً حـارثُ بـنُ معـاويـه

وقول الأشعث بن قيس الكندي[5] :

لعمري لئن كانت قريشٌ تتابعت ... على بيعةٍ بعد الرّسول وسمَحوا

وهكذا فقد أكثر الشعراء من استخدام الأمر والنهي والنداء والاستفهام بشكل ملحوظ لا تكاد تخلو منه مقطوعة أو قصيدة ، وكانت هذه الصيغ والأساليب صدى لجو الحرب والنّزاع الذي يعيشه الشعراء ، وقد أسهمت في منح الأبيات

---

(١) انظر ص٢٨٤ .
(٢) انظر ص٢٣٢ .
(٣) انظر ص٢٥٨ .
(٤) انظر ص٣٠٤ .
(٥) انظر ص٢٦٦ .

قوّة ساعدت في أداء المعنى ووضع القارىء والسامع في جو النص ، ومنحت النص المزيد من القدرة على التعبير والإيحاء .

ثالثاً ـ الطوابع الشعبيّة في شعر الرِّدَّة :

لعل أوّل ما يتبادر إلى الأذهان عند سماع عبارة (الطّوابع الشعبية) هي أنَّ هذه التسمية تُطلَقُ على الشعر الذي يسري بسهولة بين العامة ، أو أنَّ هذا الشعر قريبٌ من الشعب سهل الفهم والتناول ، ويقدّم الدكتور شوقي ضيف تعريفاً للطوابع الشعبية في الشعر : « فهي أن يكونَ الشعر معبِّراً عن حياة تلك الشعوب في شتى العصور والحالات ، وينطبق هذا التصوّر على العصرين الجاهلي والإسلامي . فالطوابع الشعبية في الشعر الجاهلي هي أنَّه كان يدور على الألسنة دوراناً أتاح لأبياتٍ وشطورٍ منه أن تصبحَ أمثالاً سائرة ، أما في العصر الإسلامي فيرى أنَّ حروب الفتوح قد أنتجت شعراً إسلامياً امتاز بطوابع شعبية كثيرة ، والأمر نفسه في موقعة صفين وحروب العرب والتّرك في أواسط آسيا ، وكذلك شعر الخوارج »[1] ، ونضيف إلى قوله أن شعر الرِّدَّة قد تضمّن الطوابع الشعبية في الشعر الإسلامي قبل شعر الفتوحات . فهو يستحقّ أن يسمّى الشعر الحربي السابق لشعر الفتوحات ، ويتضمّن وجهين متناقضين : الأول هو الشعر العصبي الجاهلي الذي أنشده المرتدون والثاني هو الشعر الإسلامي الحقيقي الذي يمثل البصمات الحقيقية التي تركتها السنوات القليلة للدعوة الإسلامية في نفوس بعض القوم ، إذ نجد في شعرهم أثراً إسلامياً خالصاً ونزوعاً قوياً إلى العقيدة والقرآن والسنّة ، وتتمثل هذه المعاني في شعر فئتين : الأولى هي الفئة المسلمة التي تصدّت للمرتدّين ، والثانية هي فئة المرتدين الذين عادوا إلى الإسلام نادمين وتائبين ، ونشير هنا إلى أنَّ الأثر الديني قد ظهر عموماً في شعر المرتدين الذين كانوا مسلمين تأثروا بثقافة الإسلام إلى حَدٍّ ما . وسندرس في هذه الصفحات أبرز الطوابع الشعبية في شعر الرِّدَّة .

---

(١) الشعر وطوابعه الشعبية على مرِّ العصور (٥ ـ ٦ ، ٣٤) .

١) البساطة في التعبير ووضوح المعنى :

وهي السِّمة الغالبة على شعر الرِّدَّة ، فالمعاني واضحة وغالباً ما تأتي بأسلوبٍ مباشرٍ تقريريٍّ سهل التناول والتداول ، كقول أَبْضَعَة بنِ مالِك يحثُّ قومه على الطاعة :

أرى أمــراً لكــم فيــه ســرورٌ   وآخِــرُهُ لكــم فيــه نــدامــه[1]
ومــالــي بَعْــدَ كِنــدةَ مــن بقــاءٍ   ومــالــي بعــد ظعنِكُــمُ إقــامــه
فــأمــري أمــرُكُــمْ فيــه وأنِّــي   لكــم ممــا أحــاذرُهُ ســلامــه

فالأبيات سهلة النظم والمعنى قريبة المتناول والفهم بعيدة عن الغموض والإبهام والتكلّف والإغراق في الصنعة ، ونلاحظ ذلك في معظم المقطوعات ، ومنها قول الفجاءة بن عبد ياليل يفتخر بما قدّمته يداه من خديعةٍ للمسلمين ولأبي بكر ، فقد خدع أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وتظاهر بأنه يريد إعانة المسلمين على المرتدّين فأخذ السلاح والعتاد ، وبدأ يحارب المسلمين ويعيث في الأرض فساداً ويلخِّص ذلك بقوله :

ألــم تــرنــي خــدعــتُ القــوم حتّــى   قــويــتُ بمــا أخــذْتُ مــن الســلاح[2]
وقلــت لــه أبــا بكــرٍ أعنّــي   علــى مــن بــالبُــزَاخــة والبطَــاحِ
وقلــتُ لــه أقــاتِــلُ مــن عصــاكــم   وأنصُــرُكُــمْ علــى أهْــلِ الجُنَــاحِ
فقــوّانــي بكــل أقــبَّ نهــدٍ   وبيــضٍ كــالعَقَــائِــقِ والــرِّمــاحِ
فملــتُ بهــا علــى الأقصَيْــنَ قتــلاً   وفــي الأدنَيْــنِ آثــارُ الجــراحِ
ولســتُ أَرَى علــى تَقْتِيــلِ قــومــي   ولا قتــلِ الأبــاعِــدِ مــن جُنــاحِ
ســوى أنِّــي أقــولُ إذا اعتــرتنــي   همــومُ النَّفْــسِ مــن كُــلِّ النــواحــي
ستلقــانــي المنيَّــةُ مُسْتَقِــلاً   بــأوتــادِ الــرِّجــال ذوي السِّــلاحِ
وتلــك سَجِيَّتِــي أنّــي ولــوعٌ   بــإيثــارِ الفســادِ علــى الصَّــلاحِ

---

(١) انظر ص٢٦٥ .
(٢) انظر ص٣١٣ .

وهكذا تأتي معظم المقطوعات ببساطة التعبير وسهولة المعاني ، وهذا ناجم عن طبيعة الظرف الذي ينظم الشاعر فيه شعره ، إذ يترتَّبُ عليه أن يعبِّرَ عن شعورِهِ تعبيراً مباشراً بعيداً عن الصنعة والتكلُّفْ ، لذا خلت معظم المقطوعات من المقدمة الطللية والغزلية .

وقد نجد صعوبة في فهم بعضِ الأبيات ، وهذه الصعوبة ناجمة عن بعض المفردات الغريبة التي لم تَخلُ منها أبياتهم في أحايين عديدة ، أو أسماء بعض المواضع والبلدان والأشخاص ، لكونه شعراً تأريخياً يصف الحدث وفق لوحة دقيقة تدلّنا على الموضع واسم القائد أو البطن أو القبيلة ، كقول رجلٍ من بني بكر ابن وائل محرّضاً على المسلمين داعياً قومه إلى الرِّدَّة لإعادة ملك النعمان بن المنذر :

نسيرُ إلى البحرين نأكُلُ تمرَهَا ... ونرعى حِمَاها بالقَنَا والقبائل[1]
ونعرُكُهَا عركَ الأديمِ بفتيةٍ ... عرانينَ من أفناء بكرِ بن وائل
ونجعل هذا الملكَ في آل منذرٍ ... كما كان فيهم في الدُّهور الأوائل
سيكفُرُ قومٌ في الحروب إذا التقَوا ... صدور المذاكي والوشيجِ الذَّوابلِ
فقل للمثنّى حين قَرَّ قرارُهُ ... ستأتيك بالأخبار ركبانُ قافل

إنّ معنى الأبيات السابقة لا يتوضَّحُ إلا ببيان خريطة الحدث ، والاستعانة بالمعجمات لجلاء غموض بعض الألفاظ كقوله عرانين ، المذاكي ، الوشيج الذوابل . . . ، ولكنّ معظم شعر الرِّدَّة اتَّسم بالتخلِّي عن التصنع والمباشرة والبعد عن التطويل ، فلا فرصة سانحة لدى الشعراء كي يتفكّروا في النظم والتطويل والتأني في وصف المعاني وضبط الانفعالات والعواطف ، فجاء شعرهم على السجيَّة والطبع ، ولم تُتَح لهم فرصة لتنقيحه وتهذيبه لذا تكثر في شعرهم بعض العيوب في الوزن أو القافية سنتحدث عنها في موضعها .

---

(١) انظر ص٣٢٤ .

٢) كثرة الرّجز وشيوعه :

لا شكّ في أنَّ ظروف الحرب تؤثر تأثيراً كبيراً في قرائح الشعراء المبدعين ، فتجود في مثل هذه الظروف بشعر يصوّر انفعال الشاعر في مثل هذا الحدث الكبير ، ولا غرابة في ذلك ، لأنّ التجربة الشعرية كانت دائماً بوتقة تنصهر فيها تجارب الشاعر وإحساساته في أبيات ينشدها إثر هذا الموقف أو ذاك ، فيأتي الشعر مُتَنَفَّساً لأولئك الشعراء وتجسيداً لموهبتهم وتجربتهم ، وحروب الرِّدَّة أججت مشاعر الفرسان والمبدعين والجند الذين صالوا وجالوا في ساحات المعارك فعايشوا احتدامها ، أو تابعوها وتأثّروا بأخبارها ، فكان أن فرضت هذه الأحداث السريعة والمختلطة ظروفها على شكل الشعر ومضمونه .

ومن خلال مطالعتنا لبعض شعر الحرب في الأدب العربي ، نلاحظ أنَّ بحر الرّجز شاع وكثر عند الشعراء عموماً ، وعند شعراء الرِّدَّة الذين ندرس شعرهم الحربي خصوصاً فقد أنشد شعراء الرِّدَّة الذين جمعنا شعرهم (٦٧) شطراً من الرجز منها (٥١) شطراً قيلت في الرِّدَّة ، والسبب في كثرة الرجز في الحروب هي قربُهُ من السليقة والطبع ، وسرعة جريانه على الألسنة ، وقدرته على التعبير عما يجيش في نفس الشاعر أو المحارب بسرعةٍ وسهولةٍ ، يقول الدكتور شوقي ضيف متحدثاً عن كثرة الرّجز في شعر الفتوح : « يلاحظ أنَّ كثيراً منه كان ينظم من بحر الرّجز ، لأنه أسهل بحور الشعر ، ومعروفٌ أنَّ أكثرها قابليّةً للتجزئة والتعديل ، وكان كثير الدّوران في حُدَاء العرب من قديم ، وفي مبارزة الأقران في الحروب ، فكان طبيعياً أن يكثر جريانه على ألسنة الجنود المحاربين في مقطوعاتهم القصيرة ، وهو بدون ريب يؤكِّد الطوابع الشعبية لهذه المقطوعات لسهولة لغتها ويُسْرها ، فما هي إلا أن يَسُلَّ الجندي المحارب سيفه للقتال ، حتّى نَفِذَ على خاطره شطورٌ من الرَّجز يقذف بها دون معاناة أو مكابدة ، كما يقذف بسهمه أو يضربُ بسيفه ورمحه في عجلة ودون ريثٍ أو إبطاء »[١] .

---

(١) الشعر وطوابعه الشعبية على مرِّ العصور ٣٣ .

ولا شَكَّ في أنَّ الحديث في هذا الموضع ينطبق على شعر الحرب إجمالاً ، ومنه شعر الرِّدَّة الذي نتحدث عنه ، ففي الحرب تكون الانفعالات على أشدها ، وتضطرب المشاعر والمعاني والأفكار ، ومن الطبيعي أن الشاعر كان يميل إلى السهولة والطبع ، فلا مجال لديه للتنقيح والتدبيج والصنعة ، وربّما كان جريان الشعر على ألسنة العامة والمحاربين والمتفرجين في هذه الأثناء سبباً من أسباب شيوع وزن الرّجز ، فقد حفلت حروب الرِّدَّة بمشاركاتٍ شعريةٍ لأشخاص مغمورين أو محاربين من عامة الجند والناس نظموا الشعر لأوّل مرّة ناهيك عن عشرات الأبيات التي لم يُعْرَف قائلوها ، وأغلب هؤلاء لم يملكوا الخبرة الكافية في أمور الشعر والأدب ، فكان اعتمادهم على صياغة إحساسهم وشعورهم في أبيات نُظمت بسرعة فطرةً وارتجالاً ، وهكذا كانوا يتفاعلون مع الحدث فينظمون بكل عفوية دون أن يعيروا اهتماماً لمتطلبات القصيدة كما يفعل الشعراء المحترفون .

ولا نميل إلى جعل الرَّجز « نوعاً مستقلاً من أنواع التعبير مختصاً بأبواب معينة وموضوعات بذاتها »[1] بل نرى أنه شارك بقية البحور الشعرية في الموضوعات التي نظمت فيها ، فلم يقتصر دوره على إشاعة الحماسة بين المحاربين ، كما في قول مسيلمة الكذاب محمِّساً قومه داعياً إيّاهم إلى الصَّبر :

فلو على الحقِّ صَبَرنا صَبْرنا[2]
وعانَدَ القوم فكانوا مثلنا
وكان في حَقٍّ يجوز أمرنا
ما فَلَّ خَلْقٌ في الأنام جمعنا

فقد استُخْدِمَ بحر الرّجز في المدح والذّم ، كما قول مسيلمة الكذاب يفتخر بنفسه في أثناء معركة اليمامة ، ويذُمُّ خالد بن الوليد رضي الله عنه :

---

(١) شعر الفتوح ـ النعمان القاضي ٢٣٨ .
(٢) انظر ص٢٥٣ .

أنـا رسـولٌ وارتضـانـي الخـالـقُ[1]
القـابـض البـاسـطُ ذاك الـرَّزاقُ
يـابـن الـوليـدِ أنـتَ عنـدي فـاسـقٌ
وكـافـرٌ بـربِّـه منـافِـقُ

وكذلك استخدم بحر الرجز في التهديد والوعيد ، كقول قرّة بن هبيرة متحدِّياً عمرو بن العاص والمسلمين متوعِّداً إياهم بالهزيمة :

يا عمرو يابن العاصِ يابن وائل[2]
لا يـوحشنْـكَ اليـومَ قـولُ قـائِـلِ
مـن قَيْـسِ عَيْـلانَ وقـولِ فـاعِـلِ
ليـس لـذي الـديـنِ بـذي غـوائِـلِ
أوعـدتنـا يـا عمـرو بـالقبـائـلِ
لسـتَ بمـا أوعـدتنـا بـالطَّـائِـلِ
إن تـأتنـا تعضُـض علـى الأنـامـل

ونُظمت في الندم والألم أشطر من بحر الرَّجز نذكر منها :

لبئـس مـا أوردنـا مسيلمـه[3]
أبقـى لنـا مـن بعـدِهِ أغيلمـه

وهكذا شارك الرّجز القصيدَ « ألوانه وموضوعاته نتيجةً لما أصاب القصيد من انكماشٍ في شكله ، ولظروف القتال واضطرابها »[4] ونعتقد أن الرَّجز كأيِّ وزن آخر لا يختصُّ بالتعبير عن لونٍ محدَّدٍ أو موضوع معيَّن وإنّما نكتفي بقول المرزوقي : (الوزن لبوس المعنى) .

---

(١) انظر ص٢٥٢ .
(٢) انظر ص٣١٧ .
(٣) انظر ص٢٦٣ .
(٤) الشعر وطوابعه الشعبية على مرِّ العصور ٣٣ .

٣) المقطّعات :

إن شعر الرِّدَّة الذي ندرسه في هذا البحث هو شعر حربي ، وشعر الحرب يتسم بمميزات خاصة بالحدث ، فالحرب حدث خاص يفرض على الشاعر طريقة معينة في التعبير شكلاً ومضموناً ، ومن المعروف أن الشعر يكثُرُ في الحروب ، يقول ابن سلاّم(١) : « وإنّما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء كما في حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلّل شعر قريش أنَّه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف »(٢) . وكثرةُ هذا الشِّعر تُعزى إلى كثرة قائليه الذين كانوا ـ كما أشرنا ـ من المغمورين ، أو عامّة الجند والمحاربين والناس ، فأنشدوا شعرهم في البيت والبيتين والمقطّعات القصيرة أو القصائد .

ونحن عندما نطرح مفهوم المقطّعة نجد اختلافاً في تحديد عدد أبيات المقطَّعة ، يقول ابن رشيق القيرواني (٣٩٠ ـ ٤٥٦هـ) : « وإذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة أبياتٍ غير عيبٍ عند أحدٍ من الناس . . ومن الناس من لا يعدُّ القصيدة إلا ما بلغ العشرة أو جاوزها ولو بيتاً واحداً ، ويستحبّون أن تكون القصيدةُ وتراً وأن يُتَجَاوَز بها العِقْد ، أو توقَّف دونه ، كل ذلك ليدلّوا على قلّة الكلفة ، وإلقاء البال بالشعر ، وزعم الرّواة أن الشعر كله إنّما كان رجزاً وقطعاً وأنَّه إنما قُصِّدَ على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أوّل من قَصَّدَهُ مهلهل ، وامرؤ القيس »(٣) . بينما رأى ابن جِنِّي أن القصيدة هي خمسة عشر بيتاً .

وأيّاً كان مفهوم المقطّعة ، فإنّ شيوعها في الرِّدَّة يُعزى إلى طبيعة الحدث الذي يعايشه الشاعر ، فهو في خضمِّ حربٍ ضروس يريد أن يعبِّر عن انفعال أو شعور أو

---

(١) طبقات الشعراء : ابن سلام ١٠٢ .

(٢) طبقات الشعراء : ابن سلام ١٠٢ .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ٣٥٠ .

مشهد في ذات اللحظة ، فلا مجال للتطويل والإطالة والاستفاضة ، فكانت أفكارهم تصاغ في معظم الأحيان في مقطعات قليلة عدد الأبيات كما في الجدول التالي :

الأبيات المفردة	عددها أربع أبيات
المقطعات ذات البيتين	عددها تسع مقطعات
المقطعات من ثلاثة أبيات	عددها سبع مقطعات
المقطعات من أربعة أبيات	عددها تسع مقطعات
المقطعات من خمسة أبيات	عددها تسع مقطعات
المقطعات من ستة أبيات	عددها عشر مقطعات
القصائد من سبعة أبيات	عددها خمس قصائد
القصائد من ثمانية أبيات	عددها ست قصائد
القصائد من تسعة أبيات	عددها أربع قصائد
قصائد من عشرة أبيات	عددها قصيدة واحدة
قصائد من اثني عشر بيتاً	عددها ثلاث قصائد
قصائد من أربعة عشر بيتاً	عددها أربع قصائد

فكان الوعد والوعيد في مقطّعات قليلة عدد الأبيات ، وكان الفخر في مقطّعات قصيرة ، وكذلك كان الندم في أبياتٍ قليلة ، وكذلك الهجاء والمدح كلها كانت في أبيات قليلة يتناقلها الرّواة بسهولة ويسر ، ففي هذه الأبيات تعبير عن الموقف الذي يدور في فلك ذاتية الشاعر الذي يتحدث عن تجربته المباشرة ، ويبلورها في ارتجالٍ سريعٍ وعاجلٍ في أبيات قصيرة ، أو شطور قليلة تفي بالغرض لأن الانفعال المتصاعد قد أذهله عن تطويل القصيد والاستمرار في النظم ، فكانت غايته هي الاستجابة المباشرة لانفعاله الذي يحرّك قريحته الشعرية ، فها هو ذا الشاعر جندب بن سلمى يوجز ندمه ببيتين يعبّران عن خلاصة تجربته آنذاك من حيث الرِّدَّة والنّدم الشديد على ما فعله :

نـدمـتُ وأيقنـتُ الغَـدَاةَ بـأننـي أتيتُ التي يبقى على المرءِ عارها[1]

شهـدتُ بـأنَّ الله لا شـيءَ غيـره بنـي مـدلـجٍ فـالله ربـي وجـارهـا

وهذا رجلٌ من بني عم الأشعث بن قيس ، يتكلم بلسان القبيلة الرافضة دفع الزكاة ، فيعبِّر عن رأيها ووجهة نظرها ، ويبعثُ تهديداً لزياد بن أبيه والمهاجر بن أمية ومَن وراءهما من المسلمين ، ويعلن التحدي ويوجز كل هذا في مقطعة من أربعة أبيات :

إذا نحـنُ أعطينـا المُصَـدِّقَ سُـؤْلَـهُ فجُـدِّعَ منَّـا كُـلُّ أنـفٍ ومِسْمَـعِ[2]

فـوالله لـو قـالـوا عقـالاً لقلـت لا سبيـلَ إليـهِ لا ولا قِيْـسُ أُصْبَـعِ

فقـل لـزيـادٍ والمهـاجـرِ أوعِـدَا فمـا مثلنـا فـي وعـدِهِ بمـورِّعِ

ومـا مثلنـا يعطي على القَسْرِ مـالَـهُ ونحـنُ ملـوكُ النّـاسِ مـن قبـلِ تُبَّـعِ

والأمر كذلك في المقطوعة الآتية ؛ إذ يَجمَعُ الشاعر في أبياته بين الندم والتحسُّر على ما قدمته يداه ، وتشتمل على الهجاء والشماتة فهي تلخِّصُ موقفه وموقف قبيلته ومصيرها في أحداث الرِّدَّة :

صَـدَّنـا والهَـوَى لَـهُ أسبـابُ عـن هـوانـا طُليحـة الكَـذَّابُ[3]

لبِـسَ العـارَ بـاتِّبـاعِ هـواهُ فـإذا قـولُـهُ اللَّعيـنُ سَـرَابُ

فـأجبنـا إذا دعـانـا سَفَـاهـاً وصَحِبْنـا وللشَّقَـا أصحـاب

يـا عُييـن بـنُ حصـنٍ آلِ عَـدِيٍّ أنتـمُ مـن فَـزَارةٍ أذنـابُ

حسبكَ اليـومَ مـن طليحـةَ مـا حَسْبُـ ـك طـالَ البـلا وقـلَّ العتـابُ

وفي الأبيات التالية ، يخبرنا مُحَكَّم بن الطفيل في مقطعة له عن شجاعته وقوّتِه ، وأنه كثير الطعن والضرب ، لا ينازل إلا الأبطال الشجعان ، ووحدُه من يهزمهم ، ويعلن في نهاية مقطوعته تحدّيه السافر لكل من يتقدّم لمواجهته من

---

(١) انظر ص٢٣٠ .
(٢) انظر ص٣٣٠ .
(٣) انظر ص٣٢٣ .

المسلمين ، يقول :

ربَّ رَخْــوِ النِّجــادِ مُصْطَلَــمِ الكَشْــ ـحَيْــنِ بَــدْرٍ يلــوحُ كــالمِخْــرَاقِ[1]
أبلغْتُــهُ السيــوف لمّــا التقينــا كــان فــي أهلــه عــزيــز الفــراق
مــن يــر المــوتَ غُنمــاً عظيمــاً عنــد وقــتِ الهِيَــاجِ والمِصْــداقِ
ســاقَهُــمْ حتفهــم لميقــاتِ يــومٍ فيــه فــريُ السُّيــوف لــلأَعْنَــاقِ
فــأنــا مُحْكَــمُ فهــل مــن شُجَــاعٍ يَبْــرُزُ اليــومَ للسُّيُــوفِ الــرِّقَــاقِ

ويحرض الأشعث بن قيس ـ في مقطعة له ـ قومه على الثبات والحرب وشحذِ سيوفهم وتحضيرِ رماحهم لخوض الحرب والظفر ، ويذكّرهم بأمجادهم الغابرة في أبيات مليئة بالخطابة والحماسة ، يقول :

لا يهــولنكــم بنــي عَمْــرِو النَّــدى مــدَدَ المَكِّــي إليهِــمُ عِكْــرمــه[2]
فــاستعــدُّوا بــرمَــاحِ شُــرَّعٍ وسُيــوف الهنــد تفــري القَمَمَــهْ
واصبــروا عــن كــلِّ مــا نــابَكُــمُ فعلــى مــالِــكِ تَيْــمٍ وَكَمَــهْ
هــذه نيــرانُ حَــرْبِ أُضْــرِمَــتْ فــاصْطَلَــوا نيــرانَ حَــرْبٍ مُضْــرَمَــهْ
فــافلِقُــوا بــالبِيْــضِ هــامــات العِــدَى فــي الــوغــى حتَّــى تــلاقــي البُهَمَــهْ

وهكذا دواليك ، نقرأ في شعر الرِّدَّة مقطعاتٍ كثيرةً في ظاهرة فنيّة ملفتة للنظر ، وكانت هذه المقطعات القصيرة استجابة لظروف الحرب ودواعيها ، إذ نظمها المحاربون أو المرتدون بعيداً عن التأني والروية ، ليصوّروا بها تلك الأحداث المتَتَابعة السريعة في إيجاز وتقرير ، لينقلوا بها حدثاً أو صورة معركة ، وليعبروا عن لمحة شعورية خاطفة ، فكان أن واكب شعرهم الأحداث بمقطعات قصيرة تغلب عليه ، ولكنها عبّرت عن الوقائع تعبيراً يفي بالغرض في معظم الأحيان .

---

(١) انظر ص٢٤٧ .
(٢) انظر ص٢٧٧ .

٤) الشعراء المجهولون :

قلّما نلحظ أسماء شعراء مشهورين أنشدوا في الرِّدَّة شعراً أو شاركوا في أحداثها ، وربما كان في الطّرف النقيض للحدث أسماء معروفة من الشعراء المسلمين ، أما شعراء الرِّدَّة الذين درسناهم فلاحظنا أنهم غالباً من المغمورين الذين لم يحترفوا الشعر ولم يُعرفوا بنظمه ، فكانوا ممن سمعنا باسمهم لأوّل مرَّة ، أو من عامة الشعب والجند والمحاربين الذين تفاعلوا مع هذه المعركة أو تلك ، أو تأثروا بقتلِ فلانٍ من أصحابهم ، أو انفعلوا لهزيمة قومهم أو انتصارهم . وقد نظم هؤلاء جميعاً شعرهم الذي تناقلته الألسنة دون أن تعير اهتماماً كبيراً لقائل هذا البيت أو ذاك ، لذا نقرأ في كثير من الأحيان : « وقال رجلٌ من بني فلان ، وقالت امرأة من بني فلان . . . » لهذا السبب نفسه نجد خلطاً أو اختلاطاً في نسبة هذا الشعر في الرِّدَّة ، وفي مجمل شعر الحرب في بقية الحقب التاريخية . وفي شعر الرِّدَّة وجدنا أنَّ عدد الشعراء المجهولين كان (اثني عشر شاعراً) من أصل أربعة وأربعين شاعراً وصل إلينا شعرهم في الرِّدَّة .

وإذا أمعنّا النظر في شعر أولئك الشعراء مجهولي الاسم ، سنجد أنه لا يختصُّ بميزةٍ معيَّنَةٍ أو سمةٍ خاصةٍ في الشكل أو المضمون . ويثبت هذا الرأي عندما نتذكر أنَّ بعض الباحثين قد تناولوا موضوع الشعراء المجهولين من منطلق الشكِّ والنحل ، فالأشعار المجهولة القائل لا تعدوا أن تكون ـ برأيهم ـ « قد نحلت نحلاً بفعل عوامل مختلفة منها السياسة والخصومات العصبية وما كان من فعل القُصَّاص »[١] . ونحن كما أسلفنا لم نجد في هذه الأشعار مجهولة القائل إشادة بعصبية محدّدة ، أو تحريضاً على قبيلة معينة ، أو الوقوف في وجهِ جماعة ما وذمِّها ، بل كان هؤلاء الشعراء يعبرون عن انفعالهم وشعورهم إزاء هذه الأحداث بالطريقة ذاتها التي يعبر بها فلانٌ أو فلانٌ من الشعراء . ولم نقتصر أشعارهم على موضوع الرِّدَّة ورفض الزكاة وتحدِّي المسلمين ، بل تناولت أغراض الندم والتَبرُّؤ

---

(١) شعر الفتوح ـ النعمان القاضي ٢٩٣ .

من سوء فعلهم ، كأيِّ شخصٍ مغمورٍ شارك في التعبيرِ عن هذا الحدث أو غيره .
لذا فنحن لا نستطيع لهذا السبب أن « نرفض هذه الأشعار ونقف منها موقف المشَكّكَ فهي تعبِّر عن إحساس شعبي بالمعركة وخطورتها »[1] وفق ميل هذا الشاعر وانتمائه ، ولنستعرض بعضاً من شعرهم لنبيّن أنه كان متعدد الموضوعات والاتجاهات ، كما يقول رجل من أهل دبا يستهزيء بخلافة أبي بكر الصِّدِّيق :

لقــــد أتــــانــــا خَبَــــرٌ رديٌّ[2]
أمســـت قـــريـــشٌ كلُّهـــا نبـــيُّ
ظُلْـــــمٌ لعمـــــرُ الله عبقـــــريُّ

وهذا رجلٌ آخر من بني عمِّ الأشعث بن قيس الكندي يدعو إلى الرِّدَّة ومنع الزكاة :

إذا نحـنُ أعطينـا المُصَـدِّق سُـؤْلَـهُ ... فنحــنُ لــهُ فيمــا يــريــدُ عبيــدُ[3]
أفــي كُــلِّ يــومٍ للمهــاجِــرِ جِبْــوَةٌ ... ولابـــنِ لبيـــدٍ إنّ ذا لشـــدِيـــدُ
فحتّـى متـى نعطـي الإتـاوة معشـراً ... إذا أخـذوا قـالـوا لمعشـرِ عـودوا

وهذا رجلٌ آخر ، يعلو صوته من بين حشود أسرى أسد وغطفان وفزارة نادماً معلناً خطأه وخطأ قومه في اتّباعهم للمرتدين :

صَـــدَّنـــا والهَـــوَى لَـــهُ أسبـــابُ ... عـــن هـــوانـــا طُليحـــة الكَـــذَّابُ[4]
لبِـــسَ العـــارَ بـــاتِّبـــاعِ هـــواهُ ... فـــإذا قـــولُـــهُ اللَّعيـــنُ سَـــرَابُ
فـــأجبنـــا إذا دعـــانـــا سَفَـــاهـــاً ... وصَحِبْنـــا وللشَّقَـــا أصحـــاب
يـــا عُيـــين بـــنُ حصـــنِ آلِ عَـــدِيٍّ ... أنتـــمُ مـــن فَـــزَارةٍ أذنـــابُ
حسبـكَ اليـومَ مـن طليحـةَ مـا حَسْبُـ ... ـــكَ طـــالَ البَـــلاَ وقَـــلَّ العتـــابُ

وربما كان السبب الحقيقي لوجود عددٍ ملحوظٍ من الشعراء المجهولين في

---

(١) شعر الفتوح ٢٩٣ .
(٢) انظر ص٣٢٥ .
(٣) انظر ص٣٣٠ .
(٤) انظر ص٣٢٣ .

أحداث الحرب بخاصة ، طريقةُ انتشار الأبيات وسريانها السريع بين الناس وفي الأمصار ، دون أن توجّه العناية الكافية لقائل هذا البيت أو ذاك ، فكيف إذا كان قائله فرداً من أفراد الناس أو جنديّاً مغموراً!

والشعراء المجهولون يتوزّعون بين خمسة شعراء من قبيلة كندة ، وأربعة شعراء من قبيلة حنيفة ، وشاعر من بكر بن وائل ، وآخر من أهل دبا ، وشاعر من أتباع طليحة بن خويلد الأسدي لم يحدِّد المصدر أهو من أسرى أسد أم غطفان أم فزارة . ونلحظُ أن توزُّع الشعراء بحسب الكثرة تابعٌ لاتّساع ردّة القبيلة وشمولها في بعض الأحيان ، وتابعٌ لحُسْنِ حظِّ هذه القبيلة أو تلك ؛ إذ تناقل الرواة شعر شعرائها بعناية ، أو أهملوا روايته فضاع شعرهم ومات أحدهم دون أن يصل إلينا منه إلا القليل . وهذا القليل كان ذا قيمةٍ إذ أرّخ للحدث ، فاستشهد به المؤرّخون ، وتناقلته ألسنة رواة الأدب والشعر .

رابعاً ـ الأثر الإسلامي في شعر الرِّدَّة :

تأكد لنا من دارستنا لنشوء حركة الرِّدَّة وأسبابها ؛ وما أنتجته من أشعار أن العصبيّة القبليّة التي ما زالت تتمكن من نفوس أولئك المقاتلين فظلّ ارتباطهم بالجاهلية قويّاً جداً ، لا نقصد الجاهلية كدينٍ ومعتقد ، وإنّما نقصد الجاهلية كحرية فردية واستقلالٍ وقبائل متمايزة ومستقلة ؛ إذ ظلت نوازع الحروب القبلية تتحكم بهم وتوجِّههم . فصيحةٌ واحدةٌ باسم القبيلة كانت كفيلة بأن ترجعهم على أعقابهم ليضحوا بكل غال وثمين ، إنّ هذا الارتباط بالجاهليّة لم يكن ليزول بسهولة وبسرعة ، وإنما تطلّب مجاهدة صادقة للنّفس الأمّارة بالسُّوء وإيماناً عميقاً بمبادىء الدين الإسلامي . ولاحظنا أنَّ هذا الجانب من جوانب الرِّدَّة كان الأقوى والأبرز فالعصبيّة كانت سبباً وغايةً ووسيلةً في معظم الأحيان .

وعندما درسنا أغراض هذا الشعر وموضوعاته ، لاحظنا طغيان موضوع الفخر ، الذي لم يسمُ إلى فخرٍ ذي صبغة جماعيّة تذوب فيها النّوازع الفرديّة ويتوحّد بها وجدان المشاركين ، وإنما كان فخراً فرديّاً ببلاء شخصٍ ، أو بمجدِ قبيلة من القبائل تضامنت وتكاتفت ووقفت في وجه المسلمين لإحياءِ مجدٍ غابرٍ

قد سلبته قريشٌ بعد نبوّة محمد ﷺ ، لأن المرتدين لم يستطيعوا كسر ذلك الإطار القبلي والانطلاق إلى الإطار الجماعي الإسلامي الكبير الذي يدعو إليه الإسلام ، فبقي الشاعر في أغلب الأحيان أسير ذلك القيد ، ولم يخلُ الأمر من بعض اللحظات التي يخلو فيها لنفسه وعالمه ، فيفخر بنفسه ، أو قد يلومها ويندم . وفي هذا الفخر قد نلمحُ أثراً حقيقياً وواضحاً لروح إسلاميّةٍ صادقةٍ قد تطغى على كلِّ ما جاء به الشاعر من قبليَّةٍ وعصيانٍ وتمرُّدٍ ، ولا نملك إلا أن نقف متأملين في هذه الظاهرة : شعرٌ جاهليٌ عصبيٌ ، وشعرٌ إسلاميٌ انمحت منه العصبية ، فعاد الفردُ إلى الجماعة المسلمة مندفعاً بكلِّ قوّته في سبيل الانتماء إليها من جديد ومحوِ ما قدمته يداه قبل مدّةٍ وجيزةٍ ، وربّما قبل ساعات قليلة . فطفق الشاعر هنا يرسم صوراً رائعةً للندم الحقيقي والطاعة والإنابة ، بمشاعر صادقة وعبارات إسلامية يتجلى فيها الأثر الديني بدقّةٍ ووضوحٍ تجلى في الاقتباس من القرآن الكريم لفظاً ومعنىً وصوراً ، وهذه المظاهر التي برزت في شعر الرِّدَّة والتي أغفلها كثير من الباحثين كانت سابقةً لشعر الفتوحات الإسلامية الذي نُظم في ظروفٍ مشابهةٍ ، فشعر الرِّدَّة قد تَضمَّن اتجاهين : الأوّل : شعر عصبي جاهلي تماماً أنشده المرتدون ، تقرأ فيه شعراً جاهلياً محضاً من التفاخر بالعصبيات والنعرات القبلية ، يبدو فيه أثر الإسلام طفيفاً في بعض الألفاظ والمعاني الإسلامية ، الثاني : شعر إسلامي حقيقي فيه ندم ومعانٍ إسلامية خالصة ، أنشده المرتدون بعد توبتهم ، وشعر إسلامي أنشده المسلمون الذين تصدّوا للمرتدين ، وهؤلاء المسلمون قام شعرهم بمهمة إذكاء الروح الحربية عند المقاتلين ، فكان سابقاً لشعر الفتوح في الإشادة بالإسلام والمسلمين ، والدّعوة إلى الجهاد ووصف المعارك والتباهي بالانتصار على الأعداء ودحر المشركين ، إلاّ أن شعر الفتوح تميّزَ بوصف المظاهر الجديدة والبلدان التي وفدوا إليها ، وتضمن حنيناً إلى الأهل والوطن ضمن تجديدٍ وابتكار لم نلحظه في الحروب التي سبقته .

وإذا أردنا أن نستعرض الأثر الديني في شعر الرِّدَّة ، سنجد أن أولئك الشعراء استعاروا المعاني والصور الإسلامية حتى عندما كانوا يجابهون المسلمين ويقفون

ضدَّهم ، ويظهر هذا التأثر في بعض صورهم التي اقتُبِسَتْ من القرآن الكريم ، كقول الأشعث بن قيس المرتد يهجو قائد المسلمين المهاجر بن أبي أميّة رضي الله عنه :

لقيتُ المهاجرَ في جمعه ... بعضبٍ حسام رقيقِ الغرر[1]
فَفَرَّ ذليلاً ولم ينثنِ ... فِرار الحمارِ من القَسْوَرِ

فالصورة في البيت الثاني مقتبسة من قوله تعالىٰ : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾[2] .

وفي هجاء مسيلمة الكذّاب لخالد بن الوليد ، نرى أنه يستخدم ألفاظاً إسلامية استُخدمت بكثرة في القرآن الكريم ، ومنها صفات الله عزّ وجل ، وصفاتٌ أخرى كَثُرَ استخدامها لوصف المنافقين والكفّار :

أنا رَسُولٌ وارتضاني الخالِقُ[3]
القابضُ الباسطُ ذاك الرَّازِقُ
يابنَ الوليدِ أنتَ عندي فاسقٌ
وكافرٌ بربِّهِ منافِقُ

فمسيلمة أكثرَ من استعمال المصطلحات الإسلامية كصفات الله وأسمائه الحسنى ، علماً أنه استعمل لفظ الرسول بمدلوله الإسلامي متشبهاً برسول الله ﷺ ، وهو يرى أنَّ خالد بن الوليد هو الذي خرج عن الدين الحقيقي الذي يزعمه مسيلمة .

وكذلك يتّضح الأثر الإسلامي في ألفاظٍ كثيرة (كالصلاة على النبي ﷺ والقِصَاص والزّكاة والصَّدَقة والطّاعة ، والخلافة والقسم . . .) ، ومن هذا قول الحارث بن معاوية داعياً قومه إلى الرِّدَّة ورفض مبايعة الصِّدِّيق :

---

(١) انظر ص٢٦٠ .
(٢) سورة المدثر ـ آية : ٥٠ ـ ٥١ .
(٣) انظر ص٢٥٢ .

كان الرّسُولُ هو المُطَاعُ فقد مَضَى ... صلّى عليه الله لم يستخلِف[1]

هذا مقالُكَ يا زياد فقد أرى ... أنْ قد أتيتَ بقولِ سوءٍ مُخْلَفِ

ومقالنا أنَّ النبيَّ محمداً ... صلّى عليه الله غيرُ مكلَّفِ

تركَ الخلافةَ بعدَهُ لولاتِهِ ... ودعا زيادٌ لامرئٍ لم يُعْرَفِ

فالحارث هنا يُبرز إيمانه بالله وتقديره للرسول ﷺ ، ولكنه يؤكد رفضه أداء الزكاة بالرغم من اقتناعه ببقية أركان الدين ، وبنبوة الرسول ﷺ .

وفي بعض الأحيان كانوا يستخدمون ألفاظاً ذات معنى ديني خاص ، نتذكر فور سماعها آية قرآنية ما . فها هو ذا حارثة بن سُرَاقة يستخدم لفظة (الحِنْثِ باليمين) والتي تذكّرنا بآيتين وردتا في القرآن الكريم ، استُخدمت فيهما هذه اللفظة ، الأولى في قوله تعالىٰ : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2] ، والثانية في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] ، وأبيات حارثة بن سراقة التي أنشدها مصمماً على منع الزَّكاة[4] :

وإنَّ أُناساً يأخذون زكاتكم ... أقلّ وربِّ البيتِ عندي من الذَّرِّ

حلفتُ يميناً غير حِنْثٍ مشوبة ... وإنّي لأهْلٌ أن أوفِّي بها نذري

لأنَّ رسولَ الله أوجبَ طاعةً ... وأولى بما استولى عليهم من الأمْرِ

فهو مؤمن بالله ، مطيع للرسول فقط ، أما خليفته ، فلم ير موجباً لطاعته .

فهذه المعاني الإسلامية وغيرها من الآثار الدينية ، استخدمها الشاعر وأفاد منها . وربما استحضرتها نفسه وذاكرتُهُ عفو الخاطر ، بشكل ناجمٍ عن التأثُّر بالدين الجديد والثقافة الجديدة التي طبقت الآفاق وتحدّثَ عنها كل الأنام . فظهرت في شعر هذا المرتد أو ذاك ممن يدعو إلى حرب المسلمين ، أو الذي يدعو إلى منعِ الزَّكاة ؛ وربما كانا مُسْلِمَيْن قد قرأ القرآن وتأثرا ببلاغته وبيانه . أمّا

(١) انظر ص٢٨٦ .

(٢) سورة ص ـ آية : ٤٤ .

(٣) سورة الواقعة ـ آية : ٤٦ .

(٤) انظر ص٢٨٩ .

المعاني الإسلامية الأعمق والنّابعة عن إيمانٍ وتصديق ، فقد يرسمها الشاعر معبِّراً عن ندمه الشديد وأسفه لما بَدَرَ منه من رِدَّةٍ وعصيان كقول طليحةُ بن خويلد الأسدي في البيات القادمة مصوّراً لنا ندمه الشديد إذ يعلن توبته النصوح ورجوعه إلى الدين رجوعاً حسناً ، ونلحظ في أبياته اقتباساً واضحاً لبعض معاني القرآن الكريم وذلك في قوله[1] :

ندمتُ على ما كان من قتل ثابتٍ ... وعكاشة الغنميِّ والمرءِ معبدِ
وأعظم من هاتين عندي مصيبة ... رجوعي عن الإسلام رأيَ التعمُّدِ
فهل يقبل الصِّدِّيقُ أنِّي مُرَاجعٌ ... ومعطٍ لما أحدثتُ من حَدَثٍ يدي
وأني من بعضِ الضّلالةِ شاهدٌ ... شهادة حقٍّ لستُ فيها بمُلْحِدِ
بأنَّ إله النّاسِ ربِّي وأنني ... ذليلٌ وأنَّ الدينَ دينُ محمَّدِ

فهو يعلنُ توبته وينطقُ بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، في هذين البيتين السابقين صدى لمعاني بعض الآيات الكريمة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3] ، ويقرُّ طليحة بأنه لم يستطيع الفِرار بذنوبه ، فقدرة الله هي المحيطة به في قوله :

وإلا فما بالشام والرّوم مهربٌ ... من الله في يومي يقيناً وفي غدي

وفي ذلك صدى لمعنى الآية الكريمة : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾[4] .

ويتابع طليحة اعترافه بأنَّ ردَّته كانت بسبب النفاق الذي ملأ قلبه ، واستجابت لهمزات الشياطين ووساوسه ، فضلاً عن استعماله لمصطلحات إسلامية خالصة مثل (مشرك ومنافق) بقوله :

---

(١) انظر ص ٢٣٤ .
(٢) سورة المائدة ـ آية : ١١١ .
(٣) سورة آل عمران ـ آية : ٦٤ .
(٤) سورة الجن ـ آية : ١٢ .

وما كنتُ إلا مشركاً ومنافقاً ... ولست بنصراني ولا متهوِّد
ولكن رمى إبليسُ قلبي بفتنةٍ ... ظللتُ بها أشقى وأخلفتُ موعدي

وفي البيتين صدى لمعنى ولفظه قوله تعالىٰ : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾[1] وقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾[2] .

ونلحظ شيئاً من هذا التأثر والاقتباس ، في الأبيات التالية ، إذ يقرِن الشاعر بين (الغيِّ ، والرّشد) وقد وردت هاتان اللفظتان مقترنتين في عدَّة آيات ، في قوله تعالىٰ : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[4] .

وهذا كله نجده في قول الشاعر عمرو بن سَمُرة الحنفي :

رمتنا القبائلُ بالمنكرات ... وما نحنُ إلا كمن قد جَحَد[5]
وكُنَّا أناساً على غِرَّةٍ ... نرى الغيَّ من أمرنا كالرَّشَد
نَدِينُ كما دانَ كذّابنا ... فيا ليتَ والِدَهُ لم يلد

ومن أمثلة التأثُّر بالقرآن الكريم في اقتباس بعض الألفاظ ذات الدلالة الدينية الإسلامية قول عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَاري بعد توبته وندمه :

---

(١) سورة طه ـ آية : ٨٦ .
(٢) سورة التوبة ـ آية : ٧٧ .
(٣) سورة البقرة ـ آية : ٢٥٦ .
(٤) سورة الأعراف ـ آية : ١٢٦ .
(٥) انظر ص٢٤١ .

خفَّ حلمي أطاعني أصحابي | والهوى في طليحة الكذّاب[1]
صرّح الأمر بعد طول شرورٍ | على غرورٍ كمخلفات السحاب
ورمانا بفتنةٍ كلظى النا | ر رجعنا بها على الأعقاب
فلئن كان ما يقول سراباً | وهباء يغرُّ مثل السَّراب

ففي البيت الثاني استخدام معبِّر لكلمة الغَرُور التي وردت في القرآن الكريم بالمعنى ذاته في آيات عدَّةٍ منها قوله تعالىٰ : ﴿ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[2] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ﴾[3] ، وفي البيت الثالث يستخدم لفظة فتنة وصورة النكوص على الأعقاب . وقد وردت هذه العبارة عدة مرات في آياتٍ كريمةٍ تصوّر حالة من يُفتن ويرجع على عقبيه كافراً ، في قوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[4] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[5] ، وفي البيت الرابع يقتبس من القرآن الكريم صورة المنخدعين الذين يظنون أنفسهم قدّموا عملاً صالحاً ، فيجدون أعمالهم سراباً ، كما حدث بالمرتدين الذين صدّقوا أقوال طليحة ، فتبيّن لهم أنها كانت أكاذيب خدعتهم كالسراب ، والصورة وردت في قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[6] ، وفي استخدامه للفظة هباء دلالة على الكذب والخداع كما صوّر تعالىٰ أعمال الكفار في الآية الكريمة : ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾[7] .

---

(١) انظر ص٣٠٨ .
(٢) سورة فاطر ـ آية : ٤٠ .
(٣) سورة الأنعام ـ آية : ١١٢ .
(٤) سورة آل عمران ـ آية : ١٤٩ .
(٥) سورة آل عمران ـ آية : ١٤٤ .
(٦) سورة النور ـ آية : ٣٩ .
(٧) سورة الفرقان ـ آية : ٢٣ .

وقال قرّة بن هبيرة القشيري نادماً :

أردْتَ الفِرار وأين الفرار ... من الله ربِّكَ يا قرّة[1]
قضى الله ربك ذا غالبٌ ... وقدرة ربِّي هي القدرة

ونجد صدى البيت الأول في قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴾[2] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ ﴾[3] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[4] ، أما البيت الثاني فهو اقتباس لمعنى الآيات الكريمة : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[5] ، والآية الكريمة : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾[6] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾[7] .

وهكذا لاحظنا أن شعر الرِّدَّة تضمَّن آثاراً واضحة لثقافة القرآن الكريم التي أعجزت الكفّار قبل المؤمنين ، فكان أن تأثّر به جميع من سمعوا به وقرؤوه . ونلمح هذا بوضوح في شعر المرتدِّين الذين أسلم بعضهم وقرؤوا القرآن ، ثم عادوا عن إسلامهم لدوافع شتَّى ، فبقي هذا الأثر واضحاً في شعرهم الذي أنشدوه مرتدّين ، وتبيّن الأثر الإسلامي بجلاء وروحانية في شعرهم الذي أنشدوه نادمينَ وتائبين فعبّروا عن ندمهم بألم خالصٍ وحسرةٍ على مقارفة الذنب ، وحمد صادق وشكرٍ لله على التوبة والمغفرة . ولا شكَّ في أنَّ هذه التوبة النصوح ثبتت على أرض الواقع بأعمال حسنة قام بها بعض أولئك التائبين من دفاع عن الدين الإسلامي وبلاء في الفتوحات ، فكان أن كفّروا عن سيئاتهم قولاً وفعلاً ، بالعمل على تطبيق تعاليم القرآن السامية والإخلاص للدّين الحنيف .

---

(١) انظر ص٣١٤ .
(٢) سورة الجن ـ آية : ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب ـ آية : ١٦ .
(٤) سورة الذاريات ـ آية : ٥٠ .
(٥) سورة يوسف ـ آية : ٢١ .
(٦) سورة الأحزاب ـ آية : ٢٧ .
(٧) سورة الأحزاب ـ آية : ٣٨ .

القسم الثاني
الديوانُ

ـ رتبنا أسماء الشعراء وفقاً للترتيب الهجائي .

ـ رتبنا القوافي والقصائد تبعاً لحركة الروي المقيَّد أوَّلاً ، ثم المفتوح فالمضموم فالمكسور ، أي من الأضعف إلى الأقوى .

١ ـ شعر الرِّدَّة في عهد الرَّسول ﷺ .

٢ ـ شعر الرِّدَّة في عهد الراشدين .

شعر المرتدين في عهد النبوَّة

ـ ١ ـ

أبو بكر بن شعُوب اللَّيثي

قال أبو بكر بن شَعُوب اللَّيثي راثياً قتلى بدر من المشركين ، ومنكراً عقيدة البعث : (السيرة النبوية ـ ابن هشام ٣/ ٢٩) [من الوافر]

تُحَيَّــى بــالسَّــلامــةِ أُمُّ بَكْــرٍ ... وهـل لـي بعدَ قـومي مـن سلامِ(١)
فمــاذا بــالقليــب قليــبِ بَــدْرٍ ... مــن القَيْنَــاتِ والشَّــرْبِ الكِــرامِ(٢)
ومــاذا بــالقَلِيــبِ قَلِيــبِ بَــدْرٍ ... مــن الشِّيْــزَى تُكَلَّــلُ بــالسَّنــامِ(٣)
وكــم لــكِ بــالطَّــوِيِّ طَــوِيِّ بَــدْرٍ ... مــن الحَــوْمــاتِ والنَّعَــمِ المُسَــامِ(٤)
وكــم لــكِ بــالطَّــوِيِّ طَــوِيِّ بَــدْرٍ ... مــن الغــايــاتِ والــدُّسُــعِ العِظَــامِ(٥)
وأصحــابِ الكَــريــمِ أبــي علــيٍّ ... أخــي الكــاسِ الكــريمــةِ والنِّــدَامِ
وإنَّــكَ لــو رأيــتَ أبــا عَقيــلٍ ... وأصحــاب الثَّنيَّــةِ مــن نَعــامِ(٦)
إذاً لظَلَلْــتَ مــن وجــدٍ عليهــم ... كــأُمِّ السَّقْــبِ جــائلــةِ المَــرَامِ(٧)
يُخَبِّــرُنَــا الــرَّســولُ لَسَــوْفَ نحيــا ... وكيــف لقــاءُ أصــداءٍ وهــامِ(٨)

---

(١) في الإصابة ٧/ ٣٩ :

تُحَيِّــي أم بكــرٍ بــالسَّــلام ... وهــل لــي بعــد قــومـك مــن سَــلامِ

(٢) القليب : البئر . القينات : الجواري . الشَّرب : جماعة القوم الذين يشربون .

(٣) الشيزى : جفان تصنع من خشب ، وإنما أراد أصحابها الذين يطعمون فيها ، السَّنَام : لحم ظهر البعير .

(٤) الطوي : البئر المبنية من الحجارة ، الحومات : ج حومة وهي القطعة من الإبل المُسَام الذي يُرْسَلُ للرعي دون راعٍ .

(٥) الدُّسع : الجفان والموائد والعطايا .

(٦) الثنية : الفرجة بين جبلين ، نعام : موضع .

(٧) السَّقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٨) في الإصابة ٧/ ٣٩ (بأن سنحيا) ، وكذلك في جمهرة أنساب العرب ١٨٢ . الأصداء : جمع صدى ، وهي بقية الميت في قبره ، ويقال : طائر هو ذكر البوم ، الهام : ج هامة وهو=

وفي أنساب الأشراف ١/ ٣٥٨ :

دعينـــي أصطبـــح يــا بكـــرُ إنِّـــي   رأيــتُ المــوتَ نَقَّــبَ عــن هِشَــامِ[1]

وفي نَسَب قريش ٣٠١ :

تَخَيَّـــرَهُ ولـــم يعـــدِل ســـواهُ   ونعـــمَ المـــرءُ مـــن رجـــلٍ تهـــامِ

= طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل إذا قتل فيصيح : اسقوني اسقوني ، فلا يزال يصيح كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئذ يسكت .

(١) الاشتقاق ١٠١ ، نسب قريش ٣٠١ : ذريني أصطبح ، وفيه أن الأبيات قيلت لهشام بن المغيرة ، والبيتان تمثلهما مقيس بن صبابة الكناني قبل خروجه إلى القتال .

- ٢ -

جُنْدُبُ بنُ سُلْمى المُدْلِجِيِّ الشَّنُوقي

قال جُنْدُبُ بن سُلْمى نادماً[١] : [من الطويل]

نـدمـتُ وأيقنـتُ الغـداةَ بـأنَّنـي أتيتُ التي يبقى على المرءِ عارُها
شهـدتُ بـأنَّ الله لا شـيءَ غيـرَهُ بنـي مُـدْلِـجٍ فـاللهُ ربِّـي وجـارُهـا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣١٩ .

- ٣ -

طُلَيْحَة بنُ خُوَيلِد الأَسَدي

قال طُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِد الأَسَدِي يفتخر بقتل الجالينوس[١] : [من الرَّجز]

أنـا ضَـرَبْـتُ الجـالينـوس ضـربـهْ[٢]

حيـثُ جهـادُ الخيـلِ وَسْـطَ الكَبَّـهْ[٣]

---

(١) فتوح البلدان ـ ص٣٦٣ .

(٢) الجالينوس : أحد مرازبة الفرس .

(٣) كَبَّهُ وأَكَبَّهُ : قَلَبَهُ وصَرَعَهُ ، والكَبَّةُ : الرَّميُ في الهُوَّة . والكَبَّةُ : الحَمْلَة في الحرب .

- ٤ -

وقال يحرِّضُ قومه على العصيان ومنع الزكاة : (الرِّدَّة : ٨٧ ـ ٨٨) : [من الطويل]

بَنِي أَسَدٍ لا تُطْعِمُوا صَدَقَاتِكُمْ ... مَعَاشِرَ حَيٍّ من لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ[1]

وحامُوا على أموالِكُمْ بِرِمَاحِكُم ... وبالخَيْلِ تَرْدِي والسُّيُوفِ القَوَاضِبِ[2]

كما كُنْتُمُ بالأمسِ في جَاهِلِيَّةٍ ... تهابُكُمُ الأحياءُ من كلِّ جانبِ

فلم يَظْفَرُوا منكم بِشَيءٍ وكُنْتُمُ ... شَجَاً ناشِبَاً والدَّهْرُ جَمُّ العجائِبِ[3]

فإنْ قامَ بالأمْرِ المُخَوِّفِ قَائمٌ ... مَنَعْنَا حِمانَا أو لَحِقْنَا بمَارَبِ[4]

وخَلَّفْتُمُ الأرضَ الفضاءَ وإنَّني ... أُحَاذِرُ فيما كان جَبَّ الغَوارِبِ[5]

وقِدْماً أَتَتْكُمْ من عُيَيْنَة قَالَةٌ ... وليستْ له فيما يُرِيدُ بِصَاحِبِ[6]

فإنْ تَحْذَرِ الحَرْبَ العَوَانَ فإنَّني ... لِحَرْبِ قريشٍ كُلِّها غيرُ هائبِ[7]

فقولا لهُ صَرِّح وفينا بقيَّةٌ ... ودَعْ يابنَ وثَّابٍ دَبِيبَ العقاربِ[8]

---

(١) يقصد (بمعاشر حي من لؤيّ وغالب) أبي بكر وقريش والمسلمين . وردت في المصدر (لا تطعموا) ولعل ما أثبتناه في المتن أقرب إلى صحة المعنى .

(٢) القواضب : القاطعة .

(٣) الشَّجا : ما اعترَضَ في الحَلْق من عَظْم ونحوِهِ . ونَشَبَ العَظْمُ نَشَباً ونشوباً : لم يَنْفُذ ، ويقصد أنهم كانوا عسيري المنال ، مرهوبين . (راجع اللسان : شَجَو ، نَشَب) .

(٤) مأرب : بلاد الأزد باليمن ، وهي بين حضرموت وصنعاء ، وبينها وبين صنعاء أربعة أيّام .

(٥) الغاربُ : الكاهِلُ ، أو ما بين السَّنَام والعُنقِ ج غوارب . الجَبُّ : القطع . والجَبَبُ : قَطْعُ السَنَام . أو أن يأكُلَه الرَّحْلُ فلا يَكْبُرُ . يُقال : بعيرٌ أَجَبُّ . أي لا سَنَام له . (اللسان : جبب) .

(٦) يقصد عيينة بن حصن الفزاري ، وقد مرَّت ترجمته .

(٧) العَوَان من الحروب : ما قُوتِلَ فيها مَرَّةً .

(٨) دبيب العقارب : كناية عن الشرِّ والأذى . وفي المثل : (دبَّت إلينا عقاربهم : أي شرُّهُمْ ، أذاهم ، المستقصى في أمثال العرب ٢/ ٧٩ ، وجمهرة الأمثال ٢/ ٧٩ .

- ٥ -

وقال ذاكراً معركة القادسية : (فتوح البلدان ٣٦٥) [من الكامل]

طَـرَقـت سُلَيْمـى أَرْحُـلَ الـرَّكَـبِ ... أنَّـى اهتـديـتِ بسبسـبٍ سَهْـبِ[1]

إنـــي كَلِفْـــتُ سُـــلاَمَ بَعْـــدَكُـــمُ ... بـــالغَـــارَةِ الشَّعْـــواءِ والحَـــرْبِ[2]

لـــو كُنْـــتِ يـــومَ القـــادِسِيَّـــةِ إذْ ... نَـــازَلْتُهُـــمُ بمُهَنَّـــدٍ عَضَـــبِ[3]

أبصـــرتِ شِـــدَّاتـــي ومُنْصَـــرَفـــي ... وإقـــامتـــي للطَّعْـــنِ والضَـــرْبِ

---

(١) السَبْسَبْ : المغازة أو الأرض المستوية البعيدة . السَّهْب : الفلاة .

(٢) الشعواء : المتفرقة .

(٣) المهنَّد العضب : السيف القاطع . القادسية : بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، وفيها جرت المعركة الشهيرة سنة (١٦هـ) بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص ، والفرس بقيادة كسرى بن هرمز (معجم البلدان : القادسية) .

- ٦ -

وقال نادماً (الرِّدَّة ١٠٠ ـ ١٠١) : [من الطويل]

نَدِمتُ على ما كان من قَتْلِ ثابتٍ ... وعُكَّاشَةَ الغنميِّ والمرءِ مَعْبَدِ[١]
وأعظَمُ من هاتينِ عندي مُصيبةً ... رُجوعي عن الإسلامِ رأيَ التَّعَمُّدِ
وتَرْكُ بلادي والحَوادِثُ جَمَّةٌ ... طَريداً وقِدْماً كنتُ غَيْرَ مُطَرَّدِ
فهل يقبلُ الصِّدِّيقُ أنِّي مُراجِعٌ ... ومُعْطٍ لِمَا أحدثْتُ من حَدَثٍ يدي[٢]
وأنِّي من بعدِ الضَّلالةِ شاهِدُ ... شهادةَ حَقٍّ لستُ فيها بمُلْحِدِ[٣]
بأنَّ إلهَ النَّاسِ ربِّي وأنَّني ... ذليلٌ وأنَّ الدينَ دينُ مُحَمَّدِ
وإلاّ فَمَا بالشَّامِ والرُّومِ مَهْرَبٌ ... من الله في يومي يَقِيناً وفي غَدِي
وما كُنْتُ إلاّ مُشْرِكاً ومنافِقاً ... ولستُ بنَصْرانِيْ ولا مُتَهَوِّدِ
ولكن رمى إبليسُ قلبي بفتنةٍ ... ظَلِلْتُ بها أَشْقَى وأخلَفْتُ موعِدِي

---

(١) ثابت بن أقرم البَلَوي ، وعُكَّاشة الغنمي ، ومَعْبد بن عَمْرو المَخْزُومِي ، كانوا في طليعة جيش خالد ، فقتلهم طليحة كما مَرَّ سابقاً . انظر ترجمة طليحة ص٥٩ .

(٢) البيت في تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٩ (. . . ومُعْطٍ بما . . .) .

(٣) البيت في المصدر السابق ٢/ ١٢٩ .

- ٧ -

أرسل خالد بن الوليد بِمِخْنِفِ بن السَّليل الهالكي ، وهو مشهورٌ بِسَنِّ السُّيُوفِ ، فقال له المسلمون : دونك طُلَيْحَة ، فسار إليه ، فلمّا صارَ في مُجْتَمَعِهِ ، أرسَلَ إليه طُلَيْحَة فأعطاهُ سيفه ، وكان يُقال له : الحراز فشَحَذَهُ له ، ثم دنا منه ومعه رجالٌ من قومِهِ ، فطبّقَ بالسَّيفِ على هامَتِهِ ونامَ عليه ، فلم يعمل فيه السَّيْفُ ، وخرَّ طُلَيْحَةُ مَغْشِيّاً عليه ، فأخذ قومه مِخْنَفاً وقتلوه ، فلما أن أفاقَ طُلَيْحة ، قال : هذا عمل ضرار وعَوْف ، وشاع الخبر أنَّ السِّلاح لا يحيك في طُلَيحة ، فكانت فتنةً بين الناس ، ثم أنشَدَ هذين البيتين يهدِّدهما : (تاريخ دمشق ٢٥/ ١٥٥) [من الطويل]

وأقسمْتُ لا يلوي بيَ الموتُ حِيْلَةً   وبـاقـي عُمْـرٍ دونَـهُ وسِـرارُ[١]
وأنفَـكُّ عـن عَـوْفِ الخَنَـا وأَرُوْعُـهُ   ويَشْـرَبُ منهـا بـالمُـرَارِ ضَـرَارُ[٢]

---

(١) لا يلوي بي الموت : يُقال للرّجل الشديد : ما يُلوي ظهره ، أي لا يصرعُهُ أحد ، ولعلَّ الشاعر أراد : الموتُ قَدَرٌ مُحَتَّمٌ لا حيلةَ له به . السِّرارُ والسَّرار : الليلة يستسِرُّ فيها القمر ، أي يختفي ، وهي آخر ليلةٍ في الشّهر ، ولعله أراد أن سيعيشُ عمراً طويلاً .

(٢) الخَنَا : الفُحْشِ من القول . الرَّوعة : الفَزْعة . المُرَار : شجرٌ إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشافرها . فكأنَّه قال : سيذوق ضرار بن الأزور الأسدي من مرارة العيش طعم المُرار .

ـ ٨ ـ

مَرَّ طُلَيْحَة وهو في طريقه إلى الشَّام بامرأة من بني أسد ، فنظرت إليه يسفي على عَجَل ، وهَزِئت من روعته ، وكان هذا بعد هزيمتِهِ في بُزَاخة ، فقال مفتخراً بشجاعته : (تاريخ دمشق ١٦٨/٢٥) [من الرَّجَزْ]

أَمَـا تَـرِينـي سَـافِيـاً عَجَّـالا[1]
أَسْفِــي مُخَــاطِبَــاً وَرَدَتْ نَهَــالا
فقـد أَكِــرُّ الــذَّكَــرَ الطِّــوالا[2]
علــى الــرِّجَــالِ تطْــرُدُ الــرِّجَــالا
وقـد صَبَحْـتُ الغَـارَةِ الـرِّئـالا[3]
حتــى رجعنــا نــاعِمِيــنَ بــالا
وقــد تــوَلَّــوا كــاسِفِيــنَ حــالا

(١) سافَ : سَفَا في مِشيته وطَيَرانه : أَسْرَعَ .
(٢) الذَّكَرُ من الحديد : أيبَسُهُ وأشدُّهُ وأجودُهُ . سيفٌ ذو ذكرة : صارم . (اللسان : ذكر) .
(٣) الرِّئال : ولدُ النّعام ج رأل ، وربما يقصد أن الغارة كانت سريعة كسرعة ولد النعام .

قال بعد أنْ قَتَلَ ثابتَ بن أَقْرَمْ وعُكَّاشة الغنمي (السيرة النبوية ٢/ ٦٣٧) :

[من الطويل]

فما ظَنُّكُم بـالقَـوْمِ إذْ تَقْتُلُـونَهُـمْ   أَلَيْسُـوا وإنْ لـم يُسْلِمُـوا بِـرِجَـالِ[١]

فـإنْ تَـكُ أذْوَادٌ أُصِبْـنَ ونِسْـوَةٌ   فلَـنْ تَـذْهَبُـوا فَـرْغـاً بَقْتْـلِ حِبَـالِ[٢]

نَصَبْـتُ لَهُـمُ صَـدْرَ الحَمَـالَـةِ إنَّهَـا   معـاوِدةٌ قِيـلَ الكُمَـاةِ نَـزَالِ[٣]

فيـومـاً تـراهـا فـي الجِـلال مَصُـونَـةً   ويـومـاً تَـرَاهـا غيـرَ ذاتِ جِـلالِ[٤]

عشيَّـةَ غـادرت ابـنَ أَقْـرَمَ ثـاويـاً   وعُكَّـاشـةَ الغَنْمِـيَّ عنـدَ مَجَـالِ[٥]

وفي فتوح البلدان (١٣٣) :

ذكرتُ أخي لمّا عرفتُ وجوههم   وأيقنـتُ أنّـي ثـائـرٌ بحَبَـال

وفي الوحشيات (١١٥) :

ويـومـاً تُضِـيءُ المَشْـرَفِيَّـةُ وَسْطَهَـا   ويَـوْمـاً تَـرَاهـا فـي ظِـلالِ عَـوَالِ[٦]

---

(١) الوحشيات ١١٥ : (إذ تظلمونَهُم . . .) . في الاكتفا ص٥١ (زعمتم أن القوم لن يقتلوكم) ، تاريخ الرِّدَّة ٣٨ ، لسان العرب : حمل .

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٤٥١ ، الاكتفا ص٥١ . تاريخ الرِّدَّة ٣٨ . لسان العرب : حمل (. . . فلن يذهبوا فِرْغاً . . .) ، والأذواد كـ ج ذود ، ثلاثة أَبْعِرَة إلى العشرة ، من الإناث . حَبَال : اسم أخيه ويُقَال : ذهب دمه فَرْغاً : أي هدراً .

(٣) تاريخ الرِّدَّة ٣٨ . لسان العرب : حمل . البداية والنهاية ٩/ ٤٥١ (أقمت لهم . . . معوَّدة . . .) ، نَزَال : اسم فعل أمر بمعنى انزل . الحَمَالة : اسم فرس طليحة بن خويلد (اللسان : حمل) . الكماة : ج كمي : لابس السلاح ، والشجاع الجريء . الجلال : ما تلبسه الدّابة لتُصان . في تاريخ الرِّدَّة : ٣٨ (عدلت لهم . . . معوّدة) . في الاكتفا ص٥١ (عدلت لهم . . معوّدة قتل . .) .

(٤) المصدر السابق ٩/ ٤٥١ (. . . في الجُلال . . . ويوماً تراها في ظلال عوالي) .

(٥) المصدر نفسه ٩/ ٤٥١ (. . . تحتَ مَجَالِ) وكذلك في فتوح البلدان ١٣٣ ، الاكتفا ص٥١ . المَشْرَفية : السيوف المصنوعة في (مشارفِ الشأمِ) وهي قُرَىَ من أرض العرب تدنو من الرِّيف (معجم البلدان) . العوالي : الرِّماح .

(٦) في تاريخ الرِّدَّة ٣٨ ، والاكتفا ص٥١ (فيوماً نقي بالمشرفية حَدَّها) .

- ١٠ -

أُمُّ طُلَيْحَةَ الأسدِيَّة

أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه بالحظائر أن تُبنى ويوقَدَ فيها النار ، ثم أمرَ بالأسرى ، وأُخِذت أمُّ طُلَيْحَة إحدى نساءُ بني أسد ، فعُرِض عليها الإسلام ، فأبت ووثبت واقتحمت النار وهي تقول : (الاكتفا ٥٤) [من الرَّجَزْ]

يـــا مـــوتُ عـــم صَبَـــاحـــا
كـــافتحتُـــهُ كِفَـــاحـــا[١]
إذ لـــم أجِـــدْ بَـــرَاحـــا[٢]

---

(١) كافح : كفح الشيء وأكفحه عنه : رده .

(٢) البرح : الشدة ، والشر . البراح : المتسع من الأرض .

- ١١ -

عَصْمَاءُ بنتُ مَرْوَان

وقالت عصماء بنت مروان تعيب الإسلام وأهله وتحرض عليهما : (السيرة النبوية ابن هشام ٤/ ٦٣٦) [من المتقارب]

بـاسْـتِ بنـي مـالـكٍ والنَّبيـتِ وعَـوْفٍ وبـاسـتِ بنـي الخَـزْرَج[١]
أطعتُـم أتـاوِيَّ مِـنْ غَيْـرِكُـمْ فـلا مِـنْ مُـرَادٍ ولا مَـذْحِـجِ[٢]
تُـرَجُّـوْنَـهُ بعـد قَتْـلِ الـرُّؤوسِ كمـا يُـرْتَجَـى مَـرَقُ المُنْضِـجِ[٣]
ألا أَنِـفٌ يبتغـي غِـرَّةً فيقطَـعَ مـن أمـلِ المُـرْتَجِـي[٤]

---

(١) بنو مالك : بطنٌ من الخزرج من الأزد (نهاية الأرب ٤١٣) .

بنو النَّبِيْت : بطنٌ من الأوس ، من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو النَّبِيت بن عمرو بن مالك بن الأوس (نهاية الأرب ٤١٣) .

بنو عوف : وهم بنو عوف بن عمرو بن الخزرج ، بطن من الأزد القحطانية (نهاية الأرب ٣٨٠) .

بنو الخزرج : هم بنو الخزرج بن حارثة بن عمرو بن ثعلبة : (نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٥٨) .

(٢) الأتاويّ : الغريب ، مُرَاد : بطن من كهلان من القحطانية ، وهم بنو مراد بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان (نهاية الأرب ٤١٧) .

(٣) الرُّؤوس : أكابر القوم .

(٤) الأنِفْ : المُتَرَفِّعْ عن الدَّنايا . الغَرَّة : الغفلة .

- ١٢ -

أبو عَفَك

وقال أبو عَفَك ، بعدَ قتلِ الحارث بن سويد بن الصّامت ، يعيب الإسلام وأهله : (السيرة النبوية ، ابن هشام ٤/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) [من المتقارب]

لقــد عِشْــتُ دَهْــراً ومــا إن أرى مــن النّــاس داراً ولا مَجْمَعــا
أَبَــرَّ عهــوداً وأوفــى لِمَــنْ يُعــاقِــدُ فيهِــمْ إذا مــا دعــا
مِــنَ اولادِ قَيْلَــةَ فــي جَمْعِهِــمْ يَهُــدُّ الجِبَــالَ ولــم يَخْضَعَــا[١]
فَصَــدَّعَهُــمْ راكِــبٌ جــاءَهــم حَــلالٌ حَــرَامٌ لِشَتَّــى معــا[٢]
فلــو أنَّ بــالعِــزِّ صَــدَّقْتُــمُ أو المُلْــكِ تــابعتُــمُ تُبَّعَــا[٣]

---

(١) قَيْلة : امرأةٌ تُنْسَبُ إليها الأوس والخزرج ، يَخضَعا : أي لم يَخضَعَنَ بالنون الخفيفة ، فلما أوقف عليها أبدل منها ألفاً . والأبيات في البداية والنهاية ٨/ ١٨ ـ ١٩ .

(٢) صَدَّع : فَرَّق .

(٣) تُبَّع : ملكٌ مشهورٌ من ملوك اليمن . وقد تنازع هذه الأبيات مع الشاعر علي بن هوذة الحنفي ، ونعتقد أن الأبيات لعمرو بن سمرة . انظر ص١٥٧ .

ـ ١٣ ـ

عَمْرُو بنُ سَمُرة الحَنفِي

*** الشعر المتنازع عليه :**

وقال عَمْرو بن سَمُرة الحنفي ، يذكر من ارتدّ من قبائل العرب ، ويدافع عن بني حنيفة : (الرِّدَّة ١٤٣ ـ ١٤٤) : [من المتقارب]

رمتنـا القبـائـل بـالمنكـرات ... ومـا نحـنُ إلا كمـن قـد جَحَـد[١]
ولسنـا بـأكفـرَ مـن عـامـرٍ ... ولا غَطَفَـانَ ولا مـن أسـد
ولا مـن سُلَيْـمٍ وسـاداتِهَـا ... ولا من تميـمٍ وأهـل الجَنَـد[٢]
ولا ذي الخِمـارِ ولا قـومِـه ... ولا الأشعـث اليـومَ لـولا النَّكَـد[٣]
ولا مـن عَـرانيـنَ مـن وائـلٍ ... تَسُـوقُ المُحَـرِّقَ سَـوْقَ النَّقَـد[٤]
وكُنَّـا أُنَـاسـاً علـى شُبْهَـةٍ ... تـرى الغَـيَّ لا شَـك مثـلَ الـرَّشَـدْ
نَـديـنُ بمـا دانَ كَـذَّابنـا ... فيـا ليـتَ والـده لـم يَلِـدْ
تَمَنَّـى النبـوَّةَ فـي شِـرْكِـه ... ومـا قـالهـا قبلَـهُ مـن أَحَـدْ
فلمَّـا أنـاخَ بنـا خـالـدٌ ... جَهَـدنـا لـدى الحـربِ فيمـن جَهَـدْ
فصـالحَنـا بعـدَ حَـرِّ القِتـالِ ... علـى مـا أرادَ ومـا لـم نُـرِد[٥]
خـرجنـا إليـه بـأمـوالنـا ... ورُبْـعِ النِّسـاءِ وثُلْـثِ النَّقَـدْ
علـى الصِّغْـرِ مِنَّـا بـلا مِـرْيَـةٍ ... فَقَلَّـدنـا عـارهـا فـي الأبَـدْ[٦]

---

(١) الأبيات السبعة الأولى في معجم البلدان : (الجَنَدْ) .
(٢) في معجم البلدان (ولا من سُليم وألفافها) . الجَنَد : بلدةٌ باليمن .
(٣) في معجم البلدان : (أشعث العُرب) .
(٤) في معجم البلدان : (بسوقِ النّجير وسوق النَقَد) . والنَقَد : جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه .
(٥) في البيت سناد التوجيه .
(٦) بلا مرية : بلا شك .

- ١٤ -

عَلِيّ بنُ هَوْذَةَ بنِ عليٍّ الحَنَفِيّ

* الشعر المتنازع عليه :

قال عليّ بنُ هَوْذَةَ الحنفي بعد قتل مُسَيْلِمة الكذّاب عندما سمعَ الناس يعيِّرون بني حنيفة بالرِّدَّة فقال يذكر من ارتدَّ من العرب غير بني حنيفة : (معجم البلدان : الجَنَدُ) [من المتقارب]

رمَتْنــا القَبــائِــلُ بــالمُنْكَــراتِ ... ومــا نحــنُ إلا كَمَــنْ قــد جَحَــدْ
ولَسْنــا بــأكْفَــرَ مِــن عــامــرٍ ... ولا غَطَفَــانَ ولا مــــنْ أسَــــدْ
ولا مــن سُليــم وألفــافِهَــا ... ولا مــن تميــمٍ وأَهْــلِ الجَنَــدْ(١)
ولا ذي الخِمَــارِ ولا قَــوْمِــهِ ... ولا أَشْعَــثِ العُــربِ لــولا النَّكَــدْ(٢)
ولا مــن عَــرَانِيْــنَ مِــنْ وائــلٍ ... بسُــوقِ النُّجَيــرِ وســوقِ النَّقَــدْ(٣)
وكُنَّــا أُنَــاســاً ، علــى غِــرَّةٍ ... نــرى الغَــيَّ مــن أَمْــرِنَـا كـالـرَّشَـدْ
نَــدِيْــنُ كمــا دان كَــذَّابُنــا ... فيــا ليــت والِــدَهُ لــم يَلِــدْ!(٤)

---

(١) الجَنَدْ : من المدن البحرية باليمن ، والجَنَدُ من أرش السكاسك .

(٢) يقصد بذي الخِمَار : الأسود العَنْسِي . الأشعث : الأشْعَثَ بن قَيْس .

(٣) العرْنين : الأنف ، ويقصد بالعرانين : رؤوس القبائل .

النُّجير : حصنٌ باليمن قرب حضرموت لجأ إليه أهل الرِّدَّة مع الأشعث بن قيس ، فحاصره زياد بن لبيد وافتتحه . (معجم البلدان) .

النَّقَد : اسم موضع .

(٤) في البيت أحد عيوب القافية (سناد التوجيه) ويمكن أن تُضبط الكلمة : لم يُلَدْ ، فيزول السِّناد .

ـ ١٥ ـ

عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِب الزُّبَيْدِيّ

وقال عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِب يهجو قَيْس بن المَكْشُوحِ ويُعَيِّرُهُ غَدْرَهُ بالأبناء وقَتْلَهُ داذَوَيه : (الديوان ٨٥) [من الطويل]

غَدَرْتَ ولم تُحسِن وفاءً ولم يكُنْ   لِيَحْتَمِلَ الأسبابَ إلاّ المُعَوَّدُ
وكيفَ لقَيْسٍ أن يُنَوِّطَ نَفْسَهُ   إذا ما جَرَى والمَضْرَحِيُّ المُسَوَّدُ[1]

(١) يُنَوِّط نَفْسَهُ : يُكَرِّمُها . المَضْرَحِيّ : السيِّد الكريم .

- ١٦ -

وقال يهجو قيساً ويعيِّرُهُ غدرَهُ بالأبناء[١] : (الديوان ١١٤) [من الوافر]

سَبَى الأطفالَ واجتَرَّ النّواصي ... من الأبطالِ وانتسَفَ الدِّيارا[٢]

فلم يقتُلْهُ مُسْتَلِماً مُفيقاً ... ولكن بعدما شَرِبَ العقارا[٣]

فما إن داذَوَي لكُمُ بفَخْرٍ ... ولكنْ داذَوَي فَضَحَ الذِّمارا[٤]

وفيروزٌ غداةَ أصابَ فيكُمْ ... وأضربَ في جُموعِكُمُ استجارا

---

(١) وللقصيدة بقية في الديوان لكنها تذكر قتال القادسية .

(٢) سبى الأطفال واجتر النواصي : دلالة على خوض الحرب الطاحنة ، وهو يهجو قيس بن المكشوح والناصية والنّاصاة : قصاص الشعر ، وقصُّ الناصية دلالة على الاستعداد للحرب .

(٣) يقصد الأسود العنسي الذي قُتِلَ وهو سكران .

(٤) يتحدث في الأبيات عن فَيْروز الدَّيلمي وداذَوَيْه وهما من الأبناء الذين كانوا عمال الرسول ﷺ في اليمن ، وقد أسهما مع قيس بن المَكْشُوح في قتل الأَسْوَدِ العَنْسِي بأمر من الرسول ﷺ .

- ١٧ -

وقال يهجو فَرْوَةَ بن مُسَيْك المُرَادِيّ ، عندما فارقه مُرْتَدّاً : (ديوانه ١٢٣)

[من الوافر]

وجَـدْنـا ملـك فَـروةَ شَـرَّ مُلْـكٍ حمـارٌ سـاف مَنْخَـرَهُ بِقَـذْرِ[1]
وإِنَّـك لـو رأيـتَ أبـا عُمَيْـرٍ مـلأتَ يـديـكَ مـن غَـدْرٍ وخَتْـرِ[2]

---

(١) سافَ : شَمَّ . قَذْر : القذارة .

(٢) الخَتْر : أقبح الغَدْر .

- ١٨ -

مُحَكَّمُ بنُ الطُّفَيْلِ الحَنَفِي

قال مُحَكَم بنُ الطُّفَيْلِ الحنفي بعد أن حَرَضَ قومَهُ على قتال المسلمين متحدياً خالد بن الوليد : (الرِّدَّة ١١٥) [من المتقارب]

أيـابـنَ الـوليـدِ ويـا خـالـدُ ويـا أيُّهَـا الأَسَـدُ الـلاّبِـدُ[(١)]
لَـرُبَّ أُنَـاسٍ قـد أفنيتَهُـم وأنـتَ إلـى مِثْلِهـا عـائِـدُ
ورُبَّ أُنَـاسٍ لهـم سَـوْرَةٌ قصَـدْتَ وأنـتَ لهم عـائِـدُ[(٢)]
فـأنـتَ تَـدُلُّ علـى حَـرْبِـهِ وأنـتَ على فِعْلِهِـمْ حـاقِـدُ
وأمَّـا اليمـامـةُ فـاشـددْ لهـا حَيـازِمَـكَ اليـومَ يـا خـالـدُ[(٣)]
ستلقـى اليمـامـةَ مَمْنُـوعَـةً بِصُـمِّ القَنَـا عِـزُّهـا تَـالِـدُ[(٤)]
وبيـضِ السُّيُـوفِ بـأيـدي الـرِّجـا لِ يَحِـنُّ لهـا الكـفُّ والسَّـاعِـدُ
وهـامٍ يطيـرُ بـأقْفَـائِهَـا وشَـدُّ عليـك لهـم واحِـدُ
فـإن تَلْقَهُـمْ تَلْقَهُـمْ مَعْشَـراً متـى ينـزلـوا بـكَ يَسْتَـأْسِـدُوا[(٥)]
إذا مـا قَضَـى القـومُ حَـقَّ الـرِّمـاحِ وقـالـوا الطِّعـانَ بهـا جَـالـدوا[(٦)]
فـإن أنـتَ قـارَبْتَهُـمْ قـارَبُـوا وإنْ أنـتَ بـاعَـدْتَهُـمْ بـاعَـدُوا[(٧)]
بـه يـأمَـنُ القـومُ أمـوالَهُـمْ كمـا أمِـنَ الجَـدُّ والـوالِـدُ

---

(١) تحذف ألف ابن بعد أداة النداء يا ، وقد وردت في المصدر (أيا ابن . . .) .

(٢) السَّوْرَة من السلطان : سطْوَتُهُ واعتداؤه . في البيت إيطاء .

(٣) كناية عن التهيُّؤ والاستعداد للحرب . والحيازم : ج حزيم ، وهو موضع الحزام من الصدر والظهر . اليمامة : مدينة متصلة بأرض عُمان من جهة المغرب مع الشمال (الروض المعطار ٦١٩) .

(٤) القنا : الرّماح . التّالد والتِّلاد والتّليد : ما وُلد عندك من مالك أو نُتِجَ .

(٥) في البيت سناد الإشباع .

(٦) في البيت سناد الإشباع .

(٧) في البيت سناد الإشباع .

- ١٩ -

وقال أيضاً محرِّضاً قومَهُ على القتال (الرِّدَّة ١٢٦ ـ ١٢٧) : [من الخفيف]

رب رخــو النجــاد مصطلــم الكشـ ـحَيْــن بَــدْرٍ يلــوحُ كــالمِخْــرَاقِ[1]
أبلغتــــه الهيـــاج لمـــا التقينـــا مــن كــانَ فــي أهلِــه عــزيــزَ الفِــراقِ
مــن يــر الغنــم مــوتــاً عظيمــاً عنــدَ وقــتِ الهِيَــاجِ والمِصْــدَاقِ[2]
ســاقهــم حتفهــم لميقــات يــوم فيــهِ فَــرْيُ السُّيُــوفِ لــلأعْنَــاقِ[3]
فــأنــا محكــم فهــل مــن شجــاع يَبْــرُزُ اليــومَ للسُّيــوفِ الــرِّقــاقِ

---

(١) النِّجاد : حمائل السيف ، وطويل النِّجاد : كناية عن طول القامة . الكَشْحُ : ما بين الخاصِرة إلى الضِّلعِ الخَلْف . الصَّلْمُ : القطْعُ أو قطْعُ الأذن والأنف من أصلهما . اصطلمه : استأصله . (القاموس المحيط : نَجَدَ ، كَشَحَ ، صَلَمَ) . المِخْرَاق : ثور الوحش وهو أبيض ، ولذيك شبه به فقال : بدر كالمِخْراق . والمِخْراق أيضاً : الرجل الحسن الجسم (الرِّدَّة ١٢٦) .

(٢) الشطر الأول مختل الوزن .

(٣) فراه يفريه : شقّه وقطعه . الأبيات في الاكتفا ٨٥٦ ـ ٨٦

وقال عندما سمع باقتراب جيوش خالد بن الوليد لحرب المرتدِّين فبات يتلوّى في فراشه ، وهو يردِّدُ هذه الأبيات : (تاريخ الرِّدَّة ٦٦) [من الوافر]

أرى الـرُّكْبَـانَ تُخْبـرُ مـا كـرهنَـا … أكُـلُّ الـرَّكـبِ يكـذِبُ مـا يقـولُ
ألا أنْ ليـسَ كُلُّهُـمُ كَـذُوبـاً … وقـد كَـذَبُـوا وكـذبُهُـمُ قليـلُ
وقـد صـدقـوا لَهُـمْ مِنَّـا ومنهـم … لنـا - إنْ حـاربـوا - يـومٌ طـويـلُ
فقـل لابـنِ الـوليـدِ وللمنـايـا … علـى السَّـراءِ والضـرَّا دليـلُ
أيقطـعُ بيننـا حبـلا وصـالٍ … وليـسَ إليهمـا أبـداً سبيـلُ
وما في الحربِ أعظَمُ من جريحٍ … وعَـانٍ خَـرَّ بينهمـا قتيـلُ[1]

---

(١) عانٍ : أسير .

- ٢١ -

*** ما نُسِبَ له وهو لغيره :**

وفي كتاب الرِّدَّة (١٣٥) ، أشطرٌ من الرجز نُسِبَت لمُحَكَّم بن الطُّفَيْل[١] :

[مشطور الرجز]

لبئـــس مـــا أوردنـــا مسيلمـــهْ
أبقـــى لنـــا مـــن بعـــدِنـــا أُغَيْلِمَـــهْ
ونِسْـــوةً جَـــرَا لهـــم منينمـــهْ
واشتمـــاً رمـــالهـــا أمينمـــهْ

---

(١) نسبت الأبيات في الرِّدَّة ١٣٥ هامش الصفحة إلى محكم بن الطُّفيل الحنفي ، ولا يُعقل أن يكون صاحبها لأنه قُتِلَ في مرحلة سابقة من المعركة مع المسلمين وهو موالٍ لمسيلمة ومؤازرٌ له وغير نادم ، بل كان مصمماً على قتال المسلمين فقاتل حتى قتل كما ورد في ترجمته . والأبيات لرجل لم تذكر المصادر اسمه .

ـ ٢٢ ـ

مُسَيْلِمَة الكذَّاب

قال مُسَيْلِمَة بن حَبِيب الكَذَّاب قبيل ادّعائه النبوَّة : (البداية والنهاية ٩/ ٥٠٨)

[من المتقارب]

خُـــذِي الـــدَّفَّ يـــا هـــذه والعبـــي ... وثُبِّـــي محـــاسِـــنَ هـــذا النَّبِـــي

تـــولَّـــى بَنِـــي هـــاشِـــمٍ ... وقـــامَ نَبِـــيُّ بنـــي يَعْـــرُبِ

- ٢٣ -

وقال في سَجَاح المُتَنَبِّئَة (تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٣) : [من الهزج]

ألاَ قُـــومـــي إلـــى ال. . . . فقـــد هُيِّـــىءَ لـــك المَضْجَـــعْ[1]

وإن شئـــتِ ففـــي البيـــت وإن شئـــتِ ففـــي المَخْـــدع

وإن شئـــــتِ سلقنـــــاكِ وإن شئـــت علـــى أربـــعْ[2]

وإن شئـــــتِ بِثلثَيْـــــهِ وإن شئـــتِ بـــهِ أجمَـــعْ[3]

---

(١) في الرِّدَّة ١١٢ : (إلى المَخْدَع . . . فقد هُيِّىء . . .) وفي البيت ألفاظ نابية أنفنا عن ذكرها في مقامنا هذا .

(٢) سَلَقَيْتُهُ سِلْقاءً : ألقَيْتُهُ على ظَهْرِهِ فاستلقى .

(٣) في الرِّدَّة ١١٢ : (وإن شئتِ بتثليث . . .) .

- ٢٤ -

وقال الكذاب في أثناء معركة اليمامة (الرِّدَّة : ١٢٩) [من مشطور الرَّجز]

أنــا رَسُــولٌ وارتَضَــانِـي الخَــالِـقُ
القَــابِـضُ البَــاسِــطُ ذاكَ الــرَّازِقُ
يــابــنَ الــوَلِيْـدِ أنْـتَ عِنْـدِي فــاسِـقُ
وكـــافِـــرٌ بـــربِّـــهِ مُنَــافِـــقُ

- ٢٥ -

وقال يدعو قومه إلى الصبر في القتال قبيل نهاية معركة اليمامة (أمّا الدينَ فلا دينَ لكم ، ولكن قاتِلُوا عن أحسابِكُم ، أتظنّون أنَّا إنما كُنَّا نقاتِلُ إلى السَّاعة ونحن على الحَقِّ وهُمْ على الباطل ، إنه لو كان على ما تظنون إذن لما قُهِرْنا ، ولا فَلَّ أحدٌ جمعنا ، وجعل مُسَيْلِمَة يرْتَجِزُ ويقول : (الرِّدَّة : ١٣٤ - ١٣٥) [من مشطور الرَّجز]

فلـو علـى الحَـقِّ صَبَـرنـا صَبْـرَنـا
وعـانَـدَ القَـومُ فكـانـوا مِثْلَنـا
وكـانَ فـي حَـقٍّ يجـوزُ أمْـرُنَـا
مـا فَـلَّ خَلْـقٌ فـي الأنَـامِ جَمْعَنـا

ـ ٢٦ ـ
مِقْيَسُ بنُ ضُبَابَةَ الكِنَانِيِّ

قال مِقْيَسُ بنُ ضُبَابة الكناني يوم الفتح إذ خرج لقتال المسلمين مُدَجَّجاً (أنساب الأشراف ١/ ٣٥٩) [من الكامل]

دُوْنَ دُخُـــوْلِ مُحَمَّـــدٍ إيّـــاهـــا   ضَـرْبٌ كَـأَفْـوَاهِ المَـزَادِ (أراهـا)[1]

---

(١) ورد البيت في المصدر كما يلي :

دون دخـــــول مُحمَّـــــدٍ أتـــــا   هـا ضَـرْبٌ كـأفـواهِ المـزادِ (كـذا)

نعتقد أنَّ ما أثبتنا في المتنِ ربما يصحح رواية المصدر .

انظر المغازي ٢/ ٨٢٧ وإمتاع الأسماع ١/ ٣٨٠ ، وفيها قولٌ لابن خَطَل (وهو أحد الذين أهدر رسول الله ﷺ دمه يوم فتح مكة) وقوله هذا : أما والله لا يدخلها محمد ﷺ ، حتى تَرَيْنَ (يخاطب بنات سعيد بن العاص) ضرباً كأفواه المزاد ، وربما كان شعر مِقْيَس من وحي هذا القول .

إيّاها : يقصد مكة المكرّمة .

المزاد : المزادَة : الرواية ؛ وتكون من جلدين وضع بينهما جلدٌ ثالث لتتسع ، والجمع المَزَادُ والمزايدُ ، والمَزاد : هي الفردة التي يحتقبها الراكب برجله ولا عزلاء لها (لسان العرب : زيد) .

- ٢٧ -

وقال مِقْيَس بن صُبابة الكناني عندما ارتدَّ ولَحِقَ بمَكَّة (السيرة النبوية ٣/ ٢٩٣) : [من الطويل]

شَفَى النَّفسَ أنْ قَدْ مات بالقَاعِ مُسْنَدَاً ... تُضَـرِّجُ ثَـوْبَيْـهِ دِمـاءُ الأَخَـادِعِ[1]

وكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ من قَبْلِ قَتْلِهِ ... تُلِـمُّ فَتَحْمِيْنـي وِطَـاءَ المَضـاجِـعِ[2]

حَلَلْتُ بهِ وِتْرِي ، وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتي ... وكُنْـتُ إلـى الأَوْثَـانِ أوَّلَ راجِـعِ[3]

ثـأَرْتُ بـه فِهْـراً وحَمَّلْـتُ عَقْلَـهُ ... سَـرَاةَ بنـي النَّجَّـارِ أرْبـابَ فـارِعِ[4]

---

(١) الأخْدَع عِرْقٌ في المَحْجَمَتَيْنِ ، وهو من شعبة الوريد ج أخادع .

الكامل في التاريخ ٢/ ١٩٤ ، البيت في تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٩ (. . . قد بات) ، وكذلك في البداية والنهاية ٦/ ١٨٤ (قد بات . . . يُضَرِّج . . .) ، وفي أنساب الشراف ١/ ٣٥٨ ومعجم البلدان (القاع) ، والقاع : في المدينة بقرب بئر غَدَق ، وقاعٌ : منزل بطريق مكّة بعد العقبة لمن يتوجه إلى مكّة تدّعيه أسد وطيىء .

(٢) وطاء المضاجع : اللَّيِّنات منها .

تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٩ ، البداية والنهاية ٦/ ١٨٤ . معجم البلدان : القاع . الكامل في التاريخ ٢/ ١٩٤ .

(٣) الوِتر والثُؤرة : الثأر .

تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٩ . البداية والنهاية ٦/ ١٨٤ . معجم البلدان : (القاع) . أنساب الأشراف ١/ ٣٥٩ .

(٤) العَقْل : الدِّيَة . سراة بني النجار : خِيَارُهم ، فارع : حِصْنٌ لهم .

تاريخ الطبري ٢/ ٦٠٩ . البداية والنهاية ٦/ ١٨٤ . وفي معجم البلدان : (قاع) ، وأنساب الأشراف ١/ ٣٥٩ (. . . قَهْراً . . .) .

لم يذكرُ المصدر مناسبة الأبيات ويبدو أنها في وصف معركةٍ ما يفتخر فيها ببلاء قومه .

ـ ٢٨ ـ

وقال : (الحماسة الشجرية ١/ ١٥٣) [من الوافر]

صَبَحْنَـاهُـمْ بِـأَرْعَـنَ مُشْمَخِـرٍ ... يَكَـادُ يُـزِيـلُ أركـانَ الجِبـالِ[١]
فَـوَلَّـوا والـرِّمـاحُ لهـا صَـرِيْـفٌ ... بـأَيْـدِي القَـوْمِ فـي قَصَـرِ الـرِّحـالِ[٢]
وَقَـدْ عَلِمَـتْ سُعـادُ بِـأَنَّ قَـوْمِـي ... هُـمُ أهْـلُ التَّكَـرُّمِ والفَعَـالِ
وأَنَّهُـمُ إذا مـا الحَـرْبُ شُبَّـت ... تَسَـاعَـوْا نَحْـوَهـا مِثْـلَ السَّعـالِـي[٣]

(١) الأرعن : الجيش . المُشْمَخِرُّ : الجبل العالي والمرتفع .
(٢) صَرِيفُ الرِّماح : صوتها . القَصَر : ج قَصَرة : أصل العنق إذا غلظت .
(٣) السِّعْلاء والسِّعلاة : الغُولُ أو ساحرة الجن .

لم يذكرُ المصدر ما هي مناسبة الأبيات . ويبدو من المعنى أنها في وصف معركةٍ ما يفتخر فيها ببلاء قومه .

وقال (الحماسة الشجرية ١/ ١١١) [من الوافر]

ألا أبلــغ طــوائــف آل بكــرٍ … وَعِبْــدَ اللهِ إِذْ نَــزَلُــوا الشَّــآمــا

بمــا لاقــت ســراة بنــي قصــيٍّ … غـداةَ الشِّعْـبِ إِذ كَـرِهـوا الـزِّحـامـا

نســوقهــم ببيــض الهنــد ســوقــاً … يُصَــدِّعْــنَ الجَمَــاجِـمَ والعِظَـامَـا(١)

كــأنَّ رعيلهــم فــي كــل وادٍ … نَعَــامٌ جــافِــلٌ يَبْغِــي نَعــامــا(٢)

---

(١) بيضُ الهند : السيوف المصنوعة من الهند .

(٢) الرعيل : القِطعة من الخيل . جَفَل : أسْرَعَ وذَهَبَ في الأرض . وقد ضُرِب المثل بهذا المعنى بقيل : أجفل من نعامة ، انظر جمهرة الأمثال للزمخشريّ ١/ ٣٩٧ .

وقال بعد رِدَّته وقتله الرَّجلَ المسلمَ (معجم الشعراء ٤٣٥) : [من البسيط]

أَبْلِغْ قُـرَيشـاً بنـي فِهْـرٍ مغلغلـةً إنّ الضغـائِـنَ ينفـي رَنْقَهـا اللَّحَـمُ[1]

وفي سيرة ابن هشام (٣/ ٢٩٤) :

جَلَّلْتُـهُ ضَـرْبـةً بـاءَتْ لَهَـا وَشَـلٌ مِنْ ناقعِ الجَوْفِ يَعْلُوهُ ويَنْصَرِمُ[2]

فَقُلْـتُ والمَـوْتُ تَغْشَـاهُ أسِـرَّتُـهُ لا تـأمَنَـنَّ بَنِـي بَكْـرٍ إذا ظُلِمُـوا[3]

---

(١) الرنَق : الكدر .

(٢) جلّلْتُهُ ضربة : علوته . باءت : أخذت بالثأر . الوَشَل : القَطْرُ . ناقِعُ الجوف : الدم . ينصرم : ينقطع . والبيت في تاريخ الطبري (٢/ ٦٠٩) .

(٣) أسِرَّته : التكسر الذي يكون في جلد الوجه والجبهة ، ويقصد بها علامات الضربة التي وجهها إليه ، تاريخ الطبري (٢/ ٦٠٩) ، والبيت في معجم الشعراء (٤٣٥) :

أقـولُ والمـوتُ يغشـاهـم سمـادِرُهُ لا تَـأْمَنَـنَّ بنـي بَكْـرٍ إذا ظُلمـوا

السَّمادر : ما يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السُّكرِ من الشراب ، وغَشِي النُّعَاس ، والدُّوار .

وقال الكناني في الخمر ، وكان ممن حرّموا الخمر على أنفسهم في الجاهلية : (معجم الشعراء ٤٣٤ ـ ٤٣٥) [من الوافر]

رأيتُ الخمرَ طيِّبَةً وفيها خِصَالٌ كُلُّها دَنِسٌ ذَمِيْمُ
فلا واللهِ أشرَبُها حياتي طَوالَ الدَّهرِ ما طَلَعَ النُّجُومُ
سأتركها وأتركُ ما سواها من اللَّذَّاتِ ما أرسى يَسُومُ[1]
إذا كانت مليكة من هوائي أحالِفُها تُخَالِفُني الهمومُ[2]

---

(١) يَسُومُ : اسم جبل في بلاد هذيل ، وجبل قرب مكة (معجم البلدان) .
(٢) البيت في المُحَبَّر ٢٤٠ . وقد روي (أخالفها ومَخَالفني) ولعلّ الصواب ما أثبتنا في المتن .

ـ ٣٢ ـ

رجل من بني حنيفة

وقال رجُلٌ من بني حنيفة ، في وقعة ذي دُورَان[١] ، وفيها انتصر مسيلمة على المسلمين (معجم البلدان : دُوْرَان) [من الوافر]

أَلـم تَـرَنـا علـى عَهْـدٍ أتـانـا   بمَلْهَـمَ والخطـوبُ لهـا انتهـاءُ[٢]
فَشُـلَّ الجمـعُ ، جمـع أبـي فَصِيْـلٍ   بـذي دُوْرَان إذ كُـرِهَ اللقـاءُ[٣]

(١) ذِي دُوْرَان : بأرضِ مَلْهَم من أرض اليمامة ، كانت به وقعة في أيام أبي بكر رضي الله عنه بين ثُمامة ابن أثال ومسيلمة الكذّاب ، كانت لمسيلمة على المسلمين .

(٢) الخطوب : المصائب .

(٣) وردت في الأصل (أبي فُضَيْل) ، ويقصدون به أبا بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه والأرجح ما أثبتناه في المتن .

- ٣٣ -

امرأة من بني حنيفة

قالت امرأة من بني حنيفة : (الرِّدَّة : ١٣٩) [من المتقارب]

مُسَيْلَمَ لم يَبْقَ إلاّ النِسَاءُ سَبَايا لِذِي الخُفِّ والحافِرِ(١)
وَطِفْلٌ تُرَشِّحُهُ أُمُّهُ صَغِيْرٌ مَتَى يُدْعَ يَسْتَأْخِرِ(٢)
فَأَمَّا الرِّجَالُ فَأَوْرَدْتَهُمْ حَوادِثَ مِنْ دَهْرِنَا الغَابِرِ(٣)
فليتَ أَبَاكَ مَضَى حَيْضَةً وليتك قد كنتَ في القَابِرِ(٤)
سَحَبْتَ علينا ذُيُولَ البَلاءِ وجِئْتَ بِهِنَّ سُمَا قَاشِرِ(٥)
ألا يا مُجَاعَةُ فانظُر لنا فليسَ لنا اليومَ من ناظِرِ(٦)
سِوَاكَ فإِنَّا على حَالَةٍ يَرِقُّ لها قَلْبُ ذا الكَافِرِ(٧)
نساءُ عَدِيٍّ وعبدِ مَنَاةَ وحَيِّ بني الدَّوْلِ أو عامِرِ(٨)

---

(١) الاكتفا ١٢٨ .

(٢) الاكتفا ١٢٨ (وطفلٍ ترشّحه أمّه . . حقيرٍ . .) ، ترشّحُهُ : تربّه . ويُقال : رشحت الأم ولدها باللبن القليل ، إذا جعلت في فيه شيئاً بعد شيء ، حتى يقوى على المص ، (اللسان : رشح) .

(٣) الاكتفا ١٢٨ (ليتك لم تكُ في الغابرِ) .

(٤) ليت أباكَ قَضَى حيضةً : دعاء عليه بألا يكون قد ولد أبوه من قبله . الاكتفا ١٢٩ ، (وليتك لم تكُ في الغابرِ) .

(٥) (سُمَا قاشرِ) كذا وردت في المصدر ، وربما كان يقصد بالقاشر الشؤم ، ومنه قولهم : (أشأم من قاشر ، هو اسم فحل كان لبني عُوَافَةَ بن سعد بن زيد بن مَنَاةَ بن تميم ، وكانت لقومه إبل تُذْكِرُ فاستطرقوه رجاء أن تُؤَنِثَ إبلهم فماتت الأمهات والنسل . انظر مجمع الأمثال ١٠/ ٢٨٤ ، جمهرة الأمثال ١/ ٥٥٦ ، الاكتفا (١٢٨) .

(٦) مُجَّاعَةُ بنُ مُرَارَة الحنفي وهو من صالح خالد بن الوليد صُلحَ مكر لينقذ قومه ، انظر الرِّدَّة : ١٤٠ وبعد ، الاكتفا ١٢٨ : فمَجَّاعة الخيرِ فانظر لنا) .

(٧) الاكتفا ١٢٨ (تروِّعنا مَرَّةُ الطائرِ) ، وفي تاريخ الرِّدَّة (١٠٦) هزَّةُ الطائر .

(٨) الاكتفا ١٢٩ .

ـ ٣٤ ـ

رجل من بني حنيفة

وقال رجلٌ من بني حنيفة في يوم أباض[١] (معجم البلدان : أباض) : [من الطويل]

فللّـه عينـا مَـنْ رأى مِثْـلَ مَعْشَـرٍ أحـاطـتْ بهـم آجـالُهُـمْ والبَـوَائِـقُ[٢]

فلـمْ أَرَ مثـلَ الجَيـشِ جَيـشِ مُحَمَّـدٍ ولا مِثْلَنَـا يـومَ احتَـوتنـا الحَـدَائِـقُ

أَكَـرَّ وأَحْمَـى مـن فـريقَيـن جَمَّعُـوا وضاقَتْ عليهم في أُباضَ البوارِقُ[٣]

---

(١) وأُبَاضَ : بضم الهمزة وتخفيف الباء الموحّدة وألف وضاد مُعجمة : اسم قرية بالعِرْضِ ، عِرْض اليمامة ، لها نَخْلٌ لم يُرَ نخلٌ أطوَلُ منها ، وعندها كانت وقعة خالد بن الوليد رضي الله عنه مع مُسَيْلمة الكذّاب .

(٢) بَأَقَتْهُم الدَّاهية بُؤُوقاً : أصابَتْهُمْ ، وانْبَأَق عليهم الدَّهْرُ : هَجَمَ عليهم بالدَّاهية .

(٣) البوارق : السيوف .

ـ ٣٥ ـ

رجل من بني حنيفة(١)

وقال رجلٌ من بني حنيفة نادماً : (الرِّدَّة : ١٣٥) [مشطور الرَّجَز]

لَبِئْسَ مَا أَوْرَدَنَا مُسَيْلَمَهْ
أَبقَى لنا من بُعْدِنَا أُغَيْلَمَهْ
ونِسْوَةً جَرَا لهم منينمهْ
واشتماً رمالها أمينمه

---

(١) نُسبت الأرجوزة إلى مُحكّم بن الطفيل الحنفي . ولا تصح نسبتها إليه . وأشطرها مضطربة اللفظ والمعنى .

شعراء الرِّدَّة في عهد الراشدين

- ٣٦ -
أَبْضَعَةُ بنُ مالِك

قال أَبْضَعَةُ بن مالك يحثُّ قومه على الطَّاعة ويُؤَكِّد ولاءه لهم : (الرِّدَّة ١٧٩ - ١٨٠) [من الوافر]

أرى أمــراً لكُــمْ فيــهِ سُــروْرٌ ... وآخِــرُهُ لكــم فيــه نَــدَامَــهْ[1]
ومــالــي بعــدَ كِنْـدَةَ مــن بَقَــاءٍ ... ومــالــي بعــدَ ظَعْنِكُــمُ إقَــامَــهْ
فــأمــري أمــرُكــمْ فيــهِ وأنِّــي ... لكــمْ مِمَّــا أُحَــاذِرُهُ سَــلامَــهْ
وقــد رَجَعَــتْ بنــو أسَــدٍ وكــانــت ... بنــو أسَــدٍ وذُبْيَــانٌ خُــزَامَــهْ[2]
وقَــرَّتْ عــامِــرٌ جَــزَعَــاً فــأمْسَــتْ ... مُطَــوَّقَــةً بهــا طَــوْقَ الحَمَــامَــهْ[3]
وقــد رَجَعَــتْ قبــائِــلُ مــن سُلَيْــمٍ ... وكانَ حديثُهم في الناسِ شَامَهْ[4]
وقـــد رَجَعَـــتْ ببلــدَتِهــا تميــمٌ ... فمــا كَسَــرَتْ بــرجعَتِهــا بَشَــامَــهْ[5]
وقــد رَجَعَــت حَنِيفَــةُ فــاسْتَبَــاحَــتْ ... جُنُـــودُ اللهِ أجْنَـــادَ اليَمَـــامَـــهْ
وفــي البَحْــرَيــنِ قــد عَضَّــتْ ببَكْــرٍ ... رِمَــاحُ الخَــطِّ والبِيــضُ الخَــذَامَــهْ[6]

---

(١) البيت في كتاب الفتوح ١/ ٦٢ .
(٢) الخُزَامة : حلقة تُجعل في أحد منخري البعير ، وأراد بها الانقياد والذل .
(٣) طوق الحمامة : مثل أراد به هنا الضيق ، انظر جمهرة الأمثال للزمخشري ١/ ٢٥٥ .
(٤) شامة : علامة تخالف الجسد البدن الذي هي فيه .
(٥) بَشَامة : واحدةالبَشَام وهو شجر طيِّبُ الرّيح يُسْتاكُ به (الصحاح : بَشَمَ) .
(٦) الخطُّ : أرضٌ تُنْسَبُ إليها الرِّماح . خَذَمَ : قَطَعَ ، وسَيْفٌ خَذِمٌ وخَذُومٌ : قاطِعٌ (القاموس المحيط : خَذَمَ) .
البحرين : هي اسمٌ جامع لبلاد ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان ، وقيل : البحرين : هي الخطُّ والقطيف والآرة وهجر وبينونة والزارة جُواثا والسابور ودارين والغابة (معجم البلدان) .

- ٣٧ -

الأَشْعَثُ بنُ قَيْس الكِنْدِي

قال الأشعث بن قيس الكندي يُحرّض قومه على الثَّباتِ في الرِّدَّة وعدم طاعة أبي بكر : (الرِّدَّة : ١٧٥) [من الطويل]

لعَمْرِي لئِنْ كانَتْ قُرَيْشٌ تَتَابَعَتْ ... على بَيْعةٍ بعدَ الرَّسُولِ وسَمَّحوا
بها لبني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ جَهْرَةً ... وسَمَّوا عَتِيْقاً عندَ ذاكَ وصَرَّحُوا
وإن صَلُحَت في تَيْمِ مُرَّةَ إمْرَةٌ ... ففي كندَةَ الأملاكِ أحرى وأصْلَحُ[1]
لأنّا مُلُوكُ النّاسِ من قَبْلِ أن يُرَى ... على الأرضِ تَيْمِيٌّ ولا مُتَبَطِّحُ
فمن مُبْلِغٌ عنِّي عتيقاً بأنّهُ ... أنا الأشعثُ الكِنْدِي بذاكَ مُصَرِّحُ[2]
إذا ما غَضِبنا مادتِ الأرضُ وانكَفَتْ ... وإمّا رضينا الأرضُ لا تَتَزَحْزَحُ[3]

---

(١) الأملاك : الملوك .

(٢) عتيق : لقب أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، وسُمِّي بذلك لجماله ، وقيل : لأنّ الله تعالىٰ أعتقه من النار ، واسمه عبد الله بن عثمان ، روت عائشة أنَّ أبا بكر دخل على النبي ﷺ فقال : (يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار) فمن يومئذ سُمِّي عتيقاً (لسان العرب : عتق) .

(٣) في المصدر البيت بوابة (فإن رضيان) مكسور الوزن ، ولعل الصحيح ما أثبتنا في المتن .

وقال قبيل محاربته أصحاب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على الماء :
(وقعة صفين ١٦٦)[١] [من الرَّجز]

ميعــادُنــا اليــومَ بيــاضُ الصُّبْــحِ[٢]
هــل يَصْلُــحُ الــزَّادُ بِغَيْــرِ مِلْــحِ
لا لا ، ولا أمــرٌ بغيــر نُصْــحِ
دِبُّــوا إلــى القــوم بِطَعْــنٍ سَمْــحِ[٣]
مثْــلَ العَــزَالِــي بطعــانٍ نَفْــحِ[٤]
لا صُلْــحَ للقــوم وأيــنَ صُلْحــي
حسبــي مـن الإقحـام قـابُ رمـحِ[٥]

---

(١) صِفِّين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، وفيها كانت وقعة صفين الشهيرة بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة (٣٧هـ) .

(٢) الشطر في المؤتلف والمختلف ، الآمدي ٥٥ .

(٣) في المصدر السابق ٥٥ دَبُّوا .
دَبَّ يدِبُّ دَبَّاً ودبيباً : مشى على هِيْنَتِه .

(٤) العَزَالي : ج عزلاء ، وهي فم المزادة ، شبّه بها اتّساع الطعنة واندفاق الدِّماء منها . والنَّفحُ : الدَّفع ، وطعنةٌ نَفَّاحة : دفّاعَةٌ بالدَّم .

(٥) من المؤتلف والمختلف ٥٥ : حسبي من الإقدامِ قيْدُ رُمْحِ .

وقال مفتخراً بقتال المهاجر بن أمية[1] ، وإجباره على الفِرَار : (الرِّدَّة : ١٧٥) [من المتقارب]

لَقِيْـتُ المُهَـاجِـرَ فـي جَمْـعِ بعَضْـبٍ حُسَـامٍ رقيـقِ الغِـرَرْ[2]
فَفَـرَّ ذليـلاً ولـم ينـشِ فِـرَارَ الحمـار مـن القَسْـوَرِ[3]

---

(١) المهاجر بن أبي أمية ، صحابيٌ جليل من القادة الفرسان ، شَهِدَ بدراً ، وكان اسمُه الوليد فسمّاه الرسول ﷺ المهاجر وتَزَوَّج النبي أخته لأُمِّهِ (أم سلمة) واسمها هند ، تخلّف عن وقعة تبوك (٩هـ) فعتِبَ عليه النبي ﷺ ثم رضي عنه واستعمله على صَدَقات كندة ، شارك في قتال المرتدين في اليمن ، وأرسله أبو بكر الصديق مدداً لإنجاد زياد بن لبيد المحاصر في حصن النُّجير . (الإصابة في أخبار الصحابة ٦/ ١٨٠) .

(٢) العَضْب : السيف القاطع . الغرار : حَدُّ الرُّمْحِ والسَّهْمِ والسَّيف .

(٣) القَسْوَرُ : الأسد ، وقد وردت هذه الصورة في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر : ٥٠ ـ ٥١] .

وقال بعد أن أنقذ نسوةً من بني عمرو بن معاوية من عسكر زياد بن لبيد : (تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٥) [من الطويل]

منعتُ بني عمرٍو وقد جاء جمعهم[١] بأمعزَ من يومِ البَضِيْضِ[٢] وأصبَرا

---

(١) جاء جمعهم : يقصد زياد بن لبيد وعسكره .

(٢) البُضَيْض : بلفظ التصغير ، والبَضِيْضُ : الماء القليل ، وهو موضع في أرض طيىء (معجم البلدان) .

الأمْعَزُ والمَعْزاء : الأرض الغليظة لحزنة ذات الحجارة ، والجمع الأماعِزُ والمُعْزُ ، وأمْعَزَ القومُ ، صاروا في الأمْعَزِ ، وما أمعَزَهُ من رجلٍ! أي : ما أشدّه وأصلبه . (اللسان : معز) .

الصَّبْرُ : الحبسُ والإكراه ، وصَبَرَ الرّجلَ يَصبرُه : لَزِمَهُ ، والصبر : حَبْسُ النَّفْسِ عند الجَزَع ، والصَّبْرُ : الجراءَةُ ، ويُقالُ : صَبَرَ فلانٌ فلاناً لوليِّ فلانٍ أي حَبَسَهُ ، وأصْبَرَهُ : أَقَصَّهُ منه ، وأصْبَرَهُ : إذا قَتَلَهُ بِقَوَد . (اللسان : صَبَرَ) .

قال يردُّ على زياد بن لبيد وقد هدَّدَهُ بالقتل لأنَّه لم يدوّن اسمه في كتاب الأمان :

(يا أَقَلَّ الخلقِ عَقْلاً ، أترى أنَّه بلغ مِنِّي الجهل أن أطلبَ الأمان لغيري وأترُكَهُ لنفسي ، أما إني لو كنتُ أخاف غدرك لبدأت بنفسي في أوّل الكتاب ، ولكنني أنا كنتُ الطَّالِبَ لقومي الأمان فلم أكن بالذي أطلب وأثبت نفسي مع غيري ، وأما قولك أنك تقتلني ، فوالله لئن قتلتني لَتَجْلِبَنَّ إليك وعلى صاحبك اليمن بأجمَعِهَا ، وخيلِهَا ورَجْلِهَا ، فيُنْسِيْنَكَ ما قد مضى) ، ثم أنشأ الأشعث يقول :

(الرِّدَّة : ٢١٠) [من الكامل]

ما كنتُ أنسى في أمانِكَ فاعْلَمَنْ — نَفْسِي وأُثْبِتُ غيرَها يا خَاسِرُ
لو خِفْتُ غَدْرَكَ يا زِيادُ سَفَاهَةً — ما كانَ غيري في الكتابِ العَاشِرُ
لو كُنْتُ أعلمُ أن ستفعَلُ ما أرى — لَهَوى برأسِكَ مَشْرَفِيُّ باتِرُ[1]
بل أنتَ ويْلَكَ يا زياد مُلَعَّنٌ — رثُّ الأمانَةِ والدّيانَةِ غادِرُ
كم مَرَّةٍ مِنِّي فَرَرْتَ وإنَّني — لَعَلى حِصَارِكَ لو أَرَدْتُ لَقَادِرُ
حتّى إذا ظَفِرَتْ يَدَاكَ حَصَرْتَنِي — تَرِبَتْ يداكَ ألا فبِئْسَ الظّافِرُ[2]
إنِّي لأصْبِرُ للحكومةِ من أبي — بَكْرٍ فينظرُ لي فنِعْمَ النَّاظِرُ

---

(١) المشرفيُّ : الرُّمح .
(٢) تَرِبَت يداك : لا أصَبْتَ خيراً .

- ٤٢ -

وقال مُرْتَجِزاً رَدّاً على شُرَحبيل بن السمط أثناء قتال أصحاب معاوية وأصحاب علي رضي الله عنهما على الماء : (وقعة صفين ١٨٢) [من الرَّجز]

إنِّــي أنــا الأشعــثُ وابــنُ قَيْــسِ
فــارسُ هيجــاءَ قَبِيْــلَ دَرْسِ
لســتُ بشكَّــاكٍ ولا ممســوسِ[1]
كِنْــدَةُ رُمْحِــي وعلــيٌّ قــوســي

(١) الممسوس : المجنون .

وقال وقد خرج من باب الحصن لمواجهة المسلمين في أثناء الرِّدَّة : (الرِّدَّة : ٢٠٥) [مشطور الرَّجَز]

يـا قـومُ إنَّ الصَّبْـرَ بـالإخـلاصِ
فلـلإلـهِ فـاحلِقُـوا النَّـواصـي[1]
وبـارِزُوا الأعـداءَ بـالعِـراصِ[2]
علـى عِتَـاقِ الخيـلِ والقِـلاصِ[3]
لا تجـزعـوا قـومـي مـن القِصَـاصِ
ولا تَقِـرُّوا الـدَّهـرَ بـالنُّكـاصِ[4]
أوَ لا تصِيـرونَ إلـى الخَـلاصِ

---

(١) الناصِيَةُ والنَّاصاةُ : قُصَاصُ الشَّعر ، وقد حلق الأشعث وأتباعه نواصيهم قبيل قتل المسلمين وهي عادة معروفة قبل الحرب (انظر الرِّدَّة ٢٠٤) .

(٢) رُمْحٌ عِراص : لَدن المَهَزَّة إذا هُزَّ اضطراب ، وكذلك السيف ويقال : سَيْفٌ عَرّاص ، قال الشاعر :

من كُلِّ عَرَّاصٍ إذا هُزَّ عسل (لسان العرب : عرص) .

(٣) القَلُوصُ من الإبل : الشَّابَّةُ قلائِصْ ، وقُلُص .

(٤) النُّكوص : الرُّجوع والإحجام .

وقال يردُّ على حوشب (ذو ظليم)[(١)] : (وقعة صفين ١٨٢) [من الكامل]

أبلِغْـهُ عَنِّـي حَـوْشَبَـاً وذا كَلَـعْ[(٢)] وشُـرْحَبِيـلَ[(٣)] ذاك أهلـكَ الطَّمَـعْ
قـومٌ جُفـاةٌ لا حَيَـاءَ ولا وَرَعْ يقـودهـم ذاك الشقـيُّ المبتَـدِعْ
إنِّـي إذا القِـرْنُ لِقِـرْنٍ يَخْتَضِـعْ وأبـرقـوهـا فـي عَجَـاجٍ قـد سَطَـعْ[(٤)]

---

(١) هو حَوشَبُ بنُ طَخْمة . لما أعثر على ترجمة ، (وقعة صفين ١٨٢) .

(٢) هو عبد الله بن ذي الكِلاع لما أعثر على ترجمة ، (وقعة صفين ١٨٢) . وروي البيت : أبلِغْ عني ، ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن وبه يستقيم الوزن .

(٣) هو شُرَحبيل بن السمط الكِنْدي ، قائد شجاع شهد القادسية ، وقاتل في الرِّدَّة وشهد صفين مع معاوية ، توفي سنة ٤٠هـ ، الأعلام ٣/ ١٥٩ .

(٤) العَجَاج : الغُبَار الكثيف .

- ٤٥ -

وقال يتوعَّد حارثة بن سُراقة الذي أشعل الحرب بسبب ناقة : (الرِّدَّة : ١٨١) [من الخفيف]

عَجَباً ما عَجِبْتُ مِنْ حَدَثِ الدَّهـ ـرِ ومِنْ فِعْلِ حارثِ بنِ سُرَاقَهْ

هَاجَ حَرْباً يشيبُ مِنْ هَوْلِهَا الرّأ سُ ويَسْجِي بها الوليدُ النَّاقَهْ[1]

حارِ خُذْهَا وقولُ بني المنذ ر فماذا يكون لولا الحَمَاقَهْ

حارِ أنت أشأَمُ خلقِ اللّـ ـهِ في سَعْدِهَا ويوم المَحَاقَهْ[2]

---

(١) تسجِيَةُ المَيِّتِ : تغطيتُه . ويُقال : ناقة سجواء : أي ساكنة عند الحلب ، أو إذا حُلِبَت سكنت (لسان العرب ، سجا) .

(٢) مَحَقَ الله الشيء : ذَهَبَ ببركته ، والمُحاقُ : أن يَسْتَسِرَّ القَمَرُ فلا يُرى غُدْوَةً ولا عَشِيَّة ، سُمِّي لأنّه طَلَعَ مع الشمس فَمَحَقْتَهُ .

وَهَبَ الأشعثُ بنُ قيس جاريةً نفيسةً لرجلٍ من جُهينة ضافَهُ ، فلامَهُ أهله وقالوا : يا شَيْخُ قد ذهب عقلك ، فقال : (المؤتلف والمختلف ، الآمدي ٥٥)

[من الوافر]

تَمَلّكها وكان لِذَاكَ أهْلاً ... أشمُّ الأنفِ أصيدُ كالفَنِيقِ[١]

نَمَاهُ من جُهَيْنة خَيْرُ نامٍ ... إلى العلياءِ والحَسَبِ العَتِيْقِ[٢]

فَظَلَّ بها يُلاعِبُهَا عَرُوساً ... على لَبَّاتِهَا عَبَقُ الخَلُوقِ[٣]

فلا تذهب نفوسُكُمُ عليها ... ولا تَسْمُوا إلى النَّظَرِ الدَّقيقِ

---

(١) الأصيد : الملكُ ورافِعُ رأسِهِ كِبَراً .

الفَنَقُ والفُناقُ والتَّفَنُّقُ : النِّعمةُ في العَيْش ، والفَنِيق : الفَحْلُ المُكْرَمُ المُودَعُ للفِحْلَة لا يُركَبُ ولا يُهَانُ لكرامته عليهم . (لسان العرب : فَنَقَ) .

(٢) العِتْقُ : الكرم والجمال ، والنَّجابة والشرف والحريّة .

(٣) اللَّبَبُ ، واللَّبَّةُ : المَنْحَرُ وموضِعُ القلادةِ من الصَّدْرِ .

الخَلُوق : ضربٌ من الطِّيْب .

- ٤٧ -

قال مُفْتَخِراً ببلائه ، وقتالِه الشجعان في أثناء الرِّدَّة : (الرِّدَّة : ١٩٤) [من المتقارب]

كــررتُ علــى السَّمْطِ وقتَ العَجَاج فَجَلَّلْتُـــــهُ صَـــارِمـــاً مُعْضِـــلا[1]
فـــولَّـــى حثيثـــاً علـــى وجْهِـــهِ ولـــو قَـــامَ لـــي سَـــاعـــةً جُـــدِّلا[2]
فـــإن عـــادَ جَلَّلْتُـــهُ مِثْلَهَـــا ويكفِيـــهِ مـــا نـــالَـــهُ أوّلا[3]

---

(١) السَّمْطُ : هو السَّمْطُ بن الأسود السَّكُوني ، ثبت مع قومه على الإسلام وقاتل المرتدين .
العجاج : الغُبار والدُّخان . الصارم : السيف القاطع ، مُعْضِلٌ : قاسٍ وشديد .
(٢) جَدَلَهُ وَدَدَّلَهُ فانجَدَلَ : صَرَعَهُ على الجِدالة وهي الأرض .
(٣) جَلَّلْتَهُ : عَلَوْتَهُ .

وقال مُحَرِّضاً قومه على الثبات في قِتَالِ المُسْلِمين : (يا معشرَ كندة ، لا يهولنَّكم مَدَدُ أعدائكم لأصحابِهِم ، فإنّ النّصْرَ مع الصَّبْرِ ، والقومُ مع الصَّبْرِ لا يثبتون ، فقاتلوهم محتسبين ، ثم أنشأ يقول : (الرِّدَّة : ٢٠٢-٢٠٣) [من الرمل]

لا يَهُــولَنْكُــمْ بنــي عَمْــرِو النّــدى ... مَــدَد المَكِّــيْ إليهِــمْ عِكْــرِمَــهْ[١]
فــاستَعِــدُّوا بِــرِمَــاحٍ شُــرَّعٍ ... وسُيــوفِ الهنــدِ تفــري القِمَمَــهْ[٢]
واصبِــروا عــن كــلِّ مــا قــد نــابَكُــمْ ... فعلــى مــالِــكِ تَيْــمٍ وَكَمَــهْ[٣]
هــذِه نيــرانُ حَــرْبٍ أُضْــرِمَــتْ ... فــاصْطَلُــوا نيــرانَ حَــرْبٍ مُضْــرَمَــهْ
لَسْتُــمُ فيّــاً بــأَنْكَــاسٍ ولا ... عُــزّلاً مِثْــلَ اللِّئَــامِ القَــرَمَــهْ[٤]
فــافلِقُــوا بــالبيــضِ هــامــاتِ العِــدى ... فــي الــوَغَــى حتَّــى تــلاقــى البُهُمَــهْ[٥]

وقال يمدَحُ الإمام علي بن أبي طالب كرّمَ اللهُ وجهه : (وقعة صفين ٢٤) [من المتقارب]

أتــانــا الــرّســولُ رســولُ الــوصــيِّ ... علــيُّ المهــذَّبُ مــن هــاشــمِ
رســولُ الــوصــيِّ وصــيِّ النبــيِّ ... وخيــرُ البــريّــةِ مــن قــائِــمِ
وزيــــرُ النبــــيِّ وذو صِهْــــرِهِ ... وخيــرُ البــريّــة فــي العــالــمِ

---

(١) يقصد عِكْرمة بن أبي جَهْل عَمْرو بن هشام المَخْزُومِي ، قُرَشِيٌّ شُجَاع ، عادى النبي ﷺ في الجاهلية وأبيه ، وأسلم عام فتح مكة (٨هـ) استشهد سنة (١٣هـ) .

(٢) شَرَعنا الرِّماح : سَدَّدناها . فَرَاهُ يفريه : شَقَّهُ وقطعه ، وهو يَفْرِي الفَرِيَّ : يأتي بالعَجَبِ في عَمَلِه . القِمَّة : أعلى الرأس ، وأعلى كُلِّ شيء .

(٣) مالك تيم : ربما هو مالك بن تَيْمِ اللهِ بن ثَعْلَبَةَ من بكر بن وَائِل (كتاب الرِّدَّة عن جمهرة النسب ٣١٥) ، وكَمَ الشّيء : قمعه . وفي رواية البيت (واصبروا عن كل ما نابَكُمُ) ولعل الصواب ما أثبتنا في المتن ، وبه يستقيم الوزن .

(٤) (عُزَّلاً) ، معطوفة على (بأنكاس) ، فالباء زائدة في خبر ليس ، والعطف على المحل .
القَرمة : علامَةٌ يُعَلَّم بها البعير ، وتكون فوق أنفه ، فتُقْطَعُ جِلْدَةٌ من ذلك الموضع وتُجْمع فوق أنفه . والقَرمة والقرامة : الجِلْدة المقطوعة منه (اللسان : قَرَمَ) .

(٥) البُهْمَةُ : الشُّجاع الذي لا يُعْرَفُ من أين يؤتَى ، ج بُهَمٌ .

لـه الفَضْـلُ والسَّبْـقُ بـالصّـالحـا ... تِ لِهَـدْيِ النبـيِّ بـه يـأتمـي
محمّـد أعنـي رسـولَ الإلـه ... وغيـثَ البـريّـةِ والخـاتَـمِ
أَجَبْنَـا عليّـاً بفضـلٍ لـهُ ... وطـاعَـةِ نُصْـحٍ لـهُ دائِـمِ
فقيـهٌ حليـمٌ لـه صَـوْلَـةٌ ... كَلَيْـثٍ عـريـنٍ بهـا سـائِـمِ[1]
حليـمٌ عفيـفٌ وذو نجـدَةٍ ... بعيـدٌ عـن الغَـدْرِ والمـأثَـمِ

وقال يمدح الإمام علي بن أبي طالب كرّمَ الله وجهه) : (وقعة صفين ٢٣)

[من المتقارب]

أتـانـا الـرّسـولُ رسـولُ علـيٍّ ... فَسُـرَّ بمَقْـدَمِـه المُسْلِمُـونَـا
رسـولُ الـوصـيِّ وصـيِّ النبـيِّ ... لـه الفَضْـلُ والسَّبْـقُ فـي المـؤمنينا
بمـا نَصَـحَ اللهُ والمصطفـى ... رسـولَ الإلـه النبـيَّ الأمينـا
يُجـاهِـدُ فـي الله لا ينثنـي ... جميـعَ الطُغَـاةِ مـع الجـاحـدينـا
وزيـر النبـي وذو صِهْـرِهِ ... وسيـفُ المنِيَّـةِ فـي الظـالمينـا
وكـم بَطَـلٍ مـاجـدٍ قـد أذاقَ ... مَنِيَّـةَ حتـفٍ مـن الكـافـرينـا
وكـم فـارسٍ كـان سـالَ النِـزَالَ ... فـآبَ إلـى النّـار فـي الآئبينـا[2]
فـذاكَ علـيٌّ إمـامُ الهـدى ... وغَيْـثُ البـريَّـةِ والمُقْحَمِيْنَـا[3]
وكـان إذا مـا دعـا للنِّـزَالِ ... كَلَيْـثِ عَـرِيـنٍ يَـزيـن العَـرِينَـا
أجـابَ السـؤال بنصـحٍ ونَصْـرٍ ... وخـالـصِ وُدٍّ علـى العـالمينـا
فمـا زالَ ذلـك مـن شـأنِـه ... فَفَـازَ وربِّـي مـع الفَـائـزينـا

---

(١) سائم : أسام الإبل : أرعاها ، وسوَّمَ الخيل : أرسلها .
(٢) سال : أراد سأل ، وسَهَّل الهمزة .
(٣) القُحْمَةُ : المَهْلَكَةُ ، والسَّنةُ الشَّديدة ، والقَحْطُ . (لسان العرب : قَحَمَ) .

ـ ما نسب لغيره وهو له :

قال راثياً قتلى كندة في حصن النُّجَير[١] : (تاريخ الطبري ٣/ ٣٤١) [من الطويل]

لَعَمْـري ومـا عَمْـرِي علـيَّ بِهَيِّـنٍ   لقـد كُنْـتُ بـالقَتْلَـى أَحَـقَّ ضنيـنِ[٢]
فـلا غَـزْوَ إلا يـومَ أُقْـرِعُ بَيْنَهُـم   وما الدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَهُم بأَمِينِ[٣]
فليتَ جُنُوبَ النَّاسِ تحتَ جُنوبِهِمْ   ولـم تمشِ أُنْثَـى بَعْـدَهُـمْ لجَنِيـنِ[٤]

---

(١) النُّجَيْر : حصن اليمن قرب حضرموت مخنيع (معجم البلدان) .
نُسِبت الأبيات إلى الأشعث بن مِئْنَاس السَّكوني في تاريخ الطبري ، وفي بقية المصادر نُسِبت إلى الأشعث بن قيس : انظر فتوح البلدان ١٤٥ ، الرِّدَّة ٢١٤ ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ ، الفتوح ١/ ٧٠ وقد قالها في رثاء قتلى حصن النُّجير ، وقيل : وفي رثاء بشير بن الأودح ويزيد بن أماناة ونظن أن نسبتها إلى الأشعث بن قيس هو الأرجح ، فهي الأشهَرُ في المصادر ، والبيتُ الرّابعُ مشهورٌ في تداوله بين شعراء عديدين . والأبيات في الاكتفا ٢١١ .
(٢) في الرِّدَّة ٢١٤ أحقُّ ، وفي مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ : (لقد كنتُ بالإخوان جِدُّ ضنين . . .) ، وكلاهما يصوبان رواية الطبري وهي : (لقد كنت بالقتلى لَحَقُّ . . .) وقد صوّبناها في المتن . ضنين/ بخيل ، انظر الاكتفا ٢١١ .
(٣) في الرِّدَّة ٢١٤ :

فــلا غَــزْو إلاّ يــوم يُقْسَــمُ بينهــم   فلَسْــتُ لشــيءٍ بعــدَهُــمْ بــأميــن

وفي مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ :

أُحــاذِرُ أن تَضْــرِبَ هُنَــاكَ رؤوسهــم   ومـا الـدَّهـر عنـدي بعـدهـا بـأميـن

والبيت مكسور الوزن .
وفي فتوح البلدان ١٤٥ : (فلا غَزْوَ ألا يومَ يُقْسَمُ سَبْيُهُمْ . . .) . الاكتفا ٢١١ (فلا رُزْءَ) .
(٤) في مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ :

فَلَيْـتَ جُنُـونَ النّـاسِ تحـتَ جنـونِهِـمْ   ولــم تــرمِ أُنْثَـى بَعْـدَهـم بجنيـن

وفي الرِّدَّة ٢١٤ :

فليـتَ جنـوب النـاسِ تحـت جنـوبِهِـمْ   ولــم ينـسَ أنـي بعـدهـم بجنيـن=

وكنتُ كَذَاتِ البَوِّ رِيْعَتْ فأقْبَلَتْ   على بَوِّهَا إذْ طَرَّبَتْ بِحَنِينِ[1]

وفي فتوح البلدان (١٤٥) :

عن ابنِ أماناةَ الكريمِ وبَعْدَهُ   بشير النّدى فليجرِ دمعُ عيوني[2]

= والبيت مضطرب المعنى .

(١) في مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤١١ :

وكنتُ كذاتِ البَوِّ أنخت وأقبلت   عليه بقلبٍ والهٍ وحنينِ

وفي الاكتفا ٢١١ : (جنَّت فأقبلت إلى بوِّها أو)

والبَوُّ : جلدُ الحُوار (ابن الناقة) يُحْشى تِبناً فيُقَرَّبُ من أمِّ الفَصيل فتعطف عليه فَتَدِرُّ (القاموس المحيط : بوّ) . وفي الاكتفا ٢١١ : (بعدهم بجنين) . ولعل رواية الطبري أوضح الروايات معنى .

(٢) يريد يَزِيْدَ بن أَمَانَاة وبَشِيْر بنَ الأَوْدَحْ ، وقد قُتِلا في يوم النُّجَير . (تاريخ الطبري ٣/ ٣٤١) .

- ٥٢ -

الأَشْعَثُ بنُ مِثْنَاس السَّكُوْنِي

قال الأشْعَثُ بنُ مِثْنَاس السَّكُوني يهدِّد المسلمين : (تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٣)

[من الطويل]

لَعَمْرِي وما عمري بِعُرْضَةِ جانبٍ ليَجْتَلِبَنَّ منها المرارَ بنو عَمْرِو[١]

كَذَبْتُم وبيتِ اللهِ لا تمنعونها زياداً ، وقد جئنا زياداً على قَدْرِ

---

(١) مناسبة النص : ارتدت كندة وخلعت طاعة زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر على اليمن ، وثبتت السَّكون على الإسلام ، وقامت دون زياد بن لبيد البياضي ، والتقى عسكران عظيمان من المسلمين والمرتدين ، فأرسل زياد بن لبيد الحصينَ بن نُمَير إلى المرتدين ، فما زال يُسْفِرُ بين العسكرين حتى سَكَنَ بعضهم عن بعض ، وهذان البيتان مما قاله الشاعر السكوني في تهديد بني عمرو الكنديين في أثناء تلك الأحداث (تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٣) .

*** ما نسب لغيره وهو له**[1] :

قال يبكي أهل النُّجَير : (تاريخ الطبري ٣/ ٣٤١) [من الطويل]

لعَمْـرِيْ ومـا عَمْـرِي علـيَّ بِهَيِّـنِ　　لقـد كنـتُ بـالقَتْلَـى أحَـقُّ ضَنِيْـنِ
فـلا غَـزْوَ إلا يـومَ أَقْـرِعُ بَينهـمْ　　ومـا الـدَّهـرُ عنـدي بَعْـدَهُـمْ بـأميـنِ
فليتَ جنوبَ الناسِ تحتَ جُنُوبِهِمْ　　ولـم تمـشِ أُنثـى بعـدَهُـم لِجَنِيـنِ
وكنـتُ كـذاتِ البَـوِّ رِيْعَـتْ فـأقبلـتْ　　علـى بَـوِّهـا إذْ طَـرَّبـت بحنِيـنِ

(١) والأبيات مُتَنَازَعٌ عليها فهي منسوبة للأشعث بن قيس في (الرِّدَّة : ٢١٤) وفيه أنه كان يتمثَّل هذه الأبيات إذا ذَكَر قتلى كندة ، وقد قالها في رثاء بَشِيْرِ بنِ الأَوْدَحِ وَيَزِيْدِ بنِ أَمَانَاة ومن قُتِلَ يوم النُّجَيْر ، وكذلك الأمر في (فتوح البلدان ١٤٥) فقد رويت الأبيات الثلاثة الأولى فضلاً عن بيت جديد هو :

عـن ابـنِ أمـانـاةِ الكـريـمِ وبَعْـدَهُ　　بشيـرِ النَّـدَى فليَجْـرِ دَمْـعُ عيـونـي

وقيلت هذه الأبيات في المناسبة نفسها .

بينما يذكر ابن عساكر في تاريخه (٤/ ٤١١) أن الأشعث بن قيس أنشد هذه الأبيات عندما زوَّجَهُ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أخته أم فروة ، وفي الأبيات هنا اختلافٌ واضح عما رواه السابقون .

ونعتقد أن نسبتها إلى الأشعث بن قَيْس أصح بإجماع المصادر والرواة .

ـ ٥٤ ـ

الجبرُ بن القَشْعَمِ الكِنْدِي

وقال مؤازراً قومه : (في الرِّدَّة : ١٩٣) [مشطور الرَّجَز]

قــد حُصِـرَت كِنْـدةُ فــي النُّجَيْـرِ
مـا إن لهـا عــن الــدفَـاعِ غيــري
ومُنْجِهــمْ غيــري معَــاً وخَيْــري
وعنهــمُ أنفِــي العِــدَا بصَبْــري

قال الجَبْرُ بنُ القَشْعِمِ الكنْدي محرّضاً قومه على الرحيل عن الأَشْعَثِ بن قَيْس عندما قُتِلَ رسولُ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه : (في الرِّدَّة : ١٩٣) [من المتقارب]

سيــرحــلُ عنكُــمْ بنــو الأرْقَــمِ | عَشِيَّــةَ جُــرْتَ علــى المُسْلِــمِ[١]
أيــؤذَى الــرَّسُــولُ بــأنْ حُلَّكُــمْ | بخـــطٍّ كتــابٍ ولــم يُجْــرِمِ
أأشعـــثُ أوّلَ ذا الـــدِّيَـــةِ | لغيَّـــرْتَ ذاكَ ولـــم تَظْلِـــمِ[٢]
أخـــافُ عليكــم بــأفعـــالكُــمْ | نُحُــوسَــاً مــن الطَّــائِــرِ الأشْــأمِ
وللبَغْـــي عـــاقِبَـــةٌ تُتَّقَـــى | تَحُــلُّ بمَــنْ جَــارَ ولــم يَنْــدَمِ[٣]

---

(١) بنو الأرقم : اسم بطن من بطون كندة . الجَوْر : الظُّلْم . المُسْلم : يقصد به رسول المسلمين إلى قبيلة كندة .

(٢) الشطر مختل المعنى . وقد ورد في المصدر : أأشعثُ أوّلِ ذا الدِّيَة ، ولعل الصواب ما أثبتنا في المتن ، وبه يستقيم الوزن .

(٣) الشطر مختل الوزن .

جَبَلَةُ بنُ الأَيْهَمْ

قال جَبَلَةُ بنُ الأيْهَمِ[١] نادماً على الرِّدَّة وترك الإسلام : (الأغاني ١٥/ ١٢٩)

[من الطويل]

تَنَصَّـرَتِ الأشْـرَافُ مِـنْ عَـارِ لَطْمَـةٍ | وما كانَ فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ
تكَنَّفَنِـي فيهـا لَجَـاجٌ ونَخْـوَةٌ | وبِعْتُ بها العينَ الصَّحيحة بالعَوَرْ[٢]
فيـا لَيْـتَ أُمِّي لـم تَلِـدْني وليتنـي | رجعْتُ إلى القولِ الذي قالَ لي عُمرْ[٣]
ويـا ليتنـي أَرْعَـى المَخَـاضَ بِـدِمْنَـةٍ | وكُنْـتُ أسيـراً فـي ربِيعَـةَ أو مُضَـرْ[٤]
ويـا لَيْـتَ لـي بـالشَّـامِ أدنـى معيشَـةٍ | أُجَالِسُ قومي ذاهِبَ السَّمْعِ والبَصَرْ

وفي المنتظم ٥/ ٢٦٠ :

أَدِيْـنُ بمـا دَانُـوا بـهِ مِـنْ شـريعَـةٍ | وقد يَصْبِرُ العَودُ الكَبِيْرُ على الدّبرْ[٥]

---

(١) انظر كتاب النسب ٣٦٩ ، وفيه نُسِبت الأبيات لحسان بن ثابت . والأبيات في خزانة الأدب ٤/ ٣٩٧ وفي المنتظم ٥/ ٢٥٩ - ٢٦٠ . وفي العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ ٢٦ .

(٢) تكَنَّفَ الشيءَ : أحاطَ به ، وصار حواليه .

اللَّجَاجُ واللَّجَاجَةُ : الخصومة . نَخَا يَنْخُو نَخْوَة وانتخَى : افتخر .

وفي خزانة الأدب ٤/ ٣٩٧ (. . وكُنْتُ كمن باعَ الصَّحيحة بالعَوَر) .

(٣) في خزانة الأدب ٤/ ٣٩٧ . والمنتظم ٥/ ٢٦٠ (. . رجعْتُ إلى القول الذي قالَهُ عُمَر) .

(٤) في خزانة الأدب ٤/ ٣٩٧ . والمنتظم ٥/ ٢٦٠ (. . ويا ليتني أرعى المخاض بقَفْرَةٍ) .

والدِّمنة : آثارُ الدَّارِ والنّاس . القَفْرة : الخَلاء من الأرض ج قِفار .

(٥) العَوْد : المُسِنُّ من الإبل .

- ٥٧ -

الحارِثُ بنُ مُعَاوِيَةَ الكِنْدِيّ

قال الحَارِثُ بنُ مُعَاوِيَةَ الكِنْدِيّ معلناً خروجه على طاعة أبي بكر رافضاً دفع الصدقة : (الرِّدَّة : ١٧٧) [من الكامل]

كانَ الرّسولُ هو المُطَاعُ فقد مَضَى ... صلَّى عليهِ اللهُ لم يَسْتَخْلِفِ[١]

هذا مقالُكَ يا زِيَادُ فقد أرى ... أنْ قد أَتَيْتَ بقولِ سُوْءٍ مُخْلِفِ[٢]

ومقالُنا أنَّ النبيَّ مُحَمَّداً ... صلَّى عليه اللهُ غيرُ مُكَلِّفِ

تركَ الخِلافَةَ بعدَهُ لِوُلاتِه ... ودعَا زِيادٌ لامْرِىءٍ لم يُعْرَفِ

إنْ كانَ لابنِ أبي قُحَافَةَ إمْرَةٌ ... فلقَدْ أَتَى في أمرِهِ بتَعَسُّفِ[٣]

أمْ كيفَ سلَّمَتِ الخِلافَةَ هاشِمٌ ... لِعَتِيقِ تَيْمٍ ؟ كيف ما لم تَأْنَفِ ؟[٤]

---

(١) البيت في كتاب الفتوح ١/ ٦١ .

(٢) يقصد زياد بن لبيد رضي الله عنه .

(٣) ابن أبي قحافة : أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه . التَّعَسُّف : الظلم .

(٤) عتيق : لَقَبٌ للصدِّيق رضي الله عنه .

ـ ٥٨ ـ

حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَةِ بنِ معدي كَرِب

قال حَارِثَةُ بنُ سُرَاقَة بنُ مَعْدِيْ كَرب مُتَحَيِّراً : (الرِّدَّة : ١٨٠) [من الخفيف]

لسـتُ أدرِي إذا خلـوتُ بنفسـي | أخَطَـأٌ أوْلَـى بهـا أمْ صَـوابُ(١)
قـد منعـتُ المُهَـاجِـرَ بـنَ أبـي أُمَيَّـ | ـةَ مـن مـالِنَـا وكـلٌّ مُجَـابِ(٢)
وزِيَـادٌ فمَـا أرى لـزِيَـادٍ | فـي الـذي يـدَّعِـي جَنَـاحَ ذُبَـابِ
أجمعَـتْ كِنْـدَةُ الغَـداةَ علـى الحَـرْ | بِ هَـوى مَعْشَـرٍ مـن الأَوْشَـابِ(٣)
زعَمُـوا أنَّهـم أصَـابـوا وأنَّـا | قـد نَكَصْنَـاهُـمُ علـى الأعْقَـابِ(٤)
فَلَئِـنْ كـان ذَا غَـدَاً فعظيـمٌ | مثـلُ هـذا علـى ذَوِي الأحْسَـابِ

---

(١) في البيت : إقواء ، ويزول الإقواء لو قال : أخطئي أولى بها أم صوابي .

(٢) البيت في الأصل :

قـد منعـت المهـاجـر بـن أميَّـ | ـة مـن مـالنـا وكـلٌّ مُجَـابِ

ولعل ما أثبتناه من المتن هو الصحيح ، وبه يستقيم الوزن .

(٣) الأوْشاب : الأوباشُ والأخلاطُ ، واحِدُهُ وشْبٌ ، وهم الضُرُوبُ المُتَفَرِّقون .

(٤) نَكَصَ عن الأمرِ : أحجم ، ونَكَصَ نَكْصاً ونُكوصاً ، ونَكَصَ على عَقِبَيْه : رَجَعَ عمّا كان عليه من خَيْرٍ ، خاصٌ بالرُّجوعِ عن الخَيْرِ .

- ٥٩ -

وقال وقد منع الصدقة : (الرِّدَّة : ١٧٠ - ١٧١) [من الرَّجَز]

يَمْنَعُهـا شيـخٌ بِخَـدَّيْـهِ الشَّيْـبُ[١]
مُلَمَّـعٌ كمـا يُلَمَّـعُ الثّـوبُ[٢]
ماضٍ على الرِّيب إذا خِيْفَ الرَّيبُ[٣]
مـا إن يبـالـي العيـبَ وَقْـتَ العيـبُ

وفي مختصر تاريخ دمشق (ابن عساكر) ٤/ ٤٠٩ :

اليـومَ لا أخلـطُ علمـي بـالـرَّيـب[٤]
وليسَ في مَنْعي حريمي مِنْ عَيْب

---

(١) الشطر الأول من تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٢ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤٠٩ - ٤١٣ . وفي معجم البلدان ٣٧٨٨ . الفتوح ٨/ ٥٨ .

(٢) الفتوح ٨/ ٥٨ في تاريخ الطري ٣/ ٣٣٢ . معجم البلدان ٣٧٨٨ . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤١٣ . وفي مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٤٠٩ : (قد لمّع الوجه كتلميع الثوب) .

(٣) معجم البلدان ٣٧٨٨ . وفي مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤١٣ : (ماضٍ على الرَّيْبِ إذا كان الرَّيب) .

(٤) الشطر في المصدر : (اليومَ لا أخلطُ العلم بالرَّيب) ، وفي الشطرين الأخيرين إقواء . ولعل ما أثبتنا في المتن هو الأصحب وبه يستقيم الوزن .

قال معلناً رفضه أداء الزكاة[1] وخلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه (في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) : [من الطويل]

أيـأخُـذُها قَسْـراً ولا عَهْـدَ عِنْـدَهُ ... يُمَلِّكُـهُ فينـا وفيكـمْ عُـرَى الأَمْـرِ
فلـم يَـكُ يهـدِيْهَـا إليـهِ بـلا هُـدىً ... وقـد مـاتَ مَـوْلاهـا النَّبـيُّ ولا عُـذْرِ
فنحـنُ بـأنْ نَحْتَـازُهَـا وفِصَـالَهـا ... أحقُّ وأولى بالإمارةِ في الدَّهْرِ[2]
إذا لـم يكُـنْ مـن ربِّنـا أو نَبِيِّنَـا ... فَذُو الوفرِ أَوْلَى بالقَضِيَّةِ في الوَفْرِ
أيُجْرِي على أموالِنَا النَّاسُ حكمَهُمْ ... بغيـرِ رِضـىً إلا التَّسَنُّـمَ بـالقَسْـرِ[3]
بغيـرِ رضـى مِنَّـا ونحـنُ جَمَـاعَـةٌ ... شُهُـوداً كـأنَّـا غَـائِبيـنَ عـن الأَمْـرِ
فتلـكَ إذا كـانـت مـن الله زُلْفَـةً ... ومِنْ غَيْرِهِ إحدى القواصِمِ للظَّهْرِ[4]

في الرِّدَّة ١٧٢ :

وإنَّ أُنَـاسـاً يـأخُـذونَ زكـاتَكُـم ... أقلُّ وربِّ البيتِ عِنْدي من الذَّرِّ[5]
حَلَفْـتُ يمينـاً غيـرَ حِنْـثٍ مَشُـوْبَـةً ... وإنِّـي لأهـلٌ أن أُوَفِّـي بهـا نَـذْرِي[6]
على أنَّ ما تَرجُو قُرَيْشٌ ودونَ ما ... يُـرَجُّـونَ طَعْـنٌ بـالمُثَقَّفَـةِ السُّمْـرِ[7]

---

(١) المقطوعتان وردتا في المصادر مختلطتين بأبيات قصيدة الحطيئة المشهورة ، ونلحظ أن أبيات حارثة بن سُرَاقة قد نظمت على روي أبيات الحطيئة وقافيتها نفسها علاوةً على التشابه في المعنى ، ويبدو أنه تَمثَّل تلك الأبيات وزاد عليها على ما نعتقد ، وقد استخرجنا أبيات الحطيئة من المقطوعتين السابقتين ، فكانت هذه الأبيات هي التي أنشدها حارثة بن سُراقة على الأرجح .

(٢) في المصدر (نختارها) ولعل الصواب ما أثبتنا في المتن .

(٣) تَسَنَّمَ الشيءَ : عَلاَه ، والتسنيم : ضد التسطيح .

(٤) الزَّلَفُ : القُرْبَةُ والدَّرَجَةُ ، والزُّلْفَىٰ : القُرْبَة .

(٥) الذَّرُّ : صِغَارُ النَّمْلِ ، الواحِدَةُ ذَرَّة .

(٦) حِنْث : الحِنْث : الإثْمُ والذَّنب ، والحِنْثُ : الخُلْفُ في اليمين ، الشَّوْب : الخَلْط ، والشَّوائب : الأقْذارُ والأدْنَاسُ .

(٧) المُثَقَّفة : الرِّماح المستقيمة . البيت في المصدر (على ما ترجو . . .) ولعل ما أثبتنا هو الصواب ، وبه يستقيم الوزن .

أنُعْطِـي قُـرَيشـاً مَـالَنَـا إنَّ هَـذِهِ لَتِلْكَ التي يَخْزِى بها المَرْءُ في القَبْرِ
فَكِنْدةُ ما زالَتْ لُيُوثاً لدى الوغَى وغَيْثَ بني حَوّاءَ في العُسرِ واليُسْرِ[1]
ومـا لبنـي تيـم بـن مُـرَّةَ إمْـرَةٌ علينـا ولا تلـك القَبَـائِـلُ مـن فِهْـرِ[2]
لأنّ رسـولَ الله أوجـبَ طـاعـةً وأولَى بما استَوْلَى عليهم من الأمْرِ

---

(١) الوغى : الحرب .
(٢) يقصد ببني تيم بن مُرَّة : رهط أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، والقبائل من فهر : المسلمين .

- ٦١ -

*** ما نسب لغيره وهو له[1] :**

وقد نُسِبَتْ إلى حارثة بن سُرَاقة بعض أبيات الحطيئة التي أنشدها مُفْصِحاً عن ضيق صدره بخلافة أبي بكر وبأداء الزَّكاة في : (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) ، (الرِّدَّة ١٧٢) ، (معجم البلدان : حضرموت) ، والأبيات مشهورة في نسبتها للحطيئة :

أطَعْنَا رسولَ اللهِ ما دامَ وَسْطنا ... فيالَ عبادِ اللهِ ما لأبي بكرِ
أيورِثُهَا بكراً إذا كان بَعْدَهُ ... وتلك وبيتِ اللهِ قاصمةُ الظَّهْرِ
وإنّ الذي تُعْطُونَهُ بجهالةٍ ... لكالتَّمر أو أحلى بفينا من التَّمرِ

---

(١) قد نُسبت أجزاء من هذه القصيدة المشهورة إلى الخُطيل بن أوس أخي الحطيئة ، وإلى عبد الله الليثي .

- ٦٢ -

الحُطَيْئَة

قال الحُطَيْئَة في الرِّدَّة حين اصطلحت عبسٌ وذُبْيَانٌ يمدحهما ويشيد بتناسيهما الأحقاد الموروثة ، فقد وحّدت الرِّدَّة صفوفهما ، وعزّزت كلمتهما ، وحملتهما على السعي لكسر شوكة أبي بكر والمسلمين (ديوان الحطيئة ، رواية وشرح ابن السِّكِّيْت (٢٤٦هـ) ٢٧٥) : [من الوافر]

ألــم تــرَ أنَّ ذُبْيَــانــاً وعَبْســاً لبـاغـي الحـربِ قـد نَـزَلا بَـرَاحـا[١]
يُقــالُ الأجْــربــانِ ونحــنُ حَــيٌّ بنــو عَــمٍّ تجمّعنــا صِــلاح[٢]
منعنــا مَــدْفَــعَ الثَّلَبُــوتِ حتَّــى تَـرَكْنَـا راكِـزِيـنَ بـه الـرِّمـاحـا[٣]
نُقَــاتِــلُ عــن قُــرَى غَطَفَــانَ لمَّــا خَشِينَــا أن تَــذِلَّ وأن تُبَــاحــا[٤]

---

(١) البَرَاح : المُتَّسِعْ من الأرضِ لا زرعَ بها ولا شجر (الديوان ٢٧٥) .
(٢) الأجربان : عبسٌ وذبيان ، وسُمِّيا كذلك لشدَّتهما (الديوان ٢٧٥) .
(٣) مَدْفَعَ الثَّلَبُوتِ : وادٍ يَدِقُّ إلى وادي الرُّمَّةِ من تحتِ ماءِ الحاجِرِ ، وقيل : إنه وادٍ أو أرضٌ بين طيىء وذبيان (عن الديوان ٢٧٥) .
(٤) تُبَاحا : أي يؤخذُ ما في باحتها وهو وسطها الذي لا بِنَاء فيه (الديوان ٢٧٥) .

وقال يمدح خارجة بن حصن وهو ممن منعوا زكاة المال أيّام الرِّدَّة : (ديوان الحطيئة ، ٢١٠) [من الطويل]

فـدىً لابـن حِصْـنٍ يـومَ أقْـدمَ خيلَـهُ وقد خَامَ أقوامٌ طريفي وتالِدي[1]
أَبَى حقَّ ما مَنَّتْ قُرَيْشٌ نُفوسَها فـوارسُ أبطـالٌ طِـوالُ السَّـواعِـدِ[2]
وقـد عَلِمَـتْ خيـلُ ابنُ خُشْعَـةَ أنَّهـا متـى تَلْـقَ يـومـاً غَمْـرَةً لا نُعَـانِـدِ
وقـد عَلِمَـتْ خيـلُ ابـن خُشْعَـةَ أنَّهـا متـى تَلْـقَ يـومـاً ذا جِـلاَدٍ تُجَـالِـدِ[3]

---

(١) خَامَ : جَبُنَ . الطّريفُ والطّارِفُ : ما استُحْدِثَ من المال . التالِدُ والتليد : ما وُلِدَ عند أربابه ، وأصل التاء واوٌ ، يقول : أَبَى خارجةٌ أن يُعطي قريشاً ما مَنَّتْها أنفسها من الزّكاة ، وذلك أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه بَعَثَ إليهم في الزكاة فمنعوها ، وارتدُّوا عن الإسلام حتّى قاتلهم (عن الديوان ٢١٠) .

(٢) طِوَالُ السَّواعد : ينالونَ ما طلبوا .

(٣) خُشْعَة : هي أمُّ خارجة ، وهي البَقِيْرة ، كانت ماتت وهو في بطنها يرتكض ، فَبُقِرَ بطنها ، فسُمِّيَت البقيرة ، وسمي خارجة بهذا لأنّهم أخرجوه من بطنها .

ـ الشعر المتنازع عليه[١] :

قال الحُطَيْئَة محرِّضاً على الرِّدَّة مستنكراً خلافة أبي بكر : (ديوان الحطيئة ، ١٩٣) [من الطويل]

ألا كُـلُّ أرمــاحٍ قصــارٍ أذلَّــةٍ فـداءٌ لأرْمَـاحٍ رُكِـزْنَ علـى الغَمْـرِ[٢]
فــإنَّ الــذي أعْطَيْتُــمُ أو مَنعْتُــمُ لكالتَّمْرِ أو أَحْلَى لخَلْفِ بني فِهْرِ[٣]
فبـاسْتِ بنـي عَبْسٍ وأفْنَـاءِ طيـىءٍ وباستِ بني دُوْدَانَ حاشَا بني نَصْرِ[٤]
فِـدَىً لبنـي ذبيـانَ أُمِّـي وخَـالتـي عَشِيَّـةَ يُحْـدَى بـالـرِّمَـاحِ أبـو بَكْـرِ[٥]
أَبَوْا غيرَ ضَرْبٍ يحطِمُ الهامُ وسْطَهُ وطَعْـنٍ كـأفـواهِ المُـرَقَّعَـةِ الحُمْـرِ[٦]
فقُـومُـوا ولا تُعْطُـوا اللِّئـامَ مقـادةً وقُوْمُوا وإنْ كانَ القِيَامُ على الجَمْرِ
أطَعْنَـا رَسُـولَ اللهِ إذْ كـانَ صَـادِقـاً فيـا عَجَبـاً مـا بـالُ دِيْـنِ أبـي بكْـرِ
أيُـورِثُنَـا بَكْـراً إذا مـاتَ بعـدَهُ فَتِلْـكَ وبيـتِ اللهِ قـاصِمَـةُ الظَّهـرِ

---

(١) والأبيات منسوبة لعبد الله الليثي : تاريخ الطبري ٣/٢٤٦ ، وللخطيل بن أوس في الرِّدَّة ١٧١ ، ولحارثة بن سُرَاقة بن معديكرب في مختصر تاريخ دمشق ٤/٤٠٩ ـ ٤١٠ ، الرِّدَّة ١٧٢ ، وهي للحطيئة .
(٢) أي كُلُّ رماح قصارٍ تفدي رماحنا الطِّوال . الغَمْر : بئرٌ قديمةٌ بمكّة ، وقيل : ماء لبني طيىء قريبٌ من أكناف سَلْمى .
(٣) الخِلْفُ : الأولاد والنساء والأعقاب المقصود بهم من بني فِهْرٍ وهم من قريش .
(٤) باستِ فلان : تعبيرٌ يقال للتصغير والتحقير ، وهو يهجو بني عبس وطيىء ودُوْدان لأنهم أدّوا الزكاة ولم ينتقِضُوا على الإسلام ويمتدح بني نصر بن قَعِين من بني أسد لأنهم ارتدُّوا .
(٥) يُحدَى : يُرْمَى .
(٦) الحَطْمُ : الكَسْرُ . رَقَعَ الغَرَضَ بسهمه : أصابه ، وكُلُّ إصابةٍ : رَقْعٌ ، وقال ابن الأعرابي : رَقْعَةُ السهم صوتُهُ في الرُّقعة (لسان العرب : رَقَعَ) .

- ٦٥ -

حُوَيُّ بنُ سَعِيْد بنِ زَهْرَةَ السَّعْدِي

قال الشاعر حُوَي بنُ سعيد بنِ زهرة السعدي راثياً مالك بن نويرة التميمي مُعَرِّضاً بخالد بن الوليد (الرِّدَّة ١٠٧) : [من الطويل]

ألا قُـلْ لحَـيٍّ أُوطِئُـوا بـالسَّنَـابِـكِ ... تَطَاوَلَ هذا اللَّيلُ من بعدِ مالكِ[١]

عَـدَا خـالـدٌ بَغْيَـاً عليـه لعِـرْسِـهِ ... وكـانَ لـهُ فيهـا هـوىً قَبْـلَ ذَلـكِ[٢]

وأمْضَـى هـواهُ خـالـدٌ غيـرَ عـاطـفٍ ... عِنَـانَ الهَـوى عنهـا ولا متَمـالِـكِ[٣]

فـأصبَـحَ ذا أهْـلٍ وأصبـحَ مـالِـكٌ ... على غيرِ شيءٍ هالكاً في الهَوَالِكِ[٤]

فمَـنْ لليتَـامـى عـائِـلٌ بعـدَ مـالـكٍ ... ومن للرِّجالِ المُرْمِلينَ الصَّعَالِكِ[٥]

أُصِيبَـتْ تميـمٌ غَثُّهـا وسَمِينُهـا ... بفارِسها المَرْجُوِّ تحتَ الحَوالِكِ[٦]

---

(١) السُّنْبُك : طرف الحافر .

(٢) في وفيات الأعيان ٦/ ١٥ : (قضى خالدٌ . . .) . البَغيُ : الظُّلْمُ والعُدُوْلُ عن الحَقِّ .

(٣) في المصدر السابق ٦/ ١٥ : (فأمضى . . .) عَطَفَ : أَمَالَ . العنَان : سَيْرُ اللجام الذي تُمْسَكُ به الدَّابة ، ويقصد أن مالك لم يَكْبَح نفسه ويسيطر عليها .

(٤) المصدر السابق ٦/ ١٥ : (وأصبح ذا أهل . . . على غيرِ) .

(٥) المصدر السابق ٦/ ١٥ : (فمن لليتامى والأرامل . . . ومن للرجال المعدمين) . رَجُلٌ أرملٌ ، وامرأةٌ أرملة : محتاجة ، والأرْملة : الرجالُ المحتاجون الضعفاء ، والأراملُ : المساكين من النساء والرجال ، ورَجُلٌ أرمَلٌ : ذَهَبَ زادُه .

(٦) المصدر نفسه ٦/ ١٥ : (تحت الحوارِكِ) الغَثُّ والغَثيثُ : المَهْزُولُ . الحُلْكَةُ والحَلْكُ : شِدَّة السَّواد ، ويريد المصائبَ والأزمات .

- ٦٦ -

الخُطَيْلُ بنُ أَوْس

قال الخُطَيْلُ بن أوس في الرِّدَّة (تاريخ الطبري ٢٤٥) : [من الطويل]

فِـدًى لبنـي ذُبْيَـانَ رَحْلِـيْ ونـاقتـي   عَشِيَّـةَ يُحْـذَى بـالـرِّمـاحِ أبـو بكـرِ
ولكـن يُـدَهْـدَى بـالـرِّجـال فَهَبْنَـهُ   إلى قَدَرٍ ما إنْ يزيد ولاَ يَحري[1]
وللهِ أجْنَـادٌ تُـذَاقُ مَـذَاقَـهُ   لتُحْسَبَ فيما عُدَّ من عَجَبِ الدَّهرِ

---

(١) دَهْدَه الحَجَرَ فتدهده : دَحْرَجَهُ فتدحرج ، كدَهدَاهُ فَتَدَهْدَى (القاموس المحيط : دهده) .
حَرَى الشيءُ يَحرِي حَرْياً : نَقَصَ ، والحَرْيُ : النقصان بعد الزيادة (اللسان : حري) .
البيتان نظما على بحر قصيدة الحطيئة المشهورة وقافيتها ورويها ، وقد أوردهما الطبري (٣/ ٢٤٥) مقترنين ببيتِ الحطيئة الذي لم نثبته هنا ، ونقول : ربّما تمثّل الشاعر أبيات الحطيئة وزاد عليها .

أبو شَجَرَة بنُ عبدِ العُزَّى السُّلَمي

قال في قتال خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل الرِّدَّة واصفاً بلاءه في المعركة وحربَه للمسلمين : (تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦) [من الطويل]

فلـو سـألَـتْ عنّـا غـداةَ مُـرامـرٍ كما كنتُ عنها سائلاً لو نَأَيْتُها[١]

لقـاء بنـي فِهْـرٍ وكـان لقـاؤهـم غـداةَ الجِـوَاءِ حَـاجَـةً فقضيتُهـا[٢]

صبَرْتُ لهم نفسِي وعرَّجْتُ مُهْرَتي على الطَّعْنِ حتى صار وَرْداً كُمَيْتُها[٣]

إذا هـيَ صَـدَّتْ عـن كَمِـيٍّ أُريـده عَـدَلْـتُ إليـه صَـدْرَهـا فهـديْتُهـا

---

(١) في الإصابة ٧/ ١٧٢ : (ولو سألت سلمى غداةَ مَرَامرٍ) . وفي الوحشيات ٢٠٩ : (لو سألت عنّا غداة قُرَاقِرٍ . . . لو لقِيتُها) . مُرَامِر : اسم موضع ورد لدى عدة شعراء (معجم البلدان) .

قُرَاقِر : اسم وادٍ أصله من الدهناء ، وقيل : ماء الكلب ، وقيل : وادٍ لكلب بالسماوة من ناحية العراق نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام ، وقد أكثر الشعراء من ذكره . (معجم البلدان) .

(٢) في الإصابة ٧/ ١٧٢ : (وكان الطِعانُ في لؤيّ بن غالبٍ . . .) ، وفي الوحشيات ٢٠٩ : (لِقَاء بني نِمْرٍ . . . غداةَ الحوالي . .) .

(٣) الوَرْدُ : الوَرْدُ من الخيل : بين الكُمَيت والأشقر ج وُرْدٌ ، وأوراد . (القاموس المحيط : ورد) .

الكُمَيْتُ : الذي خالط حُمْرَتَهُ قُنوءٌ ، ولَوْنُه الكُمْتَةُ . (القاموس المحيط : كمت) .

الكَمِيُّ : الشُّجاعُ ، أو لابِسُ السِّلاحِ ج كُمَاةٌ وَأَكْمَاءٌ . (القامسو المحيط : كمي) .

قال أبو شَجَرة بنُ عبدِ العُزّى السُّلَمي يشجع المرتدين على القتال ويُظهر شماتته بالمسلمين (تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦) [من الطويل]

صَحَا القلبُ عن مَيٍّ هَواهُ وأَقْصَرَا ... وطـاوَعَ فيهـا العَـاذِلِيْـنَ فـأبْصَـرا[١]
وأصبحَ أدنَـى رَائِـدِ الجَهْـلِ والصِّبَا ... كمـا وُدُّهـا عَنَّـا كَـذَاك تَغَيَّـرا[٢]
وأصْبَـحَ أَدْنَـى رائِـدِ الـوصْـلِ منهُـمُ ... كمـا حبْلُهـا مـن حَبْلِنَـا قـد تبَتَّـرَا[٣]
ألا أيُّهـا المُـدْلِـي بِكَثْـرَةِ قَـومِـهِ ... وحَظُّـكَ مِنْهُـمْ أنْ تُضَـامَ وتُقْهَـرَا[٤]
سَـلِ النَّـاسَ عنَّـا كُـلَّ يـومِ كَـريهَـةٍ ... إذا مـا التَقَيْنَـا : دارِعِيـنَ وحُسَّـرا[٥]
أَلَسْنـا نُعـاطـي ذا الطِّمَـاحِ لجـامَـهُ ... ونَطْعنُ في الهَيْجَا إذا الموتُ أقْفَرا[٦]
وعــارِضَــةٌ شهبـاءُ تَخْطِـرُ بـالقَنَـا ... ترى البُلْقَ في حَافَاتِهَا والسَّنَوَّرا[٧]

---

(١) في الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ ، وفي الرِّدَّة ٧٩ : (صَحَا القلب عن سُعْدى . . .) .
(٢) وفي الرِّدَّة : الشطر الثاني ٧٩ .
(٣) وفي الرِّدَّة ٧٩ الشطر الأول : (وأصبح وُدِّي رايةَ الوَصْلِ منهمُ) ، تَبَتَّر : تَقَطَّع .
(٤) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ ، وفي الرِّدَّة ٧٩ : الشطر الثاني : وحَظُّكَ منهم أن تُضَامَ وتُقْسَرَا . وفي الإصابة : الشطر الثاني : (وحَظُّكَ منهم أن تُذَلَّ وتُقْهَرَا) . أدْلى بِرَحِمِه : تَوَسَّلَ ، وبِحُجَّتِه : أحضرها ، وأدْلى إليه بماله : دَفَعَهُ .
(٥) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ ، الرِّدَّة : ٧٩ ، الإصابة ٣/ ١٤١ . رَجُلٌ دارعٌ : عليه دِرْعٌ . حُسَّرٌ ج حاسِرٌ : مكشوف .
(٦) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥١ ، الرِّدَّة : ٧٩ الشطر الثاني : (ونَظْفُرُ في الهَيْجَا إذا الموتُ أضْجَرَا) ، الطِّماح : النُّشُور ، والجِمَاح ، من قولهم : طَمَح الفرس تطميحاً إذا رفع يديه . أقفر المكان : خلا .
(٧) تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦ البيت :

وعَـاضِـرَةٍ شَهْبَـاءَ تَخْطُـر بـالقنـا ... تـرى البَلْـقَ فـي حـافَـاتِهـا والسَّنَـوَّرا

الكامل : المبرِّد ٥٣ :

وعـارَضْتُهـا شَهْبَـاءَ تخْطِـرُ بـالقنـا ... تَـرَى البَيْـضَ فـي حـافـاتِهـا والسَّنَـوَّرا

يقصد بالعارضة : الكتيبة الشهباء لبياض السلاح الذي يتخلله سواد . والسَّنَوَّر : كلُّ سلاحٍ من حديد ، القنا : الرماح ، البَلَقُ : سَوَادٌ وبياضٌ كالبُلْقَة . وقد أثبتنا رواية الواقدي=

فَـرَوَّيْـتُ رُمْحِـي مـن كَتِيبَـةِ خَـالـدٍ وإنــي لأرْجـو بَعْـدَهَـا أن أُعَمَّـرا[1]

= لأن معناها أكثر وضوحاً .

(١) الاكتفا ١٥١ . الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣١ . الرِّدَّة : ٨٠ . الإصابة ٣/ ١٤١ . فتوح البلدان ١٣٦ . الكامل : المبرِّد : ٥٠٣ (قال أبو الحسن : هكذا روى أبو العبّاس « أن أُعَمَّرا » والـذي عنـدي « أن عمِّـرا » عنـى بـه عُمَـرَ بـن الخطـاب رضـي الله عنـه) والبيـت (وروَّيت . . .) .

- ٦٩ -

وقال بعد أن منع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنه العطاء : (تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٧) [من البسيط]

ضَـنَّ علينـا أبـو حفـصٍ بِنَـائِلِـه ... وكـلُّ مُختبـطٍ يَـومـاً لـه وَرَقُ(١)
مـا زالَ يُـرْهقنـي حتـى خَـذِيـت لـهُ ... وحالَ من دونِ بعضِ الرَّغْبَةِ الشَّفَقُ(٢)
لمَّـا رهبـتُ أَبـا حفـصٍ وشُـرْطَتَـهُ ... والشيْـخُ يفـزَعُ أحيـانـاً فَيَنْحمِـقُ(٣)
ثُـمَّ ارْعـويـتُ إليهـا وَهْـيَ جـانحَـةٌ ... مِثلَ الطَّريدةِ لم يَنْبُتْ لها وَرَقُ(٤)
أوردتهـا الخَـلَّ مـن شَـوْران صـادِرةً ... إنـي لأزْرِي عليهـا وَهْـيَ تنطلـقُ(٥)

---

(١) في الإصابة ٣/١٤١ : (قد ضَنَّ عَنَّا . . .) ، في الكامل : المبرِّد : (قد ضَنَّ عنها . . .) ، والبيت فقط في الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٢ . الخبط هو أن يختبط الراعي الشجرة أي يضربها حتى يسقط ورقها ثم يستخلف غيره في غير أن يضرَّ ذلك بأصل الشجرة ، فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله . أي : كل من يستجدي خيراً ينالُ منه .

(٢) في الإصابة ٣/ ١٤١ (ما زال يضربني حتّى جُذِبتُ له . . .) ، وفي الكامل : المبرِّد : ٥٠٣ (ما زال يضربني . . .) ، في الاكتفا ١٦١ (خديتُ له وحالَ من دون بعض البغية) .

خدي البعير خدياً إذا أسرع واشتدَّ في الجري ، خذيت له : أي خضعت له ، والشفق اسم من الإشفاق وهو الخوف .

(٣) انحمق واستحمق ، فهو أحمق : قليل العقل . في الاكتفا ١٦١ (لما لقيت . . .) .

(٤) الكامل : المبرِّد : ٥٠٣ :

ثـمّ التفـتُّ إليهـا وَهْـيَ حـانيـةٌ ... مِثْـلَ الـرِّتَـاجِ إذا مـا لَـزَّهُ الغَلَـقُ

في الاكتفا ١٦١ :

ثـم ارعـويـتُ إلـى وجنـاء كـاشـرة ... مثـل الطـريـرة لـم يثبـت لهـا الأفـق

ارعوَيْتُ إليها : راقبتُها ونظرتُ إليها ، هو يتحدَّث عن ناقته .

(٥) الاكتفا ١٥١ (اقتلتها الخل) ، الكامل : المبرِّد : ٥٠٣ : (أقْبلتُها الخَلَّ من شَوْرانَ مجتهداً . . .) ، وشوران : موضع لبني يربوع وواد في ديار بني سليم حرَّة من حرار الحجاز ، والخل : الطريق بين الكثبان ، والخل موضع باليمن ، وماء ونخل لبني العنبر باليمامة (معجم البلدان) .

أزري عليها : أحثُّها ، يتحدث عن ناقته فهي سريعة ولكنه كان يطلب النجاة وكان =

تَطِيرُ مَرْوُ أبانٍ عن مناسمها ... كما تُنوقِدَ عند الجهْبذِ الورِقُ[1]

إذا يُعارِضُها خَرْقٌ تُعارِضُهُ ... وَزْهَاء فيها إذا استعجلتها خُرُقُ[2]

ينوءُ آخرُها منها بأوّلها ... سُرُحُ اليدين بها نَهّاضَة العُنُقِ[3]

= مستعجلاً لذا أحس بأنها بطيئة وبذا يحثُّها ويعيب عليها ، والطريد : العرجون ، وأصل العنق ، ولعله يريد ضمورها ، والطريدة : ما طردت من صيدٍ أو غيره ، وما يُسرق من الإبل .

(١) الاكتفا ١٦١ (تطيرُ مرواص خُطاها عن مناسمها) ، المرو : حجارة بيض برّاقة تكون فيها النار وتُقدَح منها النار ، واحدتها مروة ، الْمَرْوُ : حجر أبيض رقيق يجعل منها المطارُّ ، يذبح بها ، والمرو شجر طيب الريح وضرب من الرياحين والناقة تمري مرواً : إذا أسرعت في الجري ، المناسم : مفردها مِنْسَمْ وهو خُفتُ البعير ، الجِهْبَذُ : الناقد الخبير . تتوقد : النقد والتنقاد : هو تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ، والورق : الدراهم المضروبة ، وأُبَان : جبل لبني فزارة وعبس شرقي الحاجز (معجم البلدان) .

(٢) الخَرْقُ : الأرض الواسعة تَتَخَرَّق فيها الرياح ج خُرُوق ، الخُرْق : ضِدَّ الرفق وأن لا يحسن الرجل العمل والتصرّف في الأمور . وزهاء : حمقاء ، أو ريحٌ كثُر هبوبها ، شبه بها ناقته في عدوها . عَرَضَ الفرسُ : مَرَّ عارضاً على جَنْبٍ واحد ، والعارِضُ : صفحة الخَدِّ ، كالعارضة ، وجانبا الوجه ، ج عَوارِض ، والعارضة : الصَّرامة ، العارض : الجبل أو سَفْحُه ، واعترض الشيء دون الشيء : حالَ .

(٣) الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة ١٦١ (نهاضةٌ فُنُقُ) ، الناقة الفنق : الفتية السمينة ، ناء نَوْءاً : نَهَضَ بجهدٍ ومَشَقَّة ، ونَاءَ بالحِمْل : نَهَضَ مُثْقلاً . وناء به الحِمْل : أثْقَله ، وأمالَهُ ، وناء : بَعُدَ .

فَرَسٌ سُرُحٌ ومُنْسرح : سريع . والأبيات الثلاثة الأخيرة تصف سرعة الناقة ، نهاضة العنق : عنقها ينهض في السير إذا سارت ارتفع . وفي البيت إقواء ، ويزول الإقواء لو قال : نهّاضةٌ عُنُقُ .

وقال في حروب الرِّدَّة وكان يرمي المسلمين فلا يغني شيئاً : (الكامل للمُبرِّد ٥٠٣) [مشطور الرَّجز]

هــا إنّ رَمْيِــي عَنْهُــمُ لمَعْبُــولْ[١]
فـلا صَـرِيـحَ اليـومَ إلاّ المَصْقُـولْ[٢]

(١) العَبْلُ : الضَّخْمُ من كل شيء وعَبَلَهُ : حبسه ، والعَبُولُ : المنية ، والمعبول : المردود . (اللسان : عبل) .
(٢) الصَّرْحُ والصَّرِيحُ والصُّرَاحُ : الخالِصُ من كُلِّ شيء . المصقول : السيف .

ما نُسِبَ له وهو لغيره :

وقال أبو شجرة بن عبد العُزّى السُّلمِي[1] : (الحماسة البصرية ٢/ ٢٧) [من المتقارب]

كــأنَّ المُــدَامَ وصَــوْبَ الغَمــامِ ... ورِيــحَ الخُــزَامَــى ونَشْــرَ القُطُــرْ
يُعَــلُّ بــه بَــرْدُ أنْيَــابِهَــا ... إذا طَــرَّب الطَّــائِــرُ المُسْتَحِــرْ

(١) نُسِبت الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، والراعي النميري ، وخالد بن يزيد بن معاوية في زوجه رملة ، والأبيات لامرىء القيس ، انظر ديوانه ، تحقيق حسن السندوبي ٩٦ .

- ٧٢ -
عبدُ اللهِ اللَّيْثِيْ

قال عبد الله الليثي[1] في الرِّدَّة (تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٦) : [من الطويل]

فهــلاّ رَدَدتُــمْ وَفْــدَنــا بِــزَمــانِــهِ ... وهــلاّ خشيتُـم حِـسَّ راغِيَـةِ البَكْـرِ[2]

(١) ورد هذا البيت في تاريخ الطبري (٣/ ٢٤٦) ، البداية والنهاية (٩/ ٤٤٢) ، ضمن ثلاثة أبيات أخرى للحطيئة ، عدا هذا البيت الذي لم ينظمه الحطيئة ولم نجده في دواوينه ، ولعل عبد الله الليثي تمثّل القصيدة وأضاف إليها هذا البيت ، وقد لاحظنا أنَّ ثلاثةً من الشعراء نظموا أبياتاً شديدة الشبه بأبيات الحطيئة ، وربما يقول قائل : لماذا أبيات الحطيئة بالذات ، وربما يكون الجواب لأنّها أبيات قيلت في الرِّدَّة ، وسرت بين الناس وانتشرت سريعاً وتداولها الجميع شعراء وغير شعراء ، وربما كان هذا سبباً من أسباب هذا التشابه مع قصيدة الحطيئة بالذّات .

(٢) الرُّغاء : صوت البعير : البكرة : الفتية من الإبل ج بكار .

- ما نُسِبَ له وهو لغيره :

وقال داعياً إلى الرِّدَّة (تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٦)[١] : [من الطويل]

أطعنا رسولَ الله ما كان بيننا ... فيالَعِبَادِ الله ما لأبي بكرِ
أيورثها بَكراً إذا ماتَ بعدَهُ ... وتلك لعمرُ الله قاصمةُ الظهرِ
وإنّ التي سألُوكُم فمنعتم ... لكالتَّمْرِ أو أحلى إليَّ من التَّمرِ

(١) الأبيات من قصيدة الحطيئة المشهورة ، وقد نُسِبَت إلى عبد الله الليثي ، انظر البداية والنهاية ٩/ ٤٤٢ .

- ٧٤ -

عَرْفَجَةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الذُّهْلِي

قال عَرْفَجَةُ بنُ عَبْدِ اللهِ الذُّهْلِي محرّضاً قومه على الرِّدَّة : (الرِّدَّة ١٧٧) [من الطويل]

لَعَمْـري ومـا عُمْـري عَلـيَّ بِهَيِّـنٍ ... لقـد قـالَ حَقّـاً حـارثُ بـنُ مُعَـاوِيـهْ
أيملِـكُ عَبْـدٌ رَبَّـهُ إنَّ دَهْـرَنـا ... لَيَطْـرُقُنـا فـي كُـلِّ حيـنٍ بِـدَاهِيـهْ(١)
فمـن مُبْلِـغٌ عَنَّـا عَتِيقـاً رِسَـالـةً ... لَبِسْـتَ لِبَـاسَ الظـالميـنَ عَـلانِيَـهْ(٢)
لَحَـا اللهُ مـن أعطـاكَ طَـاعـةَ بيْعـةٍ ... مُقِـرّاً ولا أبقـى لـهُ الـدَّهْـرَ بـاقِيَـهْ(٣)
أتَمْلِكُهـا دونَ القَـرَابَـةِ ظَـالِمـاً ... لـكَ الـذّبْـحُ ذَرْهـا إنّمـا هـي عَـارِيَـهْ

---

(١) يطرقنا : يدهمنا ويصيبنا ، الداهية : المصيبة .

(٢) عتيق : لقب للصِّدِّيق رضي الله عنه لُقِّبَ به لجماله ، وقيل : لأن النبي ﷺ قال له : أنت عتيقٌ من النار .

(٣) لحا اللهُ فُلاناً : قبّحهُ ولَعَنَهُ .

ـ ٧٥ ـ

عُطَارِدُ بنُ حَاجِب

قال عُطَارِد بن حاجب نادماً : (الإصابة ٤/ ٤١٩) [من البسيط]

أَضْحَت نبيتنا أنثى نُطِيْفُ بها ... وأَصْبَحَتْ أنبياءُ اللهِ ذُكْرَانا[1]

فلعنةُ اللهِ ربِّ النَّاسِ كُلِّهُمُ ... على سَجَاحٍ ومن بالكُفْرِ أَغْوانَا[2]

أَعْنِي مُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب لا سُقِيَت ... أصداؤهُ غيثُ مُزنٍ حيثما كانا[3]

ـ ٧٦ ـ

ـ ما نُسِبَ له وهو لغيره :

قال عطارد بن حاجب التميمي[4] (التذكرة الحمدونية ٣/ ٤٢٢) : [من الطويل]

أتيناكَ كي ما يعلمَ الناسُ فصلَنَا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسِمِ

بأنَّا فروعُ الناس في كُلِّ موطنٍ ... وأن ليس في أرضِ الحجازِ كدَارِمِ

(١) انظر الاكتفا ٨١ . الطبري ٣/ ٢٧٤ : (أمست نبيتنا . . . وأصبحت أنبياء الناس) . الكامل في التاريخ ٢/ ٣٥٦ . . . (أمست نبيتنا أنثى نطيف بها) . البداية والنهاية ٩/ ٤٥٨ ـ البيت الأول . تاريخ الرِّدَّة ٦٢ . المعارف ٤٠٥ . نطيف بها : نلمّ بها ونفارقها .

(٢) المعارف ٤٠٥ ، أغواه : أضلَّهُ وخيَّبه .

(٣) أثمار القلوب ٣١٥ .

(٤) نُسبت إليه الأبيات في سيرة ابن هشام ٤/ ٥٦٥ ، بينما ذكرت الأبيات في الأغاني ٤/ ١٥٨ منسوبة إلى الزِّبرِقان بن بدر .

- ٧٧ -

عَفِيْفُ بنُ مَعْدِي كَرِب الكِنْدي

قال عَفِيفُ بنُ مَعِدِي كرِب الكِنْدِي مُحَذِّراً قومه مغَبَّةَ رِدَّتهم : (الرِّدَّة : ١٨٢ ـ ١٨٣) [من الطويل]

وقَعْنَـا بـأمـرٍ مـا لنـا منـه مُخـرجُ ... سـوى دَفْعـهِ بـالصَّبْـرِ حتَّـى تَفـرَّجَـا
وإيْــزَاحِــهِ عنَّــا بغيــرِ خِــدَاجَــةٍ ... ولا خَيْرَ في أمرٍ إذا كان مُخْدَجَا[١]
مَنَعْتُــمْ زِيَــاداً مــالكــمْ وأظُنُّــهُ ... سيــوقِــدُهــا نــاراً عليكـم مُـوَهَّجَـا
فيُصْبِـحُ فيهـا مـن جَنَـاهـا سَفَـاهـةً ... قليـلَ العَـزَا عـن قـومِـهِ متَعَجِّجَـا[٢]
ألا خَبِّــرونــي والحَــوادِثُ جَمَّــةٌ ... ولا خيرَ في قولٍ إذا كان لَجلْلَجَا[٣]
أخيـلَ أبـي بكـرٍ تـردُّونَ عنكُـمُ ... إذا مـا أتَتْكُـمْ أم تـردونَ مَـذْحِجَـا
أظُنُّكُــمُ واللهُ غــالــبُ أمْــرِهِ ... ستبغُونَ في الحربِ الهُمَامَ المُتَوَّجَا
وتبغــونَ فيهــا كُـلَّ فـارسِ بُهْمَـةٍ ... إذا اشتدَّ يوماً حالة القومِ أهوَجَا[٤]

---

(١) الخِدَاج : إلقاء الناقة ولدها قبل تمام الأيام ، وصَلاتُه خِدَاج : أي نقصان ، ورجل مُخْدَج اليد : ناقَصها ، وأمر مخدج : ناقص . (القاموس المحيط : خدج) .

(٢) العَجَاج : رعاع الناس ، والعَجَّاج الصَّيَّاح من كل ذي صوت . (القاموس المحيط : عجج) .

(٣) اللَّجْلَجَةُ ، والتلجلج : التردُّدُ في الكلام .

(٤) البُهْمَة : الشجاع الذي لا يُهْتَدى من أين يُؤْتَى .

- ٧٨ -

عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزَارِي

قال عيينة بن حصن نادماً عندما تبين له كذب طليحة : (في الرِّدَّة : ٩١) [من الخفيف]

خَـفَّ حِلْمِـي أطـاعَنـي أصحـابـي ... والهَــوَى فــي طُلَيْحَــةَ الكَــذَّاب
صَــرَّحَ الأمــرُ بعــدَ طُــولِ شُــرُورٍ ... عــن غُــرُورٍ كَمُخْلَفَـاتِ السَّحَـابِ[1]
ورَمَــانَــا بِفِتْنَــةٍ كلَظَــى النَّــا ... رِ رَجَعْنَــا بهــا علــى الأعْقَــابِ
فَلَئِــنْ كــان مــا يقــولُ سَــرَابــاً ... وَهَبــاءً يَغُــرُّ مِثْــلَ السَّــرَاب
مــالَنَــا اليــومَ فــي طُلَيحَــةَ رأيٌ ... غَيْـرُ شَـدِّ النِّحَـى وتَـرْكِ القِبَـابِ[2]
ثـــمَّ لا ينظــرُ الحــديــدُ إليــه ... مـا عَـوَى الليـلَ نـابحـاتُ كـلاب[3]

---

(١) الخَلْفُ والخِلْفَةُ : الاستقاء ، قال الحطيئة :

سقاها فروّاها من الماء مُخْلِفِ (اللسان : خلف) .

(٢) ج نحى : سهم عريض النصل ، والنّحى : الزِّقُّ . وجرَّة فخّار يُمخض فيها اللبن ، ونوع من أنواع التمر ، (اللسان : نحا) .

القِبَاب : القَبُّ : ضربٌ من اللُّجْمِ أصعبها وأعظمها ، والقُبَّةُ : معروفة والجمع قُبَبٌ وقِبَاب .

(٣) ما عوى الليل نابحات كلاب : ما بقيت الكلاب نابحة في الليالي .

اشتكى مالك بن أبي زُفَر الغطفاني لأميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنَّ عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري يتطاول عليه ، ويفتخر بنفسه وبآبائه ، فقام عُمَر إلى عُيَيْنَة ، فعلاه بالدِّرَّة وقال له : يا عُيينة ، أنت طليقُ أهل الرِّدَّة ، والله لا أرضى عنكَ أبداً حتى يشفع لك مالك ، فبات عُيَيْنَة يُنشد هذه الأبيات ، وفيها يتذمَّرُ من حكم عمر فيه ، ويعتذرُ عن الرِّدَّة : (تاريخ المدينة المنوّرة ٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩) [من الطويل]

حلفــتُ يمينــاً ذي مَثْنَــوِيَّــةٍ ... لَقَلْبُ أبي حفصٍ أشدُّ من الحَجَرْ(١)
أيشتِمُنــي الفــاروقُ واللهُ غــافِـرٌ ... له ما مضى إنْ أَصْلَح اليومَ ما غَبَرْ(٢)
فــآلــى يمينــاً لا يُــراجِــعُ قَلْبَــهُ ... عُيَيْنَــةُ حتــى يشفَــعَ ابــنُ أبــي زُفَـرْ
ولَلْمَـوْتُ خيـرٌ مـن شَفَـاعَـةِ مـالِـكٍ ... إلــى عُمَــرَ للهِ مِــنْ كبــدِي عُمَــرْ
علـى غَيْـرِ ذَنْـبٍ غيـرَ أنِّـي قـائِـلٌ ... عُيَيْنَـةُ محمـودُ الـزِّيـادَيـنِ فـي مُضَـرْ
وآبــاؤُهُ الغُــرُّ البَهــالِيــلُ مِنْهُــمُ ... حُذَيْفَةُ شَمْسٌ وابنُهَا حِصْنُها القَمَرْ(٣)
فــإن يــكُ كــانــت مِنِّــي العــامَ رِدَّةٌ ... فَلَسْــتُ أَبَــا حَفْـصٍ بــأوَّلِ مــن كَفَـرْ
ولــلأَشْعَــثُ الكِنْــدِيُّ أعظَــمُ غَــدْرَةً ... وأنكــى بهــا مــن حــيٍّ ذُبْيَــانَ إذ غَـدَرْ
فــأنكَحَــهُ الصِّــدِّيــق واختــارَ قــومَــهُ ... وأمْسَى يُفَدَّى اليومَ بالسَّمْعِ والبَصَرْ(٤)
وأنــي لــه إذا كــان قــد . . . . لــه دون . . . . . وكــانَ لــهُ نَفَــرْ

---

(١) يمين غير ذي مثنويّة : غير محلّلة ، وأصلُهُ من الرَّدِّ والثَّني ، لأنَّ الحالِفَ إذا قال : والله لا أفعَلُ كذا وكذا إلاَّ أن يشاء الله غيره ، فقد ردُّوا ما قاله بمشيئة الله غيره . (اللسان : ثنى) .

(٢) غَبَرَ : مضى .

(٣) الغُرُّ : البيضُ . البهاليل : ج بهلول ، وهو العزيز الجامع لكلِّ خير ، أو الضحّاك ، أو الحييُّ الكريم .

(٤) يُفَدَّى : يُقال له : جُعِلته فداك .

فلما بَلَغَ عمر رضي الله عنه قوله قال : يا عُيَيْنَة ، إني كان على حِلْفَتي فاحتل لنفسك ، فأتى عُيَيْنة مالكاً فلم يجده ، فقعد على بابه ينتظره . . . وجاء مالك فكلَّمه عُيَيْنة أن يشفع له إلى عمر رضي الله عنه فمشى معه إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عُيَيْنَة حَرِجُ الصَّدْرِ ضَيِّقُ الذَّرْعِ يخافُهُ من فوقه ويُخيفه من دونه ، فارضَ عنه ، فرضِيَ عنه ، فقال عُيَيْنَة : هذه شَرٌّ من الأولى . (تاريخ المدينة المنوّرة ٢/ ٦٩٠) . =

- ٨٠ -

قال مادحاً عمرو بن معدي كرب : (في الأغاني ١٥/ ١٧١ ـ ١٧٢) [من الطويل]

جُـزِيـتَ أبـا ثَـوْرٍ جـزاءَ كـرامـةٍ   فنعْـمَ الفتـى المُـزْدَار والمُتَضَيِّـفُ
قَـرَيْـتَ فـأكـرمْـتَ القِـرَى وأفـدتنـا   نَجيثـة علـمٍ لـم تكـن قـطُّ تُعْـرَفُ[1]
وقلـتَ حـلالٌ أن نُـدِيْـرَ مُـدامـةً   كلونِ انعقاقِ البرْقِ والليل مُسْدِفُ[2]
وقـدَّمـت فيهـا حُجَّـةً عـربيَّـةً   تردُّ إلى الإنصاف من ليس يُنْصِفُ
وأنـت لنـا واللهِ ذي العـرش قُـدوَةٌ   إذا صَـدَّنـا عـن شُـربهـا المتكلِّـفُ
نقـولُ أبـا ثـورٍ أحَـلَّ حـرامَهـا   وقـولُ أبـي ثـورٍ أسَـدُّ وأعْـرَفُ

---

(١) القِرى : الضِيافة ، وقَرَى الضَّيْفَ قِرَىً : أضافه ، واستقرى واقترى : طَلَبَ ضيافة . نَجَثَ الشيء : استخرجه ، ونجيْثُ الأخبار : بَحَثَها ، ونَجِثْتُ القوم : أمرهم الذي كانوا يُسِرُّونه . (اللسان : نجث) . أبو ثور : كنية عمرو بنِ معدي كرب .

(٢) المُدَامة : الخمر . السَّدَف : ظلمة الليل ، عَقَّ البَرْقَ وانعقَّ : انشقَّ ، والانعقاق : تشقُّقُ البرق . (اللسان : عقق) .

- ٨١ -

وقال يهجو ولدَ يَعْصُر ، وهم غَنِيٌّ وباهِلةُ والطَّفاوة : (في الكامل ٧٤٢)

[من الطويل]

أباهِلُ ما أدري أمِنْ لُؤْمِ منصبي   أُحِبُّكُمُ أم بي جُنونٌ وأَوْلَقُ[1]

أُسَيِّدُ أخوالي ويَعْصُرُ إخوتي   فمَنْ ذا الَّذي مِنِّي مع اللُّؤْمِ أَحْمَقُ

---

(١) الأَوْلَقُ : شبه الجنون ، وهو أفعل لأنهم قالوا أُلِقَ الرجل ، فهو مألوق ، والوَلْق : الكذب . (اللسان : ولق) .

وقال شاكراً عفو أبي بكر الصِّدِّيق عنه : (في الرِّدَّة : ٩٦) [من الكامل]

إنِّـــي لشَــاكِــرُ نِعْمَــةَ الصِّــدِّيــق ... ذاك المُعَصَّــبِ بــالأمــورِ عتيــقِ[١]

تَنْميـه مــن تيــم بــنِ مُــرَّةَ خيـرُهـا ... مــن فَـرْعِهـا وأشَمِّهـا الغـرنيـقِ[٢]

واللهِ لــــولا عَفْـــوُهُ وفِضَـــالُـــه ... ضـاقَ البـلادُ ولـم يَسُـغْ لـي ريقـي

إذ قــال قــائِلُهــمْ عُيَيْنَــةُ هــالِــكُ ... وجَـرَتْ ظُنُـونُ النفـسِ بـالتحقيـقِ

إنِّــي لعَمْــرُكَ يــومَ أطلــبُ حَــرْبَــهُ ... لأخُـو الضَّـلالِ مُجَـانِـبُ التـوفيـقِ

أنــت الــذي كُنَّــا نُــؤَمِّــلُ دُوْنَهَــا ... طُــولَ الشَّجَـا وتَنَـاوُلَ العَيُّـوقِ[٣]

---

(١) المُعَصَّب : المُسَوّد . سُمِّي كذلك لأنَّهُ يُعَصَّبُ بالتاج (اللسان عَصَبَ) .

(٢) الغِرنَيْقُ والغِرْنِيْقُ : الأبيض الشاب الناعم الجميل (اللسان : غرنق) .

(٣) العيُّوق : كوكب أحمر مضيء بحبال الثريا في ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء ، سمي بذلك لأن يَعُوق الدَّبرَان عن لقاء الثُّريا ، وقد ضُرِبَ به المَثَلُ فَقيل : أبعَدُ من العيُّوقِ أو من مَنَاطِ العَيُّوق . (موسوعة أمثال العرب ٢/ ٤٣) .

- ٨٣ -

الفُجَاءَةُ بنُ عَبْدِ يَالِيل

قال الفُجَاءة بنُ عَبْدِ يَالِيل نادماً عندما تبين له كذب طليحة : (في الرِّدَّة : ٧٦) [من الوافر]

أَلَـمْ تَـرَنِـيْ خَـدَعْـتُ القَـوْمَ حتَّـى قَـوِيْـتُ بمـا أَخَـذْتُ مـن السِّـلاحِ
وقلـتُ لـه : أبـا بكـرٍ أَعِنِّـي علـى مـن بـالبُـزَاخَـةِ والبُطَـاحِ
وقُلْـتُ لـهُ : أُقَـاتِـلُ مَـنْ عَصَـاكُـمْ وأنصُـرُكُـمْ علـى أهْـلِ الجُنَـاحِ[1]
فَقَـوَّانِـي بكـلِّ أَقَـبَّ نَهْـدٍ وبِيْـضٍ كـالعَقَـائِـقِ والـرِّمَـاحِ[2]
فَمِلْـتُ بِهَـا علـى الأَقْصَيْـنِ قَتْـلاً وفـي الأَدْنَيْـنِ آثَـارُ الجِـرَاحِ
ولسـتُ أَرَى علـى تَقْتِيْـلِ قَـوْمِـي ولا قَتْـلِ الأَبَـاعِـد مـن جُنـاحِ
سـوى أنِّـي أَقُـولُ إِذَا اعتَـرَتْنِـي هُمُـومُ النَّفْـسِ مِـنْ كُـلِّ النَّـواحِـي
ستلْقَـانِـي المَنِيَّـةُ مُسْتَقِـلاً بـأَوْتَـادِ الـرِّجَـالِ ذَوِي السِّـلاحِ[3]
وتلـكَ سَجِيَّتِـي إنِّـي وَلُـوعٌ بِـإِيْثَـارِ الفَسَـادِ علـى الصَّـلاحِ

---

(١) جَنَحَ جُنوحاً : مالَ ، ويقصد بهم من انحرفوا عن الطريق الصواب وأرادوا الارتداد .

(٢) العقائق : جمع عقيقة وهي البرقة تستطيل في عرض السحاب يشبهون بها السيوف ، الأقب : الحصان دقيق الخَصْرِ .

(٣) أوتادُ الأرض : جبالها ، وأوتادُ الرِّجال : رؤساؤها .

ـ ٨٤ ـ

قُرَّةُ بنُ هُبَيْرَةَ القُشَيْرِيّ

قال قُرَّة بن هبيرة ممتناً ونادماً بعد أن أطلق أبو بكر الصديق رضي الله عنه سراحه : (الرِّدَّة : ٩٩ ـ ١٠٠) [من المتقارب]

جـزَى اللهُ بـالخيـرِ تَيْـمَ بـنَ مُـرَّةْ ... وإنْ جُـرِعَـتْ كـأسُهَـا المُـرَّه[١]

بـإطْـلاقِـهِ الغُـلَّ خيـرَ الجَـزا ... وإبـلاعِهـا الـرِّيـقَ كـم مَـرَّهْ

أَرَدْتُ الفِـرارَ وأيـن الفِـرَارُ ... مـن اللهِ رَبِّـكَ يـا قُـرَّهْ

حلفْـتُ لقـومِ بنـي عـامِـرٍ ... وكـانـتْ يمنـي لهـم بَـرَّهْ

علـى الخيـل يَقْـدمُهـا خَـالِـدٌ ... وكـانـتْ هَـوازِنُ مُغْتَـرَّهْ

وأعْطَـوْا هنـاكَ بـأيـديْهُـمُ ... كمـا تُعْطِـي الأَمَـةُ الغِـرَّهْ[٢]

قضَـى اللهُ ربُّـكَ ذا غَـالِـبٌ ... وقـدْرَةُ ربِّـي هـي القُـدْرَهْ

---

(١) البيت مضطرب الوزن وكذلك البيت الثاني .

(٢) الغرير والغِرُّ : الشابُ لا تجربة له ج أغِرَّاءُ وأغِرَّه . والأنثى غِرّ وغِرَّة (القاموس المحيط : غَرَرَ) .

وقال مادحاً رسول الله ﷺ ، بعد أن أسلم وولاّه صدقات قومه : (الإصابة ٥/ ٣٣٤) [من الطويل]

حَبَاهَا رَسُولُ اللهِ إذ نَزَلَتْ بِهِ   فأمكنها من نَائِلٍ غَيْرَ مُفْقَدْ[1]
فأضحت بِرَوْضِ الخُضْرِ وهي حَثِيْثَةٌ   وقد أُنْجِحَتْ حَاجَاتُهَا من مُحَمَّدِ[2]
عليها بنيٌ لا يُرْدِفُ الذَّمَّ رَحْلُهُ   تَرُوْكٌ لأمْرِ العَاجِزِ المُتَرَدِّدِ[3]

- في شعر الدعوة الإسلامية ٥٤٧ :

فما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها   أَبَرَّ وأوفى ذِمةً من مُحَمَّدِ[4]

---

(١) في الطبقات الكبير ٦/ ٢٠١ (غير مُنْفَد) ، وفي معجم البلدان ٥٧١٧ (وأمكنها من نَائِلٍ غير منفذِ) .

(٢) في معجم البلدان ٥٧١٧ (فمرّت بروض الخضر . . .) .

(٣) في البداية والنهاية ٧/ ٣٥٨ (عليها فتىً . . .) .

(٤) في شعر الدعوة الإسلامية ص٥٤٧ .

وقال رافضاً نصحَ عمرو بنِ العاصِ داعياً قومَهُ إلى مَنْعِ الزَّكَاةِ : (الرِّدَّة : ٩٨) [من الخفيف]

إن عَمْـــراً يـــرى نصيحَـــةَ غِـــشّ ويَـــرَى كُـــلَّ مـــا أقـــولُ خَبَـــالا[1]
ليـسَ مـا وافـقَ الهَـوَى بِصَـوابٍ أن يكُـــونَ المَســـوَّدُونَ نِعَـــالا[2]
ثـــانِيَـاً عِطْفَـــهُ نحـــوَ فتـــىَ الحَـــرْ بِ سَفَـــاهـــاً ويضـــرِبُ الأمْثَـــالا[3]
فَلَفَقْـــتُ الجَـــوابَ هيبـــةَ مـــا قـــا لَ وقـــد كنـــتُ لا أهَـــابُ الـــرِّجـــالا
قلـــت خَلُّـــوا عـــن الغَـــريـــب وكُفُّـــوا عـــن أذاهُـــمْ وثَمِّـــرُوا الأمْـــوَالا[4]
ثـــم عُـــودُوا عليهـــمُ فخُـــذوا المـــا لَ ولا تَتْـــرُكُـــوا عليهـــم عِقَـــالا
إنَّ هـــذا الـــرأيَ الشَّفِيـــقَ علـــى الـــدِّيـ ـــنِ وقـــد خِفْـــتُ أن يكـــونَ وَبَـــالا[5]

---

(١) الخَبَلُ : الجنون ، والخَبَالُ : النُّقْصانُ والهلاكُ والعَنَاءُ وصَدِيدُ أهْلِ النار . (القاموس المحيط : خَبَلَ) .
(٢) النَّعْلُ : الرَّجُلُ الذّليل يوطأ كما توطأ الأرضُ .
(٣) ثاني عِطْفِه : متكبرٌ مُعرضٌ .
(٤) ثمَّرَ الرجلُ مالَهُ : نمَّاهُ وكثَّرَهُ .
(٥) الشَفَقُ : الخوف ، وحِرْصُ الناصحِ على صلاحِ المَنْصُوحِ ، الوَبَالُ : الشِّدَّةُ والثِّقلُ .

- ٨٧ -

وقالَ متحدّياً عمرو بن العاص والمسلمين : (الرِّدَّة ٩٨-٩٩) [من مشطور الرَّجز]

يا عَمْرو يا ابنَ العاصِ يا ابنَ وائِلِ[١]
لا يـوحِشَنْـكَ اليـومَ قَـولُ قـائِـلِ
مـن قَيْـسِ عَيْـلانَ وقـولُ فـاعـلِ
ليـسَ لِـذِي الـدِّيـنِ بـذي غَـوائِـلِ[٢]
أوعَـدْتَنَـا يـا عَمْـرو بـالقَبَـائِـلِ
لَسْـتَ بمـا أَوْعَـدْتَنَـا بـالطَّـائِـلِ
إنْ تَـأْتِنَـا تَعْضُـضْ علـى الأنَـامِـلِ

(١) تحذف ألف ابن بعد أداة النداء يا ، وقد أثبتناها كما وردت في المصدر ، والصواب : (يابن) .
(٢) الغوائل : الدّواهي .

- ٨٨ -

أبو قُرَّةَ الكِنْدِيّ

يقول أبو قَرَّة الكنْدِي مُسْتَنْكراً فعل الأشعثِ بنِ قيس الكِنْدِي في قتل رَسُولِ أبي بكر محرِّضاً قومه على الرّحيل عنه : (الرِّدَّة : ١٩٢ ـ ١٩٣) [من الطويل]

قَتَلْتُـم رسـولاً أنْ أتَـى بِـرِسَـالـةٍ وليـس عليـه أو إليـه سبيـلُ
فجِئْتُـمْ بـأمـرٍ فيـه خَـوْفٌ عليكُـمُ وذلـك خِـزْيٌ فـي الحيـاةِ طـويـلُ
فلسـتُ علـى هـذا أُقِيـمُ وإنَّنِـي لَمُـرْتَحِـلٌ إنَّ الصَّـوابَ رحيـلُ
أخـافُ عليكـم أنْ تَنَـادَوا بضَبِّكُـمْ[1] وقـد هلكَـتْ مـن بَعْـدُ ذاك جَـدِيـلُ
وقد هلكَتْ من قَبْلُ طَسْمٌ وخَثْعَمٌ وقد هلكَتْ من بَعْدُ ذاك جَدِيلُ[2]

---

(١) الضب : الحقد والغيظ ، والضب : سيلان الدم ، والضبيب : حدُّ السيف . (القاموس المحيط : ضبب) .

بنو جديل : بطنٌ من أسد من ربيعة بن العدنانية بن نزار بن معد بن عدنان (نهاية الأرب ٢٠٥) وهم بنو جديلة بن أسد بن ربيعة .

(٢) بنو طسم : هو طسم بن لاوذ بن سام بن نوح بن عاد (نهاية الأرب ٣٢٤) .

بنو خثعم : بطن من أنمار من أراش من القحطانية (نهاية الأرب ٣٢٤) .

- ٨٩ -

مَالِكُ بنُ نُوَيْرَة التَّمِيْمِيّ

وقال مالك بن نويرة مفتخراً بردّته (ديوان مالك بن نويرة ٦٦) : [من الطويل]

يقــولُ رجــالٌ سَــدَّدَ اليــومَ مــالِــكٌ وقــومٌ يقــولــوا مــالِــكٌ لــم يُسَــدَّدِ[1]

وقلتُ خُذوا أموالَكُمْ غيرَ خائفٍ ولا نــاظِــرٍ فيمــا تخــافــونَ مــن غَــدِ

ودُونَكُمــوهــا إنَّهــا صَــدَقــاتُكُــمْ مُصَــرَّرَةٌ أخــلاقُهــا لــم تُجَــدَّدِ[2]

ســأجْعَــلُ نفســي دونَ مــا تَحْــذَرُونَــهُ وأَرْهُنُكُــمْ يــومــاً بمــا أفلَتــتْ يــدِي

فــإن قــامَ بــالأمــرِ المُخَــوِّفِ قــائِــمٌ أطَعْنَــا وقُلْنَــا الــديــنُ دِيــنُ مُحَمَّــدِ

وإلاّ فَلَسْنَــا فَقْعَــةً بتَنُــوفَــةٍ ولا شَحْــمِ شَــاءٍ أو ظِبَــاءٍ بفَــدْفَــدِ[3]

وفي الأنوار ومحاسن الأشعار ١/ ١٣٧ :

فقلــتُ دعــونــي لا أبــا لأبيكــم فلم أُخْطِ رأياً في المَعَادِ ولا البَدِي[4]

---

(١) سَدَّد تسديداً : قَوَّمَ ووَفَّق للشدادِ .

(٢) صَرَّ الناقةَ يَصُرُّها صَرّاً : شَدَّ ضَرْعها (اللسان : صرر) ، الأخلاف ج الخِلْف : حَلَمَةُ ضَرْعِ الناقة ، أو طَرَفُهُ . (اللسان : خلف) .

(٣) الفَقْع والفِقْع ، بالفتح والكسر : الأبيض الرخو من الكَمْأَة وهو ضربٌ من أردأ الكَمْأَة وأسرعها فساداً ، ويُشَبَّهُ به الرّجل فيقال : أذلُّ من فَقعٍ بقرقرٍ لأن الدّواب تَنْخُلُه بأرجُلِها . (اللسان : فقع) .

التَّنُوفَةُ والتنوفية : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . (اللسان : تنف) .

فدفد : الفلاة ، والأرض الغليظ ذات الحصى ، والموضع الغليظ المرتفع ، والأرض المستوية . (اللسان : فدفد) فدفد . شحم شاء : قريب من قولهم : (تركتهم لحماً على وضم) إذا أوقع بهم فذلّهم وأوجعهم (اللسان : وضم) .

(٤) البيت غير موجود في الديوان ضمن قصيدته ص٦٦ .

وقال مفتخراً بردّته (ديوان مالك بن نويرة ٨٠ ـ ٨١) والخبر : (فَرَّق مالكٌ الصَّدَقَة ، فكلّمه الأقْرَعُ بنُ حَابِس المُجَاشِعي والقَعْقَاعُ بنُ مَعْبَدِ بنِ زُرَارَةَ الدَّارِمِي فقالا له : إن لهذا الأمر قائماً وطالباً فلا تعجل بتفرقة ما في يدك ، فقال) : [من الوافر]

أرانـــي الله بـــالنَّعَـــمِ المُنَـــدَّى ... بِبُـرْقَــةِ رَحْـرَحَــانَ وقــد أرانــي[١]
أإن قَـــرَّتْ عُيُـــونٌ فـــاسْتُفِيْئَـــتْ ... غَنَــائِـمُ قــد يَجُــودُ بهــا بَنَــانِــي
حَـويـتُ جَمِيْعَهـا بـالسَّيْـفِ صَلْتـاً ... ولــم تَـرْعُـد يـدايَ ولا بَنَــانــي[٢]
تَمَشَّـى يـا ابـنَ عَـوْذَةَ فـي تميـمٍ ... وصـاحِبَـكَ الأُقيـرع تلحَيـانــي[٣]
ألـــم أكُ نـــارَ رائِبَـــةٍ تَلظَّـــى ... فتتّقيـــا أذايَ وتـــرهَبـــانـــي[٤]
فقـل لابـن المَـذَبّ يَغُـضُّ طَـرْفـاً ... علــى قَطْـعِ المَـذلَّـةِ والهَـوَانِ[٥]

---

(١) برقة رحرحان : رَحْرَحان وشيء رَحرَاحٌ أي فيه سَعَةٌ ورِقّة ، وهو اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات قليل هو لغَطَفَان . (معجم البلدان : حرحان) .

(٢) الصلت : السيف الصقيل الماضي .

(٣) ابن عَوْذة : يقصد أمَّ ضِرَار بنِ القَعْقَاع وهي مُعَاذَةُ بنتُ ضِرَار بنِ عَمْرِو الضّبيّ .

(٤) رَبَأ ـ كَمَنَعَ ـ أي صار ربيئةً لهم ، أي طَليعة ، ورَبَأ : أصلح .

(٥) يقصد بابن المَذَبّ : الأقرعَ بنَ حَابِس ، والمَذَبّة : أمُّ الأقرع ، وقد عرفت بهذا الاسم .

ـ ٩١ ـ

وَكِيْعُ بنُ مَالِك التَّمِيْمِيُّ

قال وَكِيْعُ بنُ مالِك التَّمِيْمِيّ عِنْدَ عَودَتِهِ إلى الإسلامِ : (تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٦) [من الطويل]

فـلا تَحْسَبـا أنِّـي رَجَعْـتُ وأنَّنِـي مُنِعْـتُ وقـد تُحْنَى إلـيَّ الأصـابِعُ[١]
ولكنّنـي حـامَيْـتُ عـن جُـلِّ مـالـكٍ ولاحَظْتُ حتى أكْحَلْتني الأخادِعُ[٢]
فلمّـا أتـانـا خـالـدٌ بلـوائِـهِ تَخَطَّـتْ إليـهِ بـالبُطَـاحِ الـوَدَائـعُ[٣]

---

(١) في معجم البلدان : تُحنى عليّ الأصابع ، وفي ذلك يقول العرب : عَقَدَ عليه خنصر ، وذلك عند العَدّ .

(٢) في معجم البلدان : أكحلتني ، والكلوح : التكشير في عبوس . الأكحل : عِرْقٌ في اليد ، أو هو عِرْقُ الحياة . (القاموس المحيط : كَحَلَ) .

الأخدع : عِرْقٌ في المَحْجَمَتَيْنِ ، وهو شُعْبَةٌ من الوريدِ ج أخادِعُ (القاموس المحيط : خَدَعَ) ، والأخدعان : عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق ، ورجل مخدوع : قطع أخدعه ، ورجل شديد الأخدع أي شديد موضع الأخدع والأكحل : عرق في اليد يُفصد بكثرة ، فإذا قطع في اليد لم يَرقأ الدم (اللسان : خدع ، كحل) . يقصد مالك بن نويرة .

(٣) يقصد خالد بن الوليد ، البُطَاح : ماء لبني أسد ، والبِطَاح : أرضٌ في بلاد بني تميم ، وهناك قاتل خالد بن الوليد أهل الرِّدَّة . (معجم البلدان) .

الشعراء المجهولون في عهد الرّاشدين

ـ رتبنا الشعراء المجهولين بحسب الترتيب الهجائي للقبائل فجعلنا شعراء أسد أولاً ، ويليهم شعراء بكر بن وائل ، فشعراء دَبَا ، فشعراء كندة .

ـ ٩٢ ـ

رجل مجهول من أسرى أسد أو غيرها

جمع خالد بن الوليد الأسارى جميعاً من بني أسد وغطفان وفزارة ، وعزم أن يوجه بهم إلى أبي بكر ، فأنشأ رجلٌ منهم يقول (الرِّدَّة : ٩٥) [من الخفيف]

صَـــدَّنَـــا والهَــوَى لـــهُ أسْبَـــابُ ‌‌ عَـــنْ هَـــوَانـــا طُلَيْحَـــةُ الكَـــذَّابُ
لبِـــسَ العـــارَ بـــاتِّبـــاعِ هَـــوَاهُ ‌‌ فـــإذا قـــولُـــهُ اللَّعِيْـــنُ سَـــرَابُ
فـــأَجَبْنَـــا إِذ دَعَـــانَـــا سَفَـــاهَـــا ‌‌ وسَجِبْنَـــا وللشَّقَـــا أصْحَـــابُ
يَـــا عُيَيْـــنُ بـــنُ حِصْـــنِ آلِ عَـــدِيٍّ ‌‌ أنْتُـــمُ مـــن فَـــزَارةٍ أذْنَـــابُ[1]
حَسْبُكَ اليـومَ مـن طُلَيْحَـةَ مـا حَسْبُـ ‌‌ ـــكَ طـــالَ البَـــلاَ وقَـــلَّ العِتَـــابُ

---

(١) يقصد عيينة بن حصن الفزاري ، وقد مرّت ترجمته . ص .

رجل من بكر بن وائل

وقال رجلٌ من بني بكر بن وائل ، في أثناء ردّة أهل البحرين ، مؤازراً المُنْذِرَ بنَ النُّعْمان ، متوعّداً المُثَنَّى بن حارثة الشَّيْباني قائد المسلمين : (الرِّدَّة : ١٥١)

[من الطويل]

نَسيرُ إلى البحرينِ نأكُلُ تَمْرَها ... ونرعَى حِمَاهَا بِالقَنَا والقَبائِلِ
ونَعْرُكُها عَرْكَ الأدِيمِ بِفِتْيَةٍ ... عَرَانِينَ من أفْنَاء بَكْرِ بن وائلِ (١)
فَتُصْبِحُ عَبْدُ القَيْسِ فيها أذِلَّةً ... كَفَقْعَةِ قاعٍ أو كَشَحْمَةِ آكِلِ (٢)
ونجعلُ هذا المُلْكَ في آلِ مُنْذِرٍ ... كما كَانَ فيهِمْ في الدُّهُورِ الأوائِلِ
ونحنُ يَدُ النعمانِ لا تُنْكِرونَهُ ... على غيرِ حَافٍ من مَعَدٍّ ونَاعِلِ
وقالَ رِجالٌ خاذِلُونَ لقومِهِمْ ... ذَرُوْا البحرَ لاَ تَغْزُوهُم دونَ قابِلِ
سيكفرُ قومٌ في الحروبِ إذَا التقَوْا ... صُدورَ المَذَاكي والوَشِيجِ الذَّوابِلِ (٣)
فَقُلْ للمُثَنَّى حينَ قَرَّ قَرارُهُ ... ستأتِيكَ بالأخبارِ رُكْبَانُ قافِلِ

---

(١) الأديم : الخبز ، وعَرَكَ الأديم يعرُكه عركاً : دَلَكَهُ دَلْكاً . (اللسان : أدم : عرك) .
عرانين : ج عِرْنين ، وعَرَانين الناس : وجوههم ، وعَرَانين القوم : سادتهم وأشرافُهم على المَثَل . (اللسان : عرن) .

(٢) الفَقْعُ والفِقْعُ : الأبيض الرخو من الكماة ، وهو أردؤها ج فِقعَة ، ويُشَبَّه به الرجل الذليل فيُقال : هو فِقْعٌ قَرْقَرٍ . ويُقال أيضاً : أذلُّ من فَقْعٍ بقرقر لأن الدَّواب تَنْجُلُه بأرجلها . (اللسان : فقع) .

(٣) المذاكي : ج مذك ، وهي الخيل التي مضى عليها سنتان بعد قروحها . (الصحاح : ذكا) .
الوشيج : شجَر الرماح ، وقيل هو ما نبتَ من القنَا والقصب معترضاً أو ملتفاً دخل بعضه بعضاً ، وقيل : هي عامة الرماح واحدتها وشيجة ، وقيل : هو من القنا أصلبه . (اللسان : وشج) .

ـ ٩٤ ـ

رجل من أهل دبا

وقال رجلٌ من أهل دبا[1] (الرَّوض المعطار في خبر الأقطار : دبا ٢٣٢) [من مشطور الرَّجَز]

لقـــــد أتـــــانـــــا خَبَـــــرٌ رديُّ
أمســـتْ قـــريـــشٌ كلُّهـــا نبـــيُّ
ظُلْـــــم لَعَمْـــــرُ الله عبقـــــريُّ

(١) ودبا موقع بظهر الحيرة ، ودبا فيما بين عمان والبحرين ، ولمّا توفي رسول الله ﷺ منع أهلها الصّدقة وارتدوا ، وكان عليهم حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ يدعوهم إلى التوبة فأَبَوا ، وأسمعوه شتم النبي ﷺ ، وكانوا يرتجزون بالأبيات السابقة . وانظر القطعة في الاكتفا ١٧٩ .

- ٩٥ -

رجل مجهول من كندة

وقال رجل من بني عم الأشعث بن قيس الكندي فخورا بانتصاره على زياد بن لبيد والمسلمين : (الرِّدَّة : ١٨٩) [من الرَّمَلْ]

ظَفَـــر الأشْعَـــثُ لَمّـــا كِنْـــدَةٌ عِنْـدَمَـا غَـابَـتْ حـوَاهَـا واحْتَمَـى
تـــركَ الأوْتَـــارَ فـــي أعْـــدَائِهِـــمْ وَسَمَـا للحـرب قِـدْمَـاً وانْتَمَـى(١)
يــــا زيــــادٌ لا تُــــلاقِ أشْعَثــــاً فَسَيُسْقَـــى ضَلَّـــةً منـــكَ دَمَـــا(٢)
إنَّ لــــلأَشْعَـــثِ صَـــوْلاتٍ إذا لَقِـــيَ الأبْطَـــالَ يَمْضِـــيْ قُـــدُمَـــا
حَظُّـــهُ فـــي الحَـــرْبِ بيـــضٌ رُهَّـــفٌ ورِمَـــاحُ الخَـــطِّ تَحْكِـــي الأَنْجُمَـــا(٣)

---

(١) وَتَرَ الرَّجل : أفزعه وأدركه بمكروه ، ووتَرَ ماله : نَقَصَهُ إيّاه ، والأوتار : الجنايات والأوتار : القيسِي (اللسان : وتر) .

سَمَا سموّاً : ارتفع ، وسما به : أعلاه .

(٢) الضَّلَّة : الحَيْرَة ، والغيبة لخيرٍ أو شَرٍّ ، والضَّلال .

(٣) البيضُ الرُهَّفُ : يقصد بها السيوف القاطعة ، رماح الخطِّ : منسوبة إلى مدينة الخَطِّ الشهيرة بصناعة الرماح .

- ٩٦ -

رجل مجهول من كندة

وقال رجل من أصحاب الأشعث بن قيس الكندي متوعِّداً المسلمين بالهزيمة : (تاريخ الطبري ٣/ ٣٣٦) [من الرَّجَز]

صَبَـــاحُ سَـــوْءٍ لِبَنِـــي قَتِيـــرهْ
ولـــلأمِيْـــرِ مِـــنْ بَنِـــي المُغِيْـــرهْ[١]

---

(١) أبو قَتيرة : كنية إبليس (اللسان : قتر) وهي كناية عن التحقير والذل .
يقصد بالأمير من بني المغيرة : خالد بن الوليد رضي الله عنه .

- ٩٧ -

رجل مجهول من كندة

وقال رجلٌ من بني عم الأشعث بن قيس الكندي يدعو إلى الرِّدَّة ومنعِ الزكاة :

(الرِّدَّة : ١٧٤) [من الطويل]

إِذا نحــنُ أعطَيْنَـا المُصَــدِّقَ سُــؤْلَــهُ فنحــنُ لــهُ فيمــا يُــريــدُ عَبيْــدُ[١]

أَفِـي كُــلِّ يــومٍ للمُهَـاجِـرِ جِبْـوَةٌ ولابــنِ لبيــدٍ إنَّ ذا لَشَــدِيــدُ[٢]

فحتَّـى متـى نُعْطِـي الإتَـاوةَ مَعْشَـراً إذا أخـذوا قـالـوا لمعشـرِ عُـودُوا[٣]

---

(١) البيت في كتاب الفتوح ١/ ٥٩ ، المُصدِّق : يريد به أبا بكر الصديق ، والمُصَدِّق : هو الذي يأخذ الحقوق من الإبل والغنم .

(٢) يريد المهاجر بن أبي أمية وزياد بن لبيد . اللذين كانا يجمعان الصدقات . الجِبْوة : مِنْ جبى الخراج يجيبه جبايةً وجباءة .

(٣) الإتاوة : يقصد بها الزكاة .

- ٩٨ -

رجل من قبيلة كندة

وقال رجلٌ من قبيلة كندة ، شامتاً بالمسلمين المحاصرين من قبل الأشعث بن قيس الكندي وكان قائدهم زياد بن لبيد والمهاجر بن أمية : (الرِّدَّة : ١٩٠) [من الكامل]

أَخْبِـرْ زِيَـاداً : إنّ كِنْـدَةَ أَجْمَعَـتْ طُـرّاً عليـكَ فكيـفَ ذلـك تَصْنَـعُ[١]
أحيـاءُ كِنْـدةَ قـد أَتَتْـكَ بجَمْعِهـا ولـديـكَ منهـا جِيْـرَةٌ لـو تَنْفَـعُ
قـد صَيَّـرَتْـكَ إلى التَّحَصُـنِ صَـاغِـراً حتَّـى كَتَبْـتَ إِلـى عَتِيـقٍ تَضْـرَعُ[٢]
فـاصْبِـرْ ولا تَجْـزَع لـوقْـعِ سيـوفِنَـا إنَّ الكَـرِيْـمَ إذا جَنَـى لا يَجْـزَعُ

---

(١) طُرّاً : جميعاً . البيت في كتاب الفتوح ١ / ٦٧ .

(٢) عتيق : أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ، قيل : سُمِّي بذلك لأن الله تبارك وتعالىٰ أَعْتَقَهُ من النار ، واسمه عبد الله بن عثمان ، روت عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ ، فقال : (يا أبا بكر أنت عتيقُ الله من النار) ، فمِنْ يومئذٍ سُمِّي عتيقاً . وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : سمِّي عتيقاً لأنَّهُ أُعْتِقَ من النار ، سمّاه به النبي ﷺ ، وقيل : كان يُقال له عتيق لجماله . (لسان العرب : عتق) .

- ٩٩ -

رجل مجهول من قبيلة كندة

وقال رجلٌ من بني عم الأشْعَثِ بنِ قَيْس الكِنْدي يحرّض قومه على العصيان ومنع الزكاة : (الرِّدَّة : ١٧٥) [من الطويل]

إذا نحــنُ أَعْطَيْنــا المُصَــدِّقَ سُــؤْلَـهُ   فَجُــدِّعَ مِنَّــا كُــلُّ أَنْـفٍ ومِسْمَـعِ(١)
فــواللهِ لــو قــالــوا عِقَــالاً لقُلْــتُ لا   إليــهِ سبيــلٌ لا ولا قِيْــسُ أُصْبَــعِ
فقُــلْ لــزيــادٍ والمهــاجِــرِ أوْعِــدَا   فمــا مِثْلُنَــا فــي وَعْــدِهِ بِمُــوَرَّعِ(٢)
ومـا مِثْلُنَا يُعْطِي على القَسْرِ مـالَـهُ   ونحنُ مُلوكُ الناسِ من قبلِ تُبَّعِ(٣)

---

(١) الجَدْعُ : قطع الأنفِ ، أو الأُذُنِ ، أو اليد ، و الشَّفة .

(٢) مُورَّع : متحرجٌ ناكِصٌ ، وقيل : الوَرَع هو الجبان ، وقيل : هو الصغير الضعيف في رأيه وعقله وبدنه . (اللسان : ورع) ، يريد : زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أميَّة .

(٣) تُبَّع : هو أحد ملوك اليمن الذين سُمُّوا التبابعة .

خاتمة

طمحتُ في الدراسة السالفة إلى التعريف بشعراء الرِّدَّة وشعرهم ، فقد بلغ عدد الشعراء الذين جمعتُ شعرهم أربعاً وأربعين شاعراً ، منهم اثنا عشر شاعراً مجهولاً ، ومن بينهم ثلاث شاعرات . وقد ترجمتُ للشعراء السابقين ، وجمعتُ ما تيسَّر من شعرهم من المصادر التي توافرتْ بين يدي ، فكان أهمها المصادر التاريخية التي تضمنت أكبر عدد من أبيات شعر الرِّدَّة ، ككتاب الرِّدَّة وتاريخ الطبري ، وتلتها كتب الاختيارات الشعرية وأهمها الحماسة الشجرية والوحشيات ، ثم كان لا بُدَّ من الحديث عن توثيق شعر الرِّدَّة ، فكان أن أشرتُ إلى الاضطراب في نسبة بعض شعر الرِّدَّة إلى أصحابه ، فحاولت أن أميِّزَ النسبة الصحيحة ، فكنت أرجِّحُ أحياناً وأبتُّ أحياناً أخرى .

ثم انتقلت إلى دراسة الخصائص الفنية لشعر الرِّدَّة ، فبدأت بدراسة الخصائص المعنوية ، ولعلّ أهمّ ما يميز معانيهم الوضوح والبساطة ، وقد نجد بعض الصعوبة والغموض بسبب السرعة والارتجال ، أو غرابة الألفاظ ، أو اضطراب رواية البيت الشعري ، أو ضياع الرسم الحقيقي للكلمات ، وقد استخدم الشعراء التشبيه والاستعارة والكناية ، وهي أمورٌ أسهمت في توضيح المعاني وإبرازها ، وكان استخدامهم لها عفوياً بعيداً عن التكلف والتصنُّع ، وكانت صورهم مستمدَّةً من البيئة الحسيّة التي عاشوا فيها ، وقد تضمّنَ شعرُ الرِّدَّة ما يُسَمَّى بالمحسنات المعنوية كالطباق والمقابلة ، وقد لجأ الشعراء إليها لتثبيت الصورة في ذهن المتلقي ، وكان استخدامهم لها عفوياً بعيداً عن التكلف والتصنُّع ، وقد لجأ بعضُ الشعراء إلى استخدام بعض الأمثال الشعبية السائدة ليؤكد المعنى ويثبته في ذهن المتلقي .

ثم انتقلت الدِّراسة إلى الخصائص اللفظية ، فتوقفت عند المنهج الذي اتبعه الشعراء في بناء قصائدهم ، إذ نهج معظمهم نهج المقطعات ، وجعلوا القصيدة ذات موضوعٍ واحدٍ يباشره الشاعر دون اللجوء إلى المقدمة الطللية والغزلية ، ثم

انتقلت إلى دراسة الجانب الموسيقي في شعر الرِّدَّة ، فوقفت على البحور الشعرية التي لجأ إليها الشعراء ، وقد وظفوها لخدمة معانيهم وموضوعاتهم المختلفة ، وقد أكثروا من النظم على وزن الرَّجز ، وهو وزنٌ سهلٌ يناسب السرعة والارتجال ، ويشيع في أثناء الحروب ، ثم توقفت عند بعض المحسنات اللفظية التي تغني موسيقا القصيدة ، كالجناس والتكرار وقد استخدمها الشعراء بشكل عفوي دون تَعمُّدٍ أو إكثار ، وعرضت عناصر أخرى أغنت موسيقا الشعر كالإعنات والتصريع .

وفي دراسة لغة شعر الرِّدَّة تبيَّن أنها عبّرت عن حال الشعراء ، فاستطاع الشاعر أن يُناغِمَ بين اللفظ والمعنى بشكلٍ صوّر الواقع ، فكانت لغتهم بعيدة عن الغريب والنادر ، مع شيء من التصرّف في أبنية الألفاظ وقواعد النحو لجأ إليه الشعراء ، إذ قد يضطر الشاعر إلى تحريك ساكنٍ أو تسكينِ متحرّك ، أو وصلِ همزة قطع ، وكانت الأمثلة التي وقفتُ عليها قليلة لجأ إليها الشاعر عند الضرورة .

وقد تبيّن لنا أن الشعراء اعتمدوا الأسلوب الإنشائي بكثرة ، فكثرت في أبياتهم صيغ الأمر والنهي والاستفهام والنداء والقسم ، ومردُّ ذلك إلى أن ظروف الحرب ، وقد أسهمت هذه الأساليب في أداء المعنى ووضع القارىء والسامع في جو الحرب واضطرابها .

ثم انتقلت الدراسة إلى تتبع الطوابع الشعبية في شعر الرِّدَّة ، إذ تمَيَّز هذا الشعر بعددٍ من الطوابع الشعبية كالبساطة في التعبير ووضوح المعنى ، وشيوع المقطعات ووزن الرّجز .

وقد برز الأثر الإسلامي في شعر الرِّدَّة إذ يلاحظ القارىء أن شعر المرتدين لم يخلُ من آثار الثقافة الإسلامية في الألفاظ والمعاني وهي آثار تتفاوت بين شاعرٍ وآخر ، فنلمح بعض الصور والتشبيهات والمعاني التي اقتبسها الشعراء من وحي القرآن الكريم عندما كانوا في أشد حالات نكوصهم وعصيانهم ، ونلمس هذه المعاني الإسلامية بشكل أعمق وأصدق بعد ندمهم وتوبتهم .

وبعد ، فهذه أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث ، وعسى أن يجود

الزمان ببعض كتب الرِّدَّة التي ضاعت كي يستطيع الدارس أن يستدرك نواقص الأخبار والأشعار ، ويرمم ما نقص من هذه الدراسة التي كانت نتائجها رهناً بما نقلتهُ إلينا المصادر والمراجع وما توافر بين يدي منها .

والحمد لله رب العالمين

الفهارس الفنية للكتاب

ثبت المصادر والمراجع

* الأخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار (٢٥٦هـ) تحقيق د . سامي مكي العاني ـ مطبعة العاني ـ بغداد .

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ أبو عمر بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق علي معوض ، عادل عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

* أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ عز الدين بن محمد الجزري (٦٣٠هـ) تحقيق علي معوض ، عادل عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٩٤ .

* الاشتقاق ـ ابن دريد (٣٢١هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩١ .

* الأشراف في منازل الأشراف ـ ابن أبي الدنيا (٢٨١هـ) تحقيق د . نجم عبد الرحمن خلف ، عبد الرحمن خلف ـ مكتبة الرشد ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٩٩٠ .

* الإصابة في تمييز الصحابة ـ ابن حجر الأندلسي (٨٥٢هـ) تحقيق د . عادل عبد الموجود ، محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

* الأغاني ـ أبي الفرج الأصفهاني (٢٨٤ـ٣٥٦هـ) تحقيق لجنة من الأدباء ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٥ ـ ١٩٨١ .

* الأم ـ عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ـ٢٠٤هـ) ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٩٠ .

* أمالي اليزيدي (٣١٠هـ) الحبيب عبد الله الحسيني الحضرمي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة .

* أنبياء بلا نبوّة ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ط١ ـ ٢٠٠٢ .

* أنساب الأشراف ـ البلاذري (٢٧٩هـ) تحقيق محمد حميد الله ـ دار المعارف ـ ط٣ .

* الأنوار ومحاسن الأشعار ـ الشمشاطي (ق٤هـ) تحقيق د . السيد محمد يوسف ، عبد الستار أحمد فرّاج ـ ١٩٧٧ .

* أهل اليمن في صدر الإسلام ـ د . نزار الحديثي ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت .

* أيام العرب قبل الإسلام ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) ـ د . عادل البياتي ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٧ .

* البداية والنهاية ابن كثير (٧٧٤هـ) تحقيق د . عبد الله عبد المحسن التركي ـ دار هجر للطباعة والنشر ـ ط١ ـ ١٩٩٧ .

* البرصان والعرجان والعميان والحولان ـ الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق محمد مرسي الخولي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٤ ـ ١٩٨٧ .

* البيان في مذهب الإمام الشافعي ـ شرح كتاب المهذّب كاملاً والفقه المقارن ـ تأليف أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني الشافعي (٥٥٨هـ) ـ دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع .

* البيان والتبيين ـ الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط٥ ـ ١٩٨٥ .

* تاج العروس من جواهر القاموس ـ الزبيدي (١٢٠٥هـ) تحقيق د . عبد العزيز مطر ، د . عبد الستار أحمد فرّاج ، بإشراف لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٧٠ .

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق د . عمر عبد السلام التدمري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٧ .

* تاريخ الخلافة الراشدة ـ خلاصة تاريخ ابن كثير للقاضي الشيخ محمد بن أحمد كنعان ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٧ .

* تاريخ الخلفاء للسيوطي (٩١١هـ) تحقيق الأستاذ إبراهيم الصالح ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٩٩٧ .

* تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) تحقيق د . أكرم ضياء العمري ـ دار طيبة ـ السعودية ـ ط٢ ـ ١٩٨٥ .

* تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ـ منشورات المكتب التجاري ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٥٨ .

* تاريخ الرِّدَّة ـ اقتبسه من الاكتفاء للكلاعي البلنسي وهذّبه خورشيد أحمد فاروق أستاذ آداب اللغة العربية بجامعة دلهي الهند ١٩٧٠ .

* تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي ـ د . يوسف خليف ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٨٨ .

* تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ـ عمر فروخ ـ دار العلم للملايين ـ ط٦ ـ ١٩٨٣ .

* تاريخ الطبري (٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٤ .

* تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر (٤٩٩ـ٥٧١هـ) تحقيق علي شِيري ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٩٥ (ج٢٥) .

* تاريخ المدينة المنوّرة ـ أخبار المدينة المنوّرة ـ ابن شبّة ـ أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري (١٧٣هـ تحقيق فهيم محمد شلتوت ـ ط٢ .

* تاريخ اليعقوبي (٢٩٢) ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٦ .

* تعليق من أمالي ابن دريد (٣٢١هـ) تحقيق السيد مصطفى السنوسي ـ ط١ ـ ١٩٨٤ .

* تهذيب اللغة ـ الأزهري (٢٨٢ـ٣٧٠هـ) تحقيق يعقوب عبد النبي ، محمد علي النجار ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

* ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (٣٥٠ـ٤٢٩هـ) تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح ـ دار البشائر ـ ط١ ـ ١٩٩٤ .

* جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ ابن الأثير الجزري (٦٣٠) ـ دار الفكر ـ ١٩٧١ .

* جمهرة الأمثال ـ لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط٢ .

* جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٥ .

* جمهرة خطب العرب ـ أحمد زكي صفوت ـ دار الحداثة ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٨٥ .

* جمهرة النسب ـ ابن سلام (٢٢٤) ـ تحقيق مريم محمد خير الدرع ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

* حديث الأربعاء ـ طه حسين ـ دار المعارف ـ مصر .

* حركة الرِّدَّة ـ علي العتوم ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان ـ ١٩٨٧ .

* حروب الرِّدَّة ـ محمد ضاهر وتر (الريادة في حروب وفتوحات أبي بكر الصديق) ـ اتحاد الكتاب العرب ـ ١٩٩٩ .

* حروب الرِّدَّة ـ دراسة نقدية في المصادر ـ د . إلياس شوفاني ـ دار الكنوز الأدبية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

* حروب الرِّدَّة من قيادة النبي ﷺ إلى إمرة أبي بكر ـ شوقي أبو خليل ـ دمشق ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٨٤ .

* حروب الرِّدَّة من معارك الإسلام الفاصلة ـ محمد أحمد باشميل ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٧٩ .

* الحماسة الشجرية ـ ابن الشجري (٥٤٢هـ) تحقيق عبد المعين الملوحي ، أسماء الحمصي ـ منشورات وزارة الثافة ـ دمشق ـ ١٩٧٠ .

* الحماسة المغربية ـ أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (٦٠٩هـ) .

* حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج بشرح المنهاج للإمام النووي ـ ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي ـ بيروت ـ دار الكتب العلمية ـ ١٩٩٦ .

* الحيوان للجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

* خالد بن الوليد ـ صادق عرجون ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ ١٩٨٧ .

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـ عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

* الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة في حروب الرِّدَّة ـ أربع مخطوطات مجتمعة عن الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء للكلاعي الأندلسي ، د . أحمد غنيم ـ ط١ ـ ١٩٧٩ ـ دار الاتحاد العربي للطباعة .

* دلائل الإعجاز ـ الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤هـ) تحقيق محمد محمد شاكر المدني ـ دار المدني ـ جدة ـ ط١ ـ ١٩٩١ .

* دلائل النبوة ـ البيهقي ـ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ المدينة المنوّرة ـ المكتبة السلفية ـ ١٩٦٩ .

* ديوان امرىء القيس ـ حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ط٤ ـ ١٩٥٩ .

* ديوان بني أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين ـ د . محمد علي دقة ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٩ .

* ديوان حسان بن ثابت ـ شرح البرقوقي ـ دار الأندلس ـ بيروت ـ ١٩٦٦ .

* ديوان حسان بن ثابت ـ تحقيق د . وليد عرفات ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٤ .

* ديوان الحطيئة ـ رواية وشرح ابن السّكّيت (١٨٦ـ٢٤٦هـ) تحقيق د . نعمان أمين طه ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

* ديوان الرِّدَّة ـ د . علي العتوم ـ مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان ـ ط١ ـ ١٩٩٧ .

* ديوان عمرو بن معدي كرب ـ تحقيق د . عبد العزيز الثنيان ـ مكتبة العبيكان ـ الرياض .

* ديوان عمرو بن معدي كرب ـ تحقيق مطاع طرابيشي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ط٢ ـ ١٩٨٥ .

* ديوان مالك ومتمم ابن نويرة ـ جمع وتحقيق ابتسام مرهون الصفار ـ ساعدت جامعة بغداد على نشره ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ١٩٦٨ .

* الرثاء في الجاهلية والإسلام ـ د . حسين جمعة ـ دار معد للنشر والتوزيع ـ دمشق ـ ١٩٩١ .

* الرِّدَّة في ضوء مفهوم جديد ـ رجب محمد عبد الحليم ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٨٥ .

* رسالة الغفران ـ المعري (٤٤٩هـ) ـ بنت الشاطىء ـ دار المعارف بمصر ـ ط٣ .

* الروض المعطار في خبر الأقطار ـ محمد عبد المنعم الحميري ، إحسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ ط٢ ـ ١٩٨٤ .

* سير أعلام النبلاء ـ الذهبي (٧٤٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ، حسين الأرناؤوط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٧ ـ ١٩٩٠ .

* السيرة النبوية ـ ابن هشام (١٥٢هـ) تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ـ دار الخلود ـ بيروت .

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد (١٠٨٩هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٦ .

* شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري ، تحقيق د . علي المفضل حمودان ـ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ ط١ ـ ١٩٩٢ .

* شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ـ د . النعمان القاضي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٥ .

* الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة (٢٧٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٩٨ .

* الشعر وطوابعه الشعبية على مرِّ العصور ـ د . شوقي ضيف ـ مكتبة الدراسات الأدبية ـ دار المعارف ـ مصر .

* الشيخان ، برواية البلاذري (٢٧٩هـ) ـ تحقيق د . إحسان صدقي العمد ـ مؤسسة الشراع العربي ـ الكويت ـ ط١ ـ ١٩٨٩ .

* صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي (٨٢١هـ) ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للكتاب .

* صحيح البخاري (٨٢٢) تحقيق د . مصطفى البغا ـ دار ابن كثير ـ مكتبة اليمامة ـ دمشق ـ ط٤ ـ ١٩٩٠ .

* صفة جزيرة العرب ـ الهمذاني ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء ـ دار الآداب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣ .

* الصناعتين ـ العسكري (٣٩٥هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم .

* طبقات خليفة بن خياط (٢٤٠هـ) تحقيق د . أكرم ضياء العمري ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ط٢ ـ ١٩٨٢ .

* طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام الجِمحي (١٣٩ـ٢٣١هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني ـ مصر .

* الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت .

* الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ تحقيق د. علي محمد عمر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ٢٠٠١ .

* ظاهرة الرِّدَّة في المجتمع الإسلامي الأول ـ محمد حسن بريغش ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

* العرب في حضارتهم وثقافتهم ـ عمر فرّوخ ـ دار العلم للملايين ـ ط٢ ـ ١٩٨١ .

* العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ـ د . إحسان النص ـ دار اليقظة العربية .

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه ـ ابن رشيق (٣٩٠ـ٤٥٦هـ) تحقيق د . محمد قرقزان ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٨ .

* عيار الشعر ـ ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) تحقيق د . عبد العزيز بن ناصر المانع ـ دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض ـ ١٩٨٥ .

* غزوات ابن حُبَيش (٥٨٤هـ) ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٩٩٢ .

* الفتوح ـ أحمد بن أعثم الكوفي ، تحقيق د . سهيل زكار ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٩٢ .

* فتوح البلدان ـ البلاذري (٢٧١هـ) تحقيق عبد الله الطباع ، عمر الطباع ـ منشورات مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ١٩٨٧ .

* الفتنة الكبرى ـ طه حسين ـ دار المعارف ـ مصر .

* فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

* الفقه الإسلامي وأدلته ـ د . وهبة الزحيلي ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط٤ ـ ١٩٩٧ .

* فقه السنة ـ السيد سابق ـ دار الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٩٩ .

* الفقه على المذاهب الأربعة ـ د . عبد الرحمن الجزيري ـ مكتبة المجلد العربي ـ القاهرة .

* الفهرست ـ ابن النديم (٤٣٨) تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

* فوات الوفيات والذيل عليها ـ محمد بن شاكر الكتب ، تحقيق د . إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .

* قانون البلاغة ـ أبو الطاهر محمد بن حيدر البغدادي (٥١٧هـ) ـ د . محسن عجيل ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٧٩م .

* قبيلة تميم في الجاهلية والإسلام ـ عبد القادر فياض حرفوش ـ دار البشائر ـ دمشق ـ ٢٠٠٢ .

* قصيدة الرثاء ـ جذور وأطوار ـ د . حسين جمعة ـ دار النمير ـ ط١ ـ ١٩٩٨ .

* الكافي في علم القوافي ـ محمد بن عبد الملك بن السرّاج الشنتريني (٥٥٠هـ) تحقيق د . محمد رضوان الداية ـ دار الملاح ـ ط٣ ـ ١٩٧٩ .

* الكامل ـ المبرِّد (٢١٠ـ٢٨٥هـ) تحقيق محمد أحمد الدالي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٨٦ .

* الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير (٦٣٠هـ) دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

* كتاب الرِّدَّة ونبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني ـ الواقدي (٢٠٧هـ) برواية أحمد بن أعثم الكوفي (٣١٤هـ) تحقيق محمد حميد الله بيروت ـ الشركة المتحدة ـ ١٩٨٩ .

* كتاب الرِّدَّة ـ الواقدي (٢٠٧هـ) تحقيق د . محمود عبد الله أبو الخير ـ دار الفرقان ـ عمان .

* كتاب الرِّدَّة ـ الواقدي (٢٠٧هـ) تحقيق د . يحيى الجبوري ـ بيروت ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط١ ـ ١٩٩٠ .

* كتاب العين ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ـ١٧٥هـ) تحقيق د . مهدي المخزومي ـ د . إبراهيم السامرائي ـ منشورات دار الهجرة ـ إيران ـ ١٤٠٥هـ .

* كتاب القوافي ـ الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) تحقيق د . عزّة حسن ـ دمشق ـ ١٩٧٠ .

* كتاب النسب ـ ابن سلاّم (٢٢٤هـ) تحقيق مريم محمد خير الدّرع ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٨٩ .

* لسان العرب ـ ابن منظور (٧١١هـ) ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٠ .

* مجمع الأمثال ـ الميداني (٥١٨هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٧٢ .

* المحبّر ـ ابن حبيب (٢٤٥هـ) ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

* المحن ـ أبو العرب محمد بن أحمد التميمي (٣٣٣هـ) تحقيق د . يحيى الجبوري ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط٢ ـ ١٩٨٨ .

* المحيط في اللغة ـ إسماعيل بن عبّاد (٣٢٦ـ٣٨٥هـ) تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٤ .

* مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ـ اختصار ابن منظور (٦٣٠ـ٧١١هـ) تحقيق عبد الحميد مراد ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٩٨٤ .

* مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي (٣٤٦) ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

* المسبار في النقد الأدبي ـ د . حسين علي جمعة ـ منشورات اتّحاد الكتاب العرب ـ ط١ ـ ٢٠٠٢ .

* المستقصى في أمثال العرب ـ الزمخشري (٥٣٨هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٧ .

* المعارف ـ ابن قتيبة ـ تحقيق د . ثروت عكاشة ـ دار المعارف ـ مصر ـ ط٢ .

* معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ عبد الرحمن بن أحمد العباسي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٧ .

* معجم البلدان ـ ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٠ .

* معجم الشعراء ـ المزرباني (٣٨٤هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج .

* المعجم الكبير ـ الطبراني (٣٦٠هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٣ .

* معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلدان ـ عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (٤٨٧هـ) تحقيق مصطفى السقا ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٨٣ .

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ـ محمد فؤاد عبد

الباقي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٩٦ .

* معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس (٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٧٩ .

* المغازي ـ الواقدي (٢٠٧هـ) ـ القاهرة ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٤٨ .

* المفضليات ـ المفضل الضبي (١٧٨هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف ـ ط٧ .

* مقالات الكوثري ـ محمد زاهد الكوثري ـ دار السلام للطباعة والنشر ـ ط٣ ـ ١٩٩٨ .

* مقدمة ابن خلدون (٨٠٨) ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٩٦٧ .

* من اسمه عمرو من الشعراء ـ ابن الجرّاح (٢٩٦هـ) تحقيق د . عبد العزيز بن ناصر المانع ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٩١ .

* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ـ ابن الجوزي (٥٩٧هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٩٢ .

* منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ حازم القرطاجني ـ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨١ .

* المؤتلف والمختلف ـ الآمدي (٣٧٠هـ) تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

* موسوعة أمثال العرب ـ د . إميل بديع يعقوب ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٥ .

* الموشح ـ المرزباني (٣٨٤هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار نهضة مصر .

* نسب معد واليمن الكبير ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤هـ) تحقيق د . ناجي حسن ـ عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية ـ ط١ ـ ١٩٨٨ .

* نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ـ ابن سعيد الأندلسي (٦٨٥هـ) تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ـ مكتبة الأقصى ـ عمّان .

* نصوص الرِّدَّة في تاريخ الطبري ـ محمد حسن آل ياسين ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ ط٣ ـ ١٩٧٧ .

* نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ـ القلقشندي (٨٢١هـ) تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٠ .

* النوادر

* نوادر المخطوطات ـ عبد السلام هارون ـ شركة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي مصر ـ ط٢ ـ ١٩٧٣ .

* الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام (٢٢٨) تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، محمود محمد شاكر ـ دار المعارف ـ ط٣ .

* الوافي بالوفيات (الصفدي ٧٦٤) اعتنى به هلموت ريتر ـ ١٩٦٢ .

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق د . إحسان عباس منشورات الشريف الرضي ـ ط٢ .

* وفيات الأعيان والمشاهير ـ خلاصة تاريخ ابن كثير ـ محمد بن أحمد بن كنعان ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٨ .

* وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢هـ) تحقيق عبد السلام هارون ـ مكتبة الخانجي ـ المؤسسة العربية الحديثة للطباعة والنشر ـ ط٣ ـ ١٩٨١ .

* اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية ـ عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٩٨٧ .

فهرس الأعلام

- ب -

فهرس الشعر والشعراء

المطلع	القافية	الشاعر	عدد الآيات	الصفحة
ألم ترنا	انتهاء	رجل من بني حنيفة	٢	٣٩ ، ٢٩٥
ظفَر	واحتمى	رجل من كِنْدة	٥	٣٦٣
اليوم	بالرِّيبِ	حارثة بن سُراقة	٢	٢١٦
طَرقت	سَهْبِ	طُليحة بن خُويلد الأسدي	٤	٢٦٨
بني أسد	غالب	طليحة بن خويلد الأسدي	٩	٢٤٠ ، ٢٦٧
خَفَّ	الكذّابِ	عُيَيْنة بن حصن الفزاري	٦	١٥١ ، ٣٤٥
يا عيينَ	أذنابُ	رجل مجهول	١	٢٣٩
يَمْنَعُها	الثوبُ	حارثة بن سُراقة	١	١٢٤
يمنعها	الشَّيْبُ	حارثة بن سُراقة	٦	٣٢٤
لستُ	صوابُ	حارثة بن سُراقة	٦	١٢٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ ، ٣٢٣
صَدَّنا	الكذَّابُ	رجل مجهول	٥	٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٣٦٠
باسْتِ	الخَزْرَجِ	عَصْماءُ بنت مَرْوان	٤	٧٠ ، ٢٧٤
بنو وائل	الخَزْرَجِ	حسان بن ثابت	٣	٧٠
وقعنا	تَفرَّجا	عفيف بن معدي كرب	٨	١٤٤ ، ٣٤٤
ولست	جناحِ	الفُجاءة بن عبد ياليل	٢	٢١٧
ألم	السلاحِ	الفُجاءة بن عبد ياليل	٩	١٥٧ ، ٢٤٢ ، ٣٥٠
ميعادنا	الصُّبْحِ	الأشعث بن قيس الكندي	٧	٣٠٣
وإن	وأصلحُ	الأشعث بن قيس الكندي	٧	٣١ ، ١١١
لعمري	سَمَّحوا	الأشعث بن قيس الكندي	٦	٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٣٠٢
أبلغ	الناصحُ	زياد بن عبد الله الغطفاني	٣	١٥٠
ألم	برَاحا	الحطيئة	٤	٣٢٨
ياموت	صباحا	أم طليحة الأسدية	٣	٨٥ ، ٢٧٣

المطلع	القافية	الشاعر	عدد الآيات	الصفحة
نقاتلكم	بكر	زياد بن لبيد	٢	١١١ ، ١٢٥
فيا قوم	الجمر	حارثة بن سراقة بن معدي كرب	٢	١٢٤
مُسَيْلم	الحافر	امرأة من بني حنيفة	٨	٢٣٦ ، ٢٩٦
مُسَيْلم	الحافر	رجل مجهول	٣	٢١٨
حلفت	الحجر	عيينة بن حصن الفزاري	١٠	٣٤٦
ما كنت	خاسرُ	الأشعث بن قيس	٧	٣٠٦
سبى	الديار	عمرو بن معدي كرب	٤	٢٧٩
وإنّ أناساً	الذّرِّ	حارثة بن سُراقة	٧	٢١١ ، ٢٥٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦
وأقسمتُ	سرار	طليحة بن خويلد الأسدي	٢	٢٧٠
تنصرت	ضرر	جبلة بن الأيهم	٦	١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٣٢١
لعمري	عمرو	الأشعث بن مئناس السكوني	٢	١١٨ ، ١٩٥ ، ٣١٧
لقيت	الفِرَزْ	الأشعث بن قيس الكندي	٢	[٢٣٦ ، ٢٥٥ ، ٣٠٤]
ألا كلُّ	الغَمْرِ	الحطيئة	٨	٣٣٠
صحا	فأبصرا	أبو شجرة بن عبد العُزّى السُّلمي	٨	٣٣٤ ، ٣٣٥
كأنّ	القطر	أبو شجرة بن عبد العزّى السُّلمي	٢	٣٣٩
كأنَّ المدام	القطر	امرؤ القيس الكندي	٢	١٩٦
غدرت	المُعَوَّر	عمرو بن معدي كرب الزبيدي	٢	٢٧٨
ألا يا مجاعة	ناظرِ	امرأة من بني حنيفة	٢	٢٣٨ ، ٢٣٩
قد حُصِرت	النُّجير	الجَبْرُ بن القشعم الكندي	٥	١٢٠ ، ٣١٩
فروّيت	أعمّرا	أبو شجرة بن عبد العُزّى السُّلمي	١	١٣٦
منعتُ	وأصبرا	الأشعث بن قيس	١	٣٠٥
سلِ	وحُسَّرا	أبو شجرة السّلَمي	٢	١٣٥
يا معشر	يؤمر	رجل مجهول	٤	١٦٩
إني	قيس	الأشعث بن قيس	٤	٣٠٧

المطلع	القافية	الشاعر	عدد الآيات	الصفحة
أتانا	هاشم	الأشعث بن قيس	٨	٣٣ ، ٣١٤
دعيني	هشام	نميلة بن عبد الله الكناني	٢	٧٣
أيؤذي	يجرم	جبر بن القشعم الكندي	١	٢٤٠
أضحت	ذُكرانا	عطارد بن حاجب	٣	٣٤٣
فلو	صبرنا	مسيلمة الكذاب	٤	٢٤٥ ، ٢٨٨
لعمري	ضنين	الأشعث بن قيس	٥	١٩٥ ، ٣١٥ ، ٣١٨
أتانا	المسلمونا	الأشعث بن قيس	١١	٣١٤
دون	أراها	مقيس بن ضبابة الكناني	١	٢٨٩
دون	أراها	نميلة بن عبد الله الكناني	١	٧٣
عجباً	سراقة	الأشعث بن قيس	٤	٣١٠
أنا ضربتُ	ضربه	طليحة بن خويلد الأسدي	٢	٢٦٦
ندمت	عارها	وكيع	٢	١٧٨
ندمت	عارها	جندب بن سلمي	٢	٧٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٦٥
لا يهونكم	عكرمه	الأشعث بن قيس	٦	٢٥٠ ، ٣١٣
أبت	قائله	الحطيئة	٢	١٣١
صباحُ	قتيره	رجل مجهول من كنده	٢	٣٦٤
أيا بن	اللابه	مُحكّم بن الطفيل	١٢	٢٢٣
جزى	المُرَّهْ	قرّة بن هبيرة القشيري	٧	٢٣١ ، ٣٥١
لبئس	مسيلمة	رجل من بني حنيفة	٤	[٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٩٨]
لعمري	معاوية	عرفجة بن عبد الله الذهلي	٥	[٢٤٠ ، ٣٤٢]
فلو	نأتيها	أبو شجرة بن عبد العزى السلمي	٤	١٣٦ ، ٣٣٣
أرى	ندامه	أبضعة بن مالك	٩	[١٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٣٠١]
أراني	أراني	مالك بن نويرة التميمي	٦	١٧١ ، ٢٣٠ ، ٣٥٧

المطلع	القافية	الشاعر	عدد الآيات	الصفحة
فقلت	البدي	مالك بن نويرة التميمي	٢	٢٣٨
أإن	بناني	مالك بن نويرة اليربوعي	٣	٢١٢
فدىً	تالدي	الحطيئة	٤	٣٢٩
لقد أتانا	رديُّ	رجل من دبا	٣	٢٥٢ ، ٣٦٢
وإلا فما	عذي	طليحة بن خويلد الأسدي	٣	٢٥٧ ، ٢٥٨
خذي	النبي	مسيلمة الكذاب	٢	٢٨٥
يا محكّم	والبادي	حسان بن ثابت	٣	٩٣
تكذّبُ	يميني	أمامة المزيرية	٢	٧١

فهرس المواقع والأمكنة

فهرس القبائل والأقوام